

مجلّة فصليّة تاريخيّة محكمة تعنى بشؤون التراث والتاريخ العربي والعالمي

العدد ٤٧ - السنة التاسعة عشرة - ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤م

تصدر عن

الأمانة العامة لإتحاد المؤرخين العرب

بغداد

المؤرخ العربي

مجلة فصلية تاريخية محكّمة تعنى بشؤون
التراث والتاريخ والوثائق والمخطوطات والآثار

تصدر عن الأمانة العامة لإتحاد المؤرخين العرب - دولة المقر

العدد : ٤٧ ، السنة التاسعة عشرة
١٤١٣هـ - ١٩٩٣م

بطاقة الاشتراكات

مجلة المؤرخ العربي – العنوان
مكتب المستشارة الثقافية لاتحاد المؤرخين العرب
ص. ب ٩٢٢٠٩٤ عمان – الاردن
هاتف ٦٦٢٨٢٨ فاكسميلي : ٦٧٧٦٦٥

٢٥ دولار للمؤسسات الرسمية
١٥ دولار للمؤرخين
١٠ دولار لطلبة التاريخ

ارجو قبول اشتراكي في مجلتكم لمدة سنة واحدة

يرجى ارسال قائمة بالحساب
تجدون طيا صكاً بقيمة .... دولار
الاسم : ....
العنوان : ....
المدينة : ....
القطر : ....
التاريخ : ....

Subscription card

please enter my subscription for

Address :

One year $ 25.00 for institution
$ 15.00 for Historians
$ 10.00 for Students of History
Please Bill me

Check enclosed for ....
Name ....
Address .... Country ....
City ....
Date ....

هيئـــة التحريـــر

شروط نشر البحوث في المجلة

١ - أن يعتمد البحث الأسس العلمية في إعداد وكتابة البحث.

٢ - أن يكون منسجماً مع أهداف اتحاد المؤرخين العرب.

٣ - أن لا يزيد عدد صفحاته عن (٥٠) صفحة.

٤ - أن لا يكون قد سبق نشره أو قبل للنشر في مجلة أخرى، على أن يقدم كاتب البحث تعهداً يؤكد ذلك مرفقاً برسالة مع البحث موجهة إلى مدير التحرير.

٥ - تقبل البحوث في جميع فروع المعرفة التاريخية، وباللغتين العربية والانجليزية.

٦ - يطبع عنوان البحث على ورقة مستقلة، ويفضل أن يكون مختصراً، ويثبت إسم الباحث او اسماء الباحثين الكاملة والعنوان لكل منهم.

٧ - يطبع البحث على وجه واحد من الورقة، وتأخذ كل ورقة رقمها الخاص، ويقدم نسختين.

٨ - بالنسبة للبحوث المقدمة إلى المؤتمرات او الندوات او ما كان مستقلاً من رسالة اشرف عليها مقدم البحث فيشار الى ذلك في حاشية البحث.

٩ - لأمور فنية خاصة بالطباعة يجب أن توحّد الهوامش الخاصة بالبحث من أول هامش في البحث إلى آخر هامش فيه، وتعطى تسلسلاً واحداً.

١٠ - يحال البحث المقدم للنشر إلى خبير مختص ويُعاد إلى كاتبه لإجراء التعديلات المقترحة إن وجدت على أن يُعاد إلى مدير التحرير في غضون خمسة أيام.

١١ - رتّبت البحوث لاعتبارات فنية وهي تعبّر عن آراء أصحابها مع التأكيد على أن مجلة المؤرخ العربي منبر تاريخي قومي تنطق باسم القضية العربية الكبرى، والبحوث التي ترد للمجلة لا تعاد إلى أصحابها في حالة عدم نشرها.

١٢ - يرجى تدوين إسم الباحث وعنوانه، وعنوان بحثه باللغة الانجليزية.

الدكتورة مديرة عام مكتب ارتباط معهد التاريخ العربي للدراسات العليا في الاردن

مجلة المؤرخ العربي - اتحاد المؤرخين العرب

ص.ب ٩٢٢٠٩٤ عمان - المملكة الاردنية الهاشمية

ت : ٦٦٢٨٢٨ - فاكسميلي : ٦٧٧٦٦٥

الاشتراكات السنوية في مجلة المؤرخ العربي

١ - الدوائر الرسمية وشبه الرسمية في داخل دولة المقر (٥٠) ديناراً، وفي خارج دولة المقر (٢٥) دولاراً أمريكياً.

٢ - للمؤرخين في داخل دولة المقر (٢٠) ديناراً، وفي خارج دولة المقر (١٥) دولاراً أمريكياً.

٣ - لطلبة التاريخ في داخل دولة المقر (١٠) دنانير، وفي خارج دولة المقر (١٠) دولاراً أمريكياً.



محتويات العدد

بحوث التاريخ القديم والآثار

الافتتاحية

كنا نسمع عن حالات للسطو والسرقة وقطع الطرق في طول الدنيا وعرضها، كان هناك لصوص يعترضون القوافل التجارية عبر الصحراء، وقطاع طرق ينهبون التجار في الممرات الجبلية وعصاة يوقفون السفن في منحنيات الأنهار لسلبها، كل هذا كان يتم في العهود الغابرة عندما كانت الحكومات المركزية ضعيفة والأوضاع الاقتصادية متردية.

ونسمع في عصرنا، عصر الكهرباء، والطباعة والفاكس والانفجار الثقافي والعلمي عن حالات سطو جديدة عن أوبئة خطيرة، اخذت تتفشى بين عدد من المثقفين الذين تعزوهم القدرة والقابلية على التحقيق والمتابعة وينقصهم الصبر للوصول إلى الغايات الشريفة بوسائل مشابهة لها، ويدفعهم الجشع وحب الشهوة للوصول إلى ناصية لاحول لهم ولا قوة من الوصول إليها، إلا بالابتزاز والتدليس والانتحال والسطو. في هذا العصر صرنا نلمس توسع ظاهرة السرقات العلمية التي امتهنها بعض المنتفعين الفاشلين الذي اخذوا يسطون على اتعاب وجهود وثمار افكار الأخرين وفي وضح النهار ودون وجل او خجل، وصار لهذا البعض وجود بين صفوف طلبة الدراسات العليا والباحثين المحترفين ودور النشر والتوزيع وصرنا نقرأ على صفحات المجلات ونسمع بين اروقة المحاكم بين الفينة والأخرى ظُلامات الباحثين المبدعين وهم يشيرون بالم وامتعاض وحرقة الى اتعابهم المسروقة وحقوقهم المهدورة ولكن دون نتيجة بسبب غياب القانون الصارم الذي يوقف المتجاوز ويحاسب المعتدي، ولا نخفي سراً لو اعلنا باننا وجدنا اكثر من مرة، بحوثاً قدمت الينا لنشرها في مجلتنا، وهي مسروقة كلياً او جزئياً من نتاجات الاخرين العلمية، اضطررنا إلى وضع اسماء اصحابها في ملف السرقات العلمية، الذي اخذ مع الاسف الشديد يتضخم يوماً بعد آخر فهل يا ترى هناك من رادع اخلاقي او مادي يضع حداً لهذه المأساة العصرية وهل بات من الضروري تأسيس رابطة تأخذ على عاتقها تشريع قانون رادع يلاحق هذه الفئة ويجتث هذا المرض الخبيث ام نكتفي بما توصل إليه الكاتب الصحفي مصطفى سليمان عندما قال "طالما هناك ابداع فسيكون هناك من هو على استعداد للاغارة عليه".

فبأسم المؤرخين العرب، القطاع الأوسع من المثقفين المبدعين، نطالب كافة المؤسسات العلمية والثقافية، ورؤساء تحرير المجلات العربية، رصد هذه الظاهرة وتشخيص وتعرية هذا النمط الجديد والخطير من السطو والسرقة والعمل على معاقبة المحترفين دون رحمة، حماية للمبدعين رموز الأمة وبناة حضارتها.

والله ولي التوفيق.

رئيس التحرير
أمين عام اتحاد المؤرخين العرب



بحوث التاريخ الحديث والمعاصر

دولة اليعاربة في الوثائق الهولندية

الدكتور / محمد مرسي عبد الله
مدير مركز الوثائق والدراسات - أبو ظبي

- مكانة دولة اليعاربة ومصادرها العربية
- الوثائق البرتغالية والبريطانية والهولندية
- نماذج من الوثائق الهولندية

مكانة دولة اليعاربة ومصادرها العربية:

تحتل دولة اليعاربة مكانة متميزة مرموقة في التاريخ العماني، كما أنها سجلت صفحات ناصعة في تاريخ حركة التحرر العربي من الغزو الأوروبي في العصر الحديث. لقد تم انتخاب الامام ناصر بن مرشد في عام ١٠٣٤ هـ «أواخر عام ١٦٢٤م» على يد عدد من العلماء النابهين وزعماء القبائل الاقوياء، في ظل يقظة دينية ووطنية استنكرت الانقسام في البلاد، ورفضت الوجود البرتغالي البغيض، الذي دام قرنا من الزمان في قلاع حصينة على سواحل عمان في جلفار ودبا وصحار ومسقط وقريات وصور. وقد اهتم الامام ناصر بن مرشد، مثلما فعل من قبله البطل صلاح الدين الأيوبي، في تكوين الجبهة الداخلية الموحدة في مصر والشام وشمال العراق خلال ثلاثة عشر عاما. وكذلك قضى الامام ناصر بن مرشد اليعربي سنوات طويلة يؤلف القبائل والزعماء حتى دانت له كل عمان. وقد أوجز لنا العالم عبد الله بن حميد السالمي الوضع السياسي في عمان يوم انتخاب الامام ناصر بن مرشد في هذه السطور:

ولبث محمد بن سيف الهنائي في بهلا وآل عمير في سمايل، ومالك بن أبي العرب اليعربي في الرستاق، والجبور في الظاهرة والنصارى في مسكد وصحار وجلفار وصور وقريات، وخربت عمان بعد العدل والأمان، وعاثت فيها الجبابرة وقل فيها العلم والخير»[١]

وما ان توحدت عمان تحت لواء الامام ناصر بن مرشد حتى بدأ يوجه جيشه الظافر، يحاصر القلاع البرتغالية فسقطت الواحدة تلو الأخرى، وفتحت هذه الحصون المنيعة أبوابها لأبناء عمان. وتوفى الامام ناصر بن مرشد في عام ١٠٥٩ هـ «الموافق ١٦٤٩م» وقواته تحاصر آخر مواقع البرتغاليين في حصون مسقط.

وسقطت مسقط في أول عام من حكم الامام سيف بن سلطان. واذا كان الشاه عباس صفوي بتعاونه مع سفن شركة الهند الشرقية الانجليزية التي وصلت منذ سنوات قليلة إلى منطقة الخليج، قد استطاع تحرير جزيرة هرمز والجسم من البرتغاليين في عام ١٦٢٢، فإن جهود أئمة دولة اليعاربة لم تكتف باقتلاع جذور الاحتلال البرتغالي من قلاع عمان فقط؛ بل استمرت راية الجهاد ضد هؤلاء الغزاة في البحر والبر مدة قرن من الزمان[٢].

وكان هذا الجهاد بجهود العمانيين الذاتية، إذ سرعان ما أتقن العمانيون استخدام آلة الحرب والقتال الأوروبية وقتذاك. وكون أئمة عمان اليعاربة أسطولا حربيا ضخما تحمل الكثير من سفنه سبعين مدفعا وخاصة في عهد الامام سيف بن سلطان ت ـ ١٧١١م، لقد استفاد العمانيون من وقوع عدد من السفن البرتغالية تحت أيديهم، وشرعوا أنفسهم في بناء السفن الضخمة التي نازلوا بها البرتغاليين في قلاعهم بالهند وخاصة مقرهم الرئيس في جوا. كما تتبعوا البرتغاليين في شرق أفريقيا طوال ثمانين عاما حتى سقطت قلعة يسوع الكبيرة في ممبسة في ١٤ ديسمبر ١٦٩٨ في يد العمانيين بعد حصار دام ثلاثة وثلاثين شهرا.[٣]. ومما يدلنا على مرارة القتال وطوله بين أئمة دولة اليعاربة والبرتغاليين أن

(١) عبد الله بن حميد السالمي: تحفة الاعيان بسيرة اهل عمان، القاهرة ١٩٣٤، جزء أول ص ٣٤٩

(٢) ARA (الارشيف الوطني الهولندي في لاهاي، VOC (ارشيف شركة الهند الشرقية الهولندية، مجلد رقم ١٣٠٤ صفحة ٤٨٥

(٣) C. R. Boxes el Carlos De Azevedo, A Fortaleza de Jesus e os Portugueses em Mombasa Lisbourne 1960, P. 52- 53.

البرتغاليين حاولوا استعادة قلعة ممبسة في الاعوام ١٦٩٩ و ١٧٠٣ و ١٧١٠ وأخيرا دخلوا في عام ١٧٢٨ ولكن بعد عامين استعادتها عمان في عام ١٧٢٨ ولكن بعد عامين استعادتها عمان في عام ١٧٣٠ وكان هذا نهاية الوجود البرتغالي في هذا الساحل الأفريقي العربي. وهكذا أنهى العمانيون الوجود البرتغالي الشرس، الذي بدأ بفظائع وقسون البوبكيرك منذ عام ١٥٠٧[٤]

وقد قطعت أساطيل عمان التجارية، في عهد دولة اليعاربة مياه المحيط الهندي ومياه الخليج تحمل التجارة في أمان وسلام، تجرؤ أية سفن أوروبية التعدي عليها سواء السفن البرتغالية أو تلك البريطانية والهولندية التي وصلت إلى مياه الخليج منذ سنوات قليلة في بداية القرن السابع عشر مع قيام دولة اليعاربة.

وشهدت عُمان أيضا في عهد أئمة دولة اليعاربة نشاطا زراعيا واسعا اذ جلبت أشجار جديدة وخاصة نخلة المبسلي، وحفرت أفلاج حديثة، ورممت القديمة، وزاد البناء والعمران في عمان وشيدت ورممت قلاع كثيرة مثل قلعة عقر نزوي وقلعة جبرين وقلعة الحزم. وازدهرت العلوم وعرفت عمان في عهد هذه الدولة عددا من الشعراء المبدعين[٥] . وقد وصف سرحان بن سعيد الأزكوي في مخطوطته كشف الغمة الجامع لاخبار الأمة ازدهار حال عمان في عهد الامام سلطان بن سيف وحالة الحرب والجهاد في عهده ضد البرتغاليين التي وصلت إلى مهاجمة معاقلهم على ساحل الهند الغربي.

«عقدوا لابن عمه الامام سلطان بن سيف فقام بالعدل وشمر وجاهد في ذات الله... ونصب الحرب لمن بقي من النصارى بمسكد وسار عليهم بنفسه حتى نصره الله عليهم وفتحها ولم يزل يجاهدهم في بر وبحر... وغنم كثيرا من اموالهم فقيل انما بنى القلعة التي بنزوي من غنيمة الديو.. وأحدث فلج البركة الذي بين ازكى ونزوى.. وكان له وكلاء معروفون بالبيع والشراء وفي زمنه كثير من الفقهاء، وجمع مالا واعتمرت عمان في دولته وزهرت واستراحت الرعية في عصره وشكرت ورخصت الأسعار وصلحت الأثمار وكان متواضعا لرعيته». [٦]

ونحن نعتمد في دراسة تاريخ دولة اليعاربة ولاشك في المحل الأول على المخطوطات العمانية التي كتبت اثناء وجود هذه الدولة، أذ أن هذه المخطوطات هي المصدر الموثوق به خاصة في معرفة الأحوال الداخلية في عمان وسيرة رجالها وعلمائها وقبائلها. وفي هذه المخطوطات تفصيلات عن الاصلاحات وتطورات الحياة الدينية والفكرية والأدبية. ونحن نجمل هنا هذه المصادر العمانية المعاصرة لدولة اليعاربة فيما يلي: -

- عبد الله بن خلفان بن قيصر بن سليمان الصحاري سيرة الامام العادل ناصر بن مرشد وقد أتم تأليفه عام ١٠٥٠ هـ (١٦٤٠م).
- سرحان بن سعيد الأزكوي كشف الغمة الجامع لاخبار الأمة وتنتهي أخباره في عهد الامام سيف بن سلطان الثاني عام ١١٤٠ هـ الموافق ١٧٢٨م
- أبو سليمان بن محمد بن عامر بن راشد المغولي: قصص وأخبار جرت في عمان. وقد توفي المؤلف بعد عام ١٧٨٣ .
- مصنف مجهول المؤلف: تاريخ أهل عمان وقد توقف المؤلف عند عام ١١٥٤ هـ الموافق ١٧٤١م.

وقد أخذ عن هذه المخطوطات كل من جاء بعدهم من علماء عمان الذين كتبوا في تاريخ بلدهم. أخذ ابن رزيق والعالم عبد الله بن حميد السالمي. ونحن لا نجد اليوم داعيا كما كنا نفعل منذ عشرين عاما وهو ذكر مكان تيسر هذه المخطوطات في المكتبات خارج عمان؛ مكتبة المتحف البريطاني أو مكتبة جامعة كمبردج أو المكتبة الوطنية في باريس أو المكتبة الظاهرية في دمشق أو دار الكتب في القاهرة، وذلك لأن وزارة الثقافة والتراث القومي في عمان قد قامت مشكورة بتوجيه من جلالة السلطان قابوس بن سعيد آل سعيد حفظه الله، بجهد رائع علمي وقومي خلال الخمس عشر عاماً الماضية ونشرت هذه المخطوطات وحققتها. وأصبحت

(٤) عائشة علي السيار: دولة اليعاربة في عمان وشرق افريقيا، مخطوطة بحث ماجستير ص ١٧٥ - ١٨٦.

(٥) سرحان بن سعيد الأزكوي، كشف الغمة الجامع لاخبار الأمة، مخطوطة المكتبة الظاهرية في دمشق ص:٥٠٨.

(٦) J. B. Miles, The Countries & Tribes of the persian gulf, london, second edition 1966, pp. 216, 217, 226, 227, 312 - 320.

دراسة تاريخ عمان من المصادر العمانية ميسرة سهلة للباحثين من أبناء عمان والمؤرخين العرب.

الوثائق البرتغالية والبريطانية والهولندية

١ - الوثائق البرتغالية:

من المصادر الأصلية عن تاريخ دولة اليعاربة، الى جانب المخطوطات العربية المعاصرة التي ذكرناها تأتي الوثائق البرتغالية البريطانية والهولندية. لقد خاض العمانيون حربا طويلة كما ذكرنا مع البرتغاليين في سواحل عمان وفي مواقع البرتغاليين على ساحل الهند الغربي وعلى ساحل أفريقيا الشرقي من عام ١٦٣٣ وحتى عام ١٧٣٠.

بعد فشل المماليك المصريين في معركة ديو البحرية مع البرتغاليين عام ١٥٠٩، وبعد اخماد الثورات المتعددة التي قام بها عرب الخليج ضد الغزاة البرتغاليين في عام ١٦٢١ وعام ١٦٢٧، وبعد فشل العثمانيين الذين وصلوا متأخرين الى البصرة عام ١٣٥٤ وقيامهم بعدد من المحاولات اليائسة لطرد البرتغاليين من مواقعهم في مسقط وشرق أفريقيا، ظن البرتغاليون أن نفوذهم دائم في مياه المحيط الهندي ومياه الخليج. ولكن الله قدر لنفوذهم أن يزول على يد قوى جديدة ظهرت في بداية القرن السابع عشر وهذه القوى هي:

أ - قوة وطنية عمانية هي دولة اليعاربة (١٦٢٤ - ١٧٤١)

ب - الدولة الصفوية في عهد الشاه عباس الصفوي (١٥٨٧ - ١٦٢٩) الذي طردهم من جزيرة الجسم وجزيرة هرمز عام ١٦٢٢.

جـ - قوة شركة الهند الشرقية الانجليزية التي ظهرت في مياه الخليج العربي منذ عام ١٦١٢، وقوة شركة الهند الشرقية الهولندية التي ظهرت كذلك في مياه الخليج في تلك الأثناء.

ولاشك أن قصة الصراع الطويلة مع شيء من التفصيل للمعارك قد وردت في الوثائق والتقارير البرتغالية التي وصلت إلى لشبونة من مقر الحكم البرتغالي في جوا. وهذه الوثائق محفوظة في دور الأرشيف في لشبونة بالبرتغال وفي جوا بالهند. ولا نتوقع أن نقرأ في هذه التقارير البرتغالية الساخنة بالعواطف والمشاعر وهي تحكي قصة هزائم البرتغال وطردهم من عمان شرق افريقيا ونكباتهم في البحر وعلى سواحل الهند على يد العمانيين أن تمدح اعمال أبناء عمان وأئمتهم، ولكن بالعكس صورت الوثائق البرتغالية، وهذا شيء غريب، جهاد العمانيين الذين يدافعون عن بلادهم، وعن حقهم في حرية الملاحة في مياههم الاقليمية بأن ذلك من أعمال قرصنة. والأغرب من ذلك أن تقارير البريطانيين والهولنديين الذين لم يتورعوا عن استخدام العنف والقتال أيضا مع البرتغاليين من أجل الحلول محلهم، قد أخذوا هم أيضا عن البرتغاليين نظرتهم الحاقدة والمعادية حول جهاد أبناء عمان في مياه الخليج والمحيط الهندي. ونحن نريد في هذه العجالة ونحن نتكلم عن انهيار النفوذ البرتغالي والوثائق البرتغالية، وقدوم الانجليز والهولنديين ووثائقهم حول دولة اليعاربة، أن نبين حالة الحرب استخدام القوة من الجميع. فكيف يساغ هذا للغرباء ولا يساغ للمجاهدين من أبناء البلاد الذين يحررون وطنهم ومياهه من الوافدين بنية التعدي واحتكار التجارة بالقوة.

لهذا كان من الواجب على المؤرخ العربي الذي يقرأ هذه التقارير البرتغالية أن يكون واعيا لنظرة هؤلاء الغرباء جميعا، سواء البرتغال الذين استخدموا العنف عند قدومهم أوائل القرن السادس عشر وطوال اقامتهم وأثناء رحيلهم، أو الانجليز والهولنديين، الذين ارتدوا مسوح التجار أول الأمر عند قدومهم أوائل القرن السابع عشر، لكنهم سرعان ماكشفوا عن استعدادهم لاستخدام القوة، وتقاتلوا مع البرتغاليين، وتقاتل الهولنديون والبريطانيون أيضا بعد ذلك. وأخيرا استخدم البريطانيون القوة في الخليج بعد قرن آخر من الزمان مع القوى العربية في الخليج حينما قاموا بحملتهم ضد القواسم في رأس الخيمة عام ١٨١٩. والغريب أيضا انهم أطلقوا على القواسم وقتذاك لقب القراصنة[٧] لهذا من الواجب قراءة هذه التقارير الأجنبية، وخاصة تفسير الأحداث والتعليقات التي ترد هنا وهناك عند سرد الوقائع وما تظهره أحكامهم في ثنايا الوصف من كلمات تشرح في الحقيقة نواياهم المناقشة وضمائرهم وخططهم،

(٧) J. G. Lorimer, Gazatteer of the persian Gulf, Oman & Central Arabic, Calcuutta, Vol. Historical Part I, pp. 10 - 2

نعم قراءة هذه الوثائق بالحذر والتأمل. ثم المناقشة العلمية التي نخرج بها بمعرفة حقائق مجريات الأمور. ثم اتخاذ هذه التهجمات والتفسيرات الظالمة الخاطئة ضدهم لشرح نواياهم السيئة. وهذا عمل قومي جليل، يجب أن يقوم به المؤرخون العرب فنحن ولا شك نثري معرفتنا بتاريخ دولة اليعاربة في كفاحها ضد البرتغاليين بقراءة هذه التقارير البرتغالية ولكن كما ذكرت نحتاج الحيطة والفهم حتى لا نسيء ظلما لتاريخنا وكفاحنا القومي.

٢ - الوثائق الوطنية:

بعد هزيمة الاسطول الأسباني عام ١٥٨٨ في مهاجمة الجزر البريطانية، وكانت أسبانيا تحكم وقتذلك البرتغال بين عام ١٥٨٠ - ١٦٤٠، وبعد قيام عدد من التجار المغامرين البريطانيين برحلات إلى الهند ومياه الخليج العربي، وتبين لهم بعدها غنى الشرق، تأسست في لندن شركة الهند الشرقية الانجليزية في عام ١٦٠٠م

وكان الشاه عباس الصفوى طموحا، وضايقته معاملة البرتغاليين المتغطرسة واحتكارهم لتجارة بلاده، واحتلالهم لجزر هرمز والجسم. وفي عام ١٦٠٢ احتل الشاه عباس جزيرة البحرين كما ضمت منطقة لار الى الشاه وأصبحت هرمز على مقربة من الايرانيين وبدأ الشاه عن طريق القبائل العربية على سواحله الجنوبية إثارة القلاقل بين البرتغاليين وكان رد البرتغاليين على ذلك احتلال ميناء جمبرون عام ١٦١٢، وهو ميناء بندر بن عباس فيما بعد، كما قاموا بتحصينه.

لقد أثار ظهور عدد من السفن الانجليزية في عام ١٦٠٨، تلك السفن التي تمكنت من الافلات من رقابة البرتغاليين في جنوب أفريقيا عند رأس الرجاء الصالح، قلق البرتغاليين في الهند. وبدأت تعديات البرتغاليين على الوكالة الانجليزية التي تأسست في سورات في عام ١٦١٢ . ولكن السفن البرتغالية منيت بالهزيمة لأول مرة في تاريخهم الطويل بالمياه الشرقية. وبدأت فكرة احتكار التجارة في ايران والخليج والحلول محل البرتغاليين تراود ممثلي شركة الهند الشرقية والانجليزية وبدأ الانجليز يثيرون الشاه عباس الصفوى ضد البرتغاليين وفعلا حصلت الشركة على فرمان التجارة في ايران وفي عام ١٦١٧ أنشأت الشركة وكالة لها في عاصمة البلاد أصفهان ووكالة أخرى في شيراز. كما حصلت في عام ١٦١٨ على قرار من الشاه باحتكار تجارة الحرير في ايران[٨].

وسرعان ماسارت الأمور نحو معركة فاصلة بين البرتغاليين من ناحية وبين الشاه عباس الصفوى وشركة الهند الشرقية من ناحية أخرى. جرت معارك بين الأسطول البرتغالي وسفن شركة الهند في جاسك في ديسمبر ١٦٢٠ . وتم اتفاق بين الشركة الانجليزية والشاه عباس في يناير ١٦٢٢ لمهاجمة البرتغاليين في جزيرة الجسم وجزيرة هرمز وبعد أعمال عسكرية في كلا الجزيرتين استسلم البرتغاليون ورحلوا من قلعة هرمز في ٢٣ ابريل ١٦٢٢ . ورغم أن سقوط قلعة هرمز في يد الفرس والانجليز لا يعني نهاية النفوذ البرتغالي في الخليج، الا أن ضياع هرمز ولا شك قد أصاب وجودهم في الخليج بضربة بالغة. واضطر البرتغاليون الى الاعتماد على وكالتهم في البصرة. وزادوا من تحصينات مسقط كما أقاموا لهم قلعة جديدة على الساحل الايراني في ميناء كنج قرب ميناء لنجة.[٩]

ووافق الشاه عباس الصفوى على إنشاء وكالة للشركة الانجليزية في بندر عباس وعاصرت هذه الوكالة قيام دولة اليعاربة. وقد أغلقت هذه الوكالة عام ١٧٥٩ على أثر هجوم سفن من الأسطول الفرنسي على مبناها وتدميره، وانتقلت الى بوشهر عام ١٧٦٣ . كما انشئت شركة الهند الشرقية وكالة لها في البصرة في عام ١٦٤٥ . وأصبحت الوكالة بعد ذلك المركز الرئيسي للشركة في الخليج. ومنذ منح ملك انجلترا شركة الهند الشرقية قرية بومباي عام ١٦٦٨، في أثناء حكم دولة اليعاربة، انتقل مركز الشركة من سورات إلى هذا المكان الذي سرعان ما تطور وأصبح ميناء كبير وأشرفت رياسة بومباي على وكالات الشركة في الخليج في بندر عباس والبصرة[١٠] .

(٨) Lorimer, 1 bid, pp. 23 - 28, 37.

(٩) Lorimer, 1 bid, pp. 91 - 94, 102

(١٠) . C. R. Boxer, The Duth Seaborne Empire, London 1972, pp. 21 - 25

واصبحت تقارير رئاسة بومباي وهذه الوكالات في الخليج المصدر المهم البريطاني لمعلوماتنا عن دولة اليعاربة وهذه التقارير نجدها في مكتبة حكومة الهند في لندن في مجموعة تقارير الوكالات وهي تحت عنوان:

- India Office, Foster Records
- Wiliam Foster: The English Factories in India 6 Volumes. Oxford 1 st Vol. 1908

٣ - الوثائق الهولندية:

عمل مواطن هولندي يدعى لنشوتن مع البرتغاليين في جوا بالهند في الفترة ما بين ١٥٨٣ وعام ١٥٩٢ . وحينما عاد الى بلاده نشر كتابا فيه معلومات مثيرة عن تجارة الشرق وطريق الملاحة الى الهند. ولقد ازدهرت أمستردام طوال القرن السادس عشر بسبب قيام تجارها بتوزيع بضائع الشرق، التي يجلبونها من لشبونة، في شمال أوروبا. وكانت أسبانيا وقتذاك تحتل هولندا والبرتغال وأصدر ملك الاسبان في عام ١٥٩٠ قرارا بمنع تجار أمستردام من التردد على لشبونة عقابا على ثوراتهم ضده. وهنا بدأ التجار الهولنديون يفكرون في الوصول بأنفسهم الى مصادر التجارة الشرقية.

ونجحت بعض سفن التجار الهولنديين من الوصول إلى الهند خلسة، بعد اختراق الحصار الذي تفرضه السفن البرتغالية والأسبانية حول طريق رأس الرجاء الصالح، وذلك في الفترة ما بين عام ١٥٩٥ وعام ١٥٩٧ وسرعان ما تأسست شركة الهند المتحدة الهولندية في عام ١٦٠٢ من اتحاد غرف التجارة في عدد من مدن هولندا. وتمكنت الشركة الجديدة من تأسيس مقر لها في بتافيا عام ١٦١٩ . ولم يسمح الهولنديون لأحد بمنافستهم في جزر أندونيسيا وارتكبوا مذبحة ضد الانجليز في عام ١٦٢٢[١١].

لم يكن ضياع هرمز من يد البرتغاليين في الخليج عام ١٦٢٢ يعني السيطرة الانجليزية، إذ سرعان ماظهر لهم منافس خطير جديد وهو الهولنديون وتمكنت شركة الهند الهولندية من الحصول على فرمان من الشاه بفتح وكالة لها في بندر عباس ١٦٢٣ كما نجحت الشركة الهولندية في فتح وكالة لها في البصرة في عام ١٦٤٥ . وجرت معارك ضارية بين الهولنديين والانجليز في مياه الخليج في الفترة ما بين عام ١٦٥٢ وعام ١٦٥٤ . ومن وكالة بندر عباس ووكالة البصرة كانت ترسل تقارير وكلاء الشركة الى الرئاسة في بتافيا وعلى أثر خلاف متسلم البصرة والبارون نيبهاوزن وكيل الشركة الهولندية عام ١٧٥٢، اغلقت هذه الوكالة وبنت الشركة لها مقرا جديدا في جزيرة خرج في عام ١٧٥٣ . وأثناء حرب السنوات السبع في أوروبا بين فرنسا وانجلترا ضربت سفن فرنسية في عام ١٧٥٩ مقر الوكالة الانجليزية والهولندية في بندر عباس. وأغلقت هذه الوكالات في هذه المدينة. ولم يبق للهولنديين من موقع في الخليج غير جزيرة خرج. وأخيرا بسبب خسارة الشركة الهولندية وضعف نشاطها في الخليج، قررت رئاسة الشركة في أمستردام وكذلك في بتافيا اغلاق هذه الوكالة في جزيرة خرج. ورحل الهولنديون من الخليج في عام ١٧٦٦ . وهكذا كانت شركة الهند الشرقية الهولندية بين عام ١٦٢٣ وعام ١٧٦٦ قوة بحرية واقتصادية لها مكانها المتقدم بين القوى البحرية الأوروبية في الخليج[١٢].

وقد لعب الهولنديون دورا رئيسيا في تحطيم النفوذ البرتغالي في مياه المحيط الهندي إذ احتل الهولنديون ملقا عام ١٦٤٠ وجزيرة سيلان في عام ١٦٥٦ كما هاجم الهولنديون مراكز البرتغال في شرق أفريقيا. ولم يكن الفهم التجاري وحده السبب في حدة هذا الصراع بين البرتغاليين والهولنديين، وإنما زاد من ذلك بين البرتغاليين والهولنديين من تباين في أسلوب الحياة والدين. لقد كان أغلب مدراء شركات الهند الشرقية الهولندية من أتباع مذهب كلفن والكنيسة الاصلاحية المسيحية، وهؤلاء يعتبرون البابا والبرتغاليين والاسبان الكاثوليك أعداء المسيحية الألداء. أما

---

(١١) ب.ج. سلوت: شركة الهند الشرقية الهولندية والعرب في منطقة الخليج ١٦٤٥ - ١٧٦٥ . مقال في مركز الوثائق - أبو ظبي عام ١٩٨١ . ترجمة عايدة يني ص ٣، ٥، ٢٥،١٩

(١٢) C. R. Boxer The Duttch Seaboume Empire, pp. 9 - 11

الهولنديون فكانوا في الوقت نفسه بالنسبة للبرتغاليين هراطقة كفار[١٣] .

وكان عداء الهولنديين للبرتغاليين سببا في تفاهم بين الشركة الهولندية وحكام عمان في عهد دولة اليعاربة. وقد استمر صراع عمان مع البرتغاليين طوال فترة حكم دولة اليعاربة، بينما كان الهولنديون يعيشون فترات هدنة مع البرتغاليين تبعا لتطورات السياسة الأوروبية بين بلديهما .

وتلقى الوثائق الهولندية التي تجمعت في بتافيا وفي أمستردام من وكالات الشركة في بندر عباس وفي البصرة وفي جزيرة خرج أضواء كثيرة على علاقات دولة اليعاربة الخارجية، وصراعها ضد البرتغاليين، ومكانتها البحرية في ذلك الوقت. كما تقدم لنا هذه التقارير معلومات كثيرة عن القبائل والسكان في الخليج وتساوى هذه الوثائق في قيمتها الوثائق البريطانية المعاصرة لها ولا شك أن هنالك اختلافا كبيرا بين التقارير الانجليزية والتقارير الهولندية التي كتبها موظفو الشركتين في تفسير الأحداث وشرحها نظرا لمصالحهما المختلفة.

وقد حفظت تقارير شركة الهند الشرقية الهولندية في مبنى الأرشيف الحكومي العام في لاهاي. وهذه التقارير تشمل مراسلات وكالة بندر عباس ووكالة البصرة ووكالة جزيرة خرج في الفترة مابين ١٦٢٣ وحتى عام ١٧٦٦ . وتعتمد هذه الدراسة لموضوع «دولة اليعاربة في الوثائق الهولندية» على ماتم جمعه في مركز الوثائق والدراسات في أبو ظبي من هذه الوثائق الهولندية من أرشيف لاهاي. كما تعتمد على عدد من المقالات كتبها الدكتور سلوت وكيل ادارة الأرشيف الوطني في لاهاي.

نماذج من الوثائق الهولندية:

كان من الأعمال الأولى التي اهتم بها وكيل الشركة الهولندية في بندر عباس عمل مسح بحري لجزيرة مسندم عند مدخل الخليج وكذلك لساحل الباطنة لقد أرسل الوكيل ثلاثة بعثات بحرية لمسح هذه المنطقة في الفترة ما بين عام ١٦٤٥ وعام ١٦٦٦ . واهتمت الشركة بعمل أطلس خاص بها لمنطقة الخليج خلال فترة وجودهم. وهكذا تقدم رسم خرائط الخليج في الفترة الهولندية عما كانت عليه الخرائط في أيام البرتغال.

وبعد سقوط مسقط، أمر وكيل الشركة في بندر عباس في ٦ مارس ١٦٥١ ضابطا بحريا في المركب ميركات لزيارة المدينة للتعرف على أحوالها، ويفيد تقرير الربان الياس بودان الذي قدمه في ٢٩ نوفمبر قوة ١٦٥١ قوة استحكامات قلاع مسقط. فهو يقول ان هذه المدينة يصعب اقتحامها من ناحية البحر. أما من ناحية البر فمدخلها بين الجبال ضيق ولا يمكن دخول المدينة الا بحصارها وإحداث مجاعة بها. وقد شاهد أن الامام سلطان بن سيف اليعربي قد رمم القلاع ولكنه ترك المدينة على حالها. ويقول أن أثر القتال الرهي والحصار لا يزال باديا في المدينة، إذ لا يوجد بها منزل ليس به شرخ أو تهديم والبيوت متراكمة على بعضها وشرح أن الامام ترك المدينة هكذا تحسبا من مهاجمة البرتغاليين كما أنه لا يريد أن تظهر المدينة مغرية وقتذاك للقوى الأوروبية الجديدة. كما في الخليج. ورأى بودان في الميناء عددا من السفن التي أسرها العمانيون من البرتغاليين. وتنبأ أن هذه السفن سوف تستخدم قريبا من قبل العمانيين. وأبدى تخوفه من منافسة العمانيين البحرية للانكليز والهولنديين[١٤].

ان القارىء للوثائق الهولندية يحس مدى مرارة القتال الذي قامت به عمان لمدة مائة عام ضد البرتغاليين، إذ لم يكن سقوط مسقط معناه نهاية النفوذ البرتغالي في الخليج لقد اتخذ البرتغاليون مقرا جديدا لهم ولأسطولهم في الخليج وهو ميناء كنج شمال لنجة على الساحل الايراني. وتمتلىء التقارير الهولندية على مدى سنوات من سقوط مسقط بمحاولات بحرية برتغالية ضد المدينة. ولكن استحكاماتها القوية واستعداد العمانيين أفشل كل هذه المحاولات.

(١٣) ARA, VOC Vol. 1259 pp. 3371 - 3375.
- F. C. Danvers, portuguese, Records, The East Indies (Archivo Da Tarre Do Tombr) London 1892, p. 124.

(١٤) ARA, VOC Vol. 1240, fol 412.

وفي تقارير عام ١٦٦١ أخبرت وكالة بندر عباس بتافيا أن بناء الأسطول العماني الجديد قد تم وأن هذا الأسطول قد خرج إلى البحر بعد بنائه خلال عشر سنوات وبدأ العمانيون يهاجمون مواقع البرتغاليين سواء معاقلهم في جوا وديو بالهند أو قلاعهم في شرق أفريقيا أو ميناء كنج على الساحل الايراني[١٥] وقد استمر جهاد العمانيين البحري طوال حكم دولة اليعاربة؛ اذ نقرأ في بداية القرن الثامن عشر في تقارير عام ١٧١٩ وصول أسطول بحري برتغالي إلى ميناء كنج. وسرعان ما احاط بهم العمانيون الذين استدرجوهم وسحبوهم حتى مياه جلفار. ودارت معركة ثلاثة أيام في شهر مايو. وقد توفي الامام سلطان بن سيف الثاني والمعركة دائرة وأخيراً رحل البرتغاليون نهائياً عن ميناء كنج. كما يرد في تقارير عام ١٧٢٧ محاولة البرتغاليين استرداد قلعة ممبسة. ولكن تمكن العمانيون بعد عامين من استردادها وطرد البرتغاليين من هذه المنطقة من الساحل الافريقي[١٦] .

ومن الأمور الهامة التي نقرأها في الأرشيف الهولندي المباحثات المستمرة بين السلطات الايرانية والوكلاء الانجليز والهولنديين حول امدادهم بالمراكب وذلك لعمل خطة ضد ميناء مسقط بعد أن أصبح مركزا لتجارة الشرق في الخليج وكان لذلك أثره في تدهور التجارة في ميناء بندر عباس وميناء بوشهر. ولقد ظلت فكرة هذه الحملة تتردد في المباحثات بين الرسميين في ايران وبين وكلاء الشركة الهولندية حتى جاءت أيام نادر شاه الذي حقق بناء أسطول صغير في الخليج. وقد استخدمه في الحملة التي قام بها في عام ١٧٣٧ ضد عمان بعد أن استدعاه الامام سيف بن سلطان الثاني لتأييده في النزاعات الداخلية بعمان وقتذاك. وكما تشرح لنا الوثائق الهولندية استخدام السفن الهولندية أيضا في نقل الجنود في هذه الحملة بعد ضغط كبير من نادر شاه[١٧] .

وتعتبر الوثائق الهولندية مصدرا هاما عن تحركات القبائل العربية في القرن الثامن عشر في الخليج. ومن أمثلة ذلك تحرك مجموعة من قبيلة المطاريش من داخل عمان إلى بوشهر. وكذلك هجرة مجموعة من قبيلة الزعاب بندر رج. وكيف تجمع القواسم في رأس الخيمة. وتحركات قبيلة آل علي وسكنى آل صباح في الكويت وظهور آل خليفة في الزبارة واحوال عمان في نهاية حكم دولة اليعاربة ومن أهم التقارير الهولندية التي كتبت في تلك الفترة التقرير الذي كتبه البارون نيبهاوزن وكيل الشركة الهولندية في جزيرة خرج حول سكان منطقة الخليج والأحوال في عمان في عام ١٧٥٥ . ويرى الدكتور سلوت أن العالم الرحالة الألماني الدنماركي كارستن نيبور الذي زار الخليج بعد ذلك في عام ١٧٦٥ قد استعان بتقرير نيبهاوزن في وصفه لعرب الخليج. إذ أنه بعد مقارنة ما كتب كل منهما وجد أن نيبور نقل نفس التعبيرات والجمل التي وردت في تقرير نيبهاوزن. كما يرى الدكتور سلوت أن تقرير نيبهاوزن لا يزال أغنى بالمعلومات ولكنه غير معروف للباحثين إذ أنه مصدر هام بما حوى من معلومات تفصيلية من أسماء الحكام والقبائل وعدد وأنواع المراكب الخاصة بهم. كما أنه يتعرض لأحداث هامة معاصرة له[١٨] .

---

(١٥) C. P. Boxer, A Forteelega de Jesus, pp. 75 - 860

(١٦) ARA, VOC Vol. 2448, Fol 1994 - 1999

(١٧) ب. ج. سلوت، المصدر السابق، ص٢٢

(١٨)

سياسة ايران النفطية في عهد حكومة الجنرال زاهدي ١٩٥٣ - ١٩٥٥

دراسة وثائقية

د. طاهر خلف البكاء
كلية التربية/ الجامعة المستنصرية

يجد المتتبع للتاريخ الايراني الحديث والمعاصر ظاهرة تميزت بها قضية النفط تلك هي بروزها على سطح الاحداث كلما اشتدت الازمات السياسية داخليا واحتدم الصراع مع القوى الكبرى التي لها مصالحها الخاصة في ايران، فتصبح حينذاك قضية النفط ورقة مطلوبا طرحها لتمرير مخطط ما، او تجاوز ازمة معينة.

وعلى الرغم من تزامن اكتشاف النفط ومنح الامتيازات النفطية للشركات الاجنبية مع مفتتح القرن الحالي[(١)] الا ان ايران لم تستفد من مواردها النفطية كما يجب وتحولت عملية تأميم النفط التي اقدمت عليها حكومة الدكتور مصدق الى دافع اساس لا سقاطه عن الحكم لتطفو قضية النفط مرة اخرى في عهد زاهدي فوق السطح.

يستهدف هذا البحث تسليط الضوء على الامتيازات النفطية التي حصلت عليها الشركات متعددة الجنسية في عهد زاهدي، وابرز ما تضمنه الاتفاق النفطي، وآثاره على ايران. ويقتضي هذا الموضوع ابتداءً التعريف بالشخصية التي قادت الانقلاب العسكري ضد حكومة الدكتور مصدق، لان ذلك من شأنه اعطاء فهم افضل للموضوع، وعرض اوضح للخفايا والمغاطس من الاحداث التي دفعت لبحث القضية النفطية من جديد.

يعد الجنرال فضل الله زاهدي احد الجنرالات الذين رافقوا رضا شاه في حكمه، ومن المقربين اليه، واحد مشاركيه في ميله نحو الالمان. واثر قيام القوات الحليفة بدخول ايران في ٢٥ آب ١٩٤١ القي القبض عليه وارسل الى فلسطين ليبقى في سجونها حتى نهاية الحرب العالمية الثانية. وبعد عودته الى ايران عين مساعدا للكولونيل نورمان شوارتزكوف الخبير الامريكي الذي قدم لتنظيم الشرطة الايرانية. تعاون زاهدي مع الجبهة الوطنية عام ١٩٤٩ وكان تعاونه سببا في تعيينه وزيرا للداخلية في حكومة مصدق الاولى ١٩٥١ قبل ان يختلف معه [(٢)].

قاد الجنرال زاهدي الانقلاب الذي اطاح بالدكتور مصدق والذي رسم خطوطه العريضة « Alan Dallas — وكيرميت روزفلت «Kermit Roosevelt» ونفذه بحذافيره الجنرال زاهدي[(٣)] .تولى زاهدي رئاسة الحكومة الايرانية بعد الاطاحة بمصدق وكافأه الشاه على قيامه بالانقلاب بمبلغ كبير [(٤)].

---

(١) للتفصيل عن الامتيازات النفطية في ايران انظر: -
J. C. Hurewtz, Diplomcy in the near and Middle East,
A documentary Recorrd 1535 - 1914, Vol. L, Princeton 1956, pp. 265 - 267,
ماموريت براي وطنم، اثر اعليحقرت همايون محمد رضا شاه بهلوي آريا مهر شاهنشاه ايران، تهران ١٣٤٧ هـ ش ، ص ص ٥٤٧ – ٥٥١

(٢) الدكتور محمد مصطفى ابو مغلي، دليل الشخصيات الايرانية المعاصرة، منشورات مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة، سلسلة ايران والخليج العربي (١٦)، البصرة ١٩٨٣، ص ٧١، مجلس قيادة الثورة جهاز المخابرات، مركز البحوث والدراسات، الموسوعة الايرانية المعاصرة، ج ١، الشخصيات، بغداد ١٩٨٥ ص ٣٠٠

(٣) Kermit Roosevelt, Counter coup, The struggle for the control of Iran, U. S. A. 1981; Eruand Abrahamian, Iran Between Two Revolutions, New Gersy, 1982, p. 280 :

(٤) تذكر معظم المصادر ان المبلغ كان (٦٠٠) الف دولار امريكي، راجع: مجلس قادة الثورة، مصدر سابق ص ٣٠٠

حيث اصبح الشاه يحكم دون معارضة منظمة[٥] واصبح على عاتق حكومة الانقلاب مهمات متعددة عليها مواجهتها في ظل ظروف صعبة ومعقدة كانت تمر بها ايران انذاك.

حاولت الحكومة الجديدة الايحاء للجميع بانها متأنية في اجراءاتها، وصادقة في برنامجها الذي طرحته. وضمن هذا السياق جاءت تصريحات رئيس الوزراء وهي تؤكد انه «لا يرغب ان في ان تكون اعمال وزارته مرتجلة»[٦]. لكن قراءة عميقة للبيان الاول الشامل الذي اصدرته هذه الحكومة يضعنا امام اساليب المراوغة والكذب والمزاعم الزائفة، فقد رسم البيان صورة قاتمة للغاية عن الاوضاع المالية والاقتصادية التي تمر بها البلاد حينما اكد ان مجموع ماتكبدته خزينة الدولة من ديون في عهد مصدق قد بلغ حوالي (١٧٠) مليون باون استرليني[٧] ومن المفيد ان نذكر هنا ان اكثر من نصف هذا المبلغ كانت حكومة مصدق قد ورثته من الحكومات السابقة.

كتب الجنرال زاهدي الى الرئيس الامريكي ايزنهاور مؤكدا له بان «الخزينة فارغة» وان موارد تبادل العملات الاجنبية قد نفذت وان الاقتصاد الوطني قد اصابه الخراب وان ايران تحتاج الدعم المالي المباشر لكي تتمكن من الخلاص من الفوضى الاقتصادية والمالية[٨].

لم تخرج محاولات الحكومة هذه عن اطار تهيئة البلاد لتقبل المساعدات المالية الامريكية، لا سيما ان المسؤولين الامريكان لم يتركوا قائد الانقلاب وحيدا في الميدان بعد نجاح انقلابه، وانما كانوا في مفاوضات مستمرة معه طيلة الاسبوع الاول الذي عقب تسلمه المسؤولية، وكانوا يخططون لمدى ابعد من مجرد تقديم المساعدات له لكي يقف على قدميه، مدى يمتد الى افق واسع لايخلو من تعقب رائحة النفط للسيطرة عليه كهدف مهم من الاهداف التي تم التخطيط لها بدقة وأناة.

توالت الوعود التي قطعتها حكومة زاهدي على نفسها، فسرعان ما اكدت انها ستعمل على تحقيق مجموعة من الاهداف تأتي في مقدمتها «حل قضية النفط واعادة الصلات مع بريطانيا وتوطيد الامن». وكان الهدف الاخير يعني وجهة نظر زاهدي مطاردة ومكافحة الحركات والعناصر اليسارية والثورية والشيوعية والديمقراطية في ايران[٩].

تدفقت المساعدات الامريكية على البلاد مع صدور البيان الوزاري الاول. ولم يكتف الرئيس الامريكي ايزنهاور بتخويل سفيره في طهران كل الصلاحيات اللازمة لتأمين احتياجات ايران المالية فقط، وانما ارسل ممثلا شخصيا عنه الى العاصمة الايرانية لتلبية احتياجاتها العاجلة. وبالفعل منحت واشنطن طهران مساعدات بلغت مطلع ايلول ١٩٥٣ حوالي (٤٥) مليون دولار[١٠].

كانت حكومة زاهدي تتوقع مساعدة اكبر من الحكومة الامريكية، الامر الذي اوضحه زاهدي للسفير الامريكي في طهران بان مبلغ (٤٥) مليون دولار لم تكن كافية وان حكومته كانت توقعت مساعدة قدرها على الاقل (٣٠٠) مليون دولار لكي تتغلب على الفوضى الاقتصادية التي خلفتها حكومة مصدق[١١].

وعلى الرغم من ذلك فقد امدت تلك المساعدات حكومة زاهدي بعوامل مهمة لادامة بقائها، ولعل من المفيد ان ننقل فقرات من احد التقارير الدبلوماسية العراقية حول هذا الموضوع يقول التقرير:

كان للمساعدات المالية التي منحتها امريكا الى ايران بعد انقلاب ١٩ آب، التأثير في توطيد السكون والامن والطمأنينة في

(٥) Abrahamian, Op. Cit., p 280

(٦) للتفصيل عن هذا الموضوع راجع: دار الكتب والوثائق العراقية، الوحدة الوثائقية، ملفات البلاط الملكي، التسلسل ٣٢٠، الملف٣/٣، الوثيقة رقم ٨٦ – ٨٩، وسنرمز الى دار الكتب والوثائق ب (د. ك. و).

(٧) المصدر نفسه.

(٨) مقتبس في: روح الله رمضاني، سياسة ايران الخارجية ١٩٤١ – ١٩٧٣، ترجمة علي حسين فياض، عبد الحميد حمودي، البصرة ١٩٨٤، ص ٢٨٢

(٩) انظر: د. ك. و.، الوحدة الوثائقية، ملفات البلاط الملكي، تسلسل ٣٣٤ الملف ٣/٣ الوثيقتان ٦١، ١٧٩، التسلسل ٣٣٥، الملف ٣/٣ الوثيقتان ٨١، ٨٢

(١٠) المصدر نفسه، التسلسل ٣٣٣، الملف ٣/٣ الوثائق ٨٦، ٩٦، ١٢٩.

(١١) روح الله رمضاني، مصدر سابق، ص ٢٨٤.

نفوس الموظفين والمستخدمين، اذ اخذوا يتقاضون رواتبهم واجورهم بانتظام، علاوة على خلق روح التفاؤل بين طبقات الناس، وقد اخذت حالة الاسواق التجارية تسير الى الاستقرار سيرا أعتياديا»[١٢].

في مثل هذه الظروف بدأت الحكومة الايرانية بطرح قضية النفط على بساط البحث تنفيذا لرغبة الامريكان الذين طلبوا طرحها منذ وقت مبكر، وترافق ذلك مع نشاط هربرت هوفر (Herbert Hoover) المبعوث الشخصي للرئيس الامريكي ومستشاره في شؤون النفط.

ومن جانبه اكد زاهدي مرارا ان «اي اقتراح لتسوية ازمة النفط سوف لن يقدم اذا كان يتعارض مع قانون التأميم»، غير ان بعض المصادر الدبلوماسية العاملة في ايران اعتبرت تلك التأكيدات محاولة من رئيس الوزراء «لتطمين الرأي العام، ومنعا لتخرصات المعارضين الذين مازالت جذورهم ثابتة في الاوساط» على حد وصفها[١٣].

تزامن مع الازمة النفطية موضوع اخر لم يقل عنه اهمية هو موضوع اعادة العلاقات مع بريطانيا التي سبق ان قطعت بسبب تدخل الاخيرة في الشؤون الداخلية لايران في نهاية عام ١٩٥٢ رأت الحكومة الايرانية في نهاية تشرين ان من مصلحتها ان تقوم اولا باعادة العلاقات بينها وبين بريطانيا، قبل النظر في موضوع النفط، باعتبار ان اعادة الاتصالات بين الدولتين اولى لهما واسلم تفاهما ونتيجة، وخطوة مهمة باتجاه حسم الخلاف النفطي وبالفعل اعلن وزير الخارجية الايراني «انتظام» في ٢٤ تشرين الثاني ١٩٥٣، استعداد بلاده لاعادة العلاقات الدبلوماسية مع بريطانيا «اذا وافقت الحكومة البريطانية على الموقف الايراني في مسألة النفط، وتعاملت مع الموضوع وفق روح العدالة والاحترام المتبادل»[١٤].

اسفرت الاتصالات البريطانية الايرانية عن اعادة العلاقات بين البلدين في نهاية عام ١٩٥٣ وتم تبادل السفراء في مطلع عام ١٩٥٤.

لم يجرؤ رئيس الوزراء على اعلان قرار اعادة العلاقات مع بريطانيا قبل الاتصال بعدد من رجالات ايران ليوضح لهم العوامل والاسباب التي كانت وراء اتخاذ القرار المذكور فاتصل في بادىء الامر انفراديا مع رجل الدين والسياسي البارز ابو القاسم الكاشاني[١٥]، وقام بمشاورات جانبية مع عدد اخر من الساسة الايرانيين، وفي مقدمتهم تقي زادة رئيس مجلس الشيوخ، وعدد من النواب.

اشار زاهدي في هذه الاجتماعات الى ماخلفه حكم الدكتور مصدق للبلاد من ضائقة مالية واقتصادية، وفشله في الوصول الى حل الازمة النفطية، واعتبر زاهدي ان الموارد النفطية بوسعها ان تحل ما تعنيه ايران في المجال الاقتصادي. وبعد ان اسهب في الحديث عن هذه الجوانب اخبرهم بقرار حكومته باستئناف العلاقات مع بريطانيا ولم ينس ان يطمئن من اجتمع بهم بان اعادة العلاقات مبنية على تفاهم تم فيه احقاق حق ايران فيما استهدفته من تأميم صناعة نفطها[١٦].

ومن المنطلق نفسه دافع زاهدي في خطاب القاه عن القرار الذي اتخذته حكومته باعادة العلاقات مع بريطانيا. فقد ذكر ان ذلك لم يكن الا في صالح ايران وأن حكومته «لم تخط خطوة واحدة قط في اي وقت كانت تتعارض ومصالح الشعب والبلاد» واستطرد قائلا «ان بريطانيا قد طمأنته بانها ستبدي اقصى ما يمكن من حسن النية، في موضوع تسوية قضية النفط للتغلب على مشكلة ايجاد حل يحقق امال واماني الشعب الايراني الوطنية، في امر مواردها

---

(١٢) د. ك. و، الوحدة الوثائقية، ملفات البلاط الملكي، التسلسل ٣٣٥، الملف ٣/٣، الوثيقة رقم ٨١

(١٣) المصدر نفسه، التسلسل ٣٣٤، الملف ٣/٣، الوثيقتان ١٧٨ و ١٧٩.

(١٤) New York Tims, 29. oct. 1953

(١٥) عن حياته ويراجع:

F. Azimi, Iron, The Crisis Of Democracy 1941 - 1953, London, 1989, pp. 185 - 187, 229 - 230.

عبد الله شاتي عبهول، ابو القاسم الكاشاني ودوره في اجهاض تجربة الدكتور مصدق في ايران في الوثائق الدبلوماسية العراقية، بحث غير منشور، الجامعة المستنصرية ١٩٨٩

(١٦) د. ك. و، الوحدة الوثائقية، ملفات البلاط الملكي، التسلسل ٣٣٥، الملف ٣/٣، الوثيقة رقم ٩٥

الطبيعية، مع صون كرامة الفريقين ومصالحهما ومنفعهما على اساس العدل والانصاف»[١٧].

كما اهتم الرأي العام الايراني بقضية استئناف العلاقات مع لندن. فقد اعتبرت الجبهة البرلمانية المعارضة[١٨]، اتخاذ القرار المذكور قبل النظر في قضية النفط على اساس قانون التأميم امرا مرفوضا. وناشد حزب تودة «الايرانيين» لا يسمحوا للحكومة ان تبيع وطنهم واستقلالهم السياسي وثروتهم للبريطانيين تجار النفط والدم»[١٩]. وضمن السياق نفسه اكدت اوساط اخرى ان «عودة العلاقات مع بريطانيا بهذه السرعة ومن غير دراسة وبدون اعداد الوسائل الصحيحة، يغاير مصالح الشعب الايراني السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ويمس بكرامته وعزته وهو بحد ذاته استسلام منكر للعدو المعتدي» على حد قولها [٢٠].

وكما كان متوقعاً لم يشأ ابو القاسم الكاشاني ان يترك هذه المناسبة تمر دون ان يبدي رأيه فيها، فقد خصها ببيان مسهب اظهر فيه قدرته العجيبة على تغيير المواقف. ففي بداية البيان أشار وبشكل دبلوماسي الى (ان المجلس النيابي هو صاحب السلطة في مثل هذه الامور». وخاطب زاهدي قائلا: انظر لتضحياتك ومساعداتك للنهضة الوطنية، فقد حل اليوم الذي تستأنف فيه العمل وفق عقيدتك السابقة وان لا تخشى سلطة الاجنبي» [٢١].

لم يهتم الجنرال زاهدي بكل الاصوات التي تناولت بالنقد قرار حكومته. فقد تركها خلفه، ومضى قدما في استكمال عودة كل الروابط مع بريطانيا، ولم يأل جهدا في اسكات كل المعارضين لذلك، فنفى بعضهم الى جزيرة خرج «الواقعة في الخليج العربي وفرض الاقامة الجبرية على البعض الاخر» [٢٢].

شهدت ايران عقب عودة صلاتها مع بريطانيا احداثا تستلفت قدرا غيرقليل من الانتباه منها ان جيوب الرأسماليين الامريكان والبريطانيين اخذت تدر عليهما بغزارة. فقد ردت الاوساط السياسية في طهران انباء توقيع اتفاقية تمنح بموجبه الولايات المتحدة الامريكية ايران قرضاً مقداره (١٠٠) مليون دولار، وسلفة بريطانيا مقدارها (٤٠) مليون باون استرليني، دعما ومؤزارة لموقف حكومة زاهدي [٢٣]. فضلا عن تكثيف الولايات المتحدة لجهودها في ايران باتجاه وضع التدابير اللازمة لحل قضية النفط، وتعزيز اهدافها الاستراتيجية فيها، ولذلك لم يكن من قبيل الصدفة ان يزور نائب الرئيس الامريكي ريتشارد نيكسون ايران زيارة عمل، الموضوع الذي علقت عليه احدى الوثائق الدبلوماسية العراقية بالقول:

«عهد الى «نيكسون» للمجيء الى ايران ليلقى اوامر ونواهي ارباب وول ستريت. وليفرض على ايران غايات الرأسماليين النهمين» [٢٤].

وعلى صعيد اخر، فقد التقت مصالح الدولتين الغربيتين صاحبتي النفوذ الواضح في ايران، الولايات المتحدة وبريطانيا قبل نهاية ١٩٥٣ على ضرورة المجيء بمجلس امة ايراني ضعيف، تكون مهمته الموافقة على كل مايقدم اليه من قوانين واتفاقيات دونما ابداء اي مناقشة او تردد، ولتحقيق هذا الهدف اوعزتا إلى حكومة الانقلاب حل المجلس القائم، والعمل على اجراء انتخابات جديدة[٢٥]، ولما كان زاهدي من الطراز الذي لا يستطيع ان يقاوم

(١٧) المصدر نفسه، الوثيقة ٩٣٠

(١٨) يقود هذه الجبهة الشخصيتان البارزتان حسين مكي والدكتور مظفر بقائي.

(١٩) د. ك. و، الوحدة الوثائقية، ملفات البلاط الملكي، التسلسل ٤٨٦٩، الملف ٣/٢، الوثيقة رقم ٣٧ .

(٢٠) المصدر نفسه، الملف ٤٨٦٩، الملف ٣/٢، الوثيقة رقم ٤١ .

(٢١) المصدر نفسه، الملف ٤٨٦٩، الملف ٣/٢، الوثيقة رقم ٤٠ .

(٢٢) المصدر نفسه، التسلسل ٣٣٥، الملف ٣/٣، الوثيقة ٩٣ .

(٢٣) المصدر نفسه، الوثيقة ٩٢ .

(٢٤) مقتبس في:

المصدر نفسه، التسلسل ٤٩٦٩، الملف ٣/٢، الوثيقة رقم ٤٢ .

(٢٥) المصدر نفسه، التسلسل ٣٣٥، الملف ٣/٢، الوثيقة رقم ٤١، التسلسل ٣٣٦، الملف ٣/٢، الوثائق ٨٤، ٩٢، ١٢٥

اوامر من هذا النوع، فانه اسرع باصدار قرار حل المجلس، وعين بداية عام ١٩٥٤ موعد لاجراء انتخابات المجلس الثامن عشر(٢٦)، ومن الضروري ان نسجل هنا حقيقة مهمة تتعلق بموضوع البحث، وهي ان تلك الانتخابات تقرر اجراؤها باصرار حكومة زاهدي على عدم السماح لاي من حزبي «تودة»(٢٧) . و «ايران»(٢٨) للمشاركة فيها.

جرت الانتخابات في جو مليء بالخوف والقلق والاضطرابات وتحتالضغط والتهديد. فقد تعرضت صناديق الاقتراع الى تلاعب كبير كما ان الحكومة قامت اثناء الانتخابات بتعطيل جميع الصحف المعارضة، وصادرت حق نشر الحقائق على ابناء الشعب(٢٩) والأسو من ذلك كله هو قيام وزارة الداخلية ببيع النيابات في سوق الارتشاء الظاهرة التي اشار اليها احد النواب بقوله:

«تبا لهذه الحكومة المرتشية التي باعت النيابات الى امثالكم»(٣٠).

جاءت عملية الانتخابات في ظل اوضاع ايرانية تتميز بسوء الحالة الاقتصادية التي ظلت، على الرغم من وعود الحكومة المتكررة، تسير من سيء الى اسوأ، وظهر هذا السوء بصورة جلية في جميع نواحي الحياة العامة، ومنها ارتفاع اسعار الحاجيات الاساسية لدرجة لم يعد بمقدور حتى متوسطي الدخل شراء حاجاتهم الضرورية، وخاصة المواد الغذائية لارتفاع اسعارها، اضعاف ما كانت عليه قبل عدة اشهر، ولعل كلمات الشاه الاتية كافية لتسليط الضوء على ما نحن بصدد معالجته. فقد جاء في خطابه بمناسبة يوم الجامعة في ٤ شباط ١٩٥٤ انه «تعب من الفساد المتفشي في هذه المملكة» (٣١).

كان من الطبيعي جدا في ظل الظروف الاقتصادية الصعبة ان لا يهتم الناس كثيرا بالانتخابات التي لا تقدم لهم ما ينفعهم، الحقيقة التي سجلها مراقب للاحداث حينما قال:

«لم يعلق الناس كبير اهمية على انتخابات الدورة الاخيرة، لعلمهم بانها سوف لا تختلف عن سابقتها من تدخل الحكومة وتعيين من تريده.. وان الاقبال على الانتخابات كان ضعيفا جدا، بحيث لم يشترك فيها الا القسم القليل من الناخبين، وذلك بسبب سوء الحالة الاقتصادية، واهتمام الناس بتدبير شؤون احوالهم المعاشية اكثر من اي شيء اخر» (٣٢).

وزارة زاهدي الثانية واتفاقية النفط

التأم المجلس في دورته الثامنة عشرة في ١٨ آذار ١٩٥٤(٣٣)، واثر الفراغ من انتخابات رئاستي مجلس النواب والشيوخ، وطبقا للقواعد الدستورية السائدة قدم زاهدي في ٢١ نيسان ١٩٥٤ استقالة وزارته الى الشاه الذي كلفه في اليوم التالي اعادة تشكيلها. وقد تمكن زاهدي من ذلك في اليوم ذاته.

لم تختلف تشكيلة الوزارة الجديدة عن سابقتها سوى نقل وزير الداخلية محمد حسين جهانياني، الذي كثر الحديث عن ارتشائه، لا سيما في الانتخابات الاخيرة الى وزارة الدولة.

جاء منهاج وزارة زاهدي الثانية كمنهاج سابقتها، فهو عبارة عن قائمة طويلة من الوعود التي يحتاج تحقيق بعضها الى عشرات السنين (٣٤).

---

(٢٦) لمزيد من المعلومات عن دورات البرلمان الايراني والقانون الاساسي ينظر: دايرة المعارف، دانشن بشر، تهران ١٣٤٩ ش، ص ص ٥٢٧ - ٥٢٩

(٢٧) للتفصيل عن حزب تودة واجراءات حكومة زاهدي ضده ينظر: محمد طه علي الجبوري، تاريخ الحزب الشيوعي الايراني «تودة» ١٩٤١ - ١٩٦٣ رسالة ماجستير غير منشورة، معهد الدراسات الاسيوية والافريقية، الجامعة المستنصرية ١٩٨٨، ص ص ٧٩ - ٨٣، محمد احمد حسن السامرائي، الاحزاب والحركات السياسية في ايران ١٩٥٠ - ١٩٧٨، رسالة ماجستير، معهد الدراسات القومية والاشتراكية، الجامعة المستنصرية ١٩٨٠، ص ص ١٤٨ - ١٤٩ .

(٢٨) للمعلومات عن حزب ايران ينظر: الدكتور محمد وصفي ابو مغلي، الاحزاب والتجمعات السياسية في ايران ١٩٠٥ - ١٩٨١ ط ٣، البصرة ١٩٨٣، ص ٤١ .

(٢٩) د. ك. و، الوحدة الوثائقية، ملفات البلاط الملكي، الملف ٤٩٧٠، الوثيقتان ٤٣، ٥٤، الملف ٤٩٦٩، الوثيقة ٥٨ .

(٣٠) مقتبس في: المصدر نفسه، الملف ٤٩٧٢، الوثيقة ٥٣ .

(٣١) مقتبس في: المصدر نفسه، الملف ٣٣٦، الوثيقة ٩٥ .

(٣٢) مقتبس في: المصدر نفسه، الملف نفسه، الوثيقة ٦٧ .

(٣٣) دايرة المعارف، دانش بشر، ص ٥٢٨ .

(٣٤) المصدر نفسه، الوثائق ١٣ - ١٦ .

احتل موضوع النفط حيزا كبيرا في عمل وزارة زاهدي الثانية. وكان هذا الموضوع يشغل بال الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا لحسمه باسرع وقت ممكن لصالحهما، فسخرت الاولى امكانات كبيرة لتحقيق هذا الهدف، وكلفت «سمسار النفط» هربرت هوفر لوضع اسس اولية لذلك، ولمعرفة الاخير باصرار الحكومة الايرانية على عدم عودة شركة النفط الانكليزية - الايرانية لما لذلك من اهمية واعتبار في الاوساط الايرانية، ولاسباب اخرى، قدم اقتراحا لتاسيس شركة دولية لاستثمار النفط الايراني تتكون من اتحاد عدة شركات نفط دولية وتحول هذا المقترح، بعد موافقة بريطاني عليه في ٢ تشرين الثاني ١٩٥٣، الى ارضية واسعة للحل النهائي. وبعد اتصالات ومساومات اشتركت فيها اطراف عديدة تمت تسمية الشركات التي تدخل في تكوين الشركة الدولية «الكونسيرسيوم»، اذا كانت خمس من هذه الشركات امريكية، وواحدة تعود لكل من بريطانيا وفرنسا وهولندا[٣٥] وهيمنة الرساميل الامريكية على «الكونسيرسيوم» مكافاة لها على دورها في انقلاب زاهدي، واشرافها عليه [٣٦].

توزعت الحصص في «الكونسيرسيوم» كما يلي:

بريطانيا ٤٠٪ من الاسهم، والشركة الهولندية الملكية ١٤٪، وشركة البترول الفرنسية ٦٪، ومجموعة الشركات الامريكية ٤٠٪[٣٧].

بدات في ١٤ نيسان ١٩٥٤ المفاوضات بين الحكومة الايرانية التي مثلها وفد برئاسة الدكتور علي اميني وزير المالية، والشركة الدولية التي مثلها وفد مكون من (٢٢) عضوا برئاسة الامريكي هيوارد بيج.

كانت حكومة زاهدي عازمة ومنذ بدء المفاوضات التي جرت في طهران على تجاوز قانون التاميم. ولهذا الغرض عقد زاهدي ووزير ماليته سلسلة من الاجتماعات مع اعضاء مجلسي النواب والشيوخ لاقناعهم بضرورة التفاهم مع الشركات الاجنبية والعدول عن التاميم والغاء القانون الصادر بهذا الشأن [٣٨].

وعلى الرغم من محاولة رئيس الوفد الايراني اظهار «التصلب» و«الاصرار» على الدفاع عن حقوق ومصالح البلاد خارج قاعة المفاوضات، الا ان واقع الحال كان يشير الى ان الاتجاه الحكومي مع عملية المساومة والتفريط بحقوق ايران النفطية، ومحاولة استغفال الرأي العام الايراني وابعاده عن فهم مضامينها الحقيقية.

استمرت المفاوضات بين الطرفين خمسة اشهر، توصلا اخيرا في ٥ آب ١٩٥٤ الى اتفاقية شاملة انهت كل الامور المختلف عليها. فقد تالف الاتفاق من «٥٢» مادة، نصت من بين ما نصت عليه على تاليف شركتين طبقا للقوانين الهولندية، ومن قبل تجمع شركات النفط العالمية «الشركة الدولية» الاولى للتنقيب والاستخراج، والثانية لادارة معامل التكرير، يدير كل منها سبعة مدراء عامين، اثنان منهم فقط يمثلون الحكومة الايرانية، والغريب في الامر ان هذين الاخيرين تسميهم شركة النفط الانكليزية - الايرانية [٣٩]. كما نصت الاتفاقية ان تكون الارباح مناصفة بين الحكومة الايرانية والشركة الدولية [٤٠].

ان دراسة متأنية لمواد الاتفاقية تظهر لنا انها:

١ - اعادت سيطرة الاحتكارات الاجنبية على الاقتصاد الايراني للتحكم فيه بسبب تحكمها باهم شراييته.

---

(٣٥) انظر: هاكوب. ق. توريانتز، نفط.. ودماء، تعريب عبد الغني الخطيب، بيروت ١٩٦٢، ص ١١٨، الدكتور موسى الموسوي، ايران في ربيع قرن، بلا، ١٩٧٢، ص ٩٥ .

(٣٦) حازم صاغية، صراع الاسلام والبترول في ايران، بيروت ١٩٧٨، ص ١٣٥ .

(٣٧) Ashraf Pahlavi, Faces in A Mirror, Memoirs From Exile, U. S. A 1980, p. 146 - 147;

روح الله رمضاني، مصدر سابق، ص ٢٨٧، مذكرات شاه ايران المخلوع محمد رضا بهلوي، ترجمة مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، جامعة البصرة، ١٩٨٠، ص ٥٥، بهمان تيرمند، ايران.. الامبريالية الجديدة في العمل، ط ١، بيروت ١٩٨١، ص ٥١، طلال مجذوب، ايران من الثورة الدستورية حتى الثورة الاسلامية ١٩٠٦ - ١٩٧٩، بيروت ١٩٨٠، ص ٣٢٢ .

(٣٨) د. ك. و.، الوحدة الوثائقية، ملفات البلاط الملكي الملف ٤٩٩٠ الوثيقة رقم ٣٠ .

(٣٩) روح الله رمضاني، مصدر سابق، ص ٢٨٨ .

(٤٠) عن مضامين الاتفاق راجع: د. ك. و. الوحدة الوثائقية، ملفات البلاط الملكي، التسلسل ٣٣٧، الملف ٣/٣، الوثيقتان ٥٨، ١٥٣، هاكوب. ق. توريانتز، مصدرسابق ص ١١٨ - ١١٩

٢ - اعادت عمليات التنقيب والانتاج والتصفية الى ايدي الشركات الاجنبية.

٣ - مدّت فترة السيطرة الاجنبية على النفط الى عام ١٩٤٤

٤ - عدت انتصارا للاحتكارات الغربية، من حيث انها اجهضت اي محاولة للتأميم يفكر ان يقوم بها اي من الاقطار المنتجة للنفط في تلك الحقبة.

قوبلت الاتفاقية بترحاب واسع لدى الاوساط الغربية، فقد وصفها وزير الخارجية دالس «بالحدث الهام» وقال عنها هيوارد بيج رئيس المجموعة الممثلة للشركات بانها «اتفاقية فريدة» (٤١) . غير ان الامر كان مختلفا في ايران.

موقف الرأي العام الايراني من الاتفاقية:

اختلفت مواقف الاوساط الايرانية من الاتفاقية، ففي الوقت الذي اعتبرها الشاه «مشرفة ومنصفة»، اعتبرتها اوساط المعارضة «الغاء للتأميم» وما هي الا «خيالا قانونيا» وانها اعادت عمليات الانتاج النفطي الى الشركات الاجنبية (٤٢).

كان على الحكومة الايرانية ان تعرض الاتفاقية على مجلس النواب للتصويت عليها واقرارها، وهناك دافع الدكتور علي اميني رئيس الوفد المفاوض عنها بقوله:

«ان هذه الاتفاقية ليست بالاتفاقية المثلى، وبما ان ازمة الامور ليست بيد القديسين والكروبين في الملاء الاعلى، فلهذا لم نستطيع ان نصل الى اكثر من هذا الحد، وهذا مبلغ استطاعتنا في استثمار منابعنا النفطية، فان وافقتهم عليها بقينا، وان رفضتهم ذهبنا لتاتي حكومة اخرى، وتفعل ما تراه في صالح البلاد» (٤٣).

ومن جانبه فقد قام رئيس الوزراء بزيارات متعددة لمراكز القبائل الايرانية ذات الوزن السياسي المعروف في ايران، كمركز قبيلتي البختيارية والقشقائية، مبديا لهاتين القبيلتين التودد عشية عرض حكومته اتفاقية النفط على مجلس النواب (٤٤).

سبب توقيع الاتفاقية ردود فعل عنيفة لدى الاوساط الشعبية، فاجمعت جميع الاحزاب الديمقراطية، بدون استثناء على شجب الاتفاقية الجديدة، واشترك في هذه النشاطات حزب «ايران» و «حركة المعارضة الوطنية» و «حزب القوة الثالثة» واحزاب اخرى (٤٥).

حاولت الحكومة امتصاص النقمة الشعبية من خلال قيامها بجهود كبيرة لوضع حد للتذمر الجماهيري، فوجهت تهمة القيام «بنشاط شيوعي» لكل من عارض الاتفاقية، ومارست أسلوب الترغيب والترهيب مع النواب المعارضين لها من اجل اقرارها بالقوة (٤٦). وعندما نشرت الصحف بنود الاتفاقية التي لم تكن عباراتها مفهومة والارقام المهمة غير واضحة فيها، ادعت الحكومة ان نصوص الاتفاقية وضعت باللغة الانكليزية، وهناك اصطلاحات وعبارات لا يوجد في اللغة الفارسية ما يقابلها (٤٧).

وعلى اية حال، فقد اجتمع زاهدي ووزير ماليته بالنواب في جلسة سرية عقدها المجلس في ١٩ ايلول ١٩٥٤ ليبحث معهم الاسلوب الذي يجب ان تقدم به الاتفاقية الى المجلس للمصادقة عليها، مؤكداً رغبة حكومته بتقديم الاتفاقية الى المجلس بمادة واحدة، وتتم المصادقة عليها بهذه الطريقة وبناء على توصية زاهدي، شكل مجلس النواب لجنة مشتركة من (٣٦) عضواً، (١٨) عضواً من النواب ومثلهم من الشيوخ، لدراسة اتفاقية النفط الجديدة (٤٨).

عقدت اللجنة المذكورة التي اطلق عليها اسم «لجنة النفط المشتركة» جلساتها بصورة متوالية يوميا لبحث الاتفاقية، وحضر

(٤١) FR. 1954, 16. Oug 1954, No. 79, p. 231.

(٤٢) روح الله رمضاني، مصدر سابق، ص ص ٢٨٨، ٢٩٠ - ٢٩١ .

(٤٣) مقتبس في: د. موسى الموسوى، مصدر سابق، ص ٩٦ .

(٤٤) د. ك. و. الوحدة الوثائقية، ملفات البلاط الملكي، التسلسل ٢٣٧ الوثيقتان ٥٨، ١٥٣ .

(٤٥) هاكوب. ق. توريانتز، مصدر سابق، ص ١١٨

(٤٦) المصدر نفسه. ق. توريانتز، مصدر سابق، ص ١١٨

(٤٧) د. موسى الموسوى، مصدر سابق، ص ٩٦ .

(٤٨) د. ك. و. ، الوحدة الوثاذقية، ملفات البلاط الملكي، التسلسل ٢٣٧، الوثيقة ١١٧ .

جلساتها رئيس الوزراء ووزير المالية، للاجابة على ملاحظات بعض الاعضاء.

انهت اللجنة اعمالها في ٣ تشرين الاول ١٩٥٤ بإقرار الاتفاقية وتنظيم تقرير بهذا الشأن رفعته الى المجلس النيابي. وهكذا استطاعت حكومة زاهدي من خلال تشكيل هذه اللجنة ان تحول دون مناقشة المجلسين في جلساتهما العلنية مواد الاتفاقية مادة مادة، والاكتفاء بمناقشة المادة المنفردة، التي نصت على المصادقة علي الاتفاقية بمجموع موادها. وذلك رغبة من الحكومة في عدم اجراء اي تعديل مهما كان طفيفا عليها نزولا عند اوامر «الكونسيرسيوم»[٤٩]. وبعد كل ذلك كان من السهل على زاهدي ان ينجح في امرار الاتفاقية من خلال اروقة مجلس النواب والشيوخ، خاصة وان الشاه رمى بثقله في هذا الاتجاه، عندما طلب من النواب عدم تضييع دقيقة واحدة والتصديق عليها بشكل عاجل.

اثمرت جهود الشاه وزاهدي في ٢١ تشرين الاول ١٩٥٤ عندما صوت مجلس النواب بالمصادقة على الاتفاقية باغلبية (١١٣) صوتا ضد (٥) اصوات وامتناع احد النواب عن التصويت وتغيب (٩) اخرين عن حضور الجلسة. ولم يختلف الأمر في مجلس الشيوخ عن ماهو في مجلس النواب. فقد صادق هو الاخر على الاتفاقية في ٢٨ تشرين الاول باغلبية (٤١) صوتا ضد (٤) اصوات وامتناع مثلهم عن التصويت [٥٠].

ان هذه الاتفاقية تضع علامات استفهام كثيرة على طبيعة حكومة زاهدي، الامر الذي يؤكد حقيقة الانقلاب الذي قاده الاخير، اي بعبارة اخرى ان انقلاب زاهدي له علاقة مباشرة بقضية النفط.

على اية حال، اخذت الحكومة الايرانية تتبع مختلف الوسائل لاقناع الايرانيين بان الاتفاقية تعد «نصراً دبلوماسياً كبيراً، وان نفط ايران سوف يستعيد مكانته السابقة في الاسواق العالمية وذلك بفضل الاتفاقية، وان واردات البلاد سوف ترتفع وسوف تنقذ البلاد من وضعها الاقتصادي السيء.. الخ»[٥١] ولكن ذلك لم يكن سوى محاولة لذر الرماد في العيون، وخير دليل على ذلك، ان ازاحة زاهدي من موقعه جاءت بسبب فشله في حل الازمة الاقتصادية الخانقة التي كانت تعاني منها البلاد.

يتضح لنا ان زاهدي جاء الى الحكم لتحقيق امرين أساسيين اولهما: حسم قضية النفط لصالح الشركات متعددة الجنسية. وثانيهما: مكافحة العناصر اليسارية ووضع حد للنشاط الشيوعي. وبتحقيقه هاتين المهمتين اصبح عليه مغادرة موقعه، لا سيما بعد ان امعن في طريق المحسوبية ومحاباة المرتشين، الامر الذي ترتب عليه خلق ازمة وزارية استقال على اثرها وزيراً المالية والعدل. وامتد الامر الى ان ينزل زاهدي نفسه الى مستنقع الرشوة حينما عقد صفقة تجارية بلغت ارباحه منها مليونين من الدولارات اودعت في احد مصارف سويسرا، وادى الكشف عنها الى احداث ضجة كبيرة في الاوساط السياسية والصحفية تسبب في إقالة زاهدي نفسه [٥٢].

الخاتمة:

لعل اهم ما يمكن التوصل اليه من خلال هذا البحث المتواضع هو ان حكومة زاهدي التي تسلمت المسؤولية بالمساعدة والمال الامريكيين، والتي لم تستطع البقاء في موقعها بدونهما حققت الهدفين اللذين اوكلا اليها. بالمقابل فانها فشلت في الاهتمام باوضاع البلاد الاقتصادية والمالية والعمرانية، مما أدى الى حدوث ازمة اقتصادية خانقة، وارتفاع بمستويات المعيشة بشكل لم تشهده ايران حتى في اثناء الحرب العالمية الثانية [٥٣].

وحاول زاهدي القاء تبعية الاوضاع الاقتصادية التي تعاني منها البلاد على عاتق سلفه، في اطار يستهدف الاساءة الى فترته واسمه الذي حظي باعتزاز كبير، وعلى صعيد اخر فانه عمل على تكييف

(٤٩) المصدر نفسه، الوثيقة ١١٧ .

(٥٠) روح الله رمضاني، مصدر سابق، ص ٢٩٠ .

(٥١) مقتبس في: هاكوب. ق. تويانتز، مصدر سابق، ص ١١٩ .

(٥٢) للتفصيل عن تلك الفضيحة راجع: د. ك. و. ، الوحدة الوثائقية، ملفات البلاط الملكي، الملف ٤٩٧٢، الوثيقة رقم ١٦ .

(٥٣) للتفاصيل عن اوضاع ايران الاقتصادية خلال الحرب ينظر:

د. طاهر خلف البكاء، التطورات الداخلية في ايران ١٩٤١ – ١٩٥١، رسالة دكتوراة، جامعة بغداد، كلية الاداب ١٩٩٠، ص ص ١٥٣ – ١٩٢ .

البرامج التي طرحها بما يخدم توجهاته الشخصية، واستفادته منها شخصيا. وبهذا الخصوص تسلط لنا وثيقة دبلوماسية سرية عراقية ضوءاً على هذه الحقيقة بالقول:

«ان الحكومة في عهده اي «زاهدي» لم تعقد عقدا او مقاولة الا وكان له نصيب.. وقد سار سيره في الادارة بعض الوزراء ورؤساء الدوائر الرئيسية فشاع امرهم واضطربت اداراتهم اضطرابا كليا»(٥٤).

ولذلك، فلا عجب والحالة هذه، ان تنتشر ظواهر الرشوة والمحسوبية ورواج اللصوصية في الدوائر الحكومية الى الحد الذي جعل بعض المراقبين يؤكدون ان «البلاد تعرضت خلال العشرين شهرا من حكم زاهدي للنهب والسلب بشكل لم يسبق ان تعرضت له من قبل» (٥٥).

فضلا عن ذلك، فقد استطاعت حكومة زاهدي بتوقيعها تلك الاتفاقية، والغاء قرار التأميم، ان ترسي علاقات جديدة بين بريطانيا وايران خلال مرحلة الخمسينات، ادت فيما ادت اليه الى ارتباط البلدين في معاهدة الحلف المركزي «حلف بغداد».



(٥٤) مقتبس في: د. ك. و. ، الوحدة الوثائقية، ملفات البلاط الملكي، الملف ٤٩٧٢، الوثيقة ١٦ .

(٥٥) للتفصيل يراجع:

المصدر نفسه، التسلسل ٣٣٩، الوثائق ٢٦، ٤١، ١١٨، ١١٩، ١٢٥، التسلسل ٤٩٧٢، الوثائق ١٥، ١٦، ٥٢ .

مصـــادر الـــبحث

١ـ الوثائق غير المنشورة :

دار الكتب والوثائق، الوحدة الوثائقية، ملفات البلاط الملكي.

ارقام الملفات

٣٣٣

٣٣٤

٣٣٥

٣٣٦

٣٣٧

٣٣٩

٤٨٦٩

٤٩٧٠

٤٩٧٢

٢ـ الوثائق المنشورة :

Foreign Relations of the United States, Diplomatic Papers, No. 79.

٣ـ الاطاريح الجامعية

- طاهر خلف جبر البكاء، التطورات الداخلية في ايران (١٩٤١ ـ ١٩٥١) رسالة دكتوراة، غير منشورة، كلية الاداب جامعة بغداد ١٩٩١ .
- محمد احمد حسن السامرائي، الاحزاب والحركات السياسية في ايران ١٩٥٠ ـ ١٩٧٨، رسالة ماجستير، معهد الدراسات الاسيوية والافريقية، الجامعة المستنصرية ١٩٨٠ .
- محمد طه علي الجبوري، تاريخ الحزب الشيوعي الايراني "تودة" ١٩٤١ ـ ١٩٦٣، رسالة ماجستير، غير منشورة، معهد الدراسات الاسيوية الافريقية، الجامعة المستنصرية ١٩٨٨ .

٤ـ الكتب العربية والمعربة :

- بهمان نيرومند، ايران.. الامبريالية الجديدة في العمل، الطبعة الاولى، بيروت ١٩٨١ .
- حازم صاغية، صراع الاسلام والبترول في ايران، بيروت ١٩٧٨ .
- روح الله رمضاني، سياسة ايران الخارجية ١٩٤١ ـ ١٩٧٣، ترجمة علي حسين فياض وعبد المجيد حمودي، البصرة ١٩٨٤ .
- طلال مجذوب، ايران من الثورة الدستورية حتى الثورة الاسلامية ١٩٠٦ ـ ١٩٧٩، بيروت ١٩٨٠ .
- مجلس قيادة الثورة، مركز البحوث والدراسات، الموسوعة الايرانية المعاصرة، الجزء الاول، الشخصيات، بغداد ١٩٨٥ .
- د. محمد وصفي ابو مغلي، الاحزاب والتجمعات السياسية في ايران ١٩٠٥ ـ ١٩٨١، الطبعة الثالثة، البصرة ١٩٨٣ .
- د. محمد وصفي ابو مغلي، دليل الشخصيات الايرانية المعاصرة، جامعة البصرة ١٩٨٥ .
- مذكرات شاه ايران المخلوع محمد رضا بهلوي، ترجمة مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة ١٩٨٠ .
- د. موسى الموسوي، ايران في ربع قرن، بلا ١٩٧٢ .
- هاكوب .ق. توريانتز، نفط ودماء، تعريب عبد الغني الخطيب، بيروت ١٩٦٢ .

٥ـ الكتب الفارسية

ـ دايرة المعارف، دانشي بشر، تهران ١٣٤٩ هجري ـ شمسي.

ـ ماموريت براي وطنم، اثر اعليحضرت همايون محمد رضا شاه بهلوي اريامهر شاهنشاه ايران، تهران ١٣٤٧ هجري شمسي.

٦ـ الكتب الاجنبية

- Abrahamian, E, Iran BetWeen Tow Revolution, New Jersey1982.
- Azimi, F. Iran, The Crisis of Democracy1941-1953, London1989.
- Hurewitz, J. C. , Diplomacy in the Near and Middle East, A Documentary Record1935-1914, Vol. I, Princetion1956.
- Pahlavi, A. faces in A Mirror, U.S.A1980.
- Roosevelt, K. Counter Coup. The struggler For the Control of, U.S.A1981.

٧ـ المقالات والبحوث :

عبد الله شاتي عبهول، ابو القايم الكاشاني ودوره في اجهاض تجربة الدكتور محمد مصدق في ايران في الوثائق الدبلوماسية العراقية، بحث غير منشور، الجامعة المستنصرية ١٩٨٩ .

٨ـ الصحف والمجلات :

- New Yourk Tims.




مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مقاومة الشيخ بوعمامة للاحتلال الفرنسي في الجزائر

ابراهيم مياسي
معهد التاريخ - جامعة الجزائر

ان تاريخ الجزائر اثناء الاحتلال الفرنسي، قد مرّ بمراحل مختلفة، حيث يمكننا أن نقسمه الى حقب تاريخية محددة ومتميزة بسمات خاصة، وهي كالتالي:-

- الفترة الاولى (ما بين ١٨٣٠ - ١٨٤٨م) وقد تميزت بالمقاومة المسلحة والمقاومة السياسية للوجود الفرنسي وقد تولى المقاومة المسلحة لهذه الفترة زعماء معروفون ورجال غير معروفين، المعروفون هم على الخصوص الأمير عبد القادر وأحمد باي، ومصطفى بو مزراق، وغير المعروفين منهم القائد ابن زعمون[١] بمتيجة، والحاج سيدي السعدي[٢] . في العاصمة وضواحيها والآغا محي الدين بن مبارك[٣] شيخ القليعة وغيرهم.

وهناك أيضاً مقاومة سياسية تمثلت في بعض الشخصيات كحمدان بن عثمان خوجة[٤] ، وأحمد بو ضربة[٥] ، والشيخ ابن العنابي[٦] ، وغيرهم وهناك أشخاص قاوموا وهم مجهولون، وقد كانوا ينبّهون الناس ويؤلفون اللجان، ويكتبون في الصحف، ويراسلون بعضهم البعض من أجل تنظيم المقاومة وتخطيطها، لأن الاحتلال الفرنسي في الجزائر قد محا جميع معالم الدولة الجزائرية وحكم البلاد حكماً مباشراً حيث لا يوجد من يتكلم باسم الأهالي لا في شكل حكومة أو في شكل حزب أو هيئات محلية، ولا توجد واسطة بين السلطات الفرنسية وسكان الجزائر.

ذلك أن هناك المقاومة لم تكن تتمثل في أشخاص فقط، بل كانت تتمثل في شعب رافض للاحتلال، فهي ارادة جماعية تلقائية لا تحتاج الى زعامة أو قيادة.

(١) ينتمي ابن زعمون الى قبيلة فليسة، نظم مقاومة لصد زحف الاحتلال الفرنسي على البليدة، فقد هاجم في ٢٦ نوفمبر ١٨٣٠ مدينة البليدة التي ترك فيها الفرنسيون حامية بقيادة العقيد روليير( ) ، ودارت في شوارع المدينة معركة ضروس توفي على اثرها عدد كبير من الفرنسيين والسكان، ثم استمر بعد ذلك يقاوم طيلة سنتي ١٨٣٠ - ١٨٣١ حتى انعزل وانقطعت اخباره.

انظر : سعد الله (ابو القاسم)، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث الجزائر ، ١٩٨٢ ، ص ٨٧ - ٨٨ .

(٢) ينحدر سيدي السعدي من زمرة مرابطة من مدينة الجزائر، وكان طموحاً متدينا شجاعا، وقد ساهم في اثارة القبائل ضد فرنسا، وكان صوته مسموعاً لمكانته الدينية، وشارك من ابن زعمون في ثورة قبائل متيجة ضد الاحتلال الفرنسي، ثم التحق بالأمير عبد القادر ليواصل جهاده ضد الفرنسيين.

انظر : سعد الله ، المصدر السابق ، ص ٨٩ - ٩٠ .

(٣) الحاج محي الدين بن الصغير بن سيدي مبارك، مرابط مدينة القليعة، عينه القائد الفرنسي العام "برتزين" اغا على العرب في منطقة سهل متيجة سنة ١٨٣١، ثم عزله الدوق دي روفيقو بحجة مشاركته في الثورة، واراد الانتقام منه، فانضم الى الأمير عبد القادر الذي عينه خليفة له على مدينة مليانة.

انظر : سعد الله ، المصدر السابق ، ص ٩١ - ٩٥ .

(٤) حمدان بن عثمان خوجة، من أسرة جزائرية عريقة وثرية، ولد حوالي ١٧٧٣م، دافع عن حقوق الشعب الجزائري، وعاش طوال حياته مناضلاً وكاشفاً لاساليب الغزو والاستعمار الفرنسي. وكان ايضا من دعاة الاصلاح والقومية، وتوفي بالقسطنطينية ما بين ١٨٤٠ و ١٨٤٥ .

(٥) أحمد ابو ضربة، من أعيان الجزائر، وزعماء المقاومة السياسية، قدم مذكرة الى اللجنة الافريقية سنة ١٨٣٣ ، ليشرح فيها قضية بلاده.

انظر : محمد العربي الزبيدي، مذكرات أحمد باي، وحمدان خوجة وبوضربة، الطبعة الثانية الجزائر، ١٩٨١ ، ص ١٦٩ .

(٦) محمد بن محمود ابن العنابي، ولد بالجزائر العاصمة سنة ١٧٧٥م، قام بعدة وظائف منها وظيفة الافتاء، ثم نفاه القائد الفرنسي "كلوزيل" الى الاسكندرية، حيث تولى فيها منصب الافتاء، الى أن توفي حوالي سنة ١٨٥٠م.

انظر : سعد الله (ابو القاسم)، **المفتي الجزائري ، ابن العنابي، رائد التجديد الاسلامي**، الجزائر ١٩٧٧ .

- الفترة الثانية : (ما بين ١٨٤٨ - ١٨٧١)، وقد تميزت هذه الفترة بالمقاومة المسلحة التي خرجت من المدن الى الأرياف والجبال والصحارى، وتمثلت في المرابطين ورجال الدين (العلماء) الذين تزعموا هذه المقاومة، وهذا بعد أن ثبّت الفرنسيون أقدامهم على السواحل والمدن.

وعندما قامت الجمهورية الفرنسية الثانية، أصدرت قراراً في شهر مارس ١٨٤٨ نص على أن الجزائر جزء من التراب الفرنسي[٧] ، فاتجه الاستعمار الفرنسي نحو المناطق الداخلية والنائية لاتمام عملية الاحتلال الكامل للجزائر، لكنه اصطدم في طريقه بالمقاومة الشعبية مثل ثورة سكان واحة الزعاطشة بقيادة الشيخ بوزيان عام ١٨٤٨م، ومقاومة جبال جرجرة خلال الخمسينات تحت زعامة محمد الشريف بو بغلة وفاطمة نسومر[٨] ، وفي الصحارى تعرض الفرنسيون لمقاومة شعبية عنيفة من قبل أهالي الصحراء، أما الستينات من القرن الماضي فقد تميزت بانتفاضات عنيفة ومريرة لأولاد سيدي الشيخ[٩] ، وختمت هذه المرحلة بثورة ١٨٧١ لعائلتي المقراني والحداد، بمنطقة القبائل الصغرى، وثورة الشريف بوشوشة (١٨٦٩ - ١٨٧٤) في الصحراء[١٠] .

- اما الفترة الثالثة فهي تمتد الى أواخر القرن التاسع عشر حيث عرفت البلاد عدة انتفاضات وثورات منها على الخصوص ثورة واحة العمري بنواحي بسكرة (١٨٧٦)[١١] ، وثورة الأوراس (١٨٧٩)[١٢] ، ولكن القوات الفرنسية أخمدتها واستطاعت أن تقضي على جميعها، لعدم اتحادها وتماسكها، وتحديد أهدافها ومناهجها. وبذلك اعتقدت السلطات الفرنسية أن عهد الثورات قد ولّى في الجزائر[١٣] ، وما عليها الاّ ان تتم عملياتها التوسيعية في الجنوب الجزائري، ولكنها اصطدمت بمقاومة عنيفة تمثلت في ثورة بو عمامة التي استمرت سنوات طويلة مدافعة عن التراب الوطني، وهي في الحقيقة استمرار وامتداد لانتفاضات أولاد سيدي الشيخ منذ سنة ١٨٦٤ .

ينحدر بو عمامة من أولاد سيدي الشيخ الغرابة، وقد ولد حوالي ١٨٣٨ أو ١٨٤٠ بفقيق في قصر الحمام الفوقاني[١٤] ، وهو سليل أولاد سيدي التاج الابن الثالث عشر للجد الأول سيدي الشيخ.

وتجمع الوثائق التاريخية على انه غادر فيقيق نهائياً عام ١٨٧٥م ليستقر بمغرار التحتاني الذي أسس به زاوية على غرار زاوية أجداده[١٥] ، ومن هناك بدأ نشاطه الذي زاد من شهرته ونفوذه في المنطقة، فتكاثر عدد اتباعه وقاصديه الشيء الذي أزعج السلطات الفرنسية وبدأت تتحدث عنه في تقاريرها، حيث اهتمت بنفوذه ومركزه في أوساط القبائل الصحراوية، وتزايد عدد زواره لتقديم الزيارة (الهدايا) وخاصة من طرف قبائل الطرافي، وحميان، وأولاد

(٧) CH.A. JULIAN, **Histoire de l' Algérie contemporaine,** 1827 - 1871 , 2 one édition, Tom I, PARIS, 1979, PP. 342-351.

(٨) عن ثورة الزعاطشة أنظر :

محمد العربي الزبيري، **مقاومة الجنوب للاحتلال الفرنسي الجزائر**، ١٩٧١ .

(٩) عن ثورة بوبغلة وفاطمة نسومر أنظر :

يحي بو عزيز، **ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين**، الطبعة الاولى دار البعث، قسنطية، (الجزائر)، ١٩٨٠ ، ص ٧٥ ، و ص ، ٩٩ .

(١٠) عن ثورة ١٨٧١ ، انظر :

يحي بو عزيز، **ثورة ١٨٧١** ، (دور عائلتي المقراني والحداد)، الجزائر، ١٩٧٨ .

(١١) عن ثورة الشريف بو شوشة ، انظر :

يحي بو عزيز، ((أضواء على كفاح الشريف بو شوشة))، **مجلة الثقافة** الجزائر ، العدد ٣٤ اغسطس / سبتمبر ١٩٧٦ ، ص ٨٥ - ٩٩ .

(١٢) عن هذه الثورة ، انظر :

يحي بو عزيز، **ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين.**

(١٣) عن ثورة الأوراس انظر :

عبد الحميد زوزو، **ثورة الأوراس**، سنة ١٨٧٩ ، الجزائر، ١٩٨٦ .

(١٤) CH.R. AGERON,**Les Algériens Musulmans et la france,** Tome I, PARIS, 1968, P,63.

(١٥) BEZY (Le oitoyen) , **Insurreotion de sud- Oranais**, ORAN, 1884, P.10 .

زياد والاغواط والأحرار، وغيرهم، كما وعدهم بقرب خلاصهم من الاحتلال الفرنسي[١٦] . وأنه سوف يشعل الحرب ضده ويخلص البلاد من ظلمه وأذيع في الأوساط الشعبية أن بو عمامة ورجاله سوف يطردون الفرنسيين قبل حلول الصيف القادم[١٧] .

أما اسباب هذه الثورة فهي عديدة، وفي مقدمتها بلا شك مقاومة الاحتلال الفرنسي، ولكن بعض الدراسات الفرنسية ترجعها بالدرجة الأولى الى مجاعة السكان، نظراً للنظام الاستعماري في الجزائر الذي يقتضي أن يحطم ويحط من قيمة العنصر العربي[١٨] ، ويحرمه من جميع وسائل الرزق حتى يخضع للهيمنة الفرنسية وبذلك تتم السيطرة على السكان ثم الاحتلال الكامل للبلاد.

ولكن اذا ما درسنا الأسباب الحقيقية لهذه الثورة، فسوف نجد جملة من العوامل تظافرت وتجمعت مع بعضها البعض سنة ١٨٨١ جعلت بو عمامة ورجاله يشعلون نيران الثورة في وجه المحتل، نذكر منها مواصلة أولاد سيدي الشيخ في الدفاع عن مجال نفوذهم، وخاصة بعد أن عزمت فرنسا على اقامة مركز عسكري للمراقبة في قصر تيوت الذي هو بجوار المغرار التحتاني مقر زاوية بو عمامة واصرار الفرع الأصغر لأولاد سيدي الشيخ بأن يلعب دور الزعامة بقيادة بو عمامة في هذه المرحلة من المقاومة.

كذلك تذمر وضيم قبائل أفلو والبيض التي منعت من التنقل بمواشيها الى الجنوب خلال موسم الترحال وذلك في فصلي شتاء ١٨٧٩ - ١٨٨٠ و ١٨٨٠ - ١٨٨١ ، مما أدى الى موت مواشيها بأعداد كبيرة من شدة البرودة السائدة بتلك المنطقة[١٩] .

وتوجد عوامل اخرى خارجية أذكت شعلة الثورة وهي غزو فرنسا لتونس في مطلع سنة ١٨٨١م والحوادث التي أعقبت هذا الاحتلال، والتي كان لها وقع وصدى عند بو عمامة وثواره، وخاصة بعد أن تحول جزء من الجيش الفرنسي المرابط في الناحية الغربية من البلاد الى تونس ليساهم في الحملة ضدها.

كما ان الدعوة السنوسية المنتشرة عبر الصحراء والتي ترمي الى مقاومة الاحتلال الاوروبي، وقد وصلت الى بو عمامة عن طريق الحاج المهدي ولد باجوده، مقدمها في عين صالح[٢٠] ، وكان لها دور في تشجيع بو عمامة ورجاله على الوقوف في وجه الاستعمار الفرنسي، كما كان ايضاً لدعوة جمال الدين الافغاني، وحركة السلطان عبد الحميد العثماني، الداعيتين الى جمع شمل المسلمين في اطار الخلافة الاسلامية تأثير في نفس بو عمامة باعتباره رجل ديني متحمس وصاحب زاوية، ينشد هو الآخر اصلاح المجتمع الاسلامي انطلاقا من الجزائر، وهذا الاصلاح يتطلب مقاومة السيطرة الاوروبية على البلدان العربية[٢١] .

أما السبب المباشر للثورة فيتمثل في مقتل ضابط فرنسي برتبة ملازم أول وهو "واينبرنر" (WEINBRENNER) نائب رئيس المكتب العربي لمدينة البيض يوم ٢٢ ابريل ١٨٨١ مع أربعة صباحية من حراسة حينما حاول ايقاف نشاط بو عمامة واعتقال مبعوثيه لدى الجرامنة، وهما : الطيب بن الجرماني ومرزوق السروري[٢٢] .

وبهذا الحادث أرغم بو عمامة على اشعال نار الثورة حتى وان كان ذلك قبل موسم الحصاد، وبدأت المواجهة بعد ان استنفر بو عمامة القبائل الصحراوية التي بشرها بقرب خلاصها من الاحتلال الغاشم، وخاصة قبائل ترافي وقبائل عمورة، والشرفة، وأولاد سيدي أحمد المجدوب، وحميان والشعانية[٢٣] ، فضلا عن أولاد سيدي الشيخ الغرابة، الذين وعدوه بارسال المدد والدعم له أثناء القيام بالثورة.

(١٦) E. GRAULLE, **Insurreotion de BOU - AMMAN** , (Avril 1881), PARIS, 1890, P.7.

(١٧) A.M.G.H. 376. Letirre de monsieur le prefet d' oran a Monsieur le gouverneur général civil de l'Algerie, Oran, le 9 Avril 1881.

(١٨) A.M.G.H. 376, Lettre du gouverneur général civil de l'Alg´´rie a Monsieur Le Ministre de la Guerre, a PARIS, Alger le 15 Avril 1881.

(١٩) GUY DE MAUPASSANT, **Au Soleil**, PARIS, 1902 , PP. 35 - 36 0

(٢٠) زوزو عبد الحميد ، ثورة بو عمامة ، ١٨٨١ - ١٩٠٨ ، (جانبها العسكري ١٨٨١ - ١٨٨٣) الجزائر ١٩٨١ ، ص ٤٧ .

(٢١) Martiniére et lacroix, Document, Tome II, 712.Lille , 1892, P. 772.

(٢٢) بو عزيز ، المصدر السابق ، ص ٢٤٨ .

(٢٣) P.WACHI,"Notes, itineraires et souvenirs pour servir a l'histoire de la province d'Oram, L' INSURRECTION de BOU-AMMAN , (1881 - 1882)," **Revue Tunisienne** , 1904, PP. 633 - 733 .

تم أول لقاء بين الثوار والاستعمار الفرنسي يوم ٢٧ ابريل ١٨٨١ في معركة سفيسفة جنوب عين الصفراء، أما المعركة الطاحنة فكانت يوم ١٩ ماي ١٨٨١ في موقعة المويلك – (ELMOUELLEK) وهي معركة عنيفة جرت في ميدان فسيح يقدر عرضه بثلاثة كيلو مترات ومتكون من تلين متوازيين تقريباً، وهو يقع قرب قصور الشلالة بجبال قصور[٢٤].

وقد تضاربت التقارير العسكرية حول نتائج هذه المعركة وخسائر الفريقين، فمنها ما تقول أن الثوار قد تركوا أكثر من ثلاثمائة قتيل في الميدان[٢٥]، في حين تقول مصادر أخرى أن الخسائر الفرنسية قدرت بستين قتيلاً واثنين وعشرين جريحاً، مقابل مئتي شهيد[٢٦]. وقد قدرها العقيد "اينوسنتي"(INNOCENTI) في تقريره الى وزير الحربية الفرنسي بسبعة وثلاثين قتيلاً وستة عشر جريحاً من بينهم ضابط وأربع مفقودين من الجانب الفرنسي، في حين قدر عدد ضحايا الشيخ بو عمامة بما يقارب ثلاثمائة قتيل.

أما الجريدة الرسمية "المبشر" الصادرة بالفرنسية، فقد علقت على هذه المعركة، واعتبرتها انتصاراً للاحتلال الفرنسي ولكنها كلفتها سبعة وثلاثين قتيلاً وستّة عشر جريحاً، منهم الضابط "لانييري" (LANERLY)[٢٧].

وبعد هذه المعركة عملت السلطات الفرنسية على التقليل من شأن بو عمامة واتباعه، وكلفت قاضي البيض باصدار فتوى تعتبر الثوار مجرد خارجين عن القانون. وقد ردّ عليه الشاعر محمد بلخير فيما بعد بقصيدة طويلة، نورد منها بعض المقتطفات[٢٨].

مقواني نبكي الأجراح مهولين

بي فرقة وطني وعز الأوطان

رانا ضروك راس النجوع متنزهين

ما قعدوا في الذل الا أصحاب بوران

الي يبغي الجنة يضاد الكافرين

والي ابغي الهناء ابغي التمزان

قولوا العطاء الله واش كلفك يا حزين

ولاه تشم في اليما لداهم قران

لعبت بك الدنيا ايامها فانين

ما اخيار انتاء والا الكلاب رحمان

ثم يختم قصيدته بالابيات التالية:–

لكن العزة لله مولانا اللطيف

هو الي زادني من الفضل والايمان

طاعة النفوس للالاه وضرب السيف

بافعال الخير يدخل ابنادم الاحسان

الي ما نافع النبي ما عنده نيف

محمد صاحب الشفاعة والغفران

من علم الاعباد بأيام التعريف

فرض الصلاة والزكاة وشهر رمضان

والطامع فيك يا الله ما هوش اشخيف

كذا من حد تنصره يصبح سلطان

رجال الله من قوات السلطيف

رضوا عن الشيخ سقام الفرسان

(٢٤) زوزو ، المصدر السابق ، ص ١١ .

(٢٥) DJILLALI SART, L'INSURRECTION DE 1881 - 1882, ALGER. 1981. P.98.

(٢٦) A.M.G.,H 376, Order général du 24 Mai 1881.

(٢٧) GRAULLE, OP. cit., P. 48. of SARI, Op-oit. P. 99.

(٢٨) Journal . Le MOBACHER, Samedi 21 Mai 1881. No 2224 .

وهكذا اوضح الشاعر في هذه القصيدة أن المجاهدين افضل وأشرف من الذين انضموا الى الجيش الفرنسي وحاربوا بجانب الضابط بوران في ثورة ١٨٦٤، كما عاتب الشاعر عطاء الله قاضي البيض على ما صدر منه لتشويه مكانة بو عمامة واتباعه، رغم ان الله سبحانه وتعالى والرسول عليه الصلاة والسلام مع المجاهدين الذين يجاهدون في سبيل الله لرفع راية الاسلام عالية لذلك قد برك جهادهم وأصبح سلاحهم اقوى وأنجح من سلاح العدو، فكتب لهم النصرواستشهد الاحد عشر فارساً، بينما العدو قتل منه أكثر من مائتي كافر وخائن، وهذا بفضل الله ورضوانه عن الشيخ وبركة الأولياء الصالحين من توات الى سطيف.

ويظهر من هذه القصيدة أيضاً أن معنويات المجاهدين كانت مرتفعة، وانهم قد انتصروا في معاركهم ضد الكفار، بينما اعتبرت فرنسا معركة "المويلك" هزيمة لبو عمامة وانتصاراً للجيش الفرنسي الذي انتقم لاغتيال الملازم وانبرونر من جهة ودعم نفوذه في الجنوب الوهراني من جهة اخرى.

وقد توصلت القوات الفرنسية الى هذه النتائج حسب زعمها بفضل الدور البارز والهام الذي قام به الجنرال «سيري» (CEREZ) قائد الناحية الوهرانية حيث نظم أربع طوابير للحفاظ على المناطق التلية من الناحية الوهرانية ودفع بطابور سعيدة داخل الأهالي المتمردين، كما أشادت السلطات الفرنسية أيضاً بدور العقيد "اينوسنتي" وجنوده الذين تلقوا التهنئة والتنويه من قبل وزير الحربية ورئيس الجمهورية[٢٩].

ولكن الاحداث التي سجلت بعد هذه المعركة تبين عكس ما جاء في التقارير العسكرية الفرنسية، ذلك أن هذه الموقعة تعتبر انتصار البو عمامة ورجاله بدليل أن الجيش الفرنسي أصبح يتخوف من مواجهة بو عمامة ويتفاداه كلما أمكن ذلك وأن العقيد "اينوسنتي" قد أرغم بعد المعركة الى التوجه نحو الشمال أي الى خيضر هروباً من بو عمامة، ويظهر ان عزله - فيما بعد - كان بسبب هزيمته أمام بو عمامه[٣٠].

ظل بو عمامة طيلة هذه المدة سيد الموقف وقد توجه الى الأبيض سيدي الشيخ للاستعداد والتهيئة للمسيرة الطويلة التي حيرت الجيش الفرنسي وجعلته يتيه في تلك الفيافي بدون دليل، وقد نسج حول هذه المسيرة الكثير من الأساطير والغيبات، مثل "ان بركة سيدي الشيخ بو عمامة جعلته يسبق القوات الفرنسية، ويمر بجانبها أحياناً ولم تره. ودامت مسيرة بو عمامة مع رجاله ثلاثة وعشرين يوما، قطع خلالها ما يقارب السبعمائة وثلاثين كيلو متراً، حيث برهن بو عمامة مرة أخرى على تفوقه على الطوابير التي ترصدته من أجل القضاء عليه، ولكنها لم تستطع ايقافه أو مواجهته خلاف ما روجته الاوساط الاستعمارية بأنها لم تره، وهذا غير معقول اذ كيف يمكن لجيش جرار أن يمر بجانب العدو وبدون أن يراه أو يسمع ضجيجه.

قام الثوار خلال هذه المسيرة بقطع خطوط التلغراف الرابطة ما بين فرندة والبيض[٣١]. ومهاجمة مراكز الشركة الفرنسية الجزائرية للحلفاء، وقتل العديد من العمال الأسبان الذين يشتغلون بهذه الشركة، كما أحرقوا وأتلفوا الكثير من العتاد[٣٢]. كما استولوا أيضاً على قطعان كثيرة لبعض أعوان الفرنسيين، ولذلك اتخذت السلطات العليا الفرنسية اجراءات حازمة وسريعة من أجل حماية المناطق التلية من الثوار الزاحفين نحو الشمال، فرصدت فرقة العقيد "برونتير" (BRUNETIERE) لحراسة عين مدرسية، كما غادر الجنرال "ديتري" (DETRIE) يوم ٤ جوان ١٨٨١م خضير مع فرقة "اينوسنتي" سابقاً بعد تنظيمها من جديد، لتصل يوم ٧ الى خضراء ويوم ٩ الى الترف وهو يلاحق بو عمامة، ولم يتمكن في هذا التاريخ من الوصول اليه، وقد كلف العقيد "ملارية" (MALAREI)بحراسة ممر خضير. أما طابور "جانين"

---

(٢٩) BOUALEM BESSAIH, Etendard interdit, PARIS, 1976, PP. 135-138.

(٣٠) A.M.G.H 376., Order général du 24 Mai 1881.

(٣١) زوزو، ثورة بو عمامه ، ص ١٦

(٣٢) BEZY, op-cit., P. 52.

(GANNIN)فمهمته المحافظة على المنطقة الممتدة ما بين بوقران والعريشة[٣٣] .

والجدير بالذكر ان انتصارات بو عمامه، جعلت قبائل من المنطقة تنضم اليه الواحدة تلو الاخرى، منها الأغواط الأكسل والتي وضعتها فرنسا تحت قيادة الدين العموري أغا افلو، فثارت وحاولت الانضمام الى الثورة لتشارك في هجوم فرندة مع بو عمامه، لكنها تعرضت لهجوم من طرف قوم أحرار تيارات بقيادة الأغا الحاج قدور الصحراوي يوم ١٤ جوان ١٨٨١م بواد خروف، فاضطرت الى الرجوع على أعقابها فتعرضت مرة أخرى يوم ١٦ جوان الى هجوم قبائل اربعاء الأغواط تحت قيادة سي باحوس بن قدور المدعم من طرف الرائد "بولا" (BELIN) مع أربع فرق خيالة، فكانت معركة ضارية خسر فيها الأغواط الاكسل مائة وخمسة قتيلاً، واشتهرت هذه الواقعة الشنعاء بين الأشقاء بموقعة تسمى قارة الغشوي والتي تقع على بعد عشرين كيلو متر شمال شرق استيتن.

هذا وقد دوّن الشاعر محمد بلخير بعض وقائع هذه المعركة في قصيدة طويلة منها:

يوم في قارة الغشوي نهار كبير

كاملين تلث ضربات في عودي

ضرب نطع من الرقبة لحد الدير

عادم بالجراح باليمنى يردي

كامل الخصلة يجري بلا شابير

ما كذبت شي كل نهار بمشهودي

كي تتسمى لي هربة نعود تسير

في حرم زينين الخير وسيادي[٣٤]

وهكذا التجأت السلطات الفرنسية الى استعمال جميع الوسائل لتحطيم المقاومة كتحريض القبائل والأعراش فيما بينها، كما سارعت بارجاع جزء من قواتها التي اشتركت في احتلال تونس، واضطرت أيضاً الى التعجيل باكمال الخط الحديدي بين أرزيو – سعيدة لنقل المؤن والذخائر والجنود واعتمدت في انجاز ذلك على العرب من قوم سعيدة وفرندة وتيارت والبيض.

ورغم هذه التحركات والاستعدادات فان بو عمامه بقي سيّد الموقف طيلة فصل الصيف الحار جداً، واكتفى الفرنسيون بالدفاع فقط.

وقد دعموا حامية البيض تحت قيادة العقيد "دي نيقريه"(DENEGRIER) الذي مارس سيطرته على قصور المنطقة وقام بنسف قبة وضريح سيدي الشيخ بالأبيض سيدي الشيخ[٣٥] . يوم ١٦ أوت ١٨٨١ انتقاما من بو عمامه.

كما طالب الجنرال "سوسيية"(SUSSIER) قائد الفيلق التاسع عشر في رسالة وجهها الى وزير الحربية بباريس بتاريخ ١٨ جويليه ١٨٨١م المزيد من المدد والدعم حتى يطمئن السكان لقوة الاحتلال الفرنسي[٣٦] .

وهكذا يظهر أن القوات الفرنسية، لم تتمكن من السيطرة على الموقف في هذه المرحلة من الثورة، وبقيت تنتظر انخفاض درجة الحرارة خلال فصلي الخريف والشتاء، لتتمكن من الهجوم واسترداد نفوذها على المنطقة، ذلك أن الجنرال "سوسيية" قد أرسل الى الجنرال "دليباك" قائد ناحية وهران، يطلب فيها التعليمات اللازمة للمرحلة القادمة، لمواجهة أولاد سيدي الشيخ والمحافظة على المناطق التلية[٣٧] .

ففي شهري سبتمبر وأكتوبر تعرض لواء الجنرال "كولونيو" (COLONIUE) ولواء "لويس" (LOUIS) وغيرهما من القوات الفرنسية الى الهجوم الثوار قرب عين الصفراء خلّف العديد من القتلى والجرحى من الطرفين.

(٣٣) A.O.M., F. 80 1683 b., Etades dommages causés a la compagnie Franco - Algérienne par l'insurrection qui a éclaté sur les hauts-plateaux de la province d'Oran, en Avril 1881.

(٣٤) BEZY, op.-cit., P. 53.

(٣٥) AISSA MILAD, "Etude détaillée d'un poéme de Mohammed RELKHIR"S>G>A> d'Oran, Bulletin spécial sur le centenaire de BOU-AMAMA, (1981-1982),PP.21-37.

(٣٦) Ibid. P. 56.

(٣٧) A.M.G., H 376.

كما قامت الفرق العسكرية الفرنسية تحت قيادة الجنرال "دلبياك" قائد الناحية بالهجوم على السكان العزل في منطقة عمور، فقتلت العديد منهم واحرقت خيامهم واتلفت ذخائرهم واغتصبت مواشيهم ثم ارغمتهم على النزول من هذه المناطق الحصينة الى سهل القجة لتبقى تحت مراقبة لواء الجنرال "كولونيو" بحجة انها قد طلبت الآمان والخضوع للسلطات الفرنسية(٣٨) .

ومن التطورات الهامة التي حصلت خلال هذه الفترة انضمام سي سليمان بن حمزة رئيس زعيم أولاد سيدي الشيخ الغرابة الى حركة بو عمامة على رأس ثلاثمائة فارس، واتجه مع رجاله الى جنوب غرب عين الصفراء ثم الى منطقة البكاكرة الحمانيين ومن هناك غادر المنقب يوم ١٦ نوفمبر الى جبل عمران ليمارس أعمال الارهاب والعنف ضد القبائل الموالية للاحتلال الفرنسي، فاضطرت القوات الفرنسية أن تلاحقه مع ثواره خلال ما بقي من شهر نوفمبر، وكل ديسمبر، كما ركزت السلطات الفرنسية قواتها في عين الصفراء، وعين خليل، والعريشة، ورأس الماء، ومشريه، والبيض وسبدو، والضاية، وسعيدة، وخثيير، وفريدة، لوضع شبه حاجز على التل الوهراني من أجل حمايته.

وازاء هذا الضغط الفرنسي اضطر بو عمامة الى الانسحاب متجهاً الى منطقة فيقيق داخل المغرب الأقصى، فقلّ نشاطه وتشتت اتباعه وانصاره (٣٩) ، فانضم البعض منهم الى سي قدور بن حمزة رئيس الشراقة، والبعض الآخر انضوى تحت قيادة سي سليمان رئيس الغرابة، الذي قدم من المغرب الأقصى، وجزء ثالث من الثوار رابطو بفيقيق ونواحيها.

بقيت فرنسا خلال سنة ١٨٨٢ تلاحق جيوب الثورة، وتعاقب القبائل التي وقفت في وجه توسعها وآزرت بو عمامه في ثورته، كما لاحقت بو عمامه نفسه في فيقيق الذي رد عليهم بهجوم عنيف يوم ١٦ ابريل ١٨٨٢ في شط تقري، ضد البعثة الطوبوغرافية لرسم الخرائط العسكرية، التي كانت محاطة بحامية عسكرية ضخمة، ووقعت ملحمة كبيرة سقط على أثرها العديد من القتلى وتكبدت القوات الفرنسية خسائر فادحة في الأرواح والعتاد، ولم يتمكن الجيش الفرنسي من الانسحاب الا بصعوبة كبيرة. وقد خلدت السلطات الفرنسية هذه المعركة بنصب تذكاري لضحاياها وخاصة النقيب "باربيه" (BARBIER) والملازم "ماسون" (MASSONE) في سفح جبل عنتر قرب المشرية(٤٠) .

كان لهذه الهزيمة وقع كبير في الأوساط الاستعمارية وخاصة العسكرية منها التي منيت بالفشل الذريع أمام صمود ثورة بو عمامه التي اظهرت تفوقها مرة أخرى على القوات الفرنسية.

وبعد ذلك عملت فرنسا على استمالة أولاد سيدي الشيخ اليها وتفاوضت مع سي قدور بن حمزة عن طريق بوحفص لغواطي وتم الاتفاق بين الطرفين في شهر ماي ١٨٨٣ ، وينص هذا الاتفاق على الأمور التالية:-

أولاً : أن تقدم السلطات الفرنسية بتجديد بناء ضريح سيدي الشيخ، الذي نسفه القائد العسكري "دي نيقري" في أوت ١٨٨١.

ثانياً : أن تقدم السلطات الفرنسية تعويضاً سنوياً بمبلغ ستين ألف فرنك، لسي قدور وأفراد عائلته عما صودر منهم منذ عام ١٨٤٦.

ثالثاً : تعيين سي قدور على رأس قيادة كبيرة بالبيض وتعيين عدد من أفراد عائلته في مناصب أخرى تحته.

رابعاً : يقوم سي قدور وأفراد عائلته باقناع كل أفراد عائلة أولاد سيدي الشيخ الموجودين بالمغرب الأقصى بالعودة إلى الجزائر(٤١) .

وفعلاً فقد تم تطبيق هذا الاتفاق، وأعيد بناء ضريح سيدي الشيخ، ثم دخل سي الدين بن حمزة وابن اخيه سي حمزة بن بو بكر ومعهما عائلة أولاد سيدي الشيخ وكثير من المتمردين ليستقروا

(٣٨) A.M.G.H. 376., Lettre du Général SAUSSIER, Ct. le 19ème corps a Monsieur Le Général DELEBECQUE, Ct. la division d'ORAN, le 2 September 1881.

(٣٩) A.M.G..H 376, Rappord d'ensemble sure les opérations éxecutés du 8 au 16 November 1881.

(٤٠) يحي بو عزيز ، المصدر السابق ص ٢٥٥ - ٢٥٦ .

(٤١) A.H. NOEL, "Documents pour servire a l'histoire les hamyan" B.S.G.A.D' ORAN, N3,1916, PP. 18.20.

في الرتاب الجزائري[٤٢] . وكان هذا الاجراء يهدف إلى عزل بو عمامه.

ولكن الشاعر محمد بلخير يبين في قصيدته تشبث الشعب ببو عمامه لمواصلة الكفاح.

يا الفارس مشمتك عيد الاخبار

واش حال القرامي رايس القوم

البائك من البيض فرحة والأبشار

الشيخ اتبنى والا ما زال مهدوم

ثم يقول :

كان شي من الابطال أولاد بكار

لا تخلو نجع السلطان مقسوم

بو عمامه مولي سطوة وزيار

وابّاه بين أكتاب النبي المعصوم

بو عمامه يعطي تسبيح الأذكار

وبو عمامه سره للناس مفهوم

انت مرافقني في صحراء وقفار

وشاد اعلامك بيدي به محروم

استقر بو عمامه بمسقط رأسه في الحمام الفوقاني بفيقيق التي وصلها في شهر جويليه ١٨٨٣[٤٣] ، ليعيد تنظيم ثورته للمرحلة القادمة. لذلك تخوفت السلطات الفرنسية من هذا التحرك، وبعث الجنرال "سوسييه" قائد الفيلق التاسع عشر ببرقية الى حكومته بباريس، يدعوها فيها بأن تضغط على السلطان المغربي ليطرد بو عمامه من هذه المنطقة لأنه يشكل خطراً دائماً على الاستعمار الفرنسي في الجنوب الوهراني[٤٤] ، لذلك غادر بو عمامه فيقيق، واحتمى بسكان توات، واستقر أخيراً بدلول بواحة قورارة الى غاية ١٨٩٤، وبها انضم اليه انصار جدد واصل بهم الجهاد، ووقف في وجه التوسع الاستعماري كما قام بمراسلة مختلف القبائل الصحراوية من أقصى شرق الصحراء الى غربها يحثهم على الجهاد، كما اقترح عليه بعض قبائل الثورة بأن ينتقل اليهم ويقيم عندهم ليتعاونوا فيما بينهم لمقاومة زحف التوسع الاستعماري نحو الجنوب.

بعد نجاح الجنرال "توماسين" في مصالحة أولاد سيدي الشيخ، عمل على استقرار الوضع في المنطقة بتثبيت السكان وخاصة القبائل المرتبطة بهذه العائلة الدينية، حتى يسهل عليه الانتقال الى ابعد من السهول العليا الغربية الى اقصى الجنوب الوهراني، وانهاء الحرب والمناوشات الدائمة التي دامت حوالي عشرين سنة[٤٥] .

عملت فرنسا بعد ذلك على اعطاء السكان الصحراويين، نوعا من الاستقلال الذاتي، يتماشى ويتوافق مع نظام المكاتب العربية ضمن الحكم العسكري، حتى تعتمد عليهم في الاستيلاء على الصحراء، وتكوّن منهم قوة تمتاز بسرعة الحركة، مثل الثوار، بل تمتاز عليهم بحسن التنظيم، وقوة الأسلحة الحديثة، والدعم المادي وسوف تكون هذه الأداة الجديدة الفعالة في أيدي القوات الاستعمارية لتتوسع بها في الصحراء[٤٦] .

اهتمت السلطات الفرنسية منذ سنة ١٨٨٤م، بانجاز العديد من المشاريع، بعد ان تحصلت على مساعدات مالية من مجلس النواب الفرنسي، من أجل تثبيت أقدامها في المنطقة، وهذا بعد ان الحقت منطقة المزاب بنفوذها[٤٧] وايصال الخط الحديدي الى عين الصفراء، كما عملت على شق الطرق، واقامة الجسور وربط المناطق الجنوبية ببعضها البعض، حتى يسهل عليها التنقل بسرعة في حالة ما إذا قاومها السكان.

كما عملت السلطات الفرنسية على زرع الحصون والمراكز العسكرية في مختلف المناطق بعد ان تبيّن لها ان حاميات البيض

(٤٢) بو عزيز المصدر السابق ص ٢٥٥ - ٢٥٦ .

(٤٣) Le : Martinière et LACROIX, Documents, Tome II, P. 915.

(٤٤) A.O.M., 30 H 79, Télégramme du 10 Aout 1883.

(٤٥) A.O.M., 30 H 79, Confirmation d'um, Télé du 11 September 1883, .

(٤٦) AUGUSTIN BERNARD et N. LACROIX, La pénétration saharienne (1830 - 1906) ALGER, 1906, P. 95.

(٤٧) B.C.A.F., Juin 1898, PP. 200 - 201.

والأغوا وغرداية غير قادرة على حماية المناطق الجنوبية الشاسعة والمتمردة(٤٨) ، فقرر الجنرال "دليباك" في شهر مارس ١٨٨٥، اقامة مركز محصّن بجنان بو رزق، من أجل حماية الاتصالات بين عين الصفراء وفيقيق، وحراسة الواحات المغربية، ولذلك تم احتلاله بصفة نهائية في شهر جويليه ١٨٨٥ . كما قرر اعطاء دفعة جديدة لمركز عين الصفراء بربطة بالخط الحديدي الذي وصله ١٨٨٧م (٤٩) ثم بناء حصن القليعة عام ١٨٨٨م، وكل ذلك من أجل مراقبة المناطق الحدودية، ورصد تحركات بو عمامه الذي اتحد مع شريف مداغا بوادي قير ليعمل سويا على تأليب سكان الجنوب الوهراني وعشائر بني قير وأولاد جرير(٥١) .

لقد استعمل الاستعمار الفرنسي أساليب متعددة للاحتلال فمنذ سنة ١٨٨٩م، لاحت في الأفق فكرة جديدة، وهي احتلال الصحراء بالطرق السلمية الهادئة، وذلك باقامة المؤسسات الاقتصادية وانشاء المراكز في كل من توات وتايتكالت(٥٢) ، حتى تدخل هذه المناطق في قيود التبعية الاقتصادية للاستعمار. كما بدأت تكثف من دراستها لهذه المناطق للتعرف أكثر على جوانبها البشرية والجغرافية والمائية والاقتصادية وقد أرسل في هذا الاطار الأستاذ "فلامـــون" (FLAMAND) لاتمام أبحاثه ودراساته حول الجنوب.

لكن فرنسا لم تتخل عن أسلوبها العسكري العنيف في التوسع، فأنشأت في سنة ١٨٩١م مركزا عسكرياً دائماً بالمنيعة استعداداً للسطو على عين صالح وواحات توات، التي وصفها "جول قابون" أنها ملجأ للثوار، ولبو عمامه الذي التجأ اليها بحثا عن المساعدة وتأليب القبائل ضدنا. كما عملت السلطات الفرنسية على استمالة سي قدور بن حمزة زعيم أولاد سيدي الشيخ اليها ليساعدها على احتلال واحات توات(٥٣) .

اسدل الستار على هذا البطل الذي توفي بعين ملوك سنة ١٩٠٨، ويم يتغير طيلة جهاده بتغيير الظروف والاوضاع رغم المعاناة الشديدة التي تكبدها من جراء السياسة الاستعمارية الوحشية والنزاعات القبلية، التي يغذها الاستعمار الفرنسي من حين لآخر، ورغم أن فرنسا قد عرضت عليه الآمان، الا أنه رفضه وفضل الكفاح على الاستسلام.

وبذلك يعتبر بو عمامة من رجالات الجزائر الأفذاذ، الذين كافحوا الاستعمار الفرنسي بدون هواد، ويحتاج كفاحهم ونضالهم الى المزيد من العناية والدراسة لابراز بطولاتهم الى الأجيال الصاعدة.

والله ولي التوفيق.

---

(٤٨) GARROT, Histore generale de l'Algené, ALGER, 1910, PP 998-999.

(٤٩) LOUIS RINN, "Nos frontiéres saharienne", Extrait de la revue Africaine, ALGER, 1886, P.69.

(٥٠) A.BERNARD, N. LACROIX, OP-cit., P. 95.

(٥١) Journal l'Echo d'Oran, du Samedi 7 Juillet 1888. N 6153 .

(٥٢) A. BERNARD N. LACROIX, OP-cit., 102.

(٥٣) A.O.M., 30 H 81. Rapport du Gouverneur Général de l'Algérie, a Monsieur Le Ministre des Affaires Etrangéres, PARIS, ALGER, Le 10 Aout 1908.



بين التاريخ والسياسة
دراسة في الفكر السياسي العربي

د . احمد ظاهر
قسم العلوم الانسانية والاجتماعية جامعة اليرموك

- ١ -

تمهيد

قد تكون نقطة البداية في هذا الموضوع أن أذكر القارىء بأن ما أبحث به هو علمي التاريخ والسياسة، وأكد منذ البداية بأن ما أبحث به ليس سردا للأحداث، وليس سردا للأساطير،وليس سردا لمقولات تقال، وانما هو نوع من دراسة العلاقات بين الظواهر الطبيعية (بما في ذلك ما يتعلق بالانسان). وهو تعريف العلم بأشمل معانيه. ان تعريفي للعلم ينطلق من قاعدة واحدة فقط وهو دراسة العلاقات بين الظواهر الطبيعية بقصد الوصول الى نظريات تفسر لنا وقوع الظواهر والأحداث، وفي الوقت ذاته قادرة على التنبؤ بأحداث مستقبلية قريبة من الواقع سواء كان هذا التنبؤ سلبا أم ايجابا. ووعلى هذا الأساس يمكن أ ن أقرر منذ البداية أن هدف التاريخ كعلم انما الوصول الى نظريات تفسر وتتنبأ لنا ما وقع من احداث وتتنبأ بما يمكن ان يؤول اليه الأمر مستقبلا، والتاريخ في هذه الحالة لا يختلف عن السياسة كعلم حيث ان السياسة تقوم بوضع النظريات التاريخية في اطار الواقع العلمي، فاذا صح ما تقدم يمكن أن يقال (وهذه فرضية البحث) أن هدف التاريخ (عن طريق الوصول الى النظريات) هو بناء الفكر وهدف السياسة هو وضع الفكر في حالته العلمية، وعليه يمكن اثارة السؤال أين يقف التاريخ العربي والسياسة العربية من هذه القضية ؟ قضية الوصول الى نظريات ووضعها في التطبيق العلمي وهذا ما سيحاول هذا البحث الاجابة عنه، من خلال النظر في رسم مقارنة بين الفكر الغربي وذلك العربي ومسيرة كل منهما في تحقيق الأهداف.

- ٢ -

«حتى نفهم تاريخ شعب او نفهم تراثه، فيما يقول براتراند رسل، لا بد من فهم فلسفته» [١] ويعني رسل بذلك أن تاريخ الشعوب ليس مجرد قصص وأحاديث تروى للتسلية والترفيه، ولكنها أحداث نتعلم عن طريقها ربط النتيجة بالسبب، وهذا في الواقع هو جوهر المنهج العلمي الذي يتم عن طريق الاستقراء والاستنباط الأمر الذي يؤدي في نهاية المطاف لقيام بناء فكري شامل منه تنبع القوانين الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وحوله تدور الحياة المنظمة التي تعطي لافرادها نمطا من المعنى في ظل تلك القوانين. والمجتمع الذي يخلو من الفكر هو مجتمع بلا تاريخ والشعب الذي لا تاريخ له ولا يقوى على ممارسة الحياة السياسية.

ففي بلاد اليونان حيث ظهرت الفلسفة في القرن السادس قبل الميلاد بناء على الأحداث التاريخية، والتي لم تقتصر على دراسة الفرد وعلاقته بالطبيعة والمجتمع والدولة، بل تعدت ذلك الى ما وراء الطبيعة. حتى أساطيرها بنيت على اساس من الأحداث التاريخية. ولم يجعل اليونان من آلهتهم مجرد آلهة تعبد وتقدس عن طريق تقديم القرابين لها والتقرب اليها خوفا من عقابها وطمعا في ثوابها، بل فرضوا عليهادوراً عليها أ تجيده عندما يطلب منها حماية المدينة اليونانية. وعلى ذلك فقد بنى اليونانيون فكرا نتيجة أحداث التاريخ اليوناني ووضع هذا الفكر في التطبيق العملي من خلال دول المدن المتفرقة في بلاد اليونان. وعلى ذلك فان التاريخ اليوناني لم يكتب من وجهة نظر السلطة الحاكمة بل من وجهة نظر الاحداث التاريخية ونتيجة آثارها العملية. [٢].

(١) Betrrand Russell, **A History of Western Thought** (London : Schuster,, 1947), P. 17

(٢) For details of the Gree; philosophy, history, social and political thoughts see B. Russll, in **Ibid.**

الأحداث التاريخية بما فيها من هزائم وغنائم هي التي ينتج عنها الفكر والمفكرون، وتطبيق الفكر النظري في الحياة العلمية هو الذي يضع الأحداث التاريخية تحت المحك. فلقد تعلم اليونانيون على اثر هزيمتهم في معركة خيرونيا سنة ٤١٨ ق.م ان نظامهم السياسي بحاجة الى مراجعة، فانبرى كل من افلاطون وتلميذه ارسطو يتحدثان عن اي الأنظمة السياسية على اثينا اتباعها وهكذا.

وعلى الرغم من تقليص الحياة السياسية عند الرومان، وذلك لطبيعة الأحداث التاريخية التي قادت لنظام سياسي انبثق عن أوضاع اجتماعية وعسكرية، الا أن فكرا جديدا قد ظهر في روما مصبوغا بناحية عسكرية وممزوجا بالفكر اليوناني الارسطي العملي والروائي والانساني العالمي. فلم تعد روما تلك التي كانت في اثينا، ذات عدد سكان قليل، وطبيعة نظام متلائم مع الفكر السياسي اليوناني نتيجة احداث تاريخية آلت اليها بلاد اليونان، بل على العكس من ذلك تماما. حقاً لقد نظر الرومان الى « اهمية الدولة العالمية والتوسع العسكري والادارة العسكرية التي أدت الى نظام اجتماعي جديد يخلو من الطبقية، ونظام سياسي يدعو الى المساواة امام القانون ويكون فيه المواطن مواطناً بقدر ولائه للدولة العالمية من خلال القوة العسكرية اولا حتى عهد قسطنطين، ثم من خلال الادارة المدنية ثانيا في الفترة التي تلت عهد قسطنطين. وهذا بدوره يعني غياب الفلسفة القديمة والفكر القديم وأصبحت الأفكار التاريخية تصب في شيء واحد هو بناء فكر يهدف الى تدعيم القوة العسكرية والادارة المدنية [٣]. وشهدت الفترة الرومانية تغييرا كبيرا في المفاهيم الفلسفية اليونانية كمفهوم الحرية مثلا، وقويت بعض المفاهيم على حساب مفاهيم اخرى. فقد قويت المفاهيم الدينية وتضاءلت المفاهيم العقلانية التي لم تعد تخدم روح العصر الجديد. وارتفعت الصيحة الرواقية ذات الطابع الديني التي تصرح بأن واجب الانسان تجاه الله اهم بكثير من واجبه تجاه المدينة. وهي في الواقع فكرة قديمة ذكرها سوفكليس في مسرحية انتجون Antigon ولكنها لم تحمل على محمل الجد عندئذ. وقد قويت هذه الفكرة في الجزء الشرقي من الامبراطورية الرومانية الا انها لم تعد كذلك في القسم الغربي وان الأباطرة الكاثوليك في الجزء الغربي سرعان ما كان يحل مكانهم ما تعارف عليه التاريخ الغربي باسم «البرابرة الكفرة» [٤].

وتميزت الفترة التي عرفت «بعصور الظلام» (القرن الخامس حتى الحادي عشر) بصراع حاد بين البابا والملوك في القسم الغربي من الامبراطورية. وأخذ البابا يعد العدة في اخضاع الملوك في كل من اسبانيا وايطاليا وفرنسا وانجلترا والمانيا. وبنهاية حكم جريغوري السابع في نهاية القرن الحادي عشر اصبحت سيطرة البابا سيطرة فعلية وحقيقية شكل بموجبها رجال الكنيسة منظمة دينية قوية تقف ضد اي ملك يحاول تأييد وجهة النظر القائلة بان واجب الانسان تجاه مدينته اكثر الحاحا من واجبه تجاه الله. وبقيت السلطة قوية حتى سنة ١٣٠٠ والواقع ان هذا الصراع لم يكن صراعا دينيا فحسب ولكنه في واقع الأمر كان صراعا قديما دار بين الشمال والجنوب تجدد متخذا من الدين وسيلة [٥].

وعلى الرغم من أن القوة العسكرية كانت دوما في يد الملوك الا أن سحر الدين الذي استعمله البابا ضدهم جعلهم في صف المهزوم والمدافع عن ذاته على الدوام، وعليه فقد تنازل الملوك عن قوتهم العسكرية نوعا ما، الا ان قوتهم انبعثت من جديد عندما اشركوا القوى الجديدة التي ظهرت منذ القرن الحادي عشر كقوة التجار والاقطاعين ومكنتهم الآراء الدينية الجديدة والتي أتى بها مارتن لوثر وكالفن وغيرهم، حتى استطاع الملوك تبديل هزيمتهم بنصر منذ بداية القرن الخامس عشر وبظهور الحركات الفلسفية الجديدة التي بدأت منذ دانتي وحركة النهضة وعصر الاصلاح، ادى ذلك الى تغيير جذري سياسي بوجه عام، وتحولت القضايا السياسية التي كانت تدور في فلك الكنيسة لتنقل الى « يد الملوك. والواقع فقد ساهم عصر النهضة مساهمة فعالة في هذا التغيير الا ان ذلك لم يكن يعني التدهور الكامل في النظام السياسي الذي حدث في فترة الانتقال.

ففي القرون الوسطى كانت النظرية السياسية لا تخرج عن نطاق الكنيسة. وقد كانت القوة الدينية مركزة حول البابا، والقوة

(٤) B. Russell, Ibid. P. 631 and ofter

العلمانية مركزة حول الملوك والأمراء أما القرن الخامس عشر فقد خسر كل منهم قواه وبخاصة القوى الدينية، اذ لم يعد البابا في ايطاليا غير أمير أخر يصارع بقية الأمراء، أما ملوك اسبانيا وانجلترا وفرنسا فقد حصلوا على قواهم الذاتية ولم يستطيع البابا التدخل في شؤونهم.

والواقع فان غياب النظام السياسي قد أدى الى ظهور الدولة القومية كما اقترح الأمر ميكافيلي من خلال كتابه الأمير. الذي لا يزيد عن كونه نصيحة يقدمها الى أميرة من أجل بناء دولة قوية قومية. ومن القرن السادس عشر خضعت اوروبا لعصر الاصلاح الذي يعود الى عوامل عدة أهمها رفض دول الشمال الخضوع لسيطرة البابا. فالدين هو العنصر الذي سيطر على قبائل الشمال لفترة من الزمن الا انه عاد للتراجع والضعف على الرغم من بقاء البابوية كمؤسسة تأخذ ضرائبها من دول المانيا وانجلترا وغيرها، الا ان هذه الدول لم تعد تشعر بان البابا هو الذي سيحقق لها مكانة مرموقة في الجنة اذا دفعت أموالها للمؤسسة البابوية على غرار ما كان عند اصدار صكوك الغفران. اضف الى ذلك ان التغيير الاقتصادي والتقدم العلمي وما نتج عنه قد لعب دورا هاما في التمرد على الكنيسة [٦].

وبدأت الفلسفة الغربية الحديثة بديكارت الذي انطلق من أساس قائم على حقيقة وجوده وحقيقة فكره الذي بدوره يفسر هذا العالم. اما بيركلي وكانت وفخته فقد انطلقوا من حقيقة وجود ذواتهم وبذلك فقد حولوا النظرة الدينية الى نظرة ذاتية. هذه الفلسفة الجديدة أدت الى ظهور جماعة الآنابابتستس Anapaptists الذين أمنوا بأن الانسان الجيد دائما محمي من قبل الروح المقدسة، وعليه فانه ليس بحاجة لان يعتمد على أحد وبخاصة رجال الدين. وعلى الرغم من الهجوم العنيف على هذه الفئة في اوروبا والذي أدى الى قتل الغالبية العظمى منهم الا ان تعاليمهم المخففة نوعا ما انتشرت في هولندا وانجلترا والولايات المتحدة الامريكية وتعتبر الكويكرز (جماعة دينية جديدة) امتداد للآناباتستس وهم أقل ارتباطا بالدين. وكانت هذه الحركة الجديدة قد أثرت في كل من روسيا واسبانيا وايطاليا في القرن التاسع عشر ولكنها اصبحت الفلسفة الرسمية للولايات المتحدة الامريكية. هذه الفلسفة الجديدة ذات التحلل الديني ما زال لها أثر كبير حتى اليوم في الأوساط الغربية.

أما فلاسفة القرن الثامن عشر (عصر التنوير) فقد نادوا بالمعقول وفلسفته والتي تؤكد كمال الانسان وعدم حاجته الى أي قوة خارجية عن نطاق الطبيعة، كما تمثل الحالة في فلسفة كل من روسو وفولتير ومنتسكيو وغيرهم، وأكد فلاسفة آخرون، فيما بعد، على دور البطل وعبادة البطولة كما ظهر الأمر عند كل من كارلايل ونيتشه، واستفادت الحركة الرومانية من دعوة عصر التنوير ونظرت الى الأفراد بغض النظر عن كونهم أعضاء في الجماعة. وأما الليبراليون وعلى رأسهم جون لوك فقد حاولوا التوفيق بين الفرد والدولة على اساس ديموقراطي وليس على أساس تسلطي خلافا لما ذهب اليه رجالات عصر التنوير الذين أعلوا من شأن الفرد على حساب الدولة وفي الوقت ذاته أصر فريق أخر على ضرورة عبادة الدولة واعتبارها ظل الله على الأرض وذلك لانها تشكل الصالح العام، وفي ذلك عودة أشبه ما تكون بالنظام الكنسي الذي ساد العصور الوسطى كما فعل كل من توماس هوبس وجان جاك روسو وجورج هيجل. وعلى الرغم من اختلاف وجهة النظر الماركسية عن هذه المدارس في دعوتها لحتمية زوال الدولة الا ان دعوتها كانت نابعة من فكرة عبادة الدولة.

من هذا الاستعراض التاريخي للفكر الغربي يلاحظ اختلاف المدارس الفكرية من حيث التعليم من احداث التاريخ من أجل الوصول الى نظريات يضعها الفكر السياسي ضمن اطار التطبيق العملي كما حدث في كل فترة من فترات التاريخ الغربي. وتدور النظريات التاريخية وتطبيقاتها السياسية العملية حول الذين يؤيدون فكرة «تطبيق الحياة الاجتماعية وأولئك الذين يوسعونها»، بين أولئك الذين يفضلون السلطة الكنيسية أو سلطة الدولة، سواء كانت شرعية أم غير شرعية، وأولئك الذين يسمحون للفرد بأن يكون سلطان نفسه. وما زالت النظريات الناتجة عن الأحداث التاريخية وتطبيقاتها السياسية تدور حول هذه المبادىء وغيرها من المفاهيم المتعلقة بالحرية والعدالة والمساواة والسلطة والشرعية وما الى ذلك. وقد يكون من الافكار الرائدة في تحليل المواقف التاريخية

(٦) لمزيد من تفاصيل هذه الفترة وما ينتج عن التقدم العلمي والتغيير الاقتصادي انظر في احمد ظاهر، **دراسات في الفلسفة السياسية** (اربد الكندي، ١٩٨٨)، الفصول، التاسع والثاني عشر.

وتطبيقاتها العملية قول برتراند رسل الذي يصف تطور وخمود المجتمعات كما وصف الأمر بالقول:

... وبشكل عام فان الحضارات العظيمة تبدأ بنظام جامد تسوده الغيبيات، وبعد مدة وجيزة يتغير الأمر بعيدا عن الجمود والغيبيات، مما يؤدي الى فترة من العبقرية الفذة، وبعد فترة يبقى جزء من جودة التقليد القديم وتدخل عناصر سيئة للغاية وعندما تتكاثر العوامل السيئة تدب الفوضى ويظهر حكم الطغاة مما يؤدي الى بروز نظام جديد يتصف بالجمود والتصلب (٧).

وهكذا كان الحال وما زال بالنسبة للفكر الغربي، ترى ما هو المسار الذي سار به الفكر العربي الاسلامي؟

- ٣ -

لقد سار الفكر العربي الاسلامي مسيرة مختلفة عما سار عليه الفكر الغربي. فالأحداث التاريخية التي سبقت ظهور الاسلام تميزت بصراع القبائل العربية وذلك كما اقتضته الظروف الاقتصادية من جهة ولما اقتضاه الفكر العربي الذي انحصر في تقوية العصبية القبلية الواحدة من جهة ثانية. ولم تستطع القبائل العربية تحقيق أي نوع من الوحدة الوطنية الواحدة باستثناء ما كان يقوم بين بعضها من تحالفات ثنائية او ثلاثية ضد تحالفات أخرى، حتى ان الأمر تعدى ذلك لتنوع آلهتها التي تنصاع اليها اذ كان لكل قبيلة رمزها الديني الممثل في وثنها. وكانت الأساطير غالبة على التفكير القبلي في الفترة التي سبقت ظهور الاسلام (٨).

ان الفكر العربي، ان صح ان يقال ان هناك فكر عربي في تلك الحقبة الزمنية، فقد كان فكرا ذاتيا لا يعدو النظر في الامور المصلحية الفردية الآنية الممثلة بمصلحة شيخ القبيلة وأتباعه، ولم يكن يرقى الفكر لتفسير نظرة الانسان الى مجتمعه او علاقته بالكون وما بعده. وكان الفكر الاجتماعي لا يزيد عن معرفة العلاقات النسبية بين الأفراد وتقسيماتها الى رفيع ووضيع، ولم يزد الفكر الاقتصادي عن النظر ابعد من الخيمة والماشية التي يعتمد فيها العربي على مأكله وملبسه. وقد عبر الأدب العربي عن تلك الفترة الزمنية خير تعبير في الأوصاف التي كانت تحصر في المدح او القدح من جهة او في وصف الناقة والخيمة وأطلال المحبوب وهكذا.. ولم يكن للعربي في الصحراء فلسفة قائمة بذاتها او مشاركة في حضارة عالمية ولم يعرف العرب صناعة من الصناعات او علم من العلوم الا في معرفة الانساب الذي لديهم الى حد العلم.

وجاء الاسلام ثورة اجتماعية داعيا الى وحدة القبائل تحت راية الاسلام وموجها صراع القبائل الى خارج حدود الجزيرة العربية، الا ان الاسلام نفسه قد تعايش مع الحياة القبلية الى حد كبير. فعلى الرغم من تقديمه لمناهج جديدة في الحرية والمساواة والعدل ومبادىء الحكم، الا ان الروح العصبية والنعرة الجاهلية بقيت في نفوس المسلمين من العرب. فعلى الرغم من امتداد رقعة الدولة الاسلامية نتيجة فتوحاتها ونشر مبادئها بالاقناع او بالاكراه، الا انها لم تتعلم جيدا من أحداث تاريخها على وجه الخصوص وتاريخ الامبراطوريات التي سادت قبلها. فالامبراطورية (الدولة) الاسلامية العربية كانت دولة ملكية مطلقة تحت سلطة الخليفة. وقد كان الخليفة يختار اختيارا صوريا في الفترة الوجيزة التي عرفت بفترة حكم الخلفاء الراشدون، الا ان الأمر تغير تغيراً جذريا في العصور اللاحقة وعلى وجه التحديد منذ بدء الخلافة الأموية الذي امتد حكمهم حتى سنة ٧٥٠م وأصبح الحكم بها وراثياً والأهم من هذا وذاك فقد بدأ الشرخ الكبير يدب في دولة الخلافة منذ ان تولى الخليفة الثالث عثمان بن عفان الحكم، وتبع ذلك معارك صفين والجمل وصراع السنة مع الشيعة، ثم انقسمت الأعراب على ذواتها أثناء حكم الدولة الأموية بين قيس ويمن مؤيدين ومعارضين لحكم بني امية، وتساءلت فرقة المعتزلة عن حرية الانسان وارادته، وشككت في طبيعة حكم بني أمية الأمر الذي دعا حلفاءها الى محاربتهم والوقوف أمام تساؤلاتهم بقوة وحزم.

وخلفت الدولة العباسية تركة الدولة الأموية في حكمها للعالم الاسلامي باستثناء اسبانيا التي حكمت من قبل احد الأمويين الفارين من وجه العباسيين. واذا كانت الدولة الأموية قد ناصرت

(٧) Bertrand Russil, Ibid.

(٨) لمزيد من التفاصيل انظر في جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ط٢ (بيروت، ١٩٧٣).

السنة وأعلت من شأن العربي على حساب الأجناس الأخرى، فان الدولة العباسية كانت دولة شيعية اعتمدت على الأجناس الأخرى (وبخاصة الفرس والترك) وقد وصلت قمة الحضارة الاسلامية على زمن هارون الرشيد أما من تبعوه فقد عانوا من سيطرة الجند الذين استبدلوا بالعنصر التركي أو الفارسي حتى أضحى الخليفة في نهاية المطاف بلا قيمة تذكر، يعيّن او يطرد او تسمل عيناه او يصبح متسولا في الشوارع، وكان آخرهم قد أعدم على يد المغول عند سقوط بغداد سنة ١٢٥٨م.

ان الاحداث المتتابعة في تاريخ الدولة الاسلامية حتى سقوط بغداد وما تلاها لم تسفر عن بناء فكر قادر على تنظيم الحياة السياسية والاجتماعية وان كانت الأمور تبدو على السطح وكأنها تسير على خير وجه. وينظر المؤرخون في العادة للفتوحات الاسلامية او حركة الترجمة والتأليف التي حدثت في الفترة الأولى من الدولة العباسية كمقاييس ثابتة للدلالة على حسن سير الأنظمة السياسية والاجتماعية في الدولة الاسلامية. والواقع فان النظام السياسي والاجتماعي الاسلامي العربي كأي نظام آخر فيه عوامل تبنى من أجل ديمومته واستمراره وأخرى تعيق نموه. ولكن بيت القصيد ان الأحداث التاريخية التي لا يتعلم منها القائمون على الأمر قد تكون عنصرا اساسيا في عدم بناء فكر مميز وهو هدف التاريخ في المحل الأول وبالتالي فان دخوله في التطبيق العلمي يكون مصيره الضعف والتفتت. فالنظام السياسي الذي تركز في يد الخليفة مثلا لم يكن يسمح لايجاد البديل بعد موته.

الأمر الذي كان على الدوام، يؤدي الى نزاعات بين أبناء الخليفة من جهة والمؤيدين لكل طرف من أطراف النزاع من جهة أخرى. فعند موت الخليفة تقوم الفتن لسد الفراغ حتى يتمكن أحد الأقوياء من ازالة المعارضين جميعا الأمر الذي انتهى، فيما بعد، الى تشرذم الدولة ومطالبة اجزائها بالاستقلال او بالحكم الذاتي فانفصلت كل من اسبانيا وبلاد فارس والشمال الافريقي ومصر.

اذا كان الفكر العربي في الفترة التي سبقت ظهور الاسلام قد تميزت بعصبية أدت الى صراع القبائل العربية معا، ورفعت من شأن الحسب والنسب وعمقت شعور الولاء للقبيلة، ومنعت حرية الفرد واستقلاله في سبيل الحرية الجمعية القبلية، ولم يكن تاريخ العرب سوى تاريخ الصراع القبلي، فان الفترة التي تلت ظهور الاسلام لم تتجاوز هذه القضايا كثيرا. فعلى الرغم من ان الاسلام اتى بفكرٍ جديد محاولا تغيير الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، الا انها جميعا عادت لتقع في اطار التاريخ الذي سبق ظهور الاسلام. واذا كان الاسلام قد اهتم بالفرد والمجتمع وأقر مفهوم العدالة بين سائر معتنقيه، وعمد الى تذويب القبلية في سبيل المجتمع الاسلامي الكبير، وشجع العمل والتجارة ووضع لها قوانين معينة لبناء اقتصاد الدولة الاسلامية وأقر نظام الخلافة والشورى والولاة والقضاة مكملا صورة النظام الاداري، واذا كان قد حاول تطبيق هذه المفاهيم في فترة دولة المدينة، الا ان الخلاف السياسي والفتن الداخلية قد باعدت الشقة بين المفاهيم النظرية وتطبيقاتها العملية. فقد ظل الصراع القبلي على اشده، وظل شعور الفخر بالانتساب الى القبيلة وعمقت الولاء للقبيلة المؤيدة او المعارضة للنظام السياسي، وكانت القوة هي الشرعية الوحيدة التي بني عليها نظام الحكم. وأضف الى ذلك فان التاريخ وأحداثه لم تكتب الا من وجهة نظر واحدة فقط وهي وجهة نظر الحاكم وسلطته. وعلى ذلك فالفكر كتأمل عقلي خالص يفسر علاقة الانسان بالانسان وبالسلطة الحاكمة لم يكن سوى ذلك الذي له صلة بالحاكم وتوجيهاته. وظهرت طبقة دينية أشبه ما تكون بالطبقة الكهنوتية تشرع وتفسر للحكام ما يرضيه.

وقد لعبت الطبقة الدينية دورا، وما زالت، في اضفاء الشرعية للحكم من جهة وفي طمس الفكر وعدم الخروج عما هو مألوف ولهذه الفئة دور مميز في كافة الحضارات من حيث أنها فئة عازلة بين الحاكم والمحكوم، فهي التي تقرر من سيخلف من، ومن سيلعب الدور السياسي على غرار ما حدث في عهد اخناتون الذي حول الديانة الثنائية الى أحادية، وكان عليه مجابهة هذه الفئة التي أدت في نهاية المطاف لمصرعه.

وعلى الرغم من هذا وذاك الا ان احدا لا يستطيع انكار ادوار لأفراد معينين او جماعات معينة شكلت معارضة في وجه السلطة الحاكمة وكان مصيرها دائما مصيراً غير محمود العواقب. فالجعد بن درهم، أحد كبار المعتزلة الذي أقر بأن ارادة الانسان هي التي أتت بحكم بني أمية وليست ارادة الله، كان مصيره ان يذبح

في الجامع الأموي يوم العيد الأكبر. وصارع غيره محاولا التوفيق بين الامامه وأعمالها في سبيل مصلحة الأمة الاسلامية في وحدتها وتجنبها للفتن. فقد أفتى ابن تيمية بأن لا مانع من وجود حاكم غير قرشي وغير عادل تجنبا للفتن. وكفر المغول وهم مسلمون سنة، لأنهم عاثوا في الأرض فسادا ورفض العز بن عبد السلام حكم المماليك حتى يشتريهم الخليفة ويحررهم.

ان بيت القصيد في الأمر ان الفكر الناتج عن الأحداث التاريخية لم يكن له أي تأثير على الدولة الاسلامية في مراحل تطورها وانما الفكر الممزوج بالعادات والتقاليد من جهة وبالآراء الفلسفية او الأساطير الفارسية من جهة أخرى هو الذي لعب الأدوار الفكرية وتطبيقاتها العملية. فلم يعتمد الفكر على تسلسل الأحداث التاريخية بعد استخلاص عبرها ونتائجها وانما كان يقوم بناء على اطار مرسوم من قبل الحاكم وفئة المستشارين الذين يحاولن في الغالب، حجب الحاكم عن المحكوم. وعلى ذلك فقد بقيت الدولة الاسلامية سائرة على النمط الذي تواجد في العصور الوسطى المسيحية في مقاطعات أوروبا ولم يحدث شرخا بين العلاقتين الدينية والدنيوية كما حدث في عصر النهضة الأوروبية. حقا لقد استفادت أوروبا من تاريخها الطويل فنهجت نهجا آخر غير ذلك الذي كان في العصور الوسطى، وبنت فكرا مميزا كان قادرا على الخروج من الأزمات السياسية والاقتصادية والاجتماعية منذ القرن السادس عشر الميلادي. ان السؤال الذي سأطرحه فيما تبقى من هذه الورقة هو الى اي حد استفاد العالم العربي من تعلم الأحداث التاريخية وبناء فكر قادر على ان يدخل حيز التطبيق العلمي في القرن العشرين بعد نيل استقلاله؟

- ٤ -

الفكر العربي في القرن العشرين

والفكر العربي الحديث ليس بمنأى عن التيارات التراثية التي سبقته. ونقصد بالفكر العربي هنا التيارات الفكرية الحديثة منذ القرن التاسع عشر والتي كانت وما زالت أفكارا ممزوجة بآراء مختلفة من الغرب والشرق. واذ كان الفكر الناتج عن الأحداث التاريخية يتحدد من خلال الموروث الثقافي ومكوناته والوسط الاجتماعي وتغيراته ومحاولة رسم خط جديد للمستقبل، فان الفكر العربي الحديث، وان تميز بتشويه الأحداث التاريخية، فانه لم يستطع ان يرسم صورة تفسيرية للكون والانسان، حتى انه كان وما زال عاجزا، عن تحديد علاقة الفرد بمجتمعه وبالدولة.

ان الفترة التي خضع فيها الشرق العربي للاستعمار ولدت طرقا واستراتيجيات جديدة للوقوف أمام الأحداث ولكنها كانت طرقاً واستراتيجيات لا تقوم على نظرية او مجموعة من القواعد التي تستطيع تفسير هدف التخلص من الاستعمار. واذا كانت النظرة العربية محصورة في التخلص من الاستعمار من اجل التحرر، فما الذي قصده القائمون على الأمر بالتحرر؟ لم تكن النية، في الاعتقاد، بالتحرر من اجل قيام نظام سياسي واجتماعي واقتصادي متكامل وان كان ذلك قد ذكر عرضا وظل الأمر على الورق حتى بعد ما سمي بالاستقلال. وعلى الرغم من المحاولات التوفيقة التي قام بها جمال الدين الأفغاني وعبد الرحمن الكواكبي ومحمد عبده الا ان محاولاتهم لم تسفر عن بناء فكر قادر على تفسير علاقة الفرد بالمجتمع والدولة واذا كانت الحركات الدينية كالسنوسية والادريسية والوهابية وغيرها من الحركات التي حاولت الرجوع الى الأصول الدينية لتحقيق اهدافها في التخلص من الاستعمار وبناء وحدة وطنية ودولة فتية على غرار الدولة الاسلامية في عصرها الذهبي، الا ان هذه الحركات لم تستطيع التطورات الجديدة في القرن التاسع عشر عما كان عليه الوضع في القرن التاسع عشر. فعلى الرغم من تشرذم الحركات الدينية والقومية منذ عشرينات القرن العشرين، الا ان هذه الحركات لم تستطع تحقيق أهدافها سواء في اقامة الدولة الاسلامية او الدولة القومية الواحدة. وقد صرفت هذه الحركات وقتا كبيرا، وما زالت، في صراعها مع بعضها بعض. وعلى الرغم من المحاولات التي كانت تطمح في توفيق الحركات الدينية والقومية، الا ان هذه المحاولات قد باءت بالفشل كما حصل الصراع بين جماعة الاخوان المسلمين والقوميين ناصريين وبعثيين. وقد زاد الصراع داخل الجماعات الدينية نفسها كما ان الصراع داخل الحركات القومية قد سار في نفس الطريق الأمر الذي لم يسفر عن تشرذم اكثر وصراع أعمق. وما زال الأمر قائما بين الجماعات الدينية والجماعات القومية التي تمسك بزمام الأمور حتى الوقت الحاضر.

ترى الحركات الدينية في الاسلام اساساً لقيام دولة اسلامية متحدة على ان تكون مكتفية ذاتيا، بينما يرى منظرو وسياسو القومية ان الوحدة العربية أساساً لتحقيق الدولة العربية الموحدة.

ويهدف التياران (الديني والقومي) الى الوحدة على الرغم من اختلاف أيديولوجياتهم واستراتيجياتهم. وبينما تنبع الأيديولوجية من الأوضاع التي سادت قديما في العالم الاسلامي، متخذين من جانب العظمة الذي أصاب الدولة الاسلامية والذي صوره المؤرخون المسلمون قاعدة عامة لتوحيد العالم الاسلامي، بينما اعتمد دعاة القومية على عظمة العروبة التي حملت الاسلام على اكتافها ونشرته غربا وشرقا كقاعدة لقيام الوحدة العربية والدولة العربية، وللخروج من المحنة التي يعاني منها الاسلام المسلمون، يرى المتدينون، لا يتم الا بانشاء الدولة الاسلامية، بغض النظر عما آلت اليه الأحداث التاريخية وما تعلمه المسلمون من تلك الأحداث وما رسموه عمليا في مختلف الفترات التاريخية للدولة الاسلامية. «ان غياب الاسلام عن الحياة العملية» فيما يقول دعاة التيار الديني هو السبب الأساسي الكامن وراء محنة الاسلام والمسلمين [٩].

ويرى التيار الديني ان العالم العربي في القرن العشرين يعيش في جاهلية. وتعني الجاهلية عندهم عبودية الانسان وطاعة الانسان بدلا من طاعة الانسان لله. والمقصود بذلك ان الانسان العربي مجرد عبد للنظام السياسي الذي يسيّره الحاكم، الأمر الذي جعل العالم العربي يحول الانسان الى مخلوق آلي يتحرك بناء على طلب السلطة السياسية القائمة [١٠].

وكان التيار الديني على وفاق مع التيار القومي في الأربعينات من هذا القرن، الا ان الخلاف قد بدأ يدب بينهما في أوائل الخمسينات حتى حصل الطلاق بينهما في الستينات عندما قرر دعاة التيار الديني ان القومية لا تزيد عن كونها «العوبة استعمارية» تقف ضد الدين [١١].

ان الطلاق بين التيارين المتصارعين أوجد فئة جديدة أطلق عليها محمد الغزالي اسم القوميون العلمانيون والذين هم على حد قوله:

ليسوا عربا وليسوا غير ذلك، ليسوا أمريكيين كما أنهم ليسوا روسا، وهم أسوأ الأنواع التي تعيش بين ظهرانينا.. يتكلمون لغتنا.. وينقنقون كالضفادع بأصوات عالية.. ولا بد من تمزيق أقنعة وجوههم.. فهم يناصرون القومية ضد الاسلام الذي هو رسالة العرب الحقيقية [١٢].

أما التيار القومي فهو التيار الماسك بزمام الأمور السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وفي الوقت ذاته تيار حائر كونه قوميا وكونه دينيا، ويحاول باستمرار القيام بعملية توفيقية بينها والواقع فان فلسفة الحكم في المنطقة العربية ليست فلسفة مستمدة من الأحداث التاريخية او الواقع الاجتماعي السياسي، وفي الوقت ذاته فهي ليست فلسفة قادرة على ربط الفرد بمجتمعه وبالدولة. وفوق هذا وذاك وحيث غياب الفلسفة العملية، فان الدولة غير قادرة على خلق المواطن بمعنى الفرد القادر على ان يحكم ويحكم، اي ان يحكم عن طريق طاعته للقانون. ان الحكم في المنطقة العربية وأنظمته السياسية المتعددة، منذ ظهورها، لا تزيد عن كونها محاولات توفيقية بين الدين والعادات والتقاليد مرة وبين الدين والفلسفة مرة ثانية، وبين الدين والقومية مرة ثالثة، وبين الدين والمذهب الاشتراكي أو الرأسمالي مرة رابعة، او بينها جميعا، الأمر الذي لا يؤدي الا الى مزيد من التيه وفقدان الهوية. وبالفعل فان العالم العربي في القرن العشرين عالم فاقد الهوية.

(٩) انظر في ذلك قتحي يكن، **ماذا يعني انتمائي للاسلام**، (بيروت: ١٩٧٧) وكذلك كتابه الآخر بعنوان، **المسألة اللبنانية**، (بيروت: ١٩٧٩)، وانظر ايضا في هذا الصدد في نحمد مهدي شمس الدين، **بين الجاهلية والاسلام**، (بيروت: ١٩٧٥)، وكذلك كتابه بعنوان **العلمانية**، (بيروت: ١٩٨٠)، وانظر ايضافي ابو الأعلى المودودي، **الاسلام والمدينة الحديثة**، (بيروت: ١٩٧٨)، وكذلك كتاب اية الله الخميني، **الدولة الاسلامية**، (بيروت: ١٩٧٩).

(١٠) للتعرف على نظرية الجاهلية انظر في كتب المودودي التالية: **الجهاد في الاسلام، الاسلام والجاهلية، قواعد الحكومة الاسلامية**، وقد ترجمت هذه الكتب من الاردية والانجليزية الى العربية في الخمسينات. وانظر كذلك في ابو الحسن الندوي، **ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟** (بيروت: ١٩٥٠)، وكذلك انظر في سيد قطب، **في ظلال القرآن**، (بيروت: الشروق، ١٩٥٧).

(١١) انظر سيد قطب، **معالم على الطريق**، (القاهرة، ١٩٦٣).

(١٢) محمد الغزالي، **مع الله**، (القاهرة، ١٩٥٩)، ص ٢٥٤.

وما المحاولات التوفيقية او القومية او الدينية الا محاولات لسد الفراغ الذي يعاني منه الساسة والسياسيون، والوطن والمواطنون. ان دعوة الكاتب هنا للعالم العربي تكمن في اكتشاف هويته عن طريق بناء فكر ناتج عن الأحداث التاريخية ووضع هذا الفكر في التطبيق العملي. ان الدعوة الى فهم جديد للتراث الاجتماعي العربي قد يساهم في زوال غموض هوية هذا الجزء من العالم، ولكن احياء التراث بحذافيره واعادة تطبيقه كما يظن القائمون على الأمر بانه كان عصرا ذهبيا، فان عملية الاحياء تتطلب خلقا جديدا او بعثا من القبور، الأمر الذي لا يكون الا اذا كان القائمون على الأمر آلهة لهم القدرة على اعادة الخلق، وهو امر من قبيل المستحيلات. ان التيارين المتنازعين، حتى الآن لم يحقق اي منهما غرضه، والذي سيزيد الأمر تعقيدا هو رسم كل منهما لذاته اطار لا يخرج عنه. فالتيار الديني غير مستعد للتنازل عما يعتقد به، والقوميون متمسكون بقوانينهم البروقراطية التي تحافظ على أمن واستقرار انظمتهم السياسية. ويلاحظ ان صراع التيارين القومي والديني في العالم العربي سيستمر الى ان يتنازل احد الطرفين للآخر. فان تنازل التيار الديني فان هذا يعني فصل الدين عن الدولة وقد يكون ذلك طريقا لتحقيق بناء فكري حديث قادر على بناء دولة حديثة، وان تنازل دعاة التيار القومي، وتسلم المتدينون زمام السلطة، فان هذا يعني دعوة المجتمعات العربية للحياة في الماضي السحيق. وقد يكون تعاون التيارين معا مخرجا لورطة العرب، حتى وان اختلفت استراتيجيات كل تيار منهم، الا ان هذا لا يتم الا في جو ديمقراطي يبيح للتعددية نماء وقوة، ولكن المناخ الديموقراطي بعيد كل البعد من حياة كلا التيارين. فعندما يتعلم العربي المسلم طرق الحوار العلمي القائم على صياغة منطقية واقعية دون التأثر بخيالات لا تمت للواقع بصلة، قد يكون ذلك طريقا للوصول الى الأهداف وتحقيقها. ان الأوضاع الحالية في العالم العربي تشير وبوضوح الى عدم قدرة العرب على بناء واضح يفسر علاقة الحاكم بالمحكوم وعلاقة الدول بعضها ببعض. وقد يكون حل المعضلة قائم على ضرورة دعوة استعمارية جديد للقيام بمهمة بناء الفكر لهم، الأمر الذي يستحيل وجوده.

الحركة الإسلامية المعاصرة في المملكة الأردنية الهاشمية

د. رناد الخطيب عياد
المستشارة الثقافية لاتحاد المؤرخين العرب

الحركة الاسلامية المعنى، النشأة، التطور

مصطلح الحركة الاسلامية حديث الاستعمال الا ان مضمونه مرتبط ببدء الدعوة الاسلامية وإذا اردنا ان نحدد مفهوم المصطلح المعاصر فينبغي علينا ان لا نفصله عن التيار الاجتماعي الذي يحمل الاسلام داخل المجتمعات الاسلامية او خارجها [١].

وكذلك يقصد بالحركات الاسلامية مجموعة التنظيمات المتعددة المنتسبة الى الاسلام والتي تعمل في اطار نظرة شمولية للحياة البشرية وتجاهد باعادة صياغتها لتنسجم مع توجيهات الاسلام [٢] فالحركة الاسلامية بهذا المعنى هي تيار اسلامي تجديدي داخل المجتمع الاسلامي نفسه ويمكن اعتبارها عالمية النطاق لأنها تيار يتفاعل مع المجتمعات غير الاسلامية وتفيد الدراسات المتخصصة في علم الاجتماع السياسي ان الجمهور لا يتحمس اي حركة الا اذا تحقق فيها شرطان: الأول ان يفهم الجمهور مقاصد الحركة واهدافها، والثاني ان يجد الجمهور لدى الحركة حلا لمشاكله الحقيقية التي يعاني منها [٣] لذلك ينبغي على الحركة الاسلامية ان تعرض نفسها على الجمهور في صورة واضحة ومفهومة وميسرة والحركات الاسلامية تختلف في الاساليب والوسائل التي تتبناها وفي ترتيب اولويات ومراحل العمل.

وجدت الحركة الاسلامية منذ بدأ النبي محمد صلى الله عليه وسلم الدعوة في مكة المكرمة وانتقلت بعد ذلك الى المدينة المنورة حيث تم هناك وضع اللبنة الأولى لوجود كيان المجتمع الاسلامي ومع اتساع الرقعة الجغرافية الإسلامية اصبحت بيئة الحركة الاسلامية تشمل المجتمع الاسلامي بأسره [٤] وقامت الخلافة بعد وفاة الرسول عليه السلام تمثيلاً لمفهوم الاتجاه الاسلامي للسلطة والخلافة باقرار مبدأ الاختيار والشورى في الحكم في اختيار ابو بكر للخلافة وقد استمر المبدأ طول فترة العصر الراشدي ثم حصلت فتنة بعد ذلك هي في حقيقتها صراع بين المفاهيم الاسلامية والقبلية وقد مثل الصحابة الاتجاه الاسلامي بينما مثلت القبائل والامصار المفاهيم القبلية وقد لعبت الفتنة وفترة الحكم الراشدي القصيرة وظروف الفتوح دوراً كبيراً في عدم اكتمال الجسم السياسي للمؤسسات وتنظيم النشاط السياسي.

وهذا يفسر سبب تغيير اسلوب الاختيار وعدم تحديد واضح لوظائف الخليفة وسلطاته واسلوب تنحيته اذا استوجب الأمر وعلى الرغم من ان الصراع بين الاتجاه الاسلامي والقبائل كان موجودا في العصر الراشدي الا ان الاتجاه الاسلامي كان الأقوى وفرض نفسه بالنهاية [٥].

أما في العصر الأموي فان الصورة اختلفت بحيث ان الصراع بين الاتجاه الاسلامي والقبائل وكذلك مبدأ الوراثة الأموية في الحكم اخذ بعداً كبيرا داخل التيار الاسلامي المتنامي في تلك الفترة فمثلاً نلاحظ ان الاتجاه الاسلامي قد التزم بالطاعة خلال ولاية معاوية لكنه ما لبث ان انهار عندما قام معاوية بتولية ابنه يزيد فبدأت تزداد المعارضة بين الاتجاه الاسلامي والقبلي.

وقد اتجه الأمويون الى مصدر شرعي لاسناد خلافتهم لأنها لم تنتقل إليهم عن طريق الشورى التي رفعت شعارها الحركات

(١) عزت جرادات، ص ٤٨.

(٢) عبد الله النفيسي، ص ١٧٩ ـ ١٨٠.

(٣) المرجع نفسه.

(٤) عزت جرادات، مرجع سابق ص ٤٨.

(٥) خير الدين بوجه سوى، ص ١٩.

المعارضة فاكدوا على فكرة الجبر وان الخلافة انتقلت اليهم بتقدير الهي واعتبروا الخليفة هو خليفة الله وحدث ما حدث ابان الفترة الأموية في التنازع على السلطة بحيث انتهت خلافاتهم دون أن تستقر المؤسسة السياسية على شكل معين وبقيت على ما هي عليه فلم تظهر مؤسسات سياسية ترسخ قواعد الخلافة وتضمن استقرارها الا ان الأمويين لم يستطيعوا بناء دولة المؤسسات في التعبير الحديث وصاعدت المعارضة من حدة التركيز على الاختيار والمساواة والشورى والحكم بالكتاب والسنة والعدالة وبقي الأمويون حتى نهاية خلافتهم يركزون ويؤكدون على ولاية العهد وعلى فكر الجبر (٦).

ثم قامت الخلافة العباسية نتيجة لتوسع التيار الاسلامي في المجتمع فكانت الثورة العباسية اسلامية الدعوة ممثلة للاتجاه الاسلامي وقد اشترك فيها العرب والموالي وقد اكدت الدعوة العباسية على العدل والمساواة وتطبيق احكام الكتاب والسنة والرضى عن ال محمد هذا الشعار الذي اسقط فيما بعد.

غير ان تطور الخلافة في العصر العباسي الأول كان نتيجة لعلاقات معقدة بين عدة قوى هي العباسيون والموالي (الفرس) والاتجاه الاسلامي العام (الفقهاء) وقد اسقط العباسيون فيما بعد مبدأ الشورى وعينوا ولاة للعهد مما ادى إلى صراع داخل الأسرة العباسية، وانفجر هذا الصراع بين الأمين والمأمون، وحسمت القوة العسكرية الأمر وكان بداية تدخل الجيش في السلطة (٧) وبقيت الصراعات المتشعبة الأطراف تتفاعل داخل مؤسسة الخلافة العباسية وظل الخليفة العباسي يمثل رمزاً للكثير من الحركات الاسلامية وقد ظهرت بعض الرموز السياسية مثل الأمة، دار الاسلام، والخلافة التي بقيت سائدة حتى الحرب العالمية الأولى التي كانت بمثابة القشة التي قصمت ظهر البعير للمؤسسة الاسلامية او بمعنى آخر الدولة الاسلامية التقليدية لكن الحركة الاسلامية ادركت نهاية الخلافة الاسلامية انذاك قبل نهايتها اي منذ النصف الثاني للقرن التاسع عشر، فبدأت حركة الجامعة الاسلامية التي سعت ودعت إلى احلال ايدولوجيات للتضامن والتنسيق السياسي والثقافي بين المسلمين محل المساعي التاريخية التي ظهرت علائم فشلها وعمقها في توحيد الأمة الاسلامية في دولة واحدة (٨). وقد انبرت للهنود المسلمين فكرة الدعوة إلى الرمز الاسلامي رمز الخلافة في حين استعانت الحركة المصرية الاسلامية بالدعوة إلى الجامعة الاسلامية والخلافة الاسلامية الا ان الفكرتين لقيتا مصرعيهما وكان لهما المصيرنفسه.

بعد انهيار الخلافة العثمانية اخذت الحركة الاسلامية منحى جديداً في المطالب والأهداف واخذ الخطاب الاسلامي في التنوع واخذت الحركات داخل الحركة الاسلامية تتشكل في ظل الاستعمار والهيمنة الأجنبية على البلاد الاسلامية، فأصبح هناك اختلاف في ترتيب الأهداف والأولويات، فالصحوة الاسلامية بدأت تتشكل وتظهر ملامحها الأساسية خاصة ان طبيعة الفترة الزمنية المائجة بالأحداث تمتد الى ما قبل الانهيار والى منتصف القرن الثامن عشر الميلادي حيث بدأت تظهر محاولات اولى للاصلاح قابلتها موجات من الغزو الاستعماري الأوروبي بدأت بغزو فرنسا للجزائر عام ١٨٣٠ واستمرت حتى اواخر الحرب العالمية الأولى حين احتلت بريطانيا وفرنسا سوريا الكبرى، والعراق، وكانت قد شهدت الدولة العثمانية خلال تلك الفترة تغيرات مهمة انتهت بفقدانها الوطن العربي وآلت هي نفسها للسقوط (٩).

يطول بنا الحديث لو تتبعنا جميع الأحداث التي توالت على العالم العربي والاسلامي وقد رأينا ان نستعرض ذلك في هذه العجالة التاريخية فالحركة الاسلامية انصب جهدها على قضية الحكم في معظم المراحل التاريخية.

ولقد عرف الحكم في الدولة الاسلامية التي تعاقبت على حكم الوطن العربي صوراً من الشورى على الرغم من غياب المؤسسات الثابتة وقد استخلص الدكتور عبد العزيز الدوري في دراسته

(٦) المرجع السابق، ص ١٩.

(٧) خير الدين بوجه سوى، ص ١٩.

(٨) رضوان السيد، مرجع سابق، ص ٥٧ - ٥٩.

(٩) احمد صدقي الدجاني، ص ١ - ٢.

الديمقراطية في فلسفة الحكم العربي ان الفكر الاسلامي في منابعه وهي القرآن والحديث والتطبيقات زمن الراشدين في ان الأمة هي الأساس فهي مصدر السلطات ولا تجتمع على ضلال وهذه الأمة تقوم على فكرة المساواة لا سادة فيها ولا مسودين والشريعة هي ان تحدد لكل حقوقه ومسؤولياته وكان الفكرة الاسلامية تقوم على اساس ان الأمة طبقة واحدة من احرار متساويين يتفاضلون بالكفاية والعمل، والأمة هي التي تختار الامام دون تحديد لطريقة الاختيار سواء أكان اختياره مباشرة او عن طريق أهل الراي (الحل والعقد) والاختيار والبيعة هي نوع من العقد واهل الرأي هم في الأساس ممثلي الأمة ويفترض ان تتوافر فيهم مؤهلات تؤهلهم لذلك وهناك استشارة أولى الرأي بالعلماء. وقد ابرز الدوري ان الثغرة الكبرى كانت في الفترات المختلفة هي في تكوين المؤسسات والنظم التي تمكن من تطبيق الآراء وتضمن استمرار الأخذ بها او تطورها ويلخصها في غياب المؤسسات التي تعبر عن المفاهيم الاسلامية[10].

وحين قامت الحركات الاصلاحية الاسلامية ركزت على نظام الشورى في الحكم وكان هذا واضحاً في الحركات السنوسية عندما اعتمد نظام الزوايا، [11] ولا بد ان نذكر ان محاولات الاصلاح والتجديدفي الدولة العثمانية سارت على اساس الاقتباس من الغرب واستلهام النظم الغربية عندما هبت رياح التغيير على الدولة العثمانية حيث بدأت الاصلاحات والاقتباسات على مستوى الجيش في منتصف القرن الثامن عشر ثم انتقلت على صعيد الحكم في القرن التاسع عشر وقد اثر عاملان في حركة الاصلاح هذه التي كان لها تأثيران على الحركة الاسلامية اولهما ضغط الدول الأوروبية يقابله علائم الضعف التي بدأت تظهر على الدولة العثمانية وثانيهما اقتناع بعض رجال الحكم في الدولة العثمانية في الاصلاح وبخاصة الذين اختلطوا مع الغربيين، بضرورة اصلاح الحكم على اساس اقتباس النظم الغربية. وقد جاء الاصلاح على مرحلتين المرحلة الأولى ما يسمى بعصر التنظيمات والمرحلة الثانية مرحلة اعلان الدستور او المشروطية وهي المرحلة التي حاولت ان تقضي على نظام الحكم المطلق وتجعل حكم السلطات مشروطاً بمراعاة القانون وجميع هذه المحاولات اخذت في عين الإعتبار تمسكها بالشرع الاسلامي وفي هذه المرحلة بدأت علائم النشاط تظهر على مفكرة النهضة وخاصة في مصر وفي الدعوة إلى الشورى وحكم الشعب، فالوعي الشعبي في الوطن العربي قد بلغ درجة معقولة في مطلع القرن العشرين لم يصلها من قبل، وبرزت على صعيد المفكرين ثلاثة تيارات هي تيار المستغربين الذي توجهوا لنقل ما رأوه في الغرب المتقدم بحذافيره، وتيار الرفض رفض كل ما جاء به الغرب المستعمر الكافر وتيار النهضة الذي حاول الجمع بين الأصالة المعاصرة [12].

مع ذلك فقد برز في السنوات الأولى من فترة ما بين الحربين العالميتين جيل جديد نادى بفكرة القومية كما ان اخرين قد استبدلوا ولاء هم الاسلامي بالولاء للعلمانية متأثرين بالتجربة التركية في التجديد والاصلاح والتي سعت في النهاية الى الغاء المؤسسات الهيكلية الاسلامية واستبدالها بالأفكار العلمانية وقد قابلتها ردة فعل دينية على شكل جمعيات دينية واجتماعية وقد ركزت هذه الجمعيات على نشر القيم الاسلامية والسعي لتنوير الشباب بالمعرفة ومقاومة العادات الشاذة والفاسدة [13] كما ان بعضها قد فتح فروعاً له في فلسطين وسوريا والعراق.

لقد عكست فكرة النهضة التناقضات المتنوعة التي عمت المرحلة الممتدة من القرن التاسع عشر حتى بداية القرنين سواء كانت تناقضات اجتماعية طبقية او سياسية او قومية او دينية واصبح البحث عن الاسلام الخالي من الصدأ الذي علق به والرغبة في تنظيمه يخلف ميلين لدى المصلحين الدينيين اولا: العودة إلى الينابيع الاولى للاسلام (الينبوع المحمدي) وتجربة الحكم الراشدي الأولي ثانياً: التدليل على غياب التناقض بين الاسلام والاتجاهات

---

(١٠) عبد العزيز الدوري، ص ص

(١١) احمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص ١٧ - ٢٠.

(١٢) احمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص ١٧ - ٢٠.

(١٣) مجيد خدوري، ص ٨٣ - ٨٤.

الانسانية ذات المنشأ الأوروبي ولكن المسألة الاهم التي واجهت الحركة الاسلامية هي البحث عن الاجابات الاسلامية على المستجدات التي طرحتها الحياة فأغلب المصلحين الدينيين الاسلاميين قد اشاروا إلى مظاهر الابتعاد عن جوهر العقيدة الاسلامية ولكن ما من احد منهم استطاع لغاية الآن ان يفسر للجماهير المتعطشة للاسلام لماذا تم مثل هذا الابتعاد؟ كانت هنالك محاولات للاجابة كمحاولة الكواكبي القومية التي اكدت على اهمية العرب في الحفاظ على دينهم ودور العجم في افساده [١٤].

لقد قامت حركات متعددة لانهاض المسلمين وكانت هناك محاولات تركت آثاراً فاعلة ومن هذه الحركات الحركة المهدية في السودان، الحركة السنوسية في شمال افريقيا والحركة الوهابية في الجزيرة العربية، بالاضافة إلى حركة جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده والاخوان المسلمين في مصر. وإلى جانب ذلك برز عدد من الهيئات والمنظمات الاسلامية التي ساهمت في دفع الوعي الاسلامي ومن هذه الهيئات على سبيل المثال مؤتمرات القمة الاسلامية، منظمة المؤتمر الاسلامي، رابطة العالم الاسلامي، صندوق التضامن الاسلامي ومؤتمرات وزراء الخارجية المتلاحقة للدول الاسلامية [١٥].

وعلينا ان نأخذ بعين الاعتبار بل لا بد من ذلك ان الحركات الاسلامية لا تنفرد وحدها بالعيش في ديار الاسلام وانما معها آخرون يزاحمونها في الفكر والواقع الذي تعيشه والحركات الاسلامية المعاصرة اتصفت بانها إما ان تكون حركة اصلاحية او تغييرية او انقلابية وهي دائماً تسعى لأن تزيل أوضاعاً من وجهة نظرها هي خاطئة او سيئة لكي تقيم مكانها اوضاعا صحيحة او مثالية كما ذكرنا فهي لا تعيق لوجدها فهنالك الأنظمة والحكومات وإلى جانبها الايدولوجيات العالمية الأخرى و الحكومات والأنظمة التي تعتبر نفسها مسؤولة عن تطبيق النظام والقانون وحماية امن الوطن والمواطن بكل ابعاد هذه الحماية وقد انتشرت الحركات الاسلامية المعاصرة في جميع الدول العربية والاسلامية بعضها يستعمل الوسائل السلمية والبعض الآخر آثر استعمال الاسلوب الصدامي. وهي تختلف في ترتيب اولويات ومراحل العمل وفي الأساليب والوسائل التي تتبناها - فمثلاً حركة الأخوان المسلمين تستخدم المحاورة والمظاهرة والصحيفة والمجلة والكتاب والتربية والمدرسة والرحلات والمخيمات من أجل أسلمة حياة المجتمع بينما يركز حزب التحرير على اعادة الخلافة ويؤجل ما عدا ذلك الى ما بعد قيام الخلافة. اما جماعة التفكير والهجرة فتركز على الدعوة على نعت المجتمع بالفكر وعلى ضرورة الهجرة منه والانسلاخ عنه لاقامة مجتمع اسلامي جديد ينقض على المجتمع الكافر ويدمره ويزيله لاقامة مجتمع اسلامي مكانه وتنادي حركة الجهاد مع اختلافات يسيرة بين فصائلها بشأن بعض القضايا بتبني اسلوب الجهاد بمفهومه المثالي لهزم الأنظمة الكافرة واقامة المجتمع الاسلامي [١٦] مما ادخل الحركات الاسلامية في عداء واضح مع جميع الأنظمة الحاكمة ودفعها إلى معارك صدامية في اكثر من قطر.

ونحن ازاء هذا الوضع لا نجد جهة تملك وصفة سحرية توقف هذا العداء الذي اصبح تقليدياً بين الأنظمة والحركات الاسلامية ومع هذا فان تصحيح العلاقة ليس ضربا من ضروب المستحيل، وعلى الرغم من ان الحركات الاسلامية قد ساهمت في تحضير وتنشيط واثارة المد الاسلامي الا ان ذلك لم يعفها من مسؤولياتها عن بعض السلبيات التي رافقت نشاطها واخطاء وقعت بها وحتى نكون منصفين فان هذه الأخطاء كان بعضها من صنعها او خللا ذاتيا فيها والبعض الأخر نتج عن عوامل خارجية خارجة عنها، مما جعل علامات الخلل تتسلل الى هذه الحركات وابرز ذلك موقف العداء الاخوي داخل مظلة الاسلام ورفض التعددية وهذا الرفض كثيراً ما يكون نابعاً من هذا الخلل في هذه الحركات التي كثيراً لا تميز بين الأصول والمبادىء والقواعد الاسلامية التي لا يجوز الاختلاف عليها.

ان مركبة الحركة الاسلامية هي بحاجة إلى السائق الماهر اكثر من حاجتها الى الركاب فالحركة الاسلامية في هذا الجو الذي

(١٤) احمد برقاوي، ص ٢٩.

(١٥) فهمي الهويدي، ص ١٠ ـ ١٢.

(١٦) عبد الله النفيسي (محرر)، ص ١٧٩ ـ ١٨٠.

نعيش بحاجة الى عدد من الموجهين المفكرين بدلاً من هذا الكم الهائل من الخطباء حيث ان التوجيه الفكري يدوم أثره أكثر بدلاً من تسخين حرارة المسلم في الخطابة فالعلم اليوم يمر بمرحلة من الارتباك الشديد وعدم التوازن والخوف والقلق على مستقبله في النظام الدولي الجديد الذي تدعو له الولايات المتحدة الأمريكية وترعاه.

والبادي للعيان ان واقعنا الحاضر وقدرتنا قد لا تسمح لنا بأن نكون مؤثرين بفاعلية في هذا النظام الدولي الجديد فعلينا ان نركز في التوجه الفكري، على البناء العقلي فلقد استفاق المسلمون ووجدوا ان الشعوب البيضاء قد فرضت قوتها وهيمنتها عليها نتيجة خروجها منتصرة في اخر حرب كونية (الحرب العالمية الثانية) التي حدثت بينها وبين الشعوب الاسلامية وبخاصة العربية منها.

يضاف إلى ذلك تفوقهم في مجال السياسة والاقتصاد والتقدم العلمي والثقافي.

الصحوة الاسلامية و المد الاسلامي

درج الخطاب الاسلامي على استخدام كلمة الأحياء او اليقظه او التجديد لكن كون كلمة الصحوة هي اقرب للترجمة باللغة الانجليزية وهي التي اطلقتها الصحافة الغربية بوجه خاص على حركة المد الاسلامي التي برزت في العقدين الأخيرين فاصبحت الأكثر استعمالا من الكلمات الأخرى.

ولقد مرت المجتمعات الاسلامية في حركات وتجارب كثيرة ثورية وفكرية، لكن أكثرها لم يكن يملك المقومات الأساسية للبقاء، هذا من جهة ومن جهة اخرى، فلم تأخذ هذه الحركات بعين الاعتبار المسلمات الأساسية للمجتمعات والشعوب الاسلامية، من حيث القيم والانتماءات وتقبل الايدولوجيات فمنيت هذه التجارب بالفشل والنكسات، التي لم تقتصر على بيئتها الجغرافية، بل امتدت لتؤثر في واقع المجتمعات الاسلامية ومستقبلها، ومن الطبيعي ان تحدث هذه التجارب ردة فعل وتؤثر في ضمائر افراد الأمة، وتكون هنالك استجابات مختلفة وتلقائية للدعوة الاسلامية على الرغم من تعدد الاتجاهات وتنوع الأساليب.

فالدعوة الاسلامية نظام مفتوح ومستمر وهي تختلف عن غيرها من الحركات بأنها لا تستطيع ان ترسم اهدافا تناقض عقيدة الأمة، وان وضوح اهدافها يمكنها من اتباع اسلوب النهج العلني في الدعوة بمعنى انها حركة مستمرة، وان القضاء عليها بأكملها او استئصالها من جذورها غير ممكن، بل مستحيل، فقد يقضي على تنظيماتها في بلد من البلدان الا ان الانتماء اليها يظل مستمرا في ابسط صورة للمؤسسات الاسلامية، او في التنظيمات المتعددة للحركة الاسلامية المنتشرة في العالم، فالتنوع وتعدد المدارس الفكرية في المجتمعات الاسلامية ادى إلى اتساع نشاط حركي اثر في نمو اليقظة الاسلامية داخل المجتمعات الاسلامية [١٧].

فالصحوة الاسلامية التي نشهدها ليست مقصورة على المسلمين وحدهم، بل شملت المسلمين والمسيحيين واليهود وهذا ما عبر عنه الكثيرون مثل فهمي الهويدي والحسن الترابي في ندوتين احداهما في جمعية الشؤون الدولية والأخرى في منتدى الفكر العربي، في عمان بالاردن وقد توصلا إلى نتيجة مفادها ان هناك ظاهرة للتمسك في الأصول والجذور ليست مقصورة على المسلمين وحدهم لكنها ممتدة وشاملة للعديد من المذاهب [١٨].

الاسلام بطبيعته عامل للتجمع وأول ما يميز الحركات الاسلامية اصرارها على اعتبار الاسلام منهج حياة. فمقولة «الاسلام هو الحل»، اكتسبت قدرة استثنائية على التعبئة والتجييش للأفراد فأخذت تجمع مختلف الطاقات من الشباب حولها وساعدها في ذلك ان البيئة العالمية التي تعمل الحركة الاسلامية في كنفها قد اتاحت لها قدراً من الحرية لم تحظ به في المجتمعات الاسلامية.

وتحتاج هذه الحركة إلى معايير سلوكية الاساليب لتحديد موقفها واتخاذ قرارتها، فالاختلاف داخل الحركة الاسلامية يمكن في فهمها للتطبيق العملي والسلوكي، وفي عدم تقبلها للنقد. فالنقد هو معيار الإخلاص، اذا ما توفرت له شروطه أثناء الدراسة العلمية الموضوعية الحرة للبحث لكن النقد الذاتي لم يمارس حتى الآن في كوادر الحركة الاسلامية [١٩].

(١٧) عزت جرادات، تجربة الفكر الاسلامي في المجتمعات، ص ٥٠.

(١٨) فهمي الهويدي، حاضر الصورة الاسلامية، محاضرة تاريخ ١٩٨٨/٩/٢٨ - عمان.

(١٩) عزت جرادات، مرجع سابق، ص ٥٦ .

فعلى الحركات الاسلامية ان تستقل ظاهرة الصحوة التي تبدت مؤثراتها في العقدين الأخرين فالظاهرة الاسلامية في الربع الأول من هذا القرن كان لها رأس ولم يكن لها جسم وبخاصة عند بروز تيار الأفغاني، محمد عبده، ورشيد رضا وقد استطاع هذا التيار ان يحدث موجة تنويرية لكنه لم يستطع ان يجد تيار فكريا واضح المعالم كما انه لم يستطع ان ينشيء جماعة سياسية او حزبا سياسيا.

وبعد رحيل الأفغاني ومحمد عبده، ورشيد رضا، لم يكن لهذا التيار دور فاعل في الواقع اما في الربع الثالث من هذا القرن اي في الخمسينات والسبعينات فأصبح التيار الاسلامي جسم بلا رأس وصارت هنالك قاعدة اسلامية، لكن لم يبرز اي دور للقيادة ولغاية الآن لم نر لهذا الجسم الاسلامي رأسا واضح المعالم يلتقي عليه الاجماع او تلتقي عليه نسبة كبيرة من الآراء فالواقع العلمي ان عدداً كبيراً من التنظيمات الاسلامية داخل الحركات الاسلامية والتي تتنافس فيما بينها تتبادل التهم والتبريرات وهذه الظاهرة من الظواهر التي تدل على ضعف التيار الاسلامي، وإذا ما قمنا بتقسيم الجسم الاسلامي الذي بدأ يتحرك لوجدنا ان لهذا الجسم أجزاء هي:-

١ - الاسلام غير الحركي او غير المسيس وهي الجماهير الواسعة ذات المشاعر الاسلامية المتنامية، اي اسلام المساجد ونعني بذلك مجموعة الناس الذين يملأون المساجد ويقبلون على ممارسة الشعائر الدينية الأخرى وهؤلاء ليسوا كوادر او اعضاء في تنظيمات اسلامية لكنهم يعكسون ويعبرون عن هذه الموجة من الصحوة الاسلامية.

٢ - الاسلام العملي وهي المؤسسات التي تحاول تطبيق النظام الاسلامي، في مشروعات علمية مختلفة، كالمدارس والمستشفيات والمؤسسات الاقتصادية، كالبنوك والشركات، على الرغم مما يقال عنها انها تستخدم الاسلام او تخدمه لكنها تبقى ترفع راية الاسلام.

٣ - الاسلام المؤسسي وهي التي تضم مختلف الأجهزة والواجبات الرسمية الموجودة مثل الوزارات، ومجامع البحوث، والمحاكم الشرعية والهيئات الرسمية الأخرى.

٤ - الاسلام الحركي والتعبوي وهذا الملفت للنظر على الساحة الاسلامية وهو يحمل في ثناياه اكثر من تيار منها:

التيار الاسلامي الاصلاحي الذي يدعو إلى التوافق مع الأوضاع القائمة وتقربها من الصيغة الاسلامية، وتيار الاسلام الانقلابي الذي يدعو إلى تغير كل شيء بسرعة وتيار اخر هو بالكامل الاسلام الانتحاري الذي ينتهج سبيل الصدام المستمر مدفوعا إلى الاستشهاد المبكر، والغير مبرر [٢٠].

وتيار آخر هو الاسلام الانسحابي وهو الذي يعني بأمور العبادة والآخرة دون ان يلتفت الى الأمور الحياتية وهو ما يسمى بتيار الاسلام الحضاري، وقاعدته محصورة في النخبة التي تعي عنصر المشروع الحضاري، وهذا التيار يرى في الدين وظيفة اجتماعية ورسالة في حاضر الأمة ومستقبلها.

ومن الأمور الاساسية بالنسبة للعمل الاسلامي والصحوة الاسلامية ادراك القائمين عليها ان تاريخ الاستبدال لدى المجتمعات طويل وقد جاء الاسلام ليحرر الانسان وقد حرره فعلاً فعليهم ان يدركوا ان لا مستقبل لهم الا اذا كان أسلوب أدائهم وتعاملهم مبنيا على نظام عام لا على فرد وقراراتهم صادرة بالمشورة والحوار لا بامر القيادة فردا كانت ام افراداً فالاتجاه السائد يتخذ مظهرين الأول اصولي يسقط كثير من مطالب الجماهي والآخر طائفي، وهو اتجاه يعبر عن الاقلية الدينية.

فالمد الاسلامي في العالم حقيقة وظاهرة من الظواهر الملتفة للنظر وعلينا فهم هذه الظاهرة بوعي وشمول ووضوح عن طريق معرفة الأسباب التي ادت إلى نشوئها وما يجري فيها من احداث ووقائع فالتحرك الاسلامي ليس جديداً على الحياة وانما هو حركة ظهرت على المسرح منذ القرن الثالث عشر الهجري [٢١] التاسع عشر الميلادي فهذه الحيوية التي تسري في كيان الامم يتولد عنها

(٢٠) فهمي الهويدي، مرجع سابق، ص ١٠ .

(٢١) عبد الله النفيسي، مرجع سابق، ص ٧٣ - ٧٤ .

احساس جماعي مشترك فهي لا تجبى من الهواء ولا تأتي مصادفة انما هي تعبير عن وعي شامل بحياتها وواقعها ويمكن تلخيص التحرك الاسلامي فيما يلي[٢٢]

١ ـ الاستعمار : ونعني به فرض السيطرة السياسية والفكرية والعسكرية والاقتصادية من أجل استغلال الشعوب واستنزاف خيراتها وقد مني المسلمون بهذا الاستعمار عشرات السنين وفرض عليهم التخلف والفقر واتبعوا سياسة التجهيل والاضعاف فكان الاسلام الحائط الذي لجأت اليه الشعوب العربية لكي تواجه به هذه الموجة والهجمة الاستعمارية.

٢ ـ التبشير: ما زالت جماعات المبشرين ومؤسسات التبشير وجمعياته وهيئاته تزداد يوما بعد يوم وقد استفحل خطرها في تشكيك المسلمين في دينهم وزعزعة عقائدهم ولم ينج اي بلد اسلامي من ذلك وقد اعتمد المبشرون العديد من الوسائل لنشر افكارهم ومبادئهم كالتعليم والطب والطباعة والنشر والزراعة وكثيراً من الاعمال الاجتماعية التي تتزين بزي الانسانية وعمل الخير ولا ينبغي ان ننظر إلى هذه الموجة التبشيرية ببساطة وعدم اكتراث بل بالعين الفاحصة لكي يتم العمل على تلافي خطرها وايقاف زحفها [٢٣].

٣ ـ الغزو الصهيوني: ذلك الغزو الغاشم الذي تعرضت له الأرض المباركة فلسطين وما ترتب على هذا الغزو من احتلال لرمز من رموز الاسلام بل انه اولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين وهو المسجد الأقصى الذي اتجهت اليه انظار المسلمين اليه حتى قبل الكعبة.

ولم يقف هذا الغزو الصهيوني عند هذا الحد بل تعدى لكي يسري في عروق الأمة تخريبا وتشتيتا لعقيدتها مما اصاب المسلمين في كبرهم أدركوا ابعادهم عن عقيدتهم وكان من الطبيعي ان تتحرك لدى الشعوب الاسلامية الاحاسيس من أجل انقاذ الأهل والمقدسات والأرض المباركة والدفاع عن كيان الأمة والحيلولة دون تحقيق اهداف الحركة الصهيونية.

ومن المفترض ان جميع الحركات الاسلامية تحمل دعوة واحدة وتعمل لتحقيق نفس الأهداف لأن الاسلام واحد لكن الواقع العملي يقول عكس ذلك كما ان الكثير منها قد وقع فريسة للاستخدام السياسي وبخاصة عند حدوث مبدأ التحالفات مع الحركات الأخرى وارجو الا يقصد من ذلك عدم التعاون بل يجب ان يكون التعاون مع الحركات الأخرى مبنيا على تحقيق اهداف ومصلحة هذه الحركات.

ومن اخطر الأمور التي واجهت الحركات الاسلامية في حاضرها الصدام مع الأنظمة الحاكمة حيث كان لهذه الظاهرة اثر سلبي على الحركات الاسلامية وعلى الأنظمة وعلى المجتمعات وقد كان آخرها في الجزائر حيث اصطدمت الجبهة الاسلامية مع الحكومة الجزائرية وكان ذلك صراعا دمويا اثر على الجبهة الاسلامية والحكومة الجزائرية معا وبغض النظر ايهما اصحّ موقفا، فان الواقع والحاجة ومستقبل اي شعب في اي قطر وبالتالي مستقبل الأمة الاسلامية كل ذلك يستدعي مراجعة المواقف ودراسة الواقع مجددا وهذا الحكم ينطبق على الأنظمة لتراجع مواقفها كذلك.

ويبقى مستقبل المد الاسلامي مرهونا بعدة تحديات من اهمها:-

١ـ حسم الخيار الحضاري والذي يشكل التردد في صدده والإحجام عنه احد اسباب التوتر القائم والمستمر بين الحركة الاسلامية والسلطة والبحث عن صيغة للخروج من مأزق الصدام المستمر بين الفصائل الاسلامية وبين الأنظمة الحاكمة.

٢ـ اعادة النظر في ترتيب الأولويات لدى فصائل الحركة الاسلامية بحيث تحتل هموم الأمة ومشاكلها الاقتصادية والاجتماعية مقدمة هذه الأولويات.

٣ ـ الاهتمام بالفرد وتربيته والتعامل معه على اساس حضاري لا يقل اهمية عن الاهتمام بالحكم والنظام والحكومة الاسلامية، ولادراك ان للإسلام نظام حياة شامل وليس نظام حكم.

٤ـ تجاوز الخلاف بين فصائل الحركة الاسلامية على الأقل في القطر الواحد بداية وفي الاقطار الاسلامية نهاية، فالتعددية ما

(٢٢) عز الدين الخطيب ص ٢٥ .

(٢٣) المرجع السابق، ص ٣٥ .

زالت تفهم على انها فتح لباب الخلاف والتمزق في الصف الواحد وحتى بين ابناء الحركة الواحدة.

٥. تجنب الوقوع في فخ الصراعات المذهبية التي تتحرك في العالم العربي والتي برهن اعداؤها على قدرتهم على تفجيرها [٢٤].

واخيراً فعلى الحركات الاسلامية ان لا تندفع كثيراً الى الاصطدام بخصوصها بعاطفية تحرمها من معرفة العواقب لعدم معرفتها ان كان هذا الصدام يحقق هدفها ام لا. وكثيراً ما انزلق الاسلاميون إلى المصيدة مما اوقعهم في كثير من المشاكل مع الأنظمة والسلطات الحاكمة.

فعلى الرغم من ان هنالك بعض التنظيمات الاسلامية التي ترفض فكرة التكفير والعنف الا انه من الملاحظ ان الفكرة قد شاعت في كثير من اقوال منتسبي الحركات الاسلامية، لذا فعليها الأخذ بالتخطيط المسبق المعتمد في اصول البحث العلمي وعدم الاسراع في تفكير الناس والحكم عليهم لأن هذا النوع من الأحكام يدخل ضمن الأحكام الارتجالية.

فالكثير من الجمعيات والتنظيمات الاسلامية الصغيرة منها والكبيرة تعمل على حشد الاتباع والانصار وتأخذ منهم العهد على السمع والطاعة وتطالبهم بتكريس ولائهم لهذا التنظيم مما يؤدي بالتالي إلى منافسة الولاء للاسلام مع ان الاسلام غاية والتنظيم او الجمعية وسيلة من الوسائل وحتى لا تصبح هذه التنظيمات موجات من الفراش تندفع مجذوبة ببريق النار فيكون نصيبها الاحتراق[٢٥].

الحركات الاسلامية في الأردن

اهالي الأردن معظمهم مسلمون سنيون لا توجد بينهم طوائف اخرى كالشيعة مثلاً انما يوجد هناك اقلية مسيحية نسبتها لا تتعدى ٥٪ من السكان.

* والمجتمع الأردني منذ اقدم العصور قائم على حرفتي الزراعة والتجارة وعرف اهله الاستقرار واقامة المدن والقرى ولم يكن بمنأى في يوم من الأيام عن التيارات الفكرية وبخاصة الدينية منها والتي شملت بلاد الشام وبرزت في عصور الدولة الأيوبية والمملوكية.

ومن أبرز هذه التيارات الدينية في تلك الفترة التيار الصوفي، حيث ان له شواهد متمثلة في الأبنية والمقامات والتي كانت تقصدها هذه الفئة.

وقد برز عدد من الأسماء كرموز لهذا التيار، كمحمد بن علي بن جعفر الصوفي الذي ولد بعجلون عام ٧٥٠هـ وابراهيم بن عبد الله المعروف بابن الكركي الذي توفي في الكرك عام ٧٨٥هـ وعندما استولى العثمانيون على المنطقة بما فيها الأردن وانهوا سلطة المماليك والخلافة العباسية واصبحت لهم الخلافة والامامة على المسلمين ادعوا بأنهم الخلفاء الشرعيون لجميع المسلمين كافة.

والغيت مؤسسة الخلافة في بلاد الشام بعد هزيمتهم بعد الحرب العالمية الأولى عندما قامت ثورة مصطفى اتاتورك، وكان قد عقد اثناء الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٦م اجتماعاً ضم عن الجانب البريطاني مارك سايكس، وعن الجانب الفرنسي فرانسوا جورج بيكو حيث تمخضت عن هذا الاجتماع اتفاقية سايكس - بيكو المعروفة والمتضمنة تقسيم المشرق العربي. وكان لظهور النفط عامل حاسم لدفع عملية السيطرة للأمام حيث اعقب اتفاقية سايكس - بيكو اتفاقية اخرى هي اتفاقية سان ريمون عام ١٩٢٠م والتي نصت على تخلي فرنسا عن مطالبتها بولاية الموصل مقابل اخذ حصة أكبر في شركة النفط العراقية ومكنت هذه الاتفاقية البريطانيين من الاحتفاظ بالعراق والأجزاء الجنوبية من ولايتي دمشق وبيروت وفلسطين وشرقي الأردن.

وقد تبعت الأردن الحكم الفيصلي في سورية حيث كانت جزءاً منها وبعد ان قامت فرنسا بانهاء الحكم الفيصلي في سوريا وتم احتلالها بقيادة الجنرال غورو بعث السوريون يطلبون العون من الشريف حسين بن علي في مكة فتوجه على اثر ذلك ابنه الأمير عبد الله في قوة عسكرية لدحر الفرنسين وتحقيق الأماني التي عبر عنها ابناؤه بالوحدة والاستقلال. وقد وصل الأمير عبد الله الى معان بتاريخ ١٩٢٠/١١/١١م في طريقه الى دمشق لمساعدة الامير فيصل ولكنه توقف في الاردن ليؤسس امارة شرقي الاردن باديء ذي بدء ثم تطورت الإمارة إلى مملكة بايعه على عرشها الأردنيون وكان هذا

(٢٤) فهمي الهويدي، مرجع سابق، ص ١٠ - ١٢ .

(٢٥) عبد الله النفيسي، مرجع سابق، ص ٦٧ .

بداية عهد سياسي جديد ليس في الأردن فحسب ولكن لكل المنطقة التي ما زالت تنشد الوحدة العربية وتتطلع اليها وكان حكم الملك عبد الله وفق اهداف الثورة العربية الكبرى وبذلك يكون الاردن الدولة القطرية التي ولدت من رحم الأمة وبقيت متماسكة بالمفهوم القومي للأمة من خلال تسميتها الأولى بالمشرق العربي، وقد عرف الأردن الأحزاب منذ بدايته، فظهرت على ساحاته وارضه احزاب كثيرة، بعضها اصطبغ بالصبغة القومية والبعض الأخر بالصبغة الدينية وإلى جانب هذا وذاك، كانت هناك احزاب يسارية واقليمية، وسوف نقوم باستعراض الحركة الاسلامية على الساحة الأردنية منذ بداية تأسيس الامارة وحتى ساعة اعداد هذا البحث.

أحزاب وتنظيمات الحركة الاسلامية على الساحة الأردنية

١ ـ الأخوان المسلمون

تعتبر حركة الاخوان المسلمين من اكثر الحركات وزنا واطول عمراً في الساحة الأردنية، فهذه الجماعة تشكل الان اكبر الكتل النيابية داخل مجلس النواب الاردني وقد حصلت على ربع مقاعد المجلس النيابي في الانتخابات الاخيرة التي جرت في الاردن عام١٩٨٩م.

وأعقب هذا النجاح مشاركة الاخوان المسلمين في حكومة السيد مضر بدران، فظلوا بذلك على وئام مع السلطة التنفيذية حتى منتصف عام ١٩٩١م عندما حجبوا الثقة عن حكومة السيد طاهر المصري واخذوا جانب المعارضة منها.

اما عن بدايات هذه الجماعة في الاردن فهي تعود الى الاربعينات من هذا القرن عندما قام الشيخ حسن البنا مؤسس حركة الاخوان المسلمين في مصر الارض التي نمت ونشأت عليها فكرة الاخوان المسلمين بمقابلة عدد من الشباب الاردني الذين قاموا بتأسيس اول خلية للاخوان المسلمين في الاردن وكان ذلك حوالي عام١٩٤٣م.

وبظهور الناصرية في الخمسينات واندفاعها داخل الوطن العربي والردن اشتد ساعد حركة الاخوان المسلمين وكان للصراع العربي واليهودي الاثر الفاعل في دفع الحماس الديني لدى الشعوب العربية وبخاصة لدى الفلسطينيين.

وكان للهجرة القسرية التي تعرض لها الشعب الفلسطيني بعد عام ١٩٤٨ وعام ١٩٦٧ الاثر الكبير في زيادة قدرة الحركة على الساحة الاردنية وقد انتقلت الحركة الاسلامية بافكارها وكوادرها لتكون ضمن التشكيلة السياسية الاردنية وتحالف الاخوان المسلمون مع السلطة بعد عام ١٩٥٧ عندما وقفوا الى جانبها ضد التيارات الحزبية اليسارية والعلمانية القومية وقد حافظ الاخوان على هذا الود في مقاومة هذه التيارات ولكن دون تضرف ودون اصولة فقد اخذوا من العمل الاجتماعي ميدانا رحبا له وتم تسجيلهم كجمعية خيرية.

وقد قاموا بفتح فروع في مدن المملكة كافة وأسسوا النوادي الخاصة بهم مثل نادي اليرموك، والذي اسس فروعا له في معظم المدن الرئيسية.

واذا ما استثنينا العمل الاجتماعي الذي قامت هذه الحركة نجد ان عملها السياسي يتلخص في شعارين احدهما يتعلق (بتحرير فلسطين من البحر الى النهر) والشعار الآخر (الاسلام هو الحل) وقد شكل هذان الشعاران عصب الحملة الانتخابية للاخوان في عام ١٩٨٩، وبرزت هذه الحركة على الساحة الاردنية كحركة تحالفية بعكس الحركات الاخرى التي برزت كظاهرة تضاربية للنظام، كحزب التحرير مثلا، ويبقى شعار هذا الحزب هو شعاره المرفوع في جميع اوجه نشاطه، وهو (الله غايتنا، والرسول زعيمنا، والقرآن دستورنا، والجهاد في سبيل الله اسمى امانينا).

أما نظام حركة الاخوان المسلمين فهو المعلن في اجتماعهم المنعقد بتاريخ ١٩٨٢/٧/٢٩ ، وأضمن بحثي هنا ابرز ما جاء في هذا النظام [٢٦].

الاهداف والوسائل

الاخوان المسلمون هيئة اسلامية جامعة تعمل لاقامة دين الله في الارض وتحقيق الاغراض التي جاء من اجلها الاسلام الحنيف ومما يتصل بهذه الاغراض:

(٢٦)عبد الله النفيسي، الحركة الاسلامية، ص ٤٠١ ـ ٤١٦ .

١ ـ تبليغ دعوة الاسلام الى الناس كافة والى المسلمين خاصة وشرحها شرحا دقيقا يوضحها ويردها الى فطرتها وشمولها ويدفع عنها الاباطيل والشبهات.

٢ ـ جمع القلوب والنفوس على مبادىء الاسلام وتجديد اثرها الكريم فيها، وتقريب وجهات النظر بين المذاهب الاسلامية.

٣ ـ العمل على رفع مستوى المعيشة للافراد وتنمية ثروات الامة وحمايتها.

٤ ـ تحقيق العدالة الاجتماعية والتأمين الاجتماعي لكل مواطن، ومكافحة الجهل والمرض والفقر والرذيلة، وتشجيع اعمال البر والخير.

٥ ـ تحرير الوطن الاسلامي بكل اجزائه من كل سلطان غير اسلامي ومساعدة الاقليات في كل مكان، والسعي الى تجميع المسلمين جميعا حتى يصيروا امة واحدة.

٦ ـ قيام الدولة الاسامية التي تنفذ احكام الاسلام وتعاليمه عمليا، وتحرسها في الداخل وتعمل على نشرها وتبليغها في الخارج.

٧ ـ مناصرة التعاون العالمي مناصرة صادقة في ظل الشريعة الاسلامية التي تصون الحريات وتحفظ الحقوق والمشاركة في بناء الحضارة الانسانية على اساس جديد من تازر الايمان والمادة كما كلفت نظم الاسلام الشاملة.

يعتمد الاخوان المسلمون في تحقيق هذه الاغراض على الوسائل الاتية، وعلى كل وسيلة اخرى مشروعة:ـ

١ ـ الدعوة بطريق النشر والاذاعة المختلفة وبالرسائل والنشرات والصحف والمجلات والكتب والمطبوعات وتجهيز الوفود والبعثات في الداخل والخارج.

٢ ـ التربية بطبع اعضاء الجماعة على هذه المبادىء وتمكين معنى التدين قولا وعملا في انفسهم أفراداً او بيوتا وتربيتهم تربية صالحة عقيديا وفق الكتاب والسنة وعقليا بالعلم وروحيا بالعبادة وخلقيا بالفضيلة وبدنيا بالرياضة وتثبيت معنى الاخوة الصادقة والتكامل التام والتعاون الحقيقي بينهم حتى يتكون رأي عام اسلامي موحد ينشأ جيل جديد يفهم الاسلام فهماصحيحا ويعمل باحكامه ويوجه النهضة اليه.

٣ ـ التوجيه: بوضع المناهج الصالحة في كل شؤون المجتمع من التربية والتعليم والقضاء والادارة والجندية والاقتصاد والصحة والحكم والتقدم بها الى الجهات المختصة والوصول بها الى الهيئات النيابية والتشريعية والتنفيذية والدولية لتخرج من دور التفكير النظري الى دور التنفيذ العملي والعمل على تنقية وسائل الاعلام مما فيها من شرور وسيئات والاسترشاد بالتوجيه الاسلامي في ذلك كله.

٤ ـ العمل: بانشاء مؤسسات تربوية واجتماعية واقتصادية وعلمية وتأسيس المساجد والمدارس والمستوصفات والملاجيء والنوادي وتأليف اللجان لتنظيم الزكاة والصدقات واعمال البر والاصلاح بين الافراد والاسر، ومقاومة الآفات الاجتماعية والعادات الضارة والمخدرات والمسكرات والمقامرة بما يفيد وينفع ويستعان على ذلك بانشاء اقسام مستقلة طبقا للوائح خاصة.

الاعضاء وشروط العضوية

١ ـ يقضي المرشح لعضوية الجماعة مدة ستة اشهر على الاقل تحت الاختبار فاذا ثبت قيامه بواجبات العضوية مع معرفته بمقاصد الدعوة ووسائلها وتعهد بأن يناصرها ويحترم نظامها ويعمل على تحقيق اغراضها ثم وافقت الجهة المسؤولة عنه على قبوله عضوا في الجماعة فيصبح اخا منتظما لمدة ثلاث سنوات.

٢ ـ اذا ثبت خلال السنوات الثلاثة الآنفة الذكر قيام الاخ بواجبات عضويته فللجهة المسؤولة ان تعتبره اخا عاملا ويؤدي العهد التالي:

(اعاهد الله العظيم على التمسك باحكام الاسلام والجهاد في سبيله والقيام بشروط عضوية جماعة الاخوان المسلمين وواجباتها والسمع والطاعة لقيادتها في المنشط والمكره في غير معصية ما استطعت الى ذلك سبيلا وابايع على ذلك الله وعلى ما اقول وكيل).

الهيئات الادارية الرئيسية للاخوان المسلمين

الهيئات الادارية الرئيسية للاخوان المسلمين هي: المرشد العام، مكتب الارشاد العام، مجلس الشورى العام.

المرشد العام للاخوان المسلمين هو المسؤول الاول للجماعة، ويرأس مكتب الارشاد العام ومجلس الشورى العام.

- مجلس الشورى العام هو السلطة التشريعية لجماعة الاخوان المسلمين وقراراته ملزمة ومدة ولايته اربع سنوات هجرية.

- يتألف مجلس الشورى العام من ثلاثين عضوا على الاقل يمثلون التنظيمات الاخوانية المعتمدة في مختلف الاقطار ويتم اختيارهم من قبل مجالس الشورى في الاقطار او من يقوم مقامهم، ويحدد عدد ممثلي كل قطر بقرار من مجلس الشورى.

- يجوز لمجلس الشورى ان يضم اليه ثلاثة اعضاء من ذوي الاختصاص والخبرة يرشحهم مكتب الارشاد العام.

- يمكن تمثيل اية تنظيم اخواني جديد في مجلس الشورى اذا اعتمده مكتب الارشاد العام.

تنظيم العلاقة بين القيادة العامة وقيادات الاقطار، تتحدد العلاقة بين القيادة الاقطار ضمن الدوائر التالية:

الدائرة الاولى: وهي التي يجب فيها على قيادات الاقطار الالتزام بقرارات القيادة العامة متمثلة في فضيلة المرشد العام ومكتب الارشاد العام ومجلس الشورى العام وتشمل ما يلي:

١ - الالتزام بالمبادىء الاساسية الواردة في هذه اللائحة عند صياغة اللائحة الخاصة للقطر وتشمل هذه المبادىء العضوية وشروط مراتبها - ضرورة وجود مجلس للشورى الى جانب المكتب التنفيذي - الالتزام بالشورى ونتيجتها في جميع اجهزة الجماعة الخ.

٢ - الالتزام بفهم الجماعة للاسلام المستمد من الكتاب والسنة والمبين في الاصول العشرين والالتزام بالنهج التربوي الذي يقره مجلس الشورى العام.

٣ - الالتزام بالحصول على موافقة مكتب الارشاد العام قبل الاقدام على اتخاذ قرار سياسي هام.

٤ - الالتزام بسياسات الجماعة ومواقفها تجاه القضايا العامة كما يحددها مكتب الارشاد العام ومجلس الشورى العام.

الدائرة الثانية: وهي التي يجب فيها على قيادات الاقطار التشاور والاتفاق مع فضيلة المرشد العام او مكتب الارشاد العام قبل اتخاذ القرار وتشمل جميع المسائل المحلية الهامة والتي قد تؤثر على الجماعة في قطر آخر.

الدائرة الثالثة: وهي التي تتصرف فيها قيادات الاقطار بحرية كاملة ثم تعلم مكتب الارشاد العام في أول فرصة ممكنة او في التقرير السنوي الذي يرفعه المراقب العام وتشمل هذه الدائرة ما يلي:

١ - كل ما يتعلق بخطة الجماعة في القطر ونشاط اقسامها ونمو تنظيمها.

٢ - المواقف السياسية في القضايا المحلية والتي لا تؤثر على الجماعة في قطر أخر شريطة الالتزام بالمواقف العامة للجماعة.

٣ - الوسائل المشروعة التي يعتمدها القطر لتحقيق اهداف الجماعة ومبادئها على ضوء اوضاعه وظروفه.

وقد مارس الاخوان العديد من الانشطة السياسية وانتقدوا تدخل بريطانيا في احوال البلاد ورحبوا بالغاء المعاهد الاردنية البريطانية وباركوا خطوة تعريب الجيش عام ١٩٥٦ ، وخاضوا الانتخابات النيابية عدة مرات.

وفي فترة انحسار النشاط السياسي بعد عام ١٩٥٧ في الاردن ركز الاخوان على المجال الاجتماعي وقاموا بعدة اعمال خيرية في الاردن ورغم انهم قد تعاطفوا مع منظمة فتح وكان هنالك عدد كبير من افرادهم ضمن صفوفها الا انهم بعد احداث ايلول ١٩٧٠ [٢٧] تجنبوا الموقف ولم يكن لهم ذراع مستقل على الساحة الاردنية بعكس باقي الاحزاب اليسارية والقومية.

(٢٧) عبد الله نقرش، التجربة الحزبية في الاردن، ص ٧٢ .

والتيار الاسلامي بدأ بالتنامي على الساحة الاردنية بعد عمليات التحول الديمقراطي التي بدأت في الاردن منذ منتصف عام ١٩٨٨، وكان ازدياد عدد المترددين على المساجد امتلاك منبر المسجد من قبل الاخوان المسلمين سببا في تزايد قوتهم وقدرتهم وهم يطرحون انفسهم كقوى امنية يضمنون احاديثهم لمستمعيهم بالآيات الكريمة والاحاديث النبوية الشريفة ويركزون على القضايا الهامة والحساسة مثل القضية الفلسطينية وبعض قضايا سوء الادارة.

وقد استطاعوا قبيل انتخابات عام ١٩٨٩، ان يزيدوا من قوتهم وساعدهم على ذلك ان اي مواطن مسلم هو بالتالي نصير للاسلام ولا يستطيع التفريق بين الحزب الاسلامي وبين الاسلام كما ان اسلوب الترغيب والترهيب الذي اتبعه قادة هذا الاتجاه في دغدغة العاطفة الموجودة اصلا تجاه الدين ساعدهم على سهولة الاختراق لدى العامة.

والملفت للنظر انه اثناء الحملة الانتخابية كان قادة هذا الاتجاه يتجنبون اظهار انفسهم كحزبين ويركزون على اظهار انفسهم على انهم اتجاه عام على الرغم من النقاط القوية التي سهلت لهم نجاحهم في الانتخابات النيابية وحصولهم على ربع مقاعد مجلس النواب، ان علائم ضعف هذا الحزب بدأت في الاونة الاخيرة اكثر ظهورا وبخاصة بعد انتهاء ازمة الخليج على ما انتهت اليه، فبرزت القرية على الشارع السياسي العربي ومنه الاردني وعدم وضوح موقف الاخوان المسلمين تجاه ازمة الخليج حير المواطن وبدأ يفكر ويستوضح عن هذا الموقف الغير واضح [٢٨].

يبقى ان نقول ان حركة الاخوان المسلمين على الساحة الاردنية اخذت تعاني في الفترة الاخيرة من بروز الاتفاق الاردني الفلسطيني وقلة الفقهاء والقادة الدينيين يقابله كثرة الخطباء كما ان الخلافات تعصف داخل هذا الحزب وكان آخرها خلاف الحركة مع احد نوابها وهو النائب يوسف خصاونة حيث انتهى ذاك الخلاف بفصله من عمله في المستشفى الاسلامي وانتقل هذا الخلاف الداخلي الى وسائل الاعلام التي يدعي الاخوان انها تضخم الخلافات وان هناك حملة منظمة ضدهم من قبل عناصر اخرى معادية ولكننا كمحايدين نرى ان الديمقراطية والحرية التي بدأت تشرق على الاردن مجتاحة الاحزاب تتطلب ان يؤخذ بها ليس داخل تنظيمات الحركة الاسلامية فحسب بل داخل كل التيارات السياسية.

٢ - حزب التحرير:-

تأسس هذا الحزب في القدس عام ١٩٥٢ من قبل خمسة اشخاص هم: تقي الدين النبهاني، وداوود حمدان، ومنير شقير وعادل النابلسي وغانم عبده [٢٩] ومبدأ هذا الحزب اقامة الدولة الاسلامية واستئناف الحياة الاسلامية في الارض ومبايعة خليفة على كتاب الله وسنة رسوله لتحل دولة الخلافة محل الدول القائمة في بلاد المسلمين لان الخلافة من وجهة نظرهم فرض على المسلمين. وينادون بوجود الخليفة الذي يحكم بما انزل الله، لان ذلك واجب واقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم لاقامة الدولة الاسلامية بالمدينة. اما منطلقات حزب التحرير الفكرية فهي التقيد بالادلة الشرعية من الكتاب والسنة وما ارشد اليه اجماع الصحابة وقياس مبني على العلة الشرعية [٣٠].

ويؤيد الحزب طريقة مؤداها ان التكتل الصحيح الذي تنهض به الامة هو الذي يقوم على اساس حزبي، تكون فيه الروح جسم الحزب ونواته وسر حياته بحيث تكون الخلية الاولى متمركزة في ذات الفرد الانساني صاحب الفكر العميق والطريق الواضح [٣١].

والاصلاح السياسي لهذا الحزب يعني رعاية شؤون الله طبقا لوجهة نظر معينة وهي بهذا المعنى لا بد ان تكون تغييرا كليا لتصبح رعاية الشؤون كلها طبقا لاحكام الاسلام وبذلك فالاصلاح السياسي المنشود بالنسبة لهم لا يتم الا باقامة دول الخلافة في بلاد المسلمين والبيعة لخليفة واحد يجمع شمل المسلمين ويرعى شؤونهم بالاسلام ودون مرحلية او تدرج اما الاصلاح الديمقراطي

(٢٨) رناد عياد، التيارات السياسية في الاردن، ص ١١٠ .
(٢٩) عبد الله نقرش، مرجع سابق، ص ٧٤ .
(٣٠) رناد عياد، مرجع سابق، ص ١٧ .
(٣١) عبد الله نقرش، مرجع سابق، ص ٧٤ .

فيعني لهم حكم الشعب والسيادة للشعب وفي هذا مخالفة للاسلام، لان الاسلام من وجهة نظرهم يقر ويوجب ان يكون السلطان للأمة فهي التي تنتخب حاكمها ولكن السيادة للشرع والحاكمية للشرع والمشرع فقط مع عدم التقيد بالحكم الشرعي في التصرفات الفعلية بدافع الحريات المطلقة.

ويبقى حزب التحرير على الساحة الاردنية يعمل بطريقة سرية لم يرخص له على الرغم من نشاطه الملحوظ في سنوات التأسيس الاولى مشاركته في انتخابات عام ١٩٥٤ و ١٩٥٦ وفوز مرشح واحد له في كلا المرحلتين وهو الشيخ احمد الداعور.

وقد تعرض هذا الحزب للمضايقات الكثيرة نظرا لفكره المخالف للدستور، كانت بدايتها عندما غادر الشيخ تقي الدين النبهاني الى دمشق ولم يسمح له بالعودة بعد ذلك، وقد أيد الكثيرون من اعضاء هذا الحزب لان الحزب يريد استبدال سلطة مكان سلطة اي انه يسعى لتحطيم السلطة الحالية نفسها واقامة سلطة اخرى تحل محلها والملفت للنظر ان هذا الحزب هو الحزب الوحيد الذي التقت الاحزاب الاخرى على مهاجمته والتشكيك فيه ابتداء بالحزب الشيوعي وانتهاء بالاخوان المسلمين [٣٢].

وهذا الحزب لا يشكل ثقلا شعبيا وخطورته تكمن في افكاره اكثر من اتباعه وعلى الرغم من انه قد انشق عن حزب الاخوان المسلمين الا ان العداء، واضح بين هذين الحزبين حتى للمواطن العادي.

وقد تعرض في الاونة الاخيرة الى انقسام بحيث انقسم الى مجموعة اخرى هي مجموعة المعتزلة ويعمل هذا الحزب على الساحة الاردنية لكن دون اثر يذكر على الحياة العامة او السياسية ونشاطه الان مقتصر على المنشورات التي تقوم بتوزيعها وهي جميعا رافضة لكل ما يجري.

ونضمن بحثنا هذا اهم منطلقات هذا الحزب حسب ما ورد في نظامه العام [٣٣].

و هو حزب سياسي مبدؤه الاسلام والسياسة عمله وهو يعمل بين الامة ومعها لتتخذ الاسلام قضية لها وليقودها لاعادة الخلافة والحكم بما انزل الله في الوجود وهو تكتل سياسي وليس تكتلا روحيا، ولا عمليا ولا تعليميا ولا خيريا، والفكرة الاسلامية هي الروح لجسمه، وهي نواته وسر حياته.

اسباب قيام حزب التحرير: كان قيام حزب التحرير استجابة لقوله تعالى "ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون" بغية انهاض الامة الاسلامية من الانحدار الشديد، الذي وصلت اليه وتحريرها من افكار الكفر واحكامه ومن سيطرة الدول الكافرة ونفوذها وبغية العمل لاعادة دولة الخلافة الاسلامية الى الوجود حتى يعود الحكم بما انزل الله.

غاية حزب التحرير: هو استئناف الحياة الاسلامية، وحمل الدعوة الاسلامية الى العالم وهذه الغاية تعني اعادة المسلمين الى العيش عيشا اسلامياً، في دار الاسلام وفي مجتمع اسلامي بحيث تكون الحياة فيه مسيرة وفق الاحكام الشرعية، وتكون وجهة النظر فيه هي الحلال والحرام في ظل دولة اسلامية هي دولة الخلافة والتي ينصب المسلمون فيها خليفة يبايعونه على السمع والطاعة على الحكم بكتاب الله وسنة رسوله وعلى ان يحمل الاسلام رسالة الى العالم بالدعوة والجهاد.

العضوية في حزب التحرير: يضم الحزب الى عضويته الرجال والنساء من المسلمين بغض النظر عن كونهم عربا ام غير عرب بيضا او سودا، فهو حزب لجميع المسلمين ويدعو جميع المسلمين لحمل الاسلام وتبني انظمته بقطع النظر عن قومياتهم والوانهم ومذاهبهم، وطريقة ربط الاشخاص فيه تكون باعتناق العقيدة الاسلامية والنضج في الثقافة الحزبية وتبني افكار الحزب وآرائه ويفرض الشخص نفسه على الحزب حين ينصهر فيه وحين تتفاعل الدعوة معه وتبني افكاره ومفاهيمه فالرابط الذي يربط بين افراد

(٣٢) عبد الله نقرش، مرجع سابق، ص ٧٥ .

(٣٣) حزب التحرير، النظام العام، د.م، ص ٥ - ٢٣ .

(٣٤) المرجع السابق، ص ص ٢٦ - ٣٣.

الحزب هو العقيدة الاسلامية والثقافة الحزبية المنبثقة عن هذه العقيدة وحلقات النساء فيه مفصولة عن حلقات الرجال، ويشرف على حلقات النساء الازواج او المحارم او النساء.

مكان عمل حزب التحرير [٣٤] مع ان الاسلام مبدأ عالمي، الا انه ليس من طريقته ان يعمل له من البدء بشكل عالمي، بل لا بد ان يدعي له عالمياً، وان يجعل مجال العمل له في قطر او اقطار حتى يتمركز فيها فتقوم الدولة الاسلامية.

ان العالم كله مكان صالح للدعوة الاسلامية، غير انه لما كانت البلاد الاسلامية يدين اهلها بالاسلام كان لا بد ان تبدأ الدعوة فيها، ولما كانت البلاد العربية التي هي جزء من البلاد الاسلامية تتكلم اللغة العربية لغة القرآن والحديث، التي هي جزء جوهري من الاسلام وعنصرا اساسياً من عناصر الثقافة الاسلامية، كانت اولى البلاد بالبدء في حمل هذه الدعوة هي البلاد العربية.

وقد كان بدء نشوء الحزب، وحمله الدعوة في بعض البلاد العربية، ثم اخذ يتوسع طبيعيا، حتى اصبح يعمل في كثير من الاقطار العربية وفي بعض الاقطار الاسلامية غير العربية.

حدد الحزب طريقة سيره بثلاث مراحل:ـ

الاولى: مرحلة التثقيف لايجاد اشخاص مؤمنين بفكرة الحزب وطريقته لتكوين الكتلة الحزبية.

الثانية: مرحلة التفاعل مع الامة لتحميلها الاسلام، حتى تتخذ قضية لها كي تعمل على ايجاده في واقع الحياة.

الثالثة: مرحلة استلام الحكم، وتطبيق الاسلام تطبيقا عاما شاملا، وحمله رسالة الى العالم.

اما المرحلة الاولى فقد بدأ الحزب في القدس عام (١٣٧٢هـ ـ ١٩٥٣م) على يد مؤسسه العالم الجليل والمفكر الكبير والسياسي القدير والقاضي في محكمة الاستئناف في القدس (تقي الدين النبهاني) وكان الحزب يقوم فيها بالاتصال بأفراد الامة عارضا عليهم فكرته وطريقته بشكل فردي، ومن كان يستجيب له ينظمه للدراسة المركزة في حلقات الحزب حتى يصهره بأفكار الاسلام واحكامه التي تبناها، ويصبح شخصية اسلامية يتفاعل مع الاسلام ويتمتع بعقلية ونفسية اسلامية، وينطلق الى حمل الدعوة الى الناس فاذا وصل الشخص الى هذا المستوى، فرض نفسه على الحزب فيضم الى اعضائه كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرحلته الاولى من الدعوة والتي استمرت ثلاث سنوات داعيا الناس افرادا، عارضا عليهم ما ارسله الله به ومن كان يؤمن بكتلته معه ويحرص على تعليمه الاسلام واقرائه ما نزل عليه وكان يلتقي بهم سرا ويعلمهم سرا، ثم فشا ذكر الاسلام بمكة وتحدث به الناس ودخلوا فيه ارسالاً.

وفي هذه المرحلة انصبت عناية الحزب على بناء جسمه، وتكثير سواده وتثقيف الافراد في حلقاته، بالثقافة الحزبية المركزة، حتى استطاع ان يكون كتلة حزبية من شباب انصهروا بالاسلام، وتبنوا افكار الحزب وتفاعلوا معها وحملوها للناس.

وبعد ان استطاع الحزب تكوين هذه الكتلة الحزبية، واحس به المجتمع وعرفه وعرف افكاره، وما يدعو اليه، انتقل الى المرحلة الثانية، وهي مرحلة التفاعل مع الامة لتحميلها الاسلام، وايجاد الوعي العام والرأي العام عندها على افكار الاسلام واحكامه، التي تبناها الحزب حتى تتخذها افكارا لها تعمل على ايجادها في واقع الحياة وتسير مع الحزب في العمل لاقامة دولة الخلافة ونصب الخليفة، لاستئناف الحياة الاسلامية الى العالم وفي هذه المرحلة انتقل الحزب إلى مخاطبة الجماهير مخاطبة جماعية، وقد كان يقوم في هذه المرحلة بالاعمال التالية:

١ ـ الثقافة المركزة في الحلقات للافراد لتنمية جسم الحزب، وايجاد الشخصيات الاسلامية القادرة على حمل الدعوة، وخوض الغمرات بالصراع الفكري والكفاح السياسي.

٢ ـ الثقافة الجماعية لجماهير الامة بأفكار الاسلام واحكامه التي تبناها الحزب، في دروس المساجد والنوادي والمحاضرات اماكن التجمعات العامة وبالصحف والكتب والنشرات، لايجاد الوعي العام عند الامة والتفاعل معها [٣٥].

٣ ـ الصراع الفكري لعقائد الكفر وانظمته وافكاره، وللعقائد الفاسدة، والافكار الخاطئة والمفاهيم المغلوطة، ببيان زيفها وخطئها ومناقضاتها للاسلام. لتخليص الامة منها ومن اثارها.

٤ ـ الكفاح السياسي، ويتمثل ب:

أ ـ مكافحة الدول الكافرة المستعمرة، التي لها سيطرة ونفوذ على البلاد الاسلامية ومكافحة الاستعمار بجميع اشكاله الفكرية والسياسية والاقتصادية والعسكرية وكشف خططه

(٣٥)ـ المرجع السابق، ص ٣٣ ـ ٣٦ .

وفضح مؤامراتـه لتخليص الامـة من سيطرتـه، وتحـريرهـا مـن اي اثر لنفوذه.

ب - مقارعة الحكام في البلاد العربية والاسلامية وكشفهم ومحاسبتهم والتغيير عليهم كلما هضموا حقوق الامة، او قصروا في اداء واجباتهم نحوها، او اهملوا شأنا من شؤونها وكلما خالفوا احكام الاسلام والعمل على ازالة حكمهم لاقامة حكم الاسلام مكانه.

٥ - تبني مصالح الامة، ورعاية شؤونها وفق احكام الشرع.

رأي الاسلام الديمقراطي: الديمقراطية هي حكم الشعب للشعب وبالشعب، فأصل النظام الديمقراطي ان الشعب هو الذي يملك الادارة والسيادة، ويملك التنفيذ، فهو الذي يملك تسيير ارادته لانه سيد نفسه وليس لاحد سيادة عليه، وبذلك يكون هو المشروع، فيشرع الشرع الذي يريد ويلغي ويبطل الشرع الذي يريد ابطاله. ولما كان لا يستطيع ذلك بنفسه فانه يختار نوابا عنه ليقوموا بالتشريع نيابة عنه.

وهو الذي يملك الحكم والتنفيذ، ولما كان من المتعذر ان يباشر الحكم بنفسه فهو يختار حكاما ليقوموا نيابة عنه بتنفيذ التشريع الذي شرعه الشعب، وبذلك كان الشعب مصدر السلطات في النظام الرأسمالي الغربي، فالشعب هو السيد وهو الذي يشرع ويحكم.

وهذا النظام الديمقراطي هو نظام كفر، فهو من وضع البشر، وليس هو احكاماً شرعية، لذلك كان الحكم به حكما بالكفر، وكانت الدعوة اليه هي دعوة لنظام كفر، ولهذا فلا تجوز الدعوة اليه، او الاخذ به بحال من الاحوال [٣٦].

وهذا النظام الديمقراطي مخالف لاحكام الاسلام، فالمسلمون مأمورون بتسيير جميع أعمالهم باحكام الشرع. والمسلم عبد الله فهو يسير ارادته وفق اوامر الله ونواهيه، والامة لا تملك ان تسير ارادتها وفق هواها، لانها لها السيادة، والذي يسير ارادتها هو الشرع لانه صاحب السيادة. لذلك فان الامة لا تملك التشريع لان الله هو المشرع، ولو اجمعت الامة على اباحة ما حرم الله، مثل الربا او الاحتكار او الزنا. او شرب الخمر فلا يكون لاجماعها اية قيمة لانه يتناقض مع احكام الاسلام فان اصرت على ذلك تقاتل.

الا ان الله سبحانه وتعالى قد جعل السلطان اي الحكم والتنفيذ للأمة، فجعل لها حق اختيار الحاكم وتنصيبه، ليقوم بالحكم والتنفيذ نيابة عنها، وقد شرع الله لها كيفية تنصيب الحاكم بالبيعة. وبهذا يدرك الفرق بين السيادة والسلطة، فالسيادة للشرع والسلطة للامة.

شكل نظام الحكم في الاسلام [٣٧] وقد حدد الاسلام نظام الخلافة، وجعله وحدة نظام الحكم للدولة الاسلامية. روى مسلم عن ابي حازم قال: قاعدت ابا هريرة خمسين سنة فسمعته يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: كانت بنو اسرائيل تسوسهم الانبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي وانه لا نبي بعدي، وستكون خلفاء فتكثر "فهذا الحديث صريح بان شكل نظام الحكم في الاسلام بعد الرسول صلى الله عليه وسلم هو نظام الخلافة، ويؤيد ذلك ما جاء في احاديث عديدة من جعل الامامة اي الخلافة وهي وحدها نظام الحكم في الاسلام كحديث "سيكون بعدي أئمة" وحديث "اذا بويع لخليفتين" الى غير ذلك من الاحاديث الدالة على ان نظام الحكم في الاسلام هو نظام الخلافة ليس غير.

طريقة نصب الخليفة حدد الاسلام الطريقة التي ينصب بها الخليفة بأنها البيعة. عن نافع عن ابن عمر قال: قال لي عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية" وعن عبادة بن صامت قال: "بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في المنشط والمكره، وان لا نتنازع الامر اهله وان نقوم او نقول الحق حيثما كنا لا نخاف في الله لومة لائم" وفي الحديث "اذا بويع لخليفتين فاقتلوا الاخر منهما" فهذه الاحاديث صريحة الدلالة بان طريقة نصب الخليفة هي البيعة كما انعقد اجماع الصحابة على ذلك.

وعليه فان كل حكم وسلطان قام على نظام الخلافة، وجرى نصب الخليفة فيه بطريق البيعة، وحكم بما انزل الله اي بالكتاب والسنة هو حكم اسلامي شرعي، وسلطان اسلامي شرعي.

وكل خليفة نصبه المسلمون، وبايعوه عن رضى فانه يعتبر خليفة شرعا وتجب طاعته [٣٨].

(٣٦) المرجع السابق، ص ٣٦ - ٦١ .

(٣٧) المرجع السابق، ص ٦٦ - ٦٨ .

(٣٨) المرجع السابق، ص ٦٨ - ٧٠ .

وعلى ذلك فالنظام الملكي سواء كان الملك رمزا للدولة يسود ولا يحكم كما هو حاصل في بريطانيا واسبانيا لان الخليفة ليس رمزا، بل هو حاكم ومنفذ لشرع الله نيابة عن الامة، وسواء كان الملك يسود ويحكم كما هو حاصل في السعودية والاردن، لأن الخليفة لا يرث الخلافة ميراثا كالملوك، بل يختاره المسلمون ويبايعونه، ونظام الوراثة غير جائز في الاسلام، كما ان الخليفة ليست له اية حقوق سوى ما لأي فرد من المسلمين، فليس هو فوق القانون كالملوك لا يحاسبون، بل هو خاضع لأحكام الله، يحاسب على كل تصرف من تصرفاته.

كذلك فان النظام الجمهوري ليس نظاما اسلاميا ولا يقره الاسلام، سواء اكان نظاما رئاسيا كالولايات المتحدة، او نظاما برلمانيا كما هو حاصل في المانيا الغربية، لأن النظام الجمهوري بشكله قائم على أساس النظام الديمقراطي الذي يجعل السيادة للشعب، بينما نظام الخلافة قائم على نظام الاسلام الذي يجعل السيادة للشرع. لذلك فالخليفة لا تملك الأمة عزله، وان كان لها حق اختياره ومحاسبته، والذي يعزل الخليفة هو الحكم الشرعي، أي اذا خالف الشرع مخالفة تستوجب عزله، والذي له صلاحية البت في ان الخليفة قد خالف الشرع مخالفة تستوجب عزله هي محكمة المظالم، وهي التي تملك صلاحية عزله، لقوله تعالى: "يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولي الامر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله ورسوله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر" اي ردوه الى حكم الله وحكم الرسول والذي يمثل حكم الله وحكم الرسول هي محكمة المظالم. اما رئيس الجمهورية فان الشعب يملك عزله لأن الشعب هو صاحب السيادة وصاحب السلطة.

والخليفة غير محدد بمدة، بل هو محدد بتطبيق الاسلام، فان لم يطبق الاسلام عزل ولو بعد شهر من تنصيبه بينما رئيس الجمهورية مقيد بمدة معينة. وعلاوة على ذلك فان رئيس الجمهورية في النظام البرلماني يكون معه رئيس للوزراء ويكون رئيس الجمهورية رمزا لا يحكم، ويكون الحاكم معه هو رئيس الوزراء بينما الخليفة هو الحاكم وهو الذي يباشر الحكم والتنفيذ بنفسه ولا يكون معه وزراء يحكمون دونه.

اما النظام الرئاسي فانه وان كان رئيس الجمهورية هو الذي يباشر الحكم لكنه يكون معه وزراء لهم صلاحية الحكم ويكون هو رئيسا لهم ويكون هو قائما مقام رئيس الحكومة وهذا بخلاف نظام الخلافة فان الخليفة هو الذي يباشر الحكم بنفسه ومن معه يكونون معاونين له يستعين بهم، ولا توجد لهم صلاحيات الوزراء في النظام الديمقراطي الجمهوري، وحين يتولى الخليفة رئاستهم فانه يتولاها بوصفه رئيسا للدولة، وليس بوصفه رئيسا للهيئة التنفيذية.

لذلك يوجد فرق كبير بين النظام الجمهوري ونظام الخلافة، وعلى ذلك يجوز مطلقا ان يقال عن الدولة الاسلامية، الجمهورية الاسلامية، كما لا يجوز ان يقال ان نظام الحكم في الاسلام هو نظام جمهوري، او ان الاسلام نظام جمهوري لوجود التناقض التام بين الاسلام وبين النظام الجمهوري [٣٩].

الاحزاب السياسية: للمسلمين الحق شرعا في اقامة احزاب سياسية، لمحاسبة الحكام، او للوصول الى الحكم عن طريق الامة، على شرط ان يكون اساس هذه الاحزاب قائما على العقيدة الاسلامية، وان تكون الاحكام والمعالجات التي تتبناها احكاما شرعية، ومعالجات شرعية ولا يحتاج انشاء الحزب الى ترخيص، ويجوز ان تكون الاحزاب متعددة لقوله تعالى "ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون" [٤٠].

دار الاسلام ودار الكفر دار الاسلام هي الدار التي تطبق فيها احكام الاسلام على جميع شؤون الحياة والحكم ويكون امانها بأمان الاسلام ولو كان اكثر اهلها من غير المسلمين.

ودار الكفر هي الدار التي تنطبق فيها احكام الكفر على جميع شؤون الحياة ويكون امانها بأمان الكفر ولو كان جميع اهلها من المسلمين. فالعبرة في الدار من كونها دار اسلام او دار كفر، بالاحكام التي تطبق عليها، وبالايمان الذي تكون آمنة به. وليست العبرة بدين اهلها.

(٣٩) المرجع السابق، ص ٧٠ - ٧١ .

(٤٠) المرجع السابق، ص ١٠٢ - ١٠٤ .

وبلاد المسلمين اليوم لا يوجد فيها بلد، ولا دولة تطبق احكام الاسلام في الحكم وشؤون الحياة، لذلك فانها كلها دار الكفر، ولو كان اهلها مسلمين.

ولهذا فان الاسلام يوجب على المسلمين كافة العمل لتحويل ديارهم من دار كفر الى دار اسلام، وذلك باقامة دولة اسلامية، التي هي دولة الخلافة، وتنصيب خليفة ومبايعته على ان يحكم فيهم بما انزل الله، اي ان يطبق عليهم احكام الاسلام، في البلد الذي تقام فيه دولة الخلافة، ثم يعملون مع دولة الخلافة لضم بقية البلدان الاسلامية اليها، وبذلك تتحول الى دار اسلام ومن ثم يحملون الاسلام رسالة الى العالم بالدعوة والجهاد [٤١].

الجهاد: الجهاد هو بذل الوسع في القتال في سبيل الله لاعلاء كلمته، ونشر دعوة الاسلام مباشرة او معونة بالمال او رأي، او تكثير سواد، او غير ذلك. فالقتال لاعلاء كلمة الله ونشر الاسلام هو الجهاد، وهو فرض، وقد ثبتت فرضيته بالقرآن والسنة، فقد وردت عشرات الآيات والاحاديث الموجبة له.

والجهاد فرض كفاية ابتداء، وفرض عين ان هجم العدو، ومعنى كون الجهاد فرض كفاية ابتداء هو ان نبدأ بقتال العدو وان لم يبدأنا، فان لم يقم بالقتال ابتداء احد من المسلمين في زمن ما اثم كل المسلمين بتركه. ولذلك فليس الجهاد حربا دفاعية، وانما هو حرب لاعلاء كلمة الله، ويجب ابتداء لنشر الاسلام وحمل دعوته، ولو لم يهاجمنا الكفار [٤٢].

العلاقات الدولية [٤٣] : علاقة الدولة الاسلامية بغيرها من الدول القائمة في العالم يجب ان تكون وفق احكام الاسلام وتجري على الشكل التالي:

١ - الدول القائمة اليوم في العالم الاسلامي فانها تعتبر كأنها قائمة في بلد واحد فالمسلمون امة من دون الناس، ويجب ان يكونوا وحدة واحدة وكيان واحد. لذلك لا تعتبر العلاقة معهم ضمن العلاقات الخارجية للدول، ولا تعتبر من السياسة الخارجية، بل يجب ان تعتبر من السياسة الداخلية، ولهذا لا تعمل معها علاقات دبلوماسية ولا تعقد معها اتفاقيات بل يجب العمل على توحيدها جميعا في دولة واحدة هي دولة الخلافة ولا تعتبر رعايا هذه الدول اجانب ان كانت دارهم دار الاسلام، ويعاملون معاملة افراد رعية دولة الخلافة، اما ان كانت دارهم دار كفر فيعاملون معاملة رعايا دار الكفر.

٢ - الدول الاخرى الموجودة في العالم شرقه وغربه فانها كلها تعتبر كلها دار كفر ودار حرب حكما بالعلاقة معها تعتبر من السياسة الخارجية وتحدد هذه العلاقة وفق ما يقتضيه الجهاد، وما تقتضيه مصلحة المسلمين، ومصلحة دولة الخلافة وفق الحكم الشرعي.

٣ - ويجوز ان يعقد مع هذه الدول اتفاقيات حسن الجوار واتفاقيات تجارية واقتصادية او علمية او زراعية او غيرها من المعاهدات التي يجزيها الاسلام على ان تكون هذه الاتفاقيات لاجل محدد، ويكون عقد هذه الاتفاقيات وفق ما يقتضيه الجهاد، وما تقتضيه مصلحة المسلمين ومصلحة دولة الخلافة.

ويكون التعامل مع هذه الدول وفق نصوص المعاهدات، وتكون الاتفاقيات التجارية والاقتصادية مع هذه الدول محددة بأشياء معينة بمدة معينة، وصفات معينة تكون ضرورية للمسلمين على ان لا تكون تؤدي الى تقوية تلك الدول.

ولرعايا تلك الدول الدخول لدولة الخلافة بالهوية ودون الحاجة الى جواز سفر اذا كانت المعاهدة تنص على ذلك، على شرط المعاملة بالمثل.

٤ - الدول الأخرى التي ليس بيننا وبينها اتفاقيات او معاهدات والدول الاستعمارية كأمريكا وبريطانيا وفرنسا والدول الطامعة في بلاد المسلمين كروسيا تعتبر دولا محاربة حكما فتتخذ

---

(٤١) المرجع السابق، ص ١٠٢ - ١٠٤ .

(٤٢) لمرجع السابق، ص ١٠٤ .

(٤٣) لمرجع السابق، ص ١٠٥ - ١١١ .

جميع الاحتياطات بالنسبة لها، ولا تنشأ معها علاقات دبلوماسية، ولا تفتح لها سفارات في دول الخلافة.

ولرعايا هذه الدول ان يدخلوا دولة الخلافة بإذن منها بجواز سفر، وبإذن لكل سفرة.

الدول المحاربة فعلا كاسرائيل مثلا فيجب ان تتخذ معها حالة الحرب اساسا للتصرفات كافة، وتعامل كأننا واياها في حرب فعلية سواء اكانت بيننا وبينها هدنة او لا، ويمنع جميع رعاياها من دخول البلاد الاسلامية وتستباح دماء واموال غير المسلمين منهم.

والدول المحاربة فعلا يجوز ان نعقد معها اتفاقيات هدنة على ان تكون مؤقتة بمدة محددة، ولا يجوز ان تكون دائمية، لان الهدنة الدائمة تعطل الجهاد، اما اذا احتلت دولة من هذه الدول المحاربة فعلا ارضا اسلامية، كاسرائيل في احتلالها ارض فلسطين فانه يحرم شرعا الصلح معها ولو على شبر من الارض لانها مغتصبة ومعتدية، والصلح معها هو تنازل لها عن ارض اسلامية وتمكينها من تملكها ومن السيطرة على المسلمين فيها وهذا لا يجوز شرعا. والاسلام يحتم على المسلمين جميعا محاربتها والقضاء عليها واستنقاذ بلاد المسلمين منها، قال تعالى: "ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا" وقال: "فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم".

٦ - لا يجوز لدولة الخلافة ان تعقد اتفاقيات عسكرية مع غيرها من الدول كاتفاقيات الدفاع المشترك، والامن المتبادل، وما يلحق بذلك من التسهيلات العسكرية، او تأجير القواعد او المطارات او الموانيء، فان هذه الاتفاقيات يحرمها الاسلام، فيحرم على المسلمين ان يعقدوا مع غيرهم من دول الكفر، لانه يحرم على المسلم ان يقاتل تحت راية كفر او في سبيل كفر، او من دولة كافرة او ان يجعل للكافر سلطانا على المسلمين او على ارض الاسلام.

٧ - لا تجوز الاستعانة بالدول الكافرة ولا بجيوشها لان الرسول صلى الله عليه وسلم قد منع المسلمين من ذلك حيث نهى عن الاستضاءة بنار المشركين لقوله عليه السلام "لا تستضيئوا بنار المشركين". والنار كناية عن الحرب، وقال "انا لا نستعين بمشرك".

كما لا يجوز اخذ قروض او مساعدات من هذه الدول، لان قروضها تكون بفوائد وهي محرمة لانها ربا ولان هذه القروض والمساعدات وسيلة لايجاد سيطرة لهذه الدول الكافرة على المسلمين وبلادهم وهذا حرام شرعا بقاعدة "وسيلة الى الحرام محرمة".

كما لا يجوز للمسلمين ان يضعوا قضياهم بيد الدول الكافرة لتحلها لهم، كأن يضعوا قضاياهم بيد امريكا او روسيا، او بريطانيا،او فرنسا كي تحلها لهم. لان الاستعانة بالدول الكافرة وبجنودها، او بوضع قضايانا بيدها يجعل لهذه الدول من جراء ذلك نفوذا وسيطرة وسبيلا على المسلمين، وقد منع الله المسلمين من ان يجعلوا للكفار عليهم سبيلا.

كما لا يجوز للمسلمين ان ينضموا الى المنظمات الدولية العالمية كهيئة الأمم المتحدة وكالبنك الدولي، وكهيئة التنمية، لان هذه المنظمات تقوم على اساس يتناقض مع احكام الاسلام، ولانها بيد الدول الكبرى خاصة امريكا تسخرها لتحقيق مصالحها الخاصة وهي وسيلة لايجاد نفوذ الكفار على المسلمين وبلادهم، وذلك لا يجوز شرعا، لأن الوسيلة الحرام محرمة.

وكذلك لا يجوز للمسلمين ان ينضموا الى المنظمات والاحلاف الاقليمية، كالجامعة العربية، ومنظمة المؤتمر الاسلامي، واحلاف الدفاع المشترك، لانها تقوم على اساس يتناقض مع الاسلام، لانها تقضي بتكريس تجزئة بلاد المسلمين، وتحول دون توحيدها في دولة واحدة.

٣ ـ حزب التجديد العربي الاسلامي:

تأسس هذا الحزب في ١٩٩٠/٨/٣٠ يطرح هذا الحزب نفسه على انه حزب قومي اسلامي متجدد ويطرح نفسه كذلك على انه تنظيم يطمح الى خلق البديل الفكري والسياسي للسلفيات الثلاث التي سادت الساحة العربية عقودا طويلة ولا زالت وهي السلفية الاسلامية والسلفية القومية والسلفية الماركسية، ويسعى لانقاذ العقل العربي من المخلفات السلبية في تلك السلفيات.

وعلى الرغم من ان هذا الحزب ما زال مشروعا ضمن المشاريع الحزبية في الاردن التي لم تأخذ الشرعية القانونية للعمل لغاية اعداد هذا البحث فاننا لا نستطيع الحكم عليه ولا على افكاره الا بعد نزوله الى الشارع ومعرفة الناس به، فهو قد اعلن من منطلقاته لكنها لم تتعرض للمحك بعد وهذه المنطلقات[٤٤] هي :ـ

١ ـ ان الخصوصية القومية العربية ضمن الكل الاسلامي بديهية اساسية لا يجوز تجاوزها ولا العمل من خارج اطار موضوعيتها وواقعيتها وبالتالي فالحزب يعمل وفق ما تتطلبه الخصوصية لمعاني الوحدة القومية.

٢ ـ ان الرسالة الاسلامية للامة العربية رغم خصوصيتها القومية بديهية اساسية وثابتة ويعتبر العمل الوطني من خارج حدود الايمان بها عملا فجا وقاصرا ولا يلبث ان يموت. ويعتبر هذا حقيقة غير قابلة للنقاش من يناقشها فعلى الامة ان تقذف به خارج نطاقها.

٣ ـ يؤمن بقدسية الفكر العلمي مهما كان مصدره ما دام يكشف بصدق عن الفكر المطابق للواقع الموضوعي، والبديهية الاساسية الثابتة عنده هي ان اساس كل تفكير او سلوك وضعي يجب التأكيد على قدسيته والالتزام بمقتضيات الفكر العلمي دون خوف او وجل ورفض كل ما يتعارض مع ذلك، وهو حريص كذلك على ان يكون حزبا اسلاميا لانه سيعمل على تمثيل الرسالة الاسلامية في الواقع ووفق ما تتطلبه من معطيات العمل والسلوك، وكذلك الفكر العلمي لديه معيار لحاكمة المعرفة ومجدد لكل من الفكر الاسلامي والقومي والماركسي، وهو حريص على ان الحكمة هي ضالة المؤمن، بحيث ان وجدها فهي الاولى.

وهو يرى في التعددية الحزبية التقاء المختلفين فكريا وسياسيا على قاسم مشترك معين تأطره الشرعية الدستورية لذلك فهو يؤمن بالتعددية اما فيما يتعلق بالاصلاح السياسي فمعناه بالنسبة له يجب ان يتضمن فكرة الاصلاح الدستوري او اصلاح أليه الحكم بما يكفل اكبر مشاركة في الحكم.

ويعتقد بضرورة ان يصار الى اجراء التعديل الدستوري بين الحين والآخر لان العملية الديمقراطية هي عملية تطوير ونماء مستمرين.

وهذا الحزب من الاحزاب الجديدة على الساحة الاردنية فهو لم يتعرض لامتحان الشعبية بعد ولا لامتحان الفكر الذي يطرحه، ولكن يبدو لنا ان افكاره المنهجية ما تزال غير واضحة المعالم وتقتصر على العموميات وما زالت الفكرة في رؤوس مؤسسي هذا الحزب في اطوارها الاولى.

٤ ـ تجمع العدالة الاسلامي : ينظر الحزب للتنظيمات الاسلامية نظرة تكاملية اي انها تشكل فيما بينها تكاملا لاتضادا لان الاختلافات في وجهات النظر المطروحة كلها تأتي ضمن اطار العقيدة والاسلام بالنسبة له دين ودولة ولا بد للأفراد والجماعات المسلمة ان تشكل تجمعات واحزاب تكون قادرة على المساهمة في تغير واقع الامة افرادا وجماعات نحو الافضل ويركز على التربية السمحة والمستنيرة بعقيدة الاسلام وقيمه واخلاقه، ويسعى هذا الحزب الى تأسيس نواة مدرسية قادرة على تقديم العقيدة الاسلامية وشرحها باسلوب عصري دون تفريط او افراط وكذلك انعاش الفكر الاسلامي وتحويل النظريات الى العمل والتطبق وايجاد روح المنافسة الشريفة في العمل الجاد والمخلص.

ويرى في التعدديات السياسية ضرورة، لانها تشكل مع بعضها

(٤٤) رناد عياد ص ٢٠ ـ ٢١

(٤٥) المرجع السابق، ص ٢٤

البعض نظرة تكاملية، وهذا لا يعني تطابقا، ويرى في ذلك تعميق للفكر واثراء له، فالاختلاف الموضوعي مطلوب على ان يكون على حقائق وثوابت لا ان يكون شخصيا معتمدا ألتجريح المهاترات[٤٥].

هذه هي الافكار السريعة التي يقدمها هذا الحزب وهو من الاحزاب الجديدة والتي تشكلت على الساحة الاردنية بعد عام ١٩٨٩ وهو ما زال مشروعا حزبيا، لكن هذا الحزب يأمل ان تشكل التنظيمات الاسلامية في الشارع الاسلامي الواحد جبهة اسلامية قومية تؤدي ايضا الى تشكيل جبهة شعبية كاملة فالافكار الاولية لهذا الحزب تتصف بالمرونة والسهولة وهو لم يحدد نفسه بعد بل ترك الجهات الاربعة مفتوحة ليحددها في ضوء ما يحدث مستقبلاً على الساحة الاردنية.

٥ - الحركة العربية الاسلامية الديمقراطية (دعاء):-

تعتبر حركة دعاء كما جاء في المادة الثانية من ميثاقها حركة اردنية مستقلة تعمل في الوسط الاردني داخل البلاد وخارجها غير خاضعة لتأثيرات او ايحاءات عقائدية او سياسية او تنظيمية لا تنسجم مع طروحاتها في مختلف نواحي الحياة الوطنية الاردنية وهي تستند على الاسس الفكرية التالية:[٤٦].

١ - تعتبر الحركة ان المطلق الوحيد في هذا الكون، هو الله سبحانه وتعالى وهو المقدس الاعظم وان كل ما عداه يدخل في اطار النسبية مهما بلغت درجة قداسته.

٢ - تعتمد الحركة في توجيهاتها الفكرية (القرآن الكريم) وصحيح السنة النبوية المطهرة باعتبارها النبع الذي تغرق منه رؤاها المختلفة لطرح حلول، او تفسير واقع.

٣ - ترى الحركة ان العقل كان اسبق على النص، وهو الارضية التي التي تتلقى هذا النص الفكري الايماني لتشدد على ضرورة اعطاء العقل سلطة كاملة للتأمل والتفكير والبحث في النص المقدس، من اجل استنباط الاحكام والحلول الملائمة لواقع الحياة التي نعيش.

ترفض الحركة بصورة جازمة اقامة العقل او نفيه لصالح النص او العكس لان هذا يعتبر اعتداءً اثما على النص والعقل سواء بسواء، وكذلك فان الحركة ترفض وضع النص والعقل في موقعين متضادين او متخاصمين.

٥ - تجهيز الحركة بالقول بأن القرآن الكريم، ليس مجرد نصوص ثابتة كما حاول ان يوحي لنا البعض عبر مئات السنين، فالثبات صفة من صفات الله وحده سبحانه وتعالى ولا ينازعه فيها شيء ابدا.

٦ - تأسيس على ما سبق ترى الحركة ان الحياة الانسانية بمختلف وجوهها، هي في حركة مستمرة منذ الخلق الاول الى يوم الدينونة، ولذلك فانها تعتبر القرآن العظيم ايضا كائنا حيا متحركا، تتجدد فيه الحياة بصورة دائمة الى ان تنتهي الحياة ذاتها ونقابل وجه الله الكريم.

٧ - تعلن الحركة انها ستكافح من اجل اطلاق حرية منهجية التحليل في النصوص المقدسة، وتعتبر ان هذا واجب كل من يجد في نفسه كفاءة للخوض العقلي في كتاب الله في محاولة جادة لتحرير النصوص القرآنية الكريمة من حراس التفاسير الخاصة التي اعدت في ظروف غير ظروف واقعنا ومع ذلك حاول تابعوهم والاجيال التالية من المؤيدين ان يفرضوا هذه التفاسير علينا.

٨ - واستنادا لما سبق ترى الحركة ان حل مشاكل البشرية المعاصرة، عبر استحضار حلول قديمة هو امر مرفوض بصورة تامة، فأولئك العلماء الاجلاء الذين اولوا وفسروا الآيات الكريمة طبقا لواقعهم الذي عاشوه، كانوا واقعين وعقلانيين بصورة تامة، كما وان اولئك العلماء الاجلاء الذين سبقوهم واجتهدوا فاستنبطوا حلولا مختلفة عن حلول اخلافهم او اسلافهم كانوا ايضا بمستوى رائع من العقلانية والواقعية والايمان والحرص على كتاب الله والاسلام العظيم ككل، من هنا نرفض العودة الى واقع قبل الف عام مثلا الى حلول العلماء واجتهاداتهم لواقعهم فنأخذها لنطبقها في واقعنا ولو فعلنا هذا، فاننا نجعل العلماء السابقين الاجلاء في موضع مقدس يتجاوز قدسية القرآن ذاته وربما قد نصل الى الشرك.

(٤٦) المرجع السابق، ص ٢٥ - ٤٠.

٩ ـ تدعو الحركة الى العودة الى القرآن الكريم بصورة مختلفة عما ساد لاكتشاف عبقرية (الاتجاه العام للقرآن) الذي من خلاله يمكن البحث والاستنباط في احكام لم يقلها القرآن الكريم مباشرة ولم تنزل ايضا كنص، مثال ذلك تحريم "الرق" في الاسلام.

١٠ـ تقر الحركة بأنها لا تملك الحقيقة، ولن تدعى ذلك ابدا ولن تقبل زعما كهذا، من اي جهة كانت، وهذا يعني ببساطة ان الحركة ليست وصية على احد، وترفض الوصاية عليها وعلى غيرها، خصوصا في الجانب الديني العام.

١١ـ ترى الحركة ان مسألتي الايمان واقامة الشعائر الدينية هي مسألة شخصية وليس من حقها او من حق اية جهة كانت أفراداً ومؤسسات ومنظمات ان تمنح او تمنع مفاتيح الجنة، فهذه لله وليست لنا في الارض.

١٢ـ ترفض الحركة بصورة تامة وجود (طبقة رجال دين) في الاسلام فلا كهنة ولا اكليروس ولا رهبنة في الدين الحنيف، ولسنا بحاجة الى فاتيكان او فاتيكانات ولا باباوات تحت اي غطاء كانوا فلا وصاية لمسلم على مسلم الا على اولئك القاصرين عقليا سواء كانوا بحكم السن او المرض.

١٣ـ تقر الحركة ان الاسلام دين عالمي غير مغلق، وهو منفتح على كافة الاديان والمعتقدات العالمية من منطلق الحوار في سبيل خدمة الانسان بغض النظر عن اللون والجنس والانتماء وهي (الحركة) لا تعتبره سلطة فوق البشر بل واحد من الحضارات الكبرى التي اسهمت السماء والارض في صنعها معا.

١٤ـ تعلن الحركة ان انتماءها القومي ليس مسألة اخلاقية، او ادبية او وجدانية بل هو انتماء عقائدي عقلي من رؤيتها الفلسفية لشروط تكوين امة اية امة، وقد توافرت هذه الشروط في امتنا ذات يوم واستمرت طويلا ثم غاب بعضها لكنها لم تلبث ان تحققت، وهكذا والشروط التي تعنيها الحركة لتكوين امه هي:

أ ـ الديـن

ب ـ الأرض الواحدة

ج ـ اللغة الواحدة

د ـ التاريخ المشترك والثقافة الواحدة.

هـ ـ المشاعر والاحاسيس والاهداف والآمال الواحدة.

و ـ الاقتصاد المشترك.

١٥ـ ترى (حركة دعاء) ان شروط وعوامل تكون امة عربية قبل الاسلام كانت في معظمها غائبة بصورة فادحة وان الدين الحنيف الذي حمله الرجال العرب الاوائل بشجاعة نادرة بقيادة الرسول العربي العظيم محمد صلى الله عليه وسلم هو الذي ادى الى شروط الامة في الكيان القبلي وما تلاه وتعتبر الحركة ان الامة العربية في عهد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت قد خطت خطواتها نحو التكوين وانها استكملت شروط بنائها في العهود التالية لوفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصولا الى العهد الاموي الذي تمت فيه اوسع عملية غسيل دم في تاريخ المنطقة، بحيث ساد فيها الدم العربي وتنحت الدماء الاخرى لبقايا شعوب وقبائل لم تلبث ان انصهرت دما وعقيدة وثقافة وصنعوا معه تاريخا مشتركا على ارض واحدة تم تحرير اهلها وتحريرها هي من الاستغلال اللامشروع.

وتستند الحركة الى الاسس السياسية التالية:ـ

١ ـ القاعدة العامة التي تستند اليها حركة دعاء في العمل السياسي هي المقدار الذي تحققه الممارسة السياسية من خدمة ورعاية لمصالح الامة اولا والانسانية ثانيا.

٢ ـ تستند الحركة في سلوكها السياسي العام داخليا وخارجيا الى قاعدة حق الشعوب في تقرير مصيرها واختيار الحياة السياسية التي تريدها بما فيها نظام الحكم بدون تدخل او اكراه من اية جهة كانت.

٣ ـ تؤكد الحركة التزامها باسسها الفكرية كمرجعية رئيسية لنهجها السياسي العام داخل البلاد وخارجها.

٤ ـ تعتبر الحركة ان قيم الحركة والديمقراطية والمساواة والعدالة الشاملة قيم مقدسة تستحق الكفاح بدون هوادة لتتحول الى اعراف سائدة غير قابلة للاختراق او الالغاء.

٥ ـ ترى الحركة ان العالم الآن بمجمل دوله وشعوبه، يتغير ويميل اكثر فأكثر نحو ما يشبه المصالحة العالمية، وان ما يملي هذا التغير ليس العقائد والايديولوجيات بل المصالح العامة المتبادلة.

٦ ـ تؤكد الحركة موقفها الفكري من مسألة الحكم السياسي فهي في هذا الشأن ترى ان الحاكم ليس ظل الله على الارض ولا نائبا له، بل هو ممثل الامة ونائبها وخادمها ويشكل اجماعا او معظم اجماع اراداتها السياسية الحرة.

٧ ـ تؤكد الحركة ان الوطن الاردني القائم حاليا هو اولا: جزء لا يتجزأ من الوطن العربي الكبير وهو ثانيا: يعد احد جناحي الوطن المتمثل في الأرض الواقعة غربي نهر الاردن الى حدود البحر الابيض المتوسط وشرقيه، ولا يجوز الفصل بينهما ابدا وهو بهما معا سيحلق باذن الله الى آفاق الحرية والتحرير والغد الافضل.

٨ ـ تعتقد الحركة جازمة، بل ما تبقى من الوطن شعبا وارضا، شرقي النهر يتحمل المسؤولية الاولى ـ قبل غيره من العرب والمسلمين والاحرار في كل بلدان العالم في العمل من أجل استرداد الشطر الغربي ـ فلسطين كاملاً...

٩ ـ تتعهد الحركة امام الله والامة برفع راية الجهاد دفاعا عما تبقى من البلاد شرقي النهر، شعبا وارضا ومؤسسات، كما وتجدد نفس العهد جهادا في سبيل الله لتحرير الشطر الغربي من الوطن ـ فلسطين غير منقوص.

١٠ ـ ترفض الحركة بصورة قاطعة مقولة (الوطن البديل)، اي اقامة الدولة الفلسطينية، المقترحة على التراب الوطني شرقي النهر، والغاء الوجود السياسي القائم فهذا يعني ان يتحطم الشطر الغربي الى الابد.

١١ ـ ترى الحركة ان اخطر ما في مؤامرة الوطن البديل، ليس فقط ضياع الكيان الاردني، بل ذاك الجانب التربوي النفسي.. فحين سيصبح الأردن عبارة عن دولة فلسطينية، فما الذي بامكاننا ان نقوله لابنائنا والاجيال التالية عن ذاك الجزء الذي يقع غربي النهر هل سيظل اسمه فلسطين، ام سيترسخ الى الابد باعتباره (اسرائيل) في الذهن والعقل الباطن؟

١٢ ـ ومن موقع رفض الوطن البديل تعلن الحركة ان اولئك الذين لا يستطيعون تحقيق الانتصار واستعادة الجناح الغربي لأسباب معروفة، ليس من حقهم ان يحرموا الاجيال القادمة من فرصة لتحقيق الانتصار فرصة قد تتوافر لهم وليست بين ايدينا الآن نعم ليس من حقنا ولا من حق اي جهة كانت تسليم راية بيضاء للاجيال التالية، فاذا كنا غير قادرين على التحرير، فليس بين ايدينا الا الصمود والاستماتة في مواقعنا الى ان يأتي نصر الله...

١٣ ـ وفي سياق العمل البطولي، الذي يخوضه ابناؤنا في شطر الوطن الغربي من فعل انتفاضي ثوري، تعلن الحركة دعمها اللامحدود لهذا الكفاح المجيد.

١٤ ـ وفي مجال الحياة السياسية في شطر الوطن الشرقي ـ الاردن ـ تعلن الحركة التزامها بالعمل السياسي البناء، الهادف الى صياغة اردن القرن القادم.

١٥ ـ تتبنى الحركة بصورة تامة كافة التحولات الحضارية التي شهدها شرقي الوطن من عودة للحياة النيابية، واطلاق للحريات العامة واطلاق سراح المعتقلين السياسيين وحرية تأسيس الاحزاب واعلان استقلال الصحافة.. الخ...، مؤكدة على ضرورة حمايتها وتطورها لتصبح الميزة الاهم للشخصية الاردنية.

١٦ ـ ترفض الحركة الاقتداء بالمذهبين الاقتصاديين العالميين: الرأسمالية، والاشتراكية على الصورة التي هما عليها الان وسابقا. وترى الحركة ان بامكان بلدنا وكذلك الامة الاهتداء الى حلول جادة وموضوعية لمجمل المشاكل الاقتصادية التي تعاني

منها عبر العودة الى كتاب الله المقدس، وصحيح السنة النبوية المطهرة لاكتشاف (الاتجاه العام) فيهما لبناء اقتصاد وطني وقومي ذي سمات خاصة به.

١٧ـ وفي الجانب القضائي، ترى الحركة ضرورة استمرار فصل القضاء عن بقية السلطات ومنحه استقلالية كاملة يمارس من خلالها دوره بحرية كلية بعيدا عن الهواجس الامنية والقلق المعيشي.

١٨ـ اما في الجانب الثقافي فان الحركة ترى ان مجتمعنا وبلادنا ليست ـ منفصلة عن المحيط سواء كان مشابها او مختلفا، وهي ـ الحركة ـ بادراكها لاهمية وسائل الاتصال المتطورة في عصرنا، تعلن واجب تفاعل ثقافتنا العربية الاسلامية في هذا البلد مع كافة الثقافات البشرية الاخرى.

١٩ـ تعتبر الحركة ان المجتمع، ذكورا واناثا ـ هو المستهدف في عملية الفعل السياسي لذلك فانها تعلن حرصها الكامل على استقرار الاسرة العربية الاسلامية في هذا البلد ودفاعها عنها، وكما وتعلن بشجاعة ان عصر الوصاية وعصر الحريم قد انتهى الى الابد وانه آن الآوان للمرأة في بلدنا ان تأخذ دورها على قدم المساواة مع توأمها الرجل لبناء الحياة العربية الاسلامية الديمقراطية المشرقة، بدون اكراه او اهدار كرامته.

٢٠ـ تعتبر الحركة ان الاعلام يتمتع بوضع خاص يعد الاكثر تأثيرا في عصرنا هذا في اتجاهات الرأي العام من بقية المؤسسات والاجهزة، ومع ذلك فان بلدنا يعاني من اعلام جاهل منغلق لم يستطيع القيام برسالته على خير وجه، وهذا يدعونا لان نعلن بأن التوجيهات الاعلامية الحركية ستكون مرتبطة بصورة مرنة مع الأسس الفكرية للحركة مستخدمة في ذلك والى اقصى حد متاح كافة الأساليب والوسائل الاعلامية العصرية ليكون بمقدورها التأثير في مجتمعنا بصورة عقلانية.

٢١ـ تؤكد الحركة على ان القيم الاخلاقية الاسلامية التي يجب ان تسود المؤسسة التربوية والتعليمية عموما هي الحق والخير والحرية والمساواة والمحبة والشجاعة والايثار والصدق والعدالة والحث على اقامة الشعائر الدينية وتعميق الايمان في صفوف النشء كما تؤكد الحركة ضرورة رفع مستوى التحصيل العلمي افقيا وعموديا بما يتلائم مع حاجيات الوطن مع واجب ربط الصفوف العليا للثانويات والجامعات بالمجتمع بصورة شاملة عميقة تسمح باغناء تجربة الطلبة في مواجهة ظروف الحياة العصرية المختلفة.

تسعى الحركة لتحقيق الاهداف التالية، اهداف عملية واهداف عليا:*

١ ـ نشر افكار الحركة في اوسع نطاق ممكن في شطرى الوطن الغربي والشرقي، وتكوين رأي عام مؤيد لاطروحاتها بحيث يشكل لها قوة امان كافية تسمح بالمضي اشواطا اخرى نحو تحقيق المزيد من التقدم والرقي الحضاري والانساني لشعبنا حسب رؤيتها العامة.

٢ ـ العمل من أجل تعزيز النفوذ المعنوي للاسلام تبعا للرؤية الفلسفية للحركة بين كافة اوساط شعبنا مع طرح حلول عملية للمشكلات الاقتصادية والاجتماعية يكون مصدرها القرآن الكريم والسنة المطهرة.

٣ ـ ستقاتل الحركة بدون هوادة في سبيل نفض الغبار وازالة التشوهات التي اصابت ديننا الحنيف على مدى قرون طويلة وستكافح كافة اشكال التعصب الديني الاعمى الذي قدم ديننا السمح بصورة غير واقعية وبشكل ادى الى نفور المسلمين قبل غيرهم من هذه التقدمة.

٤ ـ تعلن الحركة انها ستكافح بصورة ديمقراطية في سبيل الوصول الى البرلمان في بلادنا ثم لتشكيل حكومة تنفذ برنامجها السياسي وتطبق افكارها المطروحة في ميثاقها.

٥ ـ تأمل الحركة ان تحقق في الايام القادمة طموحها في بناء ذراع جهادية في الشطر الغربي من الوطن تسهم في رفع وتيرة كفاح شعبنا في خلاصة من الاحتلال اليهودي البغيض.

تساهم الحركة بكل ما في وسعها من جهد في موضوع

* المرجع السابق

المصالحة العربية الاسلامية في المشرق العربي بحيث تنتهي الخلافات السورية العراقية ثم تتطور العلاقات بالتنسيق مع الأردن وصولا الى اعادة الاعتبار الى الجبهة الشرقية رفعا للروح المعنوية لابناء امتنا عموما ولابناء شعبنا في شطر الوطن الغربي الذين يجابهون اعداء الامة خصوصا.

٧ - ستقدم الحركة في الايام المقبلة مساهماتها الفكرية والسياسية والاقتصادية التي تعتقد انها تشكل حلا او جزءا من حل مشاكل بلدنا عموما وستعطي اولوية خاصة للواقع الانساني المتعب بما يساعده على اقالته من عثراته، وكذا الواقع السياسي - بما يضمن تطوير الحياة الديمقراطية والسياسية والاعلامية في البلاد بصورة تتلائم والعصر الذي نعيش منطلقة في ذلك مع النبع الالهي - القرآن الكريم ورديفه السنة المطهرة وستثبت الايام ان اسلامنا العظيم قادر على ايجاد حلول لمشاكلنا عامة مهما بلغت درجته تعقيدها.

٨ - ستعمل الحركة على ترسيخ قاعدة ان ابناء هذا الوطن بجناحيه الشرقي والغربي، هم نسيج خاص ناتج عن اتحاد الشخصية الكفاحية - الجهادية بالشخصية المواطنية وان هذا الاتجاه هو قدر السماء والدم والعقيدة ولا فكاك له.

٩ - ستقاوم الحركة بكل ما تملك مؤامرة الوطن البديل عبر العمل المادي المباشر لبناء اردن وطني ديمقراطي متطور حر سيد مستقل، فأردن قوي يعني فرصة اكبر لفلسطين محررة واردن ضعيف يعني ضياع الأردن وفلسطين محررة واردن ضعيف يعني ضياع الأردن وفلسطين معا.

١٠- ستبني الحركة في قابلات الايام مؤسساتها التنظيمية والسياسية والثقافية والاعلامية بما يتيح لها فرصة افضل لخدمة الوطن والامة دينا ودنيا وتطوير واقعها الحركي يضمن مزيدا من التفاعل مع ابناء شعبنا اينما وجدوا.

ثانيا : الاهداف العليا:

١ - تحرير فلسطين تحريرا كاملا من الاستيطان اليهودي، وتوحيد الاردن وفلسطين شعبا ووطنا ومؤسسات تحت راية الاسلام الحرة، اسلام العدالة والمساواة والكرامة الانسانية.

٢ - المساهمة في تحرير المواطن العربي من الجهل والامية والتخلف والاستغلال والتبعية وبث اليقظة السياسية فيه لقوم بدور ليقوم فاعل في صناعة مستقبل الامة دينا ودنيا.

٣ - الكفاح الفكري الديمقراطي في سبيل انهاء سيطرة القبضة الفولاذية البوليسية في كافة الاقطار العربية واعطاء ابناء الامة الحق في تقرير مصيرهم بأنفسهم.

٤ - تحقيق الوحدة العربية تحت راية الاسلام بصورة تدريجية عبر اللجوء الى الوحدة الاقليمية اولاً ثم الوحدة الشاملة ثانيا، وهذا يعني وحدة بلاد الشام على سبيل المثال (سوريا الطبيعية) اي الاردن وفلسطين ولبنان وسوريا السياسية، مع العراق وحدة اقتصادية واجتماعية تؤسس الارضية الصلبة للوحدة السياسية، وكذا الامر بالنسبة لبقية اقطار الوطن الكبير.

٥ - اعادة الاعتبار للدين الاسلامي العظيم، بصفته رافعة ومحركا للتاريخ العربي وذلك بعد فشل كافة العقائد والايديولوجيات والنظريات التي لم تأخذ به بصورة متجادلة مع الواقع العربي او التي اخذته منفردا بدون فعل العقل، وتعتقد الحركة ان بامكانها تحقيق ذلك مع كافة المخلصين من ابناء امتنا.. وخصوصا مفكريها وقادتها الثقافيين والسياسيين والاقتصاديين الديمقراطيين.

٦ - مساعدة كافة الشعوب الاسلامية في الدول الاسلامية، وكذلك المجتمعات الاسلامية في البلدان غير الاسلامية في تأييد هويتها العقائدية الاسلامية ودعم حقها في تقرير مصيرها السياسي.

٧ - تقديم رؤية حضارية انسانية للبشرية مؤسسة على الدين الحنيف، بصفته دينا شموليا وعاليا في آن واحد، يتكفل حل مشاكل البشرية في الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والنفسية، رؤية جديدة تنظر الى الانسان اينما كان، باعتباره كائنا اجتماعيا مستهدفا من السماء بالرعاية والمحبة والاحترام والتكريم، بغض النظر عن اللون والجنس والمعتقد، على قاعدة عريضة، تدعو الى الوحدة والتوحيد: وحدة الانسانية في انسانيتها، وتوحيد الله عز وجل في ملكوته الاعلى. التنظيمات الاسلامية المسلحة التي يتردد اسمها في البلاد العربية والاسلامية منها الاردن.

هنالك العديد من التنظيمات الاسلامية التي تتردد اسماؤها في الاردن وباقي الدول العربية والاسلامية مثل جماعة القرآن، حركة الاصلاح الاسلامي والشباب المسلم حزب الله، التكفير والهجرة وشباب المعركة الاسلامية، والجهاد الاسلامي وحركة المقاومة الاسلامية، حماس وجيش محمد وهو التنظيم الاسلامي المسلح الذي تم القاء القبض على بعض عناصره مؤخرا في الاردن وقد جاء في البيان الرسمي ان بعض عناصر هذا التنظيم كانوا يهدفون الى التخطيط لاغتيال بعض الشخصيات الاردنية والقيام بعمليات تخريب في عدد من المؤسسات العامة ومن اهم التنظيمات التي يتردد اسمها على الساحة الاردنية.

١ - الجهاد الاسلامي: تنظيم ديني موجود في منطقة غزة وشعاره عبارة عن نجمة داؤد مطعونة بخنجر كتب عليها الجهاد، الله اكبر، الموت لاسرائيل ومن خلال منشورات هذا التنظيم يتبين انه يجمع بين الدين والقومية وان هذا التنظيم له اتصالات مع منظمة فتح وهو يقول عن نفسه بأنه تعبير جماهيري نشأ عن حوار طويل منذ منتصف السبعينات في الساحة الاسلامية السياسية الفلسطينية وان القضية الفلسطينية قضية مركزية للحركة الاسلامية لا داخل فلسطين فحسب وانما لكل الاتجاهات الاسلامية في المنطقة لذلك نجد ان هذا التنظيم لا يجعل ساحته فقط فلسطين وانما يجعل من المنطقة كاملة ساحة له.

٢ - حركة المقاومة الاسلامية "حماس" يعتبر الاخوان المسلمون حركة حماس احد الاجنحة المسلحة العاملة في فلسطين وقد استعملت عدة اسماء قبل ان يختار لها الاخوان المسلمون اسم "حماس" ومن بين هذه الاسماء (المرابطون على ارض الاسراء) (والاتجاه الاسلامي في ارض الرباط) واخيرا وفي عام ١٩٨٧ تم اطلاق اسم "حماس" عليها وهي تؤكد في المادة الثانية من ميثاقها انها احد اجنحة الاخوان المسلمين وتم اتهامها بأنها من صنع الدوائر الامنية اليهودية "الشين بيت" جاء هذا الاتهام في محاضرة القاها رضوان ابو عياش نقيب الصحفيين في فلسطين وهو معروف بعلاقته الوثيقة بحركة فتح وقال عنها بأنها "حركة عملية وتخدم الاحتلال" وهي تنفي عن نفسها هذه التهمة عن اعتبار ان الحاكم العسكري الاسرائيلي وصفها بأنها منظمة ارهابية معادية تعمل على تفويض دولة اسرائيل(٤٧).

٣ - حركة الجهاد الاسلامي (بيت المقدس) تأسست عام ١٩٨٠ بقيادة الشيخ اسعد بيوض التميمي وتقول هذه الحركة عن نفسها بأنها تأسست على ثلاث مراحل:

أ - مرحلة الدعوة وتحريض المسلمين على الجهاد.

ب - مرحلة تشكيل الخلايا التنظيمية.

ج - مرحلة الجهاد وبدء العمليات الفدائية.

وهذه الحركة تعتبر ان نجاح الاخوان المسلمين في الاردن قد تشكل دفعا معنويا لحركة "حماس" في الارض المحتلة وانها تعتبر(٤٨) نفسها امتدادا للتيار الاسلامي في الاردن والممثل بالاخوان المسلمين ويبدو ان هنالك انشقاق داخل حركة الجهاد الاسلامي "بيت المقدس" حيث يقول ابراهيم سربل ان هذه الحركة قد تأسست على الساحة الفلسطينية من قوميين واسلاميين وقد دخلنا المعركة مستفيدة من تجارب الشهيد عز الدين القسام، سيد قطب، صالح سرية... وان المجموعة انطلقت عام ١٩٧٩ وعلى ضوء هذا الكلام يقول ابراهيم سربل ان مجلس الشورى لحركة الجهاد الاسلامي قد قرر تغيير اسم الحركة الى حركة الجهاد الاسلامي، كتائب الاقصى وان اسم الحركة السابق حركة الجهاد الاسلامي، بيت المقدس، اصبح اسما بلا مضمون(٤٩).

يتعرض المجتمع الاردني كأي مجتمع آخر من المجتمعات العربية الاسلامية الى عوامل كحركة، وهو يتأثر سلبيا او ايجابيا بالافكار التي تهب على المنطقة ككل والاردن كبلد اسلامي، يشكل فيه المسلمون الاغلبية الساحقة، خال من عداوة منظمة ضد العقيدة الاسلامية، كما ان الدولة ترعى الناحية الدينية وتعمل على بناء

(٤٧) زياد ابو غنيمة: مقالة عن حركة حماس

(٤٨) عبد الله عيسى: جافلات الجهاد الاسلامي، عبد الله عيسى، ص ١٥، ص ٥٥

(٤٩) ابراهيم سربل، الناطق الرسمي باسم حركة الجهاد الاسلامي، كتائب الاقصى، مجلة الشريف، عمان، ص ١٤، ١٥

المؤسسات الدينية ذات التأثير الكبير، والفاعلية في تثقيف الناس دينيا كما ان الاسلامية العامة، وكونه شكل رمزا للاردنيين يلتفون حوله فان رعايته واهتمامه المتطرف احيانا، وتعمل المؤسسات الرسمية الاسلامية في الاردن على تنمية الاتجاه العام الذي يميل الى الحوار والانفتاح كطريق للاصلاح.

ويوجد في الاردن عدد كبير من المساجد قياسا بعدد سكانها ومساحتها وهي تتعدى الالفي مسجد، كما انه يوجد عدد كبير من المراكز الاسلامية التي تهتم في نشر الوعي الاسلامي لدى المواطنين وتقوم بعدد كبير من الدراسات والابحاث الاسلامية، وتسعى هذه المراكز جاهدة لاثراء مكتباتها بالمصادر والمراجع الاسلامية والدراسات العلمية المتخصصة.

ويكاد يكون الاسلام المؤسسي في الاردن متطورا لابل انه قطع شوطا اكبر مقارنة بالدول المجاورة للاردن وهذا ناتج عن رعاية الدولة له، والاتجاه الاسلامي في الاردن له الكثير من النتائج الايجابية التي اثرت في الحياة العامة فقد عملت على تنمية المجتمع روحيا واقتصاديا وعلميا، واجتماعيا وفكريا.

وقد شارك الدولة في بث روح الصمود تجاه العدو الصهيوني الغاشم وعمل على توطية الامن والاستقرار وتخفيف الجرعة، ونشر الفضيلة داخل المجتمع الاردني ويعمل جاهدا على تخفيف الاقليمية والعصبية، وقد كانت لذلك نتائج ملحوظة في المجتمع الاردني، وعلى تكوين شخصية الافراد واذا ما قمنا باستعراض المؤسسات الاسلامية الرسمية والشعبية داخل المجتمع الاردني، فاننا نجدها كثيرة وموزعة توزيعا يتناسب مع طبيعة التوزيع السكاني الاردني ومن اهم هذه المؤسسات:

١ - وزارة الاوقاف وما يتفرع عنها من مراكز اسلامية في المحافظات.

٢ - دور القرآن الكريم

٣ - المساجد

٤ - الجامعات الاردنية، والمراكز الاسلامية فيها، وكليات الشريعة.

٥ - مؤسسة آل البيت.

٦ - دائرة الافتاء في القوات المسلحة، ومسؤوليتها في التوجيه والتثقيف الاسلامي داخل صفوف القوات الاردنية المسلحة.

٧ - دار الافتاء في مديرية الامن العام.

٨ - وزارة التربية والتعليم، من خلال المناهج وحصص التربية الاسلامية فيها.

٩ - الجمعيات الخيرية الاسلامية والمنتشرة في عدد من المحافظات والالوية.

١٠- البرامج الاذاعية والتلفزيونية، والتي تبث بشكل يومي.

١١- المؤتمرات ذات الطابع الاسلامي او التي ترعاها هذه المؤسسات الاسلامية والتي تنظم بشكل شبه دوري.

١٢- النوادي والجمعيات، التي تشكل واجهات علنية للاحزاب الاسلامية في الاردن مثل نادي اليرموك، وجمعية الاخوان المسلمون، التي لها فروع في عدد كبير من المحافظات والالوية.

١٣- المدارس الخاصة التي ترعاها هذه الحركة.

الا ان العمل الاسلامي سواء كان مؤسسة شعبية او رسمية، فهو عملية متداخلة يصعب احيانا الفصل بينهما الا ان ذلك لا يمنع من معرفة ان العمل الرسمي والاجهزة الرسمية تتسم بطابع المحافظة والتقليد من المؤسسات الشعبية.

سلبيات الحركة الاسلامية في الاردن : -

هنالك مجموعة من السلبيات في التيار الاسلامي او الحركة الاسلامية قد لا تكون هذه السلبيات مقتصرة على الاردن فحسب، إنما تشترك في باقي الدول العربية والاسلامية ومن هذه السلبيات:

١ - طرح الحلول المثالية الصعبة للتحقيق بصرف النظر عن واقع المجتمع وقدراته الحقيقية وامكانية التجارب فيه، وقد يكون ذلك احد اسباب التوتر المستمر وتعثر العمل الاسلامي.

٢ - انكماش اكثر الدعاة في حدود العلوم الشرعية وحدها دون التوسع في الثقافة العصرية ولا سيما ما يتصل منها بوسائل الاتصال الحديثة وعلم النفس، ،اسلوب مخاطبة الجماهير مع الالمام بمشاكل المجتمعات الحديثة وقضايا الشباب المعاصر، والافكار والمذاهب الاجتماعية والاقتصادية التي يتعرض لها المجتمع.

٣ - كثرة التنظيمات الاسلامية والخلافات المذهبية والفكرية والسياسية بينها وأخطر ما في هذه الخلافات انها تمنع وجود استراتيجية واعية، تأخذ بالاعتبار جميع العوامل المؤثرة في المجتمع مما يجعلها ضعيفة وبالتالي يدفعها ضعفها لتبني المواقف المتطورة بغية كسب الشارع، يوقعها بان تقوم بعمل تحالفات مع تنظيمات اخرى ليست اسلامية وبخاصة اذا كان قصد هذه الحركة الاستيلاء على السلطة.

٤ - الميل الواضح لدى بعض الحركات الاسلامية لاستغلال المسجد للدعوة للقضايا التنظيمية تحمل في طياتها الخلافات بين فصائل تنظيمات الحركة الاسلامية والترويج لانتماءات عقائدية او تنظيمية محددة، وهذا ما اتهم به الاخوان المسلمون في الاردن قبل باقي التنظيمات.

وهذا الاسلوب كثيرا ما يضعف من هيبة المنبر كقاعدة للوحدة الاسلامية والوطنية داخل البلد [٥٠] .

٥ - ان الكثير من الحركات الاسلامية المعاصرة قد بالغت في ترويض اعضاءها على الطاعة اكثر مما دربتهم على المحاسبة والنقد والتقويم، وهذا النمط من التربية اوجد لدى هذه الحركات وحدانية الرأي، المتمثل برأي المرشد او الامير او الادارة، مما اثر على هذه الحركات عند غياب المرشد لعدم وجود القيادات البديلة القادرة على الحلول محل قيادة المرشد او الامير او الامام.

وهذا الخلل جعل من الطاعة التزاما من الحرية، مما تسبب في فقر شديد للتنظيمات لملء الفراغ الناشيء في قيادتها، مما جعل الحركات الاسلامية تشكو من قلة الرؤوس القيادية.

كما ان هذه الطاعة المطلقة لبعض العناصر قد سبب الكثير لهذه الحركات من المشاكل منها عدم قدرة تقدير الموقف ازاء الاحداث، فعندما قامت الثورة الاسلامية الايرانية، قام الاخوان المسلمون بتشكيل تنظيم، اسموه "لجنة فتح ايران"، وجعلوا من عمان مقرا لها، وعينوا لها رئيساً أفرزوا لها العناصر ووضعوا لها الميزانية من اموال حزب الاخوان المسلمين ومن الغريب في الامر ان مهمة هذه اللجنة كانت تحويل الشعوب الايرانية الى مذهب اهل السنة بدلا من مذهب الشيعة، وأصبح هذا الامر من اوليات العمل الاسلامي لديهم وانفق الكثير من الاموال دون معرفة الى كيف انفق ولماذا انفق. فالثقة بالقيادة في هذه الحادثة كانت مطلقة وعمياء.

٦ - الاشكاليات التنظيمية التي تعاني منها الحركات الاسلامية، فالمشكلة في اي تنظيم اسلامي ان النظم الاسلامية واللوائح الادارية تعامل وكانها سر من الاسرار.

فالقاعدة العريضة من اعضاء التنظيم ربما نقضي العمر كله في التنظيم دون ان نتطلع على النظام الاساسي ولقد قمنا بتوجيه هذا السؤال الى عدد من المنتظمين والمتعاطفين مع بعض الحركات الاسلامية في الاردن، سواء مع الاخوان المسلمين او مع حزب التحرير، وليسوا من القياديين، وكان السؤال:- ما هو نظام الاخوان المسلمين؟ او هل اطلعت على دستور حزب التحرير؟ فكان اجابة معظمهم بالنفي.

فالسرية كثيراً غير مبررة، وخاصة في الاردن التي تتيح التنظيمات الاسلامية بالعمل العلني ضمن الدستور.

(٥٠) كامل الشريف، ندوة الفكر الاسلامي، ص ١٨ - ١٩.

والمشكلة الاخرى في التنظيم الاسلامي انه يطالب اعضاءه بتأدية واجباتهم دون ان يسمح لهم بالمطالبة بحقوقهم، والمثال على ذلك النظام العام للاخوان المسلمين الذي ذكر سابقاً في هذا البحث نلاحظ ان جميع مواد هذا النظام تؤكد على واجبات العضو ابتداء بعهد البيعة (مادة ٤) مروراً بدفع الاشتراك المادي (مادة ٥) وصولا الى الاجراءات الجزائية (مادة ٦) دون ان تجد في طيات هذا النظام مادة تعطي الحق للعضو في التظلم ودون تحديد الجهة التي يتظلم لها[٥١] وقد ينسحب هذا الكلام على بعض التنظيمات الاخرى الاسلامية والمتواجدة على الساحة الاردنية.

واخيراً :-

ليس الدين الاسلامي بمانع للتطور، او بجانب عنه، بل انه دعوة ملحة اليه، ولا نعرف دينا الح وحث على طلب العلم واعلاء شأن العلماء كما الح الدين الاسلامي ونحن نبرىء الدين الاسلامي من كل علاقة بالتخلف العام الذي لا يفلت منه اي بلد مسلم وكمسلمين فاننا ننحاز ضمنياً ودون تطرف لديننا نشأنا عليه، فهذا الدين كان سبباً لنشوء الحضارة العربية الاسلامية التي تفاخر بها وتشكل جزءا من وجودنا وان التحدث عن وعي اسلامي وايدلوجية اسلامية باطلاق اللفظ دون اشباع ذلك دراسة علمية وامنية، ووعي يقوم على العقل لا على العاطفة، فالمواعظ والخطب والاحلام والمثل لا تكفي لحل المشاكل التي تواجه المجتمعات الاسلامية.

فالامر لا يتعلق بتقديم الغراء فقط لما نحن عليه الآن، فالتعصب والتطرف مظهرا من مظاهر الانحطاط وتأخر الوعي والعجز عن تحقيق الذات بصورة ايجابية كما ان تكفير المعارضة عامل من عوامل الاضعاف والتفتت، ذلك ان وحدة الارادة وتظافر الجهود ضرورياً للنهوض والارتقاع والانفتاح والتسامح هما البديلين للتطرف والانغلاق وتكفير المعارضة والحركات الاسلامية ضربا من ضروب التقوقع والتعامل من موقع المصلحة والفهم والتعاون على البر، وليس فقط من موقع العداء او الاستعلاء لان ذلك موقفا علميا وامنيا واننا كاسلاميين نتحرك تحت مظلة دعوة عالمية تخاطب الناس كافة، وان فتح قنوات الحوار مع التيارات الفكرية والسياسية الاخرى لابد منه، اذا كنا جادين بالتحدث عن مستقبلنا لان هذه التيارات الفكرية المتواجدة على الساحة جزءا لا يتجزأ من الواقع الراهن وبالتالي لا بد من التعامل معها بصيغة متفق عليها من قبل جميع فصائل الحركة الاسلامية، ثم على هذه الفصائل تجنب الوقوع في فخ الصراعات المذهبية لان ذلك صراعات يراهن عليها العدو لكي يخرجا وقتما يشاء.

وان تعمل الحركة الاسلامية على مد جسور التعاون مع الطوائف غير الاسلامية والتي تعيش وسط المجتمع الاسلامي.

ان الحركة الاسلامية في الاردن كما هي الحال في باقي الدول العربية والاسلامية، لكنها شهدت تحركا وحرية في الحركة لم تشهده باقي الحركات الاسلامية في الدول الاخرى ويعود السبب في ذلك الى الانفتاح الديمقراطي الذي تشهده الاردن منذ سنتين.

وعلى الرغم من عدم السماح للاحزاب بالعمل بسبب تأخر صدور قانون الاحزاب الا ان الاحزاب الاسلامية تعمل وبشكل علني وملفت للنظر وقد فرض الاخوان المسلمون نفسهم على الساحة الحزبية لكن و هذا الفرض في المستقبل يشوه الكثير من الغموض بسبب بروز احزاب اسلامية اخرى اخذت تعمل جاهدة لكسر شوكة الاخوان في الشارع السياسي الاردني يساعدها وبوضوح الاحزاب الوطنية واليسارية والقومية والحكم على الحركة الاسلامية يكون من خلال الحكم على الاخوان المسلمين لانه التنظيم الوحيد المكتمل والواضح المعالم من بين التنظيمات الاسلامية الاخرى، فهنالك العديد من الاحزاب تجلس تحت المظلة الاسلامية، غير انها ما زالت تنتظر انطلاق القطار الحزبي، فهي جميعاً ما زالت مشاريعاً حزبية ام تتعرض لامتحان الشعبية بعد ولا تحب المجازمة غير القانونية كما هو عليه الحال بالنسبة الى حزب التحرير في الاردن الذي يعمل بمجازفة لكنه ما زالت شعبيته ضعيفة، واخذ اخيرا يتأثر بالحصار التيار الديني.

فان كان الاخوان اول المتأثرين فان التحريرين لا تقل خسارتهم عن الاخوان مع الاخذ بعين الاعتبار ان شعبية الاخوان المسلمون تفوق كثيراً شعبية التحريرين وتبقى هنالك محددات تحد من

---

(٥١) عبد الله النفيسي، مرجع سابق، ص ٣١ – ٣٢ .

امتدادية الحركة الاسلامية في الشارع الاردني اولها: الحل السلمي المتوقع للقضية الفلسطينية، ونمو الاقليمية داخل الشارع الاردني وانحسار الطبقة الدنيا، وتوقع الانتعاش الاقتصادي، ونمو الطبقة الوسطى واعادة الحياة لها، كل ذلك يجعل من عملية امتداد المد الاسلامي مرهونة في تلك القضايا.

فالانتخابات النيابية التي جرت في عام ١٩٨٩ والتي كان للاخوان المسلمين فيها نصيب الاسد، كانت انعكاساً غير دقيق للتقسيمات السياسية داخل المجتمع الاردني. ومن هذا يرى بعض الاردنيين ان ظاهرة انقسام الحركة الاسلامية هي اوسع بكثير بين الفلسطينيين مما هي الحال عند الاردنيين، وهنالك تطابق بين الصوت الفلسطيني والصوت الاسلامي بسبب اشكالية الهوية الاردنية الفلسطينية.

كما ان الطبقة الوسطى اخذت في الانحسار خاصة بعد التدهور الاقتصادي الذي اصاب الاردن مما ادى الى اتساع الطبقة الدنيا، وهذه الطبقة دائماً تسعى للتغيير لانهاض وجهة نظرها اي تغيير يمكن ان يكون لصالحها، فوجدت في الاتجاه الاسلامي ضالتها المنشودة.

وتركز كثير من التنظيمات الاسلامية على المجتمعات مجتمعات الطلبة وتعتبر الجامعات والمعاهد الارضية الخصبة التي تسعى من خلالها الحركات الاسلامية لبناء كوادرها المستقبلية عن طريق هؤلاء الطلبة، ونظراً لظروف هؤلاء الطلبة وبخاصة القادمين من بيئات فقيرة، فاننا نجدهم ينتظمون بسرعة في هذه التنظيمات أملين من هذا التنظيم او ذاك مد يد العون لهم ومساعدتهم.

وقد استطاع الاخوان المسلمون في الاردن ان يكون لهم نفوذهم في صفوف الطلبة وقد تبين من خلال الانتخابات الطلابية لانتخاب لجنة تشرف على تأسيس اتحاد طلابي في الاردن وقد استطاع الاخوان المسلمون الحصول على معظم المقاعد مما دعا ادارات الجامعات الى التريث في السماح باتحاد طلابي يكون مسيطراً عليه حزبيا وتحركه جهة معينة ومحددة.

والمكان الاخر للحركة الاسلامية والذي برز وطفا على السطح هو وزارة التربية والتعليم، هذه الوزارة من الوزارات المهمة والتي ينطوي فيها ما لا يقل عن ٤٠ الف معلم ومعلمة، اضافة الى الاعداد الكبيرة من الطلبة والذي تجاوز المليون طالب، وقد استطاع الاخوان المسلمين ان يكون لهم موطيء قدم رئيس داخل هذا الجهاز.

وحتى يحافظ الاخوان على مكاسبهم، فقد ركزوا كثيراً على مطالبتهم بحقيبة وزارة التربية لكن الحكومة تحاول دائماً الحد من هذا خوفا من ان تقع وزارة التربية والتعليم في احضان الاخوان المسلمين ومع ذلك فقد حصل الاخوان على هذه الحقيبة في التعديل الوزاري في حكومة مضر بدران عام ١٩٩١، الا ان ذلك لم يستمر طويلاً.

ويبقى الاخوان في الشارع الاردني يسعون للمحافظة على القمة التي وصلوا اليها في انتخابات عام ١٩٨٩، ولكن من الصعب عليهم ذلك بعد ان ازدحم الشارع السياسي الاردني واصبحت الحركة فيه اكثر صعوبة، واخذت تزاحمهم كثير من التنظيمات السياسية سواء من يستظل بمظلة الاسلام او القومية او اليسارية او القطرية وقد يكون وصول القمة صعباً ولكن الصعوبة الاكثر هي في المحافظة عليها.

ان حدثين اثرا على مجرى الحياة السياسية في الاردن، وتفاعلا في الشارع الاردني، الحدث الاول كان أزمة الخليج والحدث الثاني الجهود الامريكية لعقد مؤتمر السلام مع اسرائيل.

ففي الحدث الاول اندفعت التنظيمات السياسية ومنها الحركة الاسلامية الى تسخين الشارع الاردني تجاه الوقوف مع العراق، وقد تطابق الموقف الرسمي مع الموقف الشعبي في نظرته الى ازمة الخليج، لكن صمتاً كان يخيم على التنظيمات السياسية تجاه مؤتمر السلام ومراحله، وقد يكون لنتائج ازمة الخليج اثر كبير على هذا الصمت والذي لا يعني الرضا عند معظم التنظيمات.

والملاحظ ان هذه التنظيمات قد استنزفت ازمة الخليج قواها مفرغة في هذه الازمة كل ما لديها من شعارات فخرجت من الازمة منهوكة القوى مما جعل حركتها بعد الازمة اكثر صعوبة واذا نظرنا الى الحركة الاسلامية في الشارع الاردني لوجدنا ان هذه الحركة تعارض الحل السلمي وخاصة الاخوان المسلمين حيث

عبروا عن ذلك من خلال البيان الذي نشرته حركة حماس في الصحف الاردنيه، معبرة من خلاله عن رفضها للحل السلمي، مصرة على شعارها وهو تحرير فلسطين من البحر الى النهر، وهو الشعار الذي يرفعه الاخوان المسلمون في الاردن، وما زال هذا الرفض يسمع عبر جريدتهم "الرباط" وعبر اجتماعاتهم الا انهم ما زالوا محجمين عن اي تحرك على مستوى الشارع وقد يعود سبب ذلك الى عدم مناصرة القوى السياسية الاخرى وسبب آخر ان الصوت الفلسطيني يؤيد بأغلبية مؤتمر السلام وخاصة بعد قرارات المجلس الوطني الفلسطيني الاخيرة المتعلقة بالحل السلمي والمشاركة الفلسطينية فيه.

وسبب اخر هو خوف الحركة الاسلامية من الاصطدام مع النظام الذي ايد الدخول في حلبة الحل السلمي في محاولة لتحريك الشارع الاردني، وسوف يقابلها رد حاسم يفقد الحركة الاسلامية الكثير من المكتسبات التي حصلت عليها خلال السنوات السابقة هذا بالاضافة الى ان ما حصل في الجزائر ما زال يخيم على معظم الحركات الاسلامية في العالم العربي عامة والاردن خاصة.

ومن هذا كله نجد ان الحركة الاسلامية ما تزال تتبنى مرحلة الشعارات وهي المرحلة التي عاشها العالم العربي كثيراً ويعيشها في كل ازمة يتعرض لها والتي تؤدي بحاملها الى التهلكة الشعبية والى الافراغ الغير مبرر من محتواه احيانا مما يؤدي بحاملها الى وصول مرحلة النهاية مبكراً وهذا ما حصل خلال السنة التي عاشتها الحركة الاسلامية في الاردن، بحيث كانت تنعم بالشيعة، الا ان النهاية التي وصلت لها كانت غير سعيدة، حيث انها الآن تحاول لملمة نفسها وابراقها وقد عادت تتلقى التعليمات بعدما كانت لفترة وجيزة مضت تعطي هذه التعليمات.

وقد جاء في البيان الذي قامت حركة "حماس" بنشره في الصحف الاردنية بتاريخ ١٩٩١/٩/٢٤. تحت عنوان "بيان تاريخي من حركة المقاومة الاسلامية في فلسطين "حماس".

ان الظروف التي ولدت فيها فكرة ما يسمى بمؤتمر السلام والاطراف التي دعت له بالترغيب والترهيب والاهداف التي وضعت له تجعل هذا المؤتمر يهدف الى اضفاء الشرعية الدولية على وجود الكيان الصهيوني، ويؤدي الى اعتراف الدول العربية والاسلامية لهذا الكيان والتسليم بذلك والتعهد بتقديم التسهيلات اللازمة لاستقرار هذا الكيان وقد حمل البيان على منظمة التحرير حيث جاء في هذا البيان بان قيادة منظمة التحرير الفلسطينية ورموزها في فلسطين المحتلة وخارجها يطوفون العواصم العربية والغربية لضمان مشاركتهم في هذا المؤتمر ويحملون المنظمة مسؤولية تمرير الموافقة على قرارات هيئة الامم ٢٤٢ و ٣٣٨ ويعتبرون ان هذه القرارات جائرة بحق فلسطين والفلسطينيين وهم يتوجهون من خلال هذا البيان الى الشعب الفلسطيني والجماهير الاسلامية كافة الى رفض هذا التآمر على الحقوق الفلسطينية وعلى تهويد فلسطين ويطالبون الجماهير ان تقف في وجه هذا المؤتمر حتى لا تمر ما يسمونها "المؤامرة".

وفي الختام فانهم يقولون اننا حركة المقاومة الاسلامية حماس ومعنا الشعب الفلسطيني نؤكد تمسكنا بحقنا في ارضنا معلنين بكل وضوح ان المجلس الوطني الفلسطيني بتشكيلته الحالية غير مؤهل ولا مخول باتخاذ قرار يمثل من خلاله الشعب الفلسطيني والحركة تدعو الى:

١ - رفض التنازل عن اي شبر من فلسطين وقلبها بيت المقدس والتعبير عن كل ذلك بكل الوسائل المكنة، والتأكيد على حقنا في فلسطين كاملة غير منقوصة فالقدس لنا وحيفا ويافا واللد والرملة.. كما الخليل ونابلس وغزة كلها لناولن تكون لغيرنا.

٢ - الالتحام الشامل مع حركة (حماس) ومسيرتها الجهادية المظفرة ان شاء الله ودعم برنامجها السياسي المبدئي الرافض لاطروحات الاستسلام والتنازل والاعتراف بالعدو والدعوة بالوقوف بنيانا مرصوصا نرمي عن قوس واحدة ولتتحطم على صخرة صمودنا كل المؤتمرات.

٣ - تدعو المخلصين من اعضاء المجلس الوطني الفلسطيني ان يبقوا في صف شعبهم تدعوهم الى مقاطعة المجلس واعلان رفضهم لكل القرارات التي تتناقض مع حق الشعب الفلسطيني. فهذا الموقف المشرف هو الذي تنتظره منهم.

٤ - تدعو ابناء الشعب الفلسطيني الى الاستمرار في الانتفاضة المباركة وتفعيلها واشعالها بالدم وهذا الرد العملي المباشر على مؤامرة بيع فلسطين والتعلم الدنيا ان الانتفاضة مستمرة ولن تكون ابدا محل مساومة.

واختتمت البيان بالنداء التالي :-

شعبنا الفلسطيني المجاهد .. يا جماهير امتنا العربية الاسلامية :-

ان حالة الضعف والتراجع التي تمر بها امتنا في هذه المرحلة لن تستمر طويلاً فامة القرآن والجهاد ستنهض هذه المرة ايضاً .. كما نهضت بعد كل فترات الضعف والهزيمة التي مرت بها عبر تاريخها الطويل.

ان الثبات والصمود والتمسك بالحقوق .. كل الحقوق .. هو المطلوب مهما كان الثمن .. ومهما كانت التضحيات .. ان قيادة (حماس) وقواعدها في الداخل والخارج اذ ترفض المشاركة في المجلس الوطني الفلسطيني .. انما تعبر عن الموقف الاصيل لشعب وكل مسلمي العالم، الذين يرفضون الذل، كما يرفضون التفريط ببذرة رمل واحدة من فلسطين .. وستبقى الحرب بيننا وبين العدو المحتمل سجالاً .. والايام دول .. والنصر آت باذن الله"[٥٢].

" ولينصرن الله من ينصره "

والله اكبر والنصر للمؤمنين المجاهدين

لقد احببنا ان نختم بحثنا هذا بهذه الفقرات من بيان الحركة الاسلامية "حماس" والتي تمثل احد اجنحة الاخوان المسلمين والذين يمثلون الحركة الاكبر ضمن الحركات الاسلامية بعين الاعتبار ان جميع الحركات الاسلامية المتواجدة سواء على الساحة الاردنية او غيرها من الساحات العربية والاسلامية قد خرجت من عباءة الاخوان المسلمين وبالتالي فهذا البيان يمثل وجهة نظر الاخوان المسلمين فيما يدور على الساحة من احداث سياسية هامة وخطيرة على مستقبل الامة العربية والاسلامية وانها تمثل منعطف تاريخي لمستقبل المنطقة لكن البيان لم يخرج عن كونه بيانا عاديا خطابيا فيه اثارة للعواطف وحشو بالكلمات المعروفة.

والبديل المطروح من خلال هذا البيان لا يكاد يرقي الى مستوى الحدث الذي نعيش ولم يتعرض الى تحليل واف، بل يناقش النتائج مسبقاً معطيا الاستنتاجات السريعة والمطلوب اقناع العقل العربي بواقعه وموقفه من الحدث العالمي والنظام الدولي الجديد الذي اصبح الفرد العربي والاسلامي والعالمي ككل ضمنه دون ان يكون له خيارات اخرى، فبعد انهيار الاتحاد السوفيتي اصبحت المظلة الامريكية هي التي تظل العالم واصبح الانسان تحتها امام خيارين لا ثالث لهما.

اما الانضواء تحتها واتقاء شرها او ان تنكوي بنارها والدولة الوحيدة في العالم الان التي تشعر انها تملك الخيار الثالث هي الدول اليهودية اسرائيل فلديها خيار الرفض للقرار الامريكي وتملك في الوقت نفسه مقومات الدولة الاكثر رعاية من امريكا ولكن الى متى اسرائيل سيدة البيت الابيض، اذا اراد البيت الابيض ان يكون سيد العالم؟.

---

(٥٢) صحيفة الراي الاردنية، العدد ٧٧٢٢ ، تاريخ ١٩٩١/٩/٢٤ .

المراجع

١ – احمد صدقي الدجاني، تطور مفاهيم الديمقراطية الفكر الغربي الحديث، مركز دراسات الوحدة العربية، ندوة ازمة الديمقراطية في الوطن العربي، قبرص، ١٩٨٣ .

٢ – ابو لبابة حسين، موقف المعتزلة من السنة النبوية، دار اللواء للنشر والتوزيع السعودية ١٩٨٧ .

٣ – المجلس القومي للثقافة العربية الوحدة ازمة الفكر السياسي الغربي العدد ٤٧٤٦ . المغرب السنة الرابعة.

٤ – المجلس القومي للثقافة العربية الوحدة القومية والاسلام السياسي المغرب السنة الخامسة العدد ٥٢ كانون ثاني ١٩٨٩ .

٥ – المجلس القومي للثقافة العربية الوحدة ، كامب ديفد والواقع العربي السنة الثالثة، العدد ٣٥ ، ٣٦ المغرب أب ١٩٨٧ .

٦ – جمعية الشؤون الدولية، مجلة الندوة ،المجلد الاول، العدد الاول، عمان كانون اول ١٩٨٨ .

٧ – جمعية الشؤون الدولية، مجلة الندوة، المجلد الثاني ، العدد الثاني، ايار ١٩٩٠ .

٨ – جمعية الشؤون الدولية، مجلة الندوة ، المجلد الثاني ، العدد الثالث، عمان، تشرين اول ١٩٩٠ .

٩ – حزب التحرير، النظام العام، د.م، ١٩٨٥/٥/٩ .

١٠ – حركة الجهاد الاسلامي، بيت المقدس، وعد الاخرة، العدد الرابع، عمان، كانون ثاني ١٩٩١ .

١١ – خالد غنام، صواريخ في تل ابيب، دار الابداع للنشر والتوزيع، عمان ١٩٩١ .

١٢ – رناد الخطيب عياد، التيارات السياسية في الاردن ونص الميثاق الوطني الاردني، المطبعة الوطنية، عمان، ١٩٩١ .

١٣ – عادل حمودة، قنابل ومصاحف في تنظيم الجهاد، سينا للنشر القاهرة، ١٩٨٥ .

١٤ – عبد القادر عودة، الاسلام واوضاعنا السياسية مؤسسة الرسالة بيروت (د.ت) .

١٥ – عبد الله عيسى، حافلات الجهاد الاسلامي، دار الابداع للنشر والتوزيع، عمان ١٩٩١ .

١٦ – عبد الله نقرش، التجربة الحزبية في الاردن، منشورات لجنة تاريخ الاردن، عمان ١٩٩١ .

١٧ – عبد الله النفيسي، الحركة الاسلامية: رؤية مستقبلية في النقد الذاتي، تحرير، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٨٩ .

١٨ – لجنة كتابة تاريخ العرب، دراسات تاريخية، جامعة دمشق، العددان ٩ ، ١٠ دمشق تشرين اول ١٩٨٣ .

١٩ – لجنة كتابة تاريخ العرب، دراسات تاريخية، جامعة دمشق، العددان ٢٣ ، ٢٤ دمشق، كانون اول ١٩٨٢ .

٢٠ – لطفي الخولي (محرر)، المأزق الغربي، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، الاهرام ١٩٨٦ .

٢١ – مجيد خدوري، الاتجاهات السياسية في العالم العربي، مؤسسة ابن رشد للنشر القدس، (د.ت).

٢٢ – مجلة الشريعة، العدد رقم ٣٠٤ ، عمان ، نيسان ١٩٩١ .

٢٣ – مجلة المنابر، السنة السادسة، العدد ٥٨ ، بيروت، كانون ثاني ١٩٩١ .

٢٤ – مجلة المنابر، السنة الثالثة، العدد ٣٣ ، بيروت تشرين اول ١٩٨٨ .

٢٥ – مجلة المنابر، السنة الرابعة، العددان ٣٥ ، ٣٦ ، بيروت، كانون ثاني وشباط، ١٩٨٩ .

٢٦ – محمد سعيد العشماوي، الاسلام السياسي، اسيا للنشر ، القاهرة، ١٩٨٩ .

٢٧ – محمد عبد الله السمان، الرجل والفكرة، دار الاعتصام، عمان ١٩٧٨ .

٢٨ – مركز دراسات الوحدة العربية، مجلة المستقبل العربي، العدد ٧، السنة السابعة، كانون اول، ١٩٨٤ .

٢٩ – يوسف عبد المنعم الزين، الاحزاب العربية الفلسطينية، ١٩٠٩ – ١٩٤٨ ، دار جاد للنشر والتوزيع، عمان ١٩٩١ .

٣٠ – وزارة الاوقاف والشؤون والمقدسات الاسلامية، ندوة الفكر الاسلامي في المجتمع الاردني، عمان، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.

بلاد عمان

فصل من كتاب Beschreibung Von Arabein للرحالة الألماني كارستن نيبور Carsten Niebuhr .

ترجمة الدكتور أحمد قايد الصايدي
رئيس الجمعية اليمنية للتاريخ والآثار
مستشار جامعة صنعاء

مقـــدمة

في مطلع عام ١٧٦١م أرسلت حكومة الدنمارك بعثة علمية الى اليمن، للقيام بدراسات وجمع معلومات عنه . وكانت هذه البعثة، التي عرفت في ما بعد ببعثة نيبور، كانت مكونة من خمسة علماء مختلفي التخصص، من بينهم العالم الالماني كارستن نيبور . وقد وصلت البعثة الى اليمن في أواخر ديسمبر من عام ١٧٦٢م . وكان مقررا ان تمكث فيه عامين إلى ثلاثة أعوام . ولكن أعضاءها اصيبوا في سهول تهامة بمرض الملاريا ومات إثنان منهم في اليمن، احدهما دفن في مدينة المخاء والآخر في مدينة بريم، وكان هذا سبباً كافياً لاختصار مدة البقاء في اليمن وغادر من بقي حياً من أعضاء البعثة ميناء المخاء في أواخر شهر أغسطس من عام ١٧٦٣م، باتجاه الهند. وتوفي اثنان منهم في عرض البحر وقذف بجسديهما إلى البحر. كما توفي واحد في مدينة بومبي بالهند . ولم يبقى من اعضاء البعثة حياً سوى نيبور، الذي اكمل وحده مهمة البعثة، وقفل راجعاً الى اوروبا بعد ان مكث في الهند عاماً ونصف العام . وفي طريق عودته مر بمسقط ثم ايران ثم العراق فسوريا فمصر فقبرص فتركيا فبلغاريا فرومانيا فبولندا فالمانيا ثم السويد، التي وصل الى عاصمتها كوبنهاجن في أوائل يناير من عام ١٧٦٧م .

ومع ان نيبور لم يمكث طويلاً في مسقط، الا انه وصل اليها في الثالث من يناير عام ١٧٦٥م وغادرها بعد اسبوعين فقط متجها الى ايران، فقد تمكن من جمع بعض المعلومات عن عمان، أفرد لها فصلاً خاصاً في كتابه Beschreibung Von Arabien ،أي وصف الجزيرة العربية، تحت عنوان «بلاد عمان». وهذا الفصل هو موضوع ترجمتنا هذه.

وقبل أن أسلم القارئ إلى ما سجله نيبور عن عمان، أود أن ألفت انتباهه الى انني قد عمدت في هذه الترجمة إلى إبقاء جميع أسماء الأماكن والأشخاص كما سجلها نيبور نفسه . فقد سجلها في بعض الاحيان بالأحرف اللاتينية متبوعة بالأحرف العربية . وفي أحيان اخرى اكتفى بتسجيلها بالأحرف اللاتينية فقط . وقد اعتمد في الحالتين على السماع . ولاختلاف مخارج بعض الاحرف العربية عما الفته الاذن الاوروبية، ولأن الاسماء غالبا ما تنطق من قبل سكان المناطق المختلفة بصورة مختلفة بهذا القدر أو ذاك، فقد جاء تسجيله لها في بعض الاحيان تسجيلا غير دقيق، مما جعل التعرف عليها في بعض الحالات امراً صعباً . وهذه الصعوبة سبق لي ان صادقتها في بعض الأبحاث التي اعددتها حول رحلة نيبور، كما صادفتها اثناء قراءاتي لما سجله العديد من الرحالة الأجانب . لهذا وجدت من الأصوب أن أورد الأسماء في ثنايا الترجمة على نفس الصورة التي سجلها بها نيبور نفسه .

إضافة الى ذلك سيجد القارئ بعض الهوامش التي اضفتها الى النص بفرض توضيح ما بدا لي انه قد يكون مفيداً للقارئ توضيحه .

بـــلاد عـمـان

يحد بلاد عمان من الشرق بحر العالم ومن جهة الشمال الخليج الفارسي [١] ومن جهة الغرب والجنوب الصحراء . وعمان بلاد جبلية مجزأة الى مناطق صغيرة يحكمها حكام عديدون، أقواهم إمام عمان، ويسمى كل من الامراء الصغار الآخرين الذين يحكمون مناطق Desjau و Gabrin و Gafar و Rank و Gabbi و Da'hhara و Makaniat و Ser [٢] ، يسمى كل منهم "شيخ" وقد وضعت خارطة صغيرة للجزء الاكبر من هذه البلاد تحت رقم XVIII [٣]. الا انه لا يجب ان يغيب عن البال انني لم ازر في هذا الجزء من بلاد العرب سوى maskat . ولهذا فان احداً لن ينتظر مني خارطة على درجة كبيرة من الدقة والكمال كتلك الخارطة التي وضعتها لليمن [٤] .

وباستثناء المناطق الواقعة بين قرية سيب Sib ومدينة Sohar ، وهي تقدر طولاً بمسافة يوم واحد، فإن جميع المناطق الساحلية الشرقية في عمان ليست مناطق تهامية [٥] أو رملية منبسطة، بل ان المناطق التي يحكمها الإمام هي جميعها مناطق جبلية وتمتد حتى البحر . ولهذا فان نهر Mafora القريب من قريات Kuriat والنهر القريب من Sib يتدفقان الى البحر طوال العام . أما النهر القريب من Sohar فإن مياهه لا تبلغ البحر الا عندما تهطل الامطار بغزارة ولمدة طويلة .

وتحقق عمان فائضاً في محاصيل البر [٦] والشعير والذرة والدخن والعدس وكذا في ثلاثة انواع من العنب تسمى الرزاقي [٧] والهلالي وبغل الهلالي . كما تكثر في عمان أشجار النخيل الى درجة انها تشحن على كثير من السفن وتصدر الى الخارج . هذا اضافة الى انواع عديدة من اشجار الفواكه . كما يوجد الصاص والنحاس . اما الثروة السمكية فهي من الوفرة الى درجة انه لا يكتفي بتقديمها طعاماً للأبقار ولغيرها من الحيوانات، بل ايضا تستخدم كسماد للحقول .

وأهم المدن الواقعة في منطقة الامام هي :

- Rostak رستاق، وهي مقر سيد البلاد [٨]. كما كما يسكن فيها ايضاً الوالي الكبير، الذي تشبه وظيفته وظيفة الدولة في اليمن [٩] أو الباشا في تركيا . ويحكم الوالي الكبير، إضافة الى هذه المدينة، مدينة Burka بركا، و Soak سويق، و Sib . وتسمى الجزيرة القريبة من Burka جزيرة Suadi سوادي .
- Nahhel ، وهي مدينة قريبة من Sib ، وتحكم من قبل أحد أبناء السلطان إبن مرشد . وربما انه يحكم باسم الإمام .
- Nessuwa نزوا، وتقع على بعد خمسة أيام [١٠] الى الجنوب الغربي من Maskat ، وفيها والي كبير . وتمر الطريق اليها عبر Samaeil، و Wadiben Ruaha ، و Burkat el Mal . وفي هذه المنطقة وفي منتصف منطقة الإمام تقريباً يقع الجبل الأخضر، وهو أكبر جبل في عمان وأعلاها إرتفاعاً وتكثر فيه أشجار الفواكه بأنواعها المختلفة وخاصة اشجار العنب . ومن نزوا يأتي بعض السكر .

---

(١) هكذا يسمي نيبور الخليج العربي .

(٢) كتب نيبور أسماء المناطق والمدن والقرى أحياناً بالاحرف اللاتينية فقط واحياناً بالاحرف اللاتينية متبوعة بالأحرف العربية . وبا انه قد اعتمد في كتابة الأسماء، بما في ذلك اسماء الاشخاص، على السماع، مما جعل كتابته لبعض الاسماء غير دقيقة واصبح من الصعب التعرف عليها فقد فضلت وضع جميع الأسماء كما كتبها تماماً دون تعديل .

(٣) هذا هو الرقم المتسلسل ضمن ارقام الرسوم والخرائط التي ضمنها نيبور كتابه Beschreibung Von Arabien . انظر الخارطة مرفقة بهذه الترجمة .

(٤) كان نيبور اثناء تجواله في اليمن قد وضع خارطة مفصلة لليمن، اعتبرت من قبل الباحثين افضل خارطة وضعت لليمن حتى ذلك الحين .

(٥) الأرض التهامية هي الارض المنخفضة السهلية .

(٦) هكذا كتب نيبور اسم القمح والبر هو الاسم الشائع للقمح في اليمن ايضاً . كما ان نيبور قد كتب اسماء جميع المحاصيل المذكورة أعلاه بالاحرف العربية وبنفس اسمائها العربية .

(٧) كذلك في اليمن يطلق اسم الرزاقي على أفخر انواع العنب .

(٨) أي الامـام .

(٩) الدولة هو الاسم الذي كان يطلق على في اليمن على العامل عند زيارة نيبور لليمن .

(١٠) أي خمسة أيام سفر . وقد استخدم نيبور في قياس المسافات مقاييس كثيرة ومنها ايام السفر التي يستغرقها المسافر من منطقة الى اخرى .

ـ Bahhola بهلا، وتقع في شمال نزوا، وفيها والي كبير ٠

ـ ولم استطع ان اعرف شيئاً عن مدن Sikki زكـي، و Samaeil سمايل ، Semed سمد، و Menach منح، أكثر من أنه يوجد في كل منها والي كبير ٠

ـ Sohar صحار، وهي واحدة من أقدم وأشهر المدن والموانيء في عمان، إلا انها اصبحت الان عديمة الاهمية ٠

ـ Maskat مسكت [1] ، وتقع على خط العرض ٣٧َ و٢٣ ° ، في نهاية خليج يبلغ طوله تسع مئة خطوة مزدوجة، وعرضه اربع مئة خطوة مزدوجة [2] وتحتضنه من الشرق والغرب نتوءات صخرية جرداء شديدة الانحدار، تقي السفن الكبيرة الراسية فيه من أخطار العواصف ٠ وعلى جانبي هذا الميناء الكبير وضعت بعض المدافع ونصبت بعض القلاع الصغيرة ٠ وأكبر هذه اقلاع وأقواها قلعة Merani وقلعة Telal، وهما قلعتان تنتصبان على جانبي المدينة فوق صخرتين عاليتين شديدتا الانحدار ٠ ويمكن لهاتين القلعتين الدفاع عن المدينة في وجه اي هجوم بحري ٠ ومدينة Maskat محاطة بسور من جميع جهاتها ما عاد الجهات المحاطة بالبحر او بالصخور العارية الحادة ذات الارتفاع العالي ٠ ويمتد وراء المدينة سهل واسع الى حد ما، محاط بمرتفعات صخرية عارية وحادة، لا تتخللها سوى ثلاثة منافذ، أحدها يفضي الى قرية Soddof والآخر الى قرية Kalbu والثالث الى Mattrach مطرح ٠ وهكذا نجد ان هذه المدينة محصنة، طبيعيا واصطناعياً، تحصيناً قوياً ٠ وسوف أضمن كتابي Beschreibung Von Arabien خارطة تبين موقع المدينة ٠

وليس هناك من شك في ان maskat هذه هي المدينة التي اطلق عليها Arrianus [3] إسم Masca ، والتي كانت في عصره، كما هي الآن سوقاً للبضائع العربية والفارسية والهندية٠ والحركة التجارية في maskat نشطة جداً، الى درجة أن الاجانب لا يكادون يعرفون مدينة في عمان سواها ٠ ولذا فانهم عادة يطلقون على إمام عمان رسم " إمام Maskat " ٠ وقد استطاع البرتغاليون أن يخضعوا Maskat لسيطرتهم عام ١٥٠٨م ٠ ولكنهم طردوا من المنطقة كلها بعد مئة وخمسين عاماً من مجيئهم اليها، وذلك، كما يقال، بفعل مؤامرة حاكمها ضدهم واحد من البينيان (الهنود)، كان الحاكم البرتغالي في Maskat قد اختطف ابنته بالقوة ٠ ولا زالت توجد في Maskat كنيستان كان البرتغاليون قد بنوهما ٠ إلا ان احداهما قد أصبحت تستخدم الآن كسكن للوالي والأخرى كمستودع لتخزين البضائع ٠

ـ وفي مكان غير بعيد نحو الشمال من Maskat تقع المدينة المسماة Mattrach ٠ ولم اشاهد في هذه المدينة اي بيت مبني بالحجارة، فكل بيوتها عبارة عن اكواخ متواضعة ٠ الا ان بجانبها قلعة جبلية ٠ وسوقها محاط بسور ٠ وهذه المدينة تتبع والي Maskat ، كما تتبعه Tiwi طيوي، و Dagomar دغمر، و Wadi el Mah ، و Kuriat قريات المدينة الواقعة المنطقة بالقرب من Badaud راس باداود، و Wadi el Mah ، و Goaber المنطقة الصغيرة الواقعة بالقرب من Kuriat حيث يشاهد المرء مناجم للنحاس، و langsif القرية التي يشاهد المرء بالقرب منها مناجم يستخرج منها الرصاص، وقريتي Etti و Ghala وفي ولاية مسقط توجد منابع مياه ساخنة، ينتفع بها إنتفاعاً كبيراً في علاج أمراض كالزهري والجرب وأمثالهما ٠ وتسمى الجزيرة المواجهة لمدينة Mattrach جزيرة Fahhel فحل ٠

ـ وبالاضافة الى المناطق الانفة الذكر توجد مدينتان صغيرتان الى الجنوب من Maskat وهما Sur صور، و Kalhat قلهات ٠ وهذه الاخيرة تعتبر اقدم مدينة في عمان ٠ والى الشمال توجد Gabra غبرا ، و Chalil خليل، و Dil ديل، و Hal حيل، و Maham محم، وMadsijas مجز، و Lua لوي، و Schenas شناص، و Hossefin حسيفين، و Kalbe كلبا، و Lima ٠ ولم اتمكن من الحصول على معلومات عن المدن والقرى الأخرى التي تتبع إمام عمان والواقعة على الارض العمانية نفسها ٠ إلا أنها تتبعه أيضاً Kiloa ، و Sinsji-bar على الشاطيء الأفريقي ٠

(١) هكذا كتبها نيبور بالاحرف اللاتينية وبالاحرف العربية ٠

(٢) المئة متر تساوي حوالي ستين خطوة مزدوجة تقريباً ٠

(٣) عاش اريانوس في بيثينيا الواقعة في الشمال الغربي من آسيا الصغرى وذلك في القرن الثاني الميلادي، وكتب عدة مؤلفات عسكرية وتاريخية اشهرها " تاريخ الاسكندر "

وأشهر ثلاث أسر في عمان هي :

أسرة el Gafri ، وأسرة el Arrabi . وهذه الاسرة الأخيرة تنسب نفسها الى قبيلة قريش المكية . وقد حكمت في عمان سنوات طويلة إلا أنها الآن قد أبعدت عن السلطة . وقد تمكنت من الحصول على المعلومات التالية عنها :

كان الإمام Sultan بن Malek بن Arrab بن Goad بنMursched[١] يحكم عمان من Ras el Had الى Dsjulfar .

وضم اليه Kunk . و Kischme ، و Hormus ، و Bahrein . وقد اتجه ابنه Seif ben Sultan نحو الساحل الافريقي واحتل Kiloa و Singjibar وفي عهد Sultan ben Seifben Sultan أرسل الحاكم الفارسي Nadir Schar جيشاً الى Dsjulfar بقصد الزحف من هناك على عمان الا ان جيشه مني بالهزيمة وفقد عدداً كبيراً من رجاله في المناطق الجبلية واضطر الى الانسحاب والعودة من حيث أتى . وقد استمر Sultan ben Seif في الحكم حتى مماته . وبعد موته استطاع شخص اسمه Mohammed ben Nasser el Gafari من منطقة Gabrin ان يبسط حكمه على معظم مناطق عمان وان ينصب نفسه إماماً . إلا ان إبنه لم يستطع بعد موته أن يحافظ على سلطانه. وتمكن ابن الامام السابق، الذي يسميه سكان Maskat سيف بن سلطان اليعربي الفريسي الازدي Seif ben Sultan eL Jaarabi el Koreischi el asdi[٢] ، تمكن من تنصيب نفسه إماماً، واكتفى Nasser بالبقاء شيخاً على منطقة Gabrin .

وكان الامام Seif ben Sultan محباً للمتعة، وقد ضم الى حريمه نساءاً وثنيات الى جانب النساء المسلمات . وعدا عن ذلك لم تكن بنات رعاياه في مأمن من نزواته . ولم يكن يشرب القهوة فقط ويدخن التبغ المحرم لدى الفرقة الأباضية، بل كان أيضاً يشرب النبيذ وغيره من المشروبات الكحولية، ولا يعطي من وقته للشؤون العامة الا القليل . ولم يكن لهذا الامام جيش كبير، وكان معظم جنوده من عبيد القصر، الذي لم تكن لهم مصلحة في القتال .

وكان هؤلاء الجنود يستبيحون حرمات بيوت الرعايا دون أن يلحق بهم أي عقاب . وباختصار فقد اصبح الامام، بسبب طريقة حكمه مكروهاً من قبل جميع رعاياه، مما سهل الاستيلاء على السلطة من قبل Sultan ben Mursched ، الذي نصب نفسه إماماً على جميع مناطق عمان تقريباً .

وقد اتجه Seif ben Sultan إثر ذلك الى maskat ، حيث كانت لديه، إضافة الى عدد من السفن الحربية الصغيرة، أربع سفن كبيرة . وقام بتوزيع جنوده على المدينة وعلى القلعتين Talali , Me-rani . ولم يستطع Sultan ben Mursched . الذي كان مسيطراً على الشواطيء العمانية أن يطرد Seif ben Sultan من مدينة Maskat . وقد فرض حصاراً على المدينة فمنع وصول البضائع اليها من ناحية البر، الا انه لم يكن بقادر على منع التجار الأجانب من احضار البضائع اليها وحملها منها . وكانت الضرائب المتحصلة على هذه البضائع كبيرة جداً . ولما وجد Sultan ben Mursched نفسه عاجزاً عن اخضاع عدوه بالقوة، قرر ان يهتم بميناء Mattrach وان يطوره بشكل سريع، ليقضي بذلك على مكانة Maskat كميناء فخفض التعرفة الجمركية على بضائع التجار الاجانب الى النصف وقد أدى هذا الاجراء الى جعل مدينة Mattrach مدينة تجارية، في وقت قصير، على حساب مدينة Maskat .

وقد تمكن Sultan ben mursched من إغراء واحد من أهم قادة الامام البحريني بالقدوم اليه مع احدى السفن الحربية . كما استطاع اضافة الى ذلك ان يستخدم الحيلة في الاستيلاء على سفينتين كبيرتين من سفن الامام، كانتا عائدتين من الساحل الافريقي، محملتين بالعبيد وأسنان الفيلة .

اما الامام فقد واصل حياته في Maskat على نفس الطريقة القديمة، التي جعلت سكان المدينة يزدادون كراهية له . وأخيراً قرر ان يسلم المدينة للفرس، الذين كانوا قبل سنوات قد حاولوا ان يستولوا عليها، مستخدمين في محاولتهم جيشاً قوامه اثني عشر الف جندي، دون جدوى . وقد فضل ان يسلمها للفرس على ان تقع

(١) ورد اسمه ونسبه في كتاب الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين لمؤلفه سعيد بن حميد بن زريق المنشور من قبل وزارة التراث القومي والثقافة العمانية عام ١٩٧٧م في ص ٢٨٤، على النحو التالي : سلطان بن مالك بن ابي العرب بن سلطان بن مالك بن ابي العرب بن محمد بن يعرب بن سلطان بن حمير بن مزاحم بن يعرب بن محمد بن يعرب بن مالك بن يعرب بن مالك اليعربي اليمني الحميري الأزدي الأباضي الاستقامي .

(٢) هكذا كتب نيبور اسم هذا الامام بالاحرف اللاتينية وبالاحرف العربية .

في يد غـريمه Mursched ben Sultan ، رغم ان غـريمه هذا أقـرب اليه من الفرس الغرباء . واتجه الى ايران على ظهر سفينة حربية تاركاً وراءه فـرقـة قـوية لحـمـاية Maskat وقلعـتـيـهـا . وفي ايران استطاع ان يقنع Schar Nadir بارسـال اسطول مـعـه، مكون - كـمـا يروى - من أربعة وعشرين سفينة، بقيادة البكلربيك Zaccki Myrza Khan . وعندما وصل الاسطول الى Maskat ، دخل الجنود الفرس المدينة . ولكنه - أي الامام - لم يسمح لهم بدخول القلعتين . وأظهر Khan Zaki كما لو انه لا يريد دخول القلعتين، وكما لو انه لم يأت الى عـمـان لاحتـلالهـا لصـالح سـيـده الشـاه، بل لصـالح الإمـام . وانطلى الامر على الامام، مما جعل من السهل إقناعه باقامة وليمة في قلعة Telali ودعوة Khan Zaki مع مجموعة صغيرة من مرافقيه . ولما كان الفرس يعرفون أن الامام مولع بالمشروبات الكحولية، فقد أخذ Khan Zaki معه كمية من النبيذ الشيرازي . ولم يمض وقت طويل حتى كان الامام وكبار ضباطه قد سكروا . واستطاع Zaki Khan أن يسيطر بسهولة على القلعة . وحتى يتمكن من إحتلال القلعة الأخرى دون إراقة دماء، قام بتحرير أمر الى كبار الضباط فيها - أي في قلعة Merani - للقدوم الى قلعة Talali وذيل الامر بختم الامام، الذي كان الامام المخمور يضعه دائما في إصبعه . وما ان جـاء الضبـاط من القلعة الاخرى الواقعـة في الجـانب الغـربي من الميناء، وأصـبحـوا تحت سيطرته، حتى ارسل مجموعة من جنوده الفرس لاحتلالها . وقد تمكنوا من احتلالها بسهولة، واستسلمت حـاميتها التي كـانت قد اصبحت دون قيادة . وادرك الامام Seif مدى الحـمـاقـة التي اقدم عليـهـا، وندم على ذلك ولكن بعـد فـوات الاوان. لقد كان كل همه ان يلحق الهزيمة بعدوه الرئيسي Sultan Mursched ben . وأمـا an ben MurschedlSul فـقـد اسـرع في الانسحاب الى Sohar ، حيث ظن ان بامكانه، بالتعاون مع حاكمها Ahmad ben Saiid ، ان يصمد امام الفرس . وشن الفرس هجومهم عليه . وتمكن من الصمود امام كثرتهم في المعركة الاولى . الا انه لم يستطع كسر شوكتهم في المعارك التالية . وسقط عدد من اقاربه قتلى، مما جعله يندفع مستبسلاً وسط صفوف أعدائه، فأصابته رصـاصـة بجـرح بليغ أدى الى وفـاته بعـد أيام قليلة . وقـد توفي الامام Seif ، الذي كان قد فارق جيش الفرس، توفي في نفس الفترة بقصر في Rostak . ويعتقد الناس أنه قد مات كمداً وحسرة على ما تسبب فيه من مأساة له ولرعيته .

وبعد ان مات الخصمان المتنافسان وجد Achmed ben Saiid ، حاكم Sohar ، ان من الحكمة إزاء عدو قوي كالفرس أن يجنح الى الصلح . وقيل أن يتم تعيينه من قبل البطريك Zaki Kan حاكماً على Sohar ، و Burka . وقد قام Kan zaki بتعيين ثلاثة حكام في Maskat ، وضـع اثنين منهم على القلعـتـين والثـالث على المدينة نفسها، ثم قفل راجعاً مع اسطوله إلى ايران .

وقد ملأ الانتصار الذي حققه هذا القائد في عمان، ملأ نفسه بالزهو، وأحس بعد رجوعه الى ايران بالرغبة في ان يستقل بحكم شيراز . وقد أثار نبأ استقلاله قلقاً كبيراً في نفس Schah Nadir ، الذي كان يقود جيشه في عمليات ضد الاتراك، وكان في ذلك الحين مشغولاً بمحاصرة مدينة Musul. وكان Khan Zaki محبوباً لدى سكان المنطقة الجنوبية من ايران . فـقـد كـان مـشـهـوراً بقـدرته وحنكته، ولم يكن يتولى قيادة جزء كبير من المملكة فحسب، بل وكان أيضاً يتولى قيادة الاسطول في بدايته . فرفع الحصار عن مدينة Musul وسار على رأس أفضل جزء من قواته بسرعة خارقة نحو Schiras . ولم يـكـد Khan Zaki يصـدق ان الشـاه قـد تمكن من الوصول اليه بهذه السرعة ولم تكن مدينة Schiras في ذلك الحين مدينة مسورة، الا ان بيوتها كانت متلاصقة بصورة لا يستطيع معها أحد أن يدخل المدينة إلا عبر أبوابها . وقد دافع Khan Zaki عن الابواب بضعة أيام، ولكن رجاله خذلوه وفتحوا احد ابواب المدينة امام قوات الشاه . وبالكاد استطاع Khan Zaki مع عدد قليل من اصدقائه ان يفروا على ظهور احصنتهم من الجانب الآخر للمدينة . وأثناء الطريق تنكر له أقرب أصدقائه وأخلص خدمه، وتخلوا عنه . فـسـار بمفـرده واختـبـأ لدى حـمّار، وكـان يسكن في كـهـف باحد الجبال. وما لبث ذلك الحمّار أن سلمه للشاه . وقد عومل سكان Schiras جميعهم كمتمردين، ودمرت مدينتهم الجميلة على يد سيد بلادهم، تدميراً كاملاً . ولم تطل محـاكمـة Khan Zaki ، وتم قـطـع عـضـوه التناسلي وإعـدام ابنائه، الذين كـانوا لا يزالون شـبـابا صـغـارا، امام عينيه، كام أغتصبت امامه زوجته الحبيبة من قبل جندي عـادي . الا ان احد اعيـان التـجـار الشـيرازيـين قد اكد ان

عملية الاغتصاب هذه ليست صحيحة . وقد عين Khan Zaki فيما بعد، من قبل الشاه، حاكما على منطقة صغيرة نائية . وكان والد هذا القائد الفارسي المشهور قد عمل رئيساً للمشرفين على قنوات الري في Fars ، كما كان جده خبازاً في مدينة Schiras .

وقد استغل Achmed ben Saiid غياب Zaki Khan وامتنع عن دفع اي اموال للضباط الفرس في Maskat ، الذين اخذت اعداد جنودهم تتناقص، كلما قلت النقود بأيديهم . وكان Achmed يقيم في هذا الوقت في Burka . واما مناطق عمان الاخرى، التي كانت تحكم من قبل الامامين السابقين، فقد كانت موزعة بين ben Belarab Hamiar ، وبين شيخ منطقة Ser واسمه Mattar ، وبين واحد من اسرة Sultan ben Mursched ، كان يقيم في Grank او ربما Rank.

وقد تمكن Achmed ben Saiid من كسب ثقة حكام Maskat الفرس، وطلب من ثلاثتهم القدوم اليه في Burka ، ليبحثوا معه الطريقة المناسبة للحصول على المال فاستجابوا له وتوجهوا تحت حراسة مئة وخمسين رجلاً من جنودهم، حاملين معهم خيامهم الفارسية حتى يستطيعوا ان يتباحثوا مع العرب في العراء . ونظراً لما لمسوه من اخلاص هذا الحاكم العربي، ولعدم شكهم في استقامته، قرروا ان يتناولوا طعامهم معه في قلعته، ثم يعقدوا معه بعد ذلك محادثاتهم تحت الخيام . وأثناء الطعام استأذن ben Achmed Saiid بمغادرة الفرقة لأمر هام وأغلق الابواب خلفه واستدعى جنوده، فاقتحموا الفرقة وقد اشعلوا فتائل بنادقهم وجردوا الفرس من اسلحتهم . وكان المئة والخمسون جندياً، المرافقون للحكام الثلاثة، قد تفرقوا في أحياء المدينة، فما سهل عملية اعتقالهم . وتم بعد ذلك إبلاغ الجنود الفرس الذين كانوا في Maskat وفي القلعتين بأن من استسلم منهم طواعية سوف يمنح قدراً من المال . وأما من رفض الاستسلام فسوف يلقى القبض عليه ويصبح عبداً . وقد استجابوا جميعهم لاغراء المال واستسلموا طواعية . ووقع Achmed ben Saiid عقوبة الموت على عدد قليل منهم . وأما الباقون فقد أطلق سراحهم وأعاد بعضهم الى ايران . وبهذه الطريقة تمكن هذا العربي ان يصبح سيد الساحل كله من Maskat الى Sohar . وكان الحظ يسير في ركابه حتى الان . ثم بدأت نفسه تتوق الى ان يصبح إماماً، رغم ان Belarab ben Hamiar كان قد أعلن نفسه إماماً . ولهذا الغرض عقد Achmed صداقة مع كبير القضاة، الذي تماثل مكانته مكانة المفتي في المدن التركية . وذات يوم في اجتماع حاشد القى كبير القضاة على الحاضرين السؤال التالي :الا يستحق محرر الوطن من نير الاجنبي ان يصبح حاكم البلاد ؟ وكان الجواب بطبيعة الحال لصالح القائد العربي . والقى القاضي على اثر ذلك كلمة أشاد فيها بفضائل وشجاعة Ahmed ben Saiid وخلع عليه لقب إمام عمان . ثم تقدم وقبل يده وحذى حذوه الحاضرون جميعاً وسرعان ما قرعت الطبول في المدينة وانطلق المنادون في الشوارع يعلنون : ان Achmed ben Saiid ben Mohammed ESSaiidi ، الذي حرر وطنه من نير الاحتلال الفارسي ... الخ، قد اصبح إماماً وان على الجميع الاعتراف بامامته .

وكان هذا الامام قد ولد في مدينة Adem ادم في منطقة Semed وكان قد مضى عليه في الحكم عام ١٧٦٥م [1] ستة عشر عاماً، شعر رعاياه خلالها بكامل الرضاء . وكان اولاده الثلاثة الكبار يدعون Halal , Saiid , Sahran هلال وسعيد وزهران [2] . وما ان بلغت انباء تنصيب Achmed ben Saiid إماماً سمع Belarab ben Hamiar حتى زحف بقواته باتجاه منافسه هذا . ولم يكن Ahmad مهيأً لمواجهة عدوه المتفوق، فلجأ الى حصن Afi وجمع فيه كل اشياءه الثمينة . وطوق Belarab الحصن بجنوده البالغ عددهم اربعة الى خمسة الاف رجل . وماكان بمقدور الامام الجديد الا ان يستسلم لو لم يتمكن من الفرار ثم من جمع جيش قليل العدد حوله. لقد غادر الحصن بصحبة اثنان من خدمه مرتدين ثلاثتهم اسمال فقراء العرب، الذين يتجولون بحثاً عن حشايش لجمالهم، واتجه الى Sohar ، التي تبعد مسافة يوم واحد عن الحصن، وكان قد استطاع ان يكسب حب رعيته فيها عندما كان من قبل حاكماً عليها . لهذا فلم يجد صعوبة في حشد عدة مئات منهم، زحف بهم نحو عدوه . وكان معسكر Belarab يقع بين جبال مرتفعة بالقرب من

(١) وهو العام الذي زار فيه نيبور مدينة مسقط .

(٢) هكذا كتب نيبور الاسماء الثلاثة بالاحرف اللاتينية وبالاحرف العربية .

Afi ، وقد اعطى Achmed جنوده شرائط ذات لون معين ليربطوها حول رؤوسهم فيستطيع بذلك أن يميز أصدقاءه من أعدائه ، ثم وزعهم مجموعات صغيرة على جميع مداخل الجبال، واعطى لكل مجموعة منهم بوقاً عربياً لينفخوا فيها جميعها في آن واحد بمجرد تلقيهم الاشارة من المجموعة الرئيسية ، وبعد هذه الاستعدادات اعطى ابن الامام الجديد الاشارة عند انبلاج الصباح، فتصاعد الضجيج من جميع الجهات وسرى الاضطراب في معسكر Belarab ، عندما ادركوا ان جميع المنافذ من حولهم قد احتلت، وظنوا ان عدوهم من الكثرة بقدر ما صدر عنه من ضجيج ، وتحرك Belarab مع قواته باتجاه الموقع الذي تمركز فيه ابن الامام الجديد، وسرعان ما تمكن ابن الامام من اصابته بطلق ناري فارداه قتيلاً وهزّ رأسه، حسب العادة العربية، وأخذه الى والده ، وقد تشتت جنود الامام Belarab واصبح الامام Achmed ben Saiid شيئاً فشيئاً سيد البلاد بكاملها ، ومنذ ذلك الحين حاول ابن Sultan ben Mursched عدة مرات تنصيب نفسه إماماً، ولكنه لم يفلح أبداً في تحقيق هدفه، وأخيراً تخلى له الامام ولاسرته عن مدينة Nahhel ،

ويعيش الان Belarab ben Sultan ، وهو اخو الامام السابق Seif ben Sultan ، وكذا ابناء Seif ben Sultan وعدد من افراد عائلته، يعيش جميعهم كاشخاص عاديين، في منطقة الامام Achmed ، ويتمتعون بدخول عالية الى حد ان Belarab يستطيع من دخله ان ينفق على ثلاث مئة إلى أربع مئة عبد ، وقد تزوج الامام إحدى بنات Sief ben Sultan ، واستطاع ابناؤه وبناته ان يوطدوا مكانة الاسرة من خلال التزاوج، الى درجة ان الاسرة اصبحت ترتبط بعلاقات قرابة مع كل الاسر الكبيرة في البلاد ، ولذا فانه ليس من المحتمل ان تفقد هذه الاسرة السلطة على المدى القريب ، وخاصة ان الرعية يشعرون بالرضاء تحت حكمها ، في حين كان العبيد والعسكر في عهد الامام Sief ben Sultan هم اكبر اللصوص وقطاع الطرق ، وكان غير المسلمين، الذين استقروا في Maskat ، او الذين يأتون لمجرد تبادل التجارة، يخشون باستمرار ان يلحق بهم الأذى من قبل هؤلاء اللصوص ، اما الآن فالامر مختلف تماماً، ولا يكاد المرء يسمع في Maskat عن أي حادثة سرقة، على الرغم من ان بضائع التجار تبقى طوال الليل متروكة في الشوارع، وكثير من السكان لا يغلقون حتى بيوتهم ، وإذا نشبت خصومات فان السلطات لا تضع إعتباراً لمكانة اطراف الخصام ولا لأديانهم ، ويبلغ عدد البينيان (الهنود) في Maskat حوالي الف ومئتي نسمة ، ويسمح لهم بالعيش وفقاً لقوانينهم الخاصة وبحرق موتاهم وبالاحتفاظ في بيوتهم بأوثانهم دون موارية وبجلب نسائهم من الهند بل وأكثر من ذلك فان السلطات لا تعير اهتماماً للأمر، اذا ما شوهد أحد الهنود لدى أمرأة داعرة من نساء المسلمين ، الا اذا تطور الامر بصورة خطيرة، فإن المذنب عند ذلك يلقى عقابه بنفس الطريقة المتبعة في الدول الأخرى ،

أما بالنسبة لايرادات الامام، فلا استطيع أن أقول اكثر مما يلي:

يدفع الاوربيون ضريبة على بضائعهم مقدارها ٥ ٪ ، ويدفع المسلمون ٦،٥ ٪ ، ويدفع الهنود واليهود ٩ ٪ ، وهذه الضرائب الجمركية في Maskat تشكل دخلاً سنوياً للامام بالروبية ماقيمته بالريال الامبراطوري [1] ستة وستين الف وست مئة وستة وستين ريالاً وثلثي الريال (٢/٣ ٦٦٦٦٦) ، كما يحصل الامام على ٦ ٪ من محصول البلح عيناً ، والامام نفسه تاجر كبير فعنده اربع سفن حربية، تحمل اليه في أوقات السلم سنوياً جملة من العبيد وأسنان الفيلة وغيرها من السلع الافريقية من Kiloa و Sinsjibar ، وعنده اضافة الى ذلك ثمان سفن صغيرة أخرى تتولى حماية السواحل ، ولكنها تقوم بمهمتها في مراقبة السواحل بصورة سيئة، الى درجة ان القراصنة يتمكنون احياناً من الاقتراب الى مسافة قريبة من ميناء Maskat نفسه ، ومع ان العرب في عمان يتهيبون المعارك البحرية، الا انهم بالتأكيد أفضل بحارة في الجزيرة العربية كلها ، ولديهم موانيء كثيرة وممتازة، كما يمتلكون سفناً صغيرة كثيرة، ترتاد جميع الموانيء الواقعة بين مينائي جدة والبصرة ، فميناء البصرة وحده يستقبل من سفنهم الصغيرة هذه ، المسماه Trankis أو Trada ، حوالي خمسين سفينة سنوياً ، وأشرعة هذه السفن ليست مصنوعة من الحصير، كما هو الحال بالنسبة للسفن اليمنية، بل من القماش، تماماً كالسفن الاوروبية ، وتعتبر السفينة العمانية عريضة بالنسبة لطولها، وهي منخفضة من الأمام ومرتفعة جداً من

(١) هو ريال ماريا تيريزا، الذي كان استعماله شائعاً في اليمن في ذلك الحين وقد استمر يمثل العملة الرئيسية في اليمن حتى بداية الستينات من القرن العشرين .

الخلف . ويعمل المجداف بنفس الطريقة التي يعمل بها مجداف السفن المصنوعة في السويس . ويتم تثبيت الواح السفن، وخاصة السفن من نوع Trankis ببعضها دون استعمال المسامير . ومن بين العرب الذين يجلبون البن من اليمن الى الخليج الفارسى هناك عدد كبير جداً ينتمون الى عشيرتين تسميان Beni Seraf و Sur Ahl وهذه العشيرة الأخيرة كانت تعيش قديماً في الخليج الفارسي، وبسبب عدم الاستقرار والاضطراب الذي كان يسود مناطق جيرانها فيحد من نشاطها البحري الى حد كبير، فضلت العشيرة بكاملها الانتقال الى منطقة إمام عمان .

أما بالنسبة لقوات الإمام البرية فلم أستطيع الحصول على معلومات أكيدة . إلا ان الجزء الاكبر من جنوده يتكون من العبيد . وهم مسلحون بالبنادق ذات الفتيل وبالجنابي [(١)] ، التي يحرص جميع العرب على ربطها في خاصرتهم الى الامام، وبالسيوف المستقيمة والدروع الصغيرة، التي يعلقونها على أكتافهم . ويتقاضى الجندي شهرياً عشرين ريالاً محمدياً أو أربع ربيات .

وتمتد منطقة صير Ser من ساحل خور فكان Fakan Chor نحو الشمال حتى رأس مسندم Ras Mussendom ، وعلى الخليج الفارسي نحو الغرب حتى الجزيرة الصغيرة Scharedsje ويطلق العرب على هذه المنطقة إسم Ser ويقع فيها في مكان غير بعيد من الجزيرة المذكورة مقر الشيخ . اما الفرس فيسمونها Dsjulfar ، نسبة الى راس جلفار Ras Dsjulfar ، الذي توجد فيه قرية غير ذات شأن . وهكذا سمى الاوروبيون سكان هذه المنطقة عرب جلفار . وكان هؤلاء العرب الى سنوات قليلة مضت يعترفون بسلطة الإمام . ولكنهم الآن مستقلين ويشنون أحياناً الحرب على سيدهم السابق، ويقيمون علاقات طيبة مع المشايخ الصغار الآخرين، المستقلين عن حكم الامام وخاصة مع شيخ منطقة Dsjau ، الواقعة في الجهة الغربية من عمان .

وينتمي شيخ Ser الى قبيلة Hula واسمه Rached ben Mattar el chassemi . والى جانب الاراضي التي تحت يده من الجزيرة العربية يمتلك أيضاً جزءاً من جزيرة Kiscme ، كما يمتلك على البر الفارسي Kunk و Lundsje و Ras el Heti . وقوته البحرية في هذه المنطقة لا يستهان بها . وتقوم سفنه التجارية بنشاط تجاري مرموق، داخل الخليج وخارجه . ومعظم رعايا الإمام ينتمون الى الفرقة الاباضية، وأما رعايا شيخ Ser فهم من السنة، ومعظمهم من أتباع المذهب الحنبلي . وهكذا توجد في عمان فرقتان اسلاميتان .

(١) جمع جنبية .

وقفات دمقراطية في مجلس النواب العراقي سنة ١٩٤٧

عبدالله شاتي عبهول
كلية التربية / الجامعة المستنصرية

المقدمـــــة :

كانت المطالبة بالنظام الديمقراطي ومؤسساته واسعة وقوية في المجتمع العراقي، فقد طالبت الحركة الوطنية في الشهر الاول الذي بدأ به عهد ما بعد الحرب، بالاستقلال التام، والحكم الدستوري البرلماني، وعندما اجرت سلطات الاحتلال البريطاني الاستفتاء في نهاية ١٩١٨، اعربت فيه المدن العراقية الرئيسية عن رغبتها بأن يكون الحكم مقيداً بمجلس منتخب من اهالي العراق[١]. الحقيقة التي اكدها البريطانيون في احد تقاريرهم عندما ذكروا "فقد اجمع الكل على طلب حكومة ديمقراطية دستورية وان الجميع يشتركون في الرغبة في ان يحكمهم مجلس نيابي منتخب"[٢]، وعندما رشح الامير فيصل ابن الشريف حسين ملكاً على العراق، اوضحت الحركة الوطنية العراقية عن مطاليبها من خلال الصحف والمذكرات التي قدمتها سلطات الاحتلال والتي تمثلت بأن يكون اختيار رئيس الدولة عن طريق مؤتمر عام منتخب، ولم تكتفِ بذلك بل حرصت على تثبيت رأيها بشأن دعوة جمعية تأسيسية منتخبة من الشعب الى الانعقاد في صيغة بيعة الامير فيصل[٣].

وبعد تتويج الملك فيصل استمرت الاحزاب والصحف العراقية في التأكيد على مطاليبها، بتشكيل مجلس تأسيسي وبناء على ذلك وغير ذلك، دعت الوزارة النقيبية الثالثة[٤] في نهاية تشرين الاول ١٩٢٢، الى انتخابات المجلس التأسيسي المهمة التي اكملتها وزارة جعفر العسكري الاولى[٥] في ٢٢ أذار ١٩٢٤[٦] وبعد خمسة أيام دعي المجلس الى الانعقاد والذي ارسيت به دعائم الحياة الدستورية والبرلمانية في العراق[٧]، فقد تمكن المجلس في ١٠ تموز ١٩٢٤ من اقرار القانون الاساس "الدستور"[٨]. وفي ١٢ أب من السنة نفسها وضع المجلس المذكور قانون انتخاب النواب[٩] وطبقاً للقانونين السابقين جرت انتخابات مجلس النواب في ٨ حزيران ١٩٢٥، وبعد كل ذلك افتتح الملك فيصل الاول في ١٦ تموز ١٩٢٥ أعمال مجلس الامة[١٠] وهذا يعني بداية عهد جديد في تاريخ العراق[١١].

ومن المهم جداً هنا ان نذكر ان القوى الحاكمة في العراق وطيلة العهد الملكي، اتجهت الى ضمان سيطرتها التامة وتعزيز نفوذها على مؤسسات البلاد، وفي المقدمة منها البرلمان العراقي، فتمكنت من صياغة مواد القانون الاساس وقانون انتخاب النواب بشكل يحقق لها ذلك الهدف لذلك امتازت الحياة البرلمانية منذ قيامها بخضوعها الى السلطة التنفيذية، وقد تجلى هذا الخضوع بشكل واضح في ناحيتين، هما حل المجلس النيابي[١٢] والانتخابات

(١) للتفصيل راجع: حسين جميل، الحياة النيابية في العراق ١٩٢٥ ـ ١٩٤٦، الطبعة الاولى، بغداد، ١٩٨٣، ص ١٧.

(٢) نقلاً عن حسين جميل، المصدر السابق، ص ٢٠.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢١ ـ ٢٣.

(٤) التي تشكلت في ٢٠ ايلول ١٩٢٢.

(٥) تشكلت في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٢٣.

(٦) عبد الرزاق الحسني: تاريخ الوزارات العراقية، الجزء الاول، الطبعة السابعة، بغداد، ١٩٨٨، ص ١٣، حسين جميل المصدر نفسه، ص ٢٤ ـ ٢٧.

(٧) عن المجلس التأسيسي انظر: محمد مظفر الادهمي، المجلس التأسيسي العراقي، بغداد، ١٩٧٦.

(٨) الذي بدأ نفاذه في ٢١ آذار ١٩٢٥.

(٩) الذي بدأ نفاذه في ٢٢ تشرين الاول ١٩٢٤.

(١٠) الذي يتكون من مجلسي النواب والاعيان، يعين الملك اعضاء المجلس الأخير.

(١١) للمزيد من المعلومات: راجع: عباس عطية جياد، الحياة البرلمانية في العراق ١٩٣٢ ـ ١٣٣٩ دراسة تاريخية رسالة ماجستير غير منشورة قدمت لجامعة بغداد ١٩٧٢، ص ٧ ـ ٩.

(١٢)

النيابية، فقد سيطرت القوى الحاكمة على السلطة التشريعية بوساطة الطريقة التي كانت تجري بها الانتخابات، اذ كانت الحكومة القائمة تقوم بترشيح الاشخاص الذين تختارهم او تتفق معهم وتبعث بأسمائهم الى موظفيها في انحاء العراق لغرض انتخابهم نواباً في المجلس النيابي[١٣].

وعلى الرغم من كل ذلك شهدت اروقة مجلس النواب وقفات دمقراطية بطولية لا يمكن ان تنسى، وتبقى محط احترام وتبجيل العراقيين. ومن المفيد جداً هنا ان نشير الى بعضها على سبيل المثال منها، تلك الوقفة الديمقراطية التي وقفها نائب البصرة "رفائيل بطي"، بوجه رغبة نوري السعيد رئيس الوزراء الذي كان كله تصميم على الانتقام من كل رجالات حركة مايس ١٩٤١ التحررية، اذ طلب في ١١ تشرين الثاني ١٩٤١ من مجلس النواب رفع الحصانة النيابية عن نائب المنتفك "ذي قار" (محمد حسن حيدر)، لانه كان قد دعا بوصفه نائباً لرئيس مجلس النواب مجلس الامة للانعقاد في (١٠) نيسان ١٩٤١، فبعد ان وصف (رفائيل بطي) النائب "محمد حسن حيدر" بأنه الزميل المحترم، اعرب عن اعتقاده بأنه اذا ما أريد احالة النائب المذكور فانه يحال الى محكمة عليا لا الى محكمة عرفية، ثم اردف يقول موجهاً كلامه الى الحكومة وباستهزاء واضح هل ان المحكمة العرفية تعلو على المحكمة العليا مذكراً في الوقت نفسه الجميع بنص المادة "٨" من القانون الاساس التي تنص على تأليف محكمة عليا لمحاكمة الوزراء واعضاء مجلس الامة المتهمين بجرائم سياسية او جرائم تتعلق بوظائفهم العامة[١٤] وعندما احيل الموضوع الى اللجنة الحقوقية في مجلس النواب التي كان "رفائيل بطي" احد اعضائها فشلت كل محاولات نوري السعيد ووزراءه، بتفسير موقفه، حيث عارض بوضوح توصيتها الى المجلس برفع الحصانة عن النائب محمد حسن حيدر[١٥].

والوقفة الثانية المختارة هي تلك التي وقفها "ماجد مصطفى" نائب السليمانية، في جلسة مجلس النواب "١٥" المنعقدة في التاسع عشر من كانون الثاني ١٩٤٦ التي اكدت فيها ما نصه من دون زيادة او نقصان:

"ان نظام الحكم الموجود لدينا هو فاسد من أساسه فالماكنة نفسها فاسدة، ولا يمكن ان نتغلب على الصعاب ما لم نغير الماكنة" ومضى يقول:

"لقد تكونت لدينا طبقة معينة سميت بالطبقة الحاكمة واصبحت معلومة ولها نفسية خاصة وطابع خاص وتعتبر نفسها بعيدة عن طبقة الشعب". ويستمر النائب في خطابه مذكراً بحقيقة ان الحاكم المستبد دائماً هو المغلوب حيث قال "اذا نظرنا للتاريخ لا نجد شعباً صرعه الحكم الدكتاتوري المطلق ابداً فالحاكم المستبد دائماً هو المغلوب على امره وان طال الامر به" بعد ذلك تطرق ماجد مصطفى الى اسباب الذل والمسكنة والخوف المنتشرة في البلاد فأرجعها الى الادارة عندما اكد "لقد عودتنا هذه الادارة على الذل والمسكنة والخوف والكذب وعلى الرياء والربى" ويخلص في الختام الى الحقيقة الآنية "اذن.. نظام الحكم هو على الحوادث التي تقع عندنا"[١٦].

انتخابات سنة ١٩٤٧ :

كان من الطبيعي جداً ان تترك النتيجة التي آلت اليها الحرب العالمية الثانية، التي تمثلت بانتصار الدول الدمقراطية على الدكتاتورية النازية والفاشية العسكرية اليابانية، اثاراً كبيرة وواضحة على الاوضاع السياسية في العراق، ولم يكن مجرد صدفة ان تحاول الهيئة الحاكمة العراقية، اضفاء بعض المظاهر الدمقراطية على الحكم في العراق، فقد اكد الوصي في خطابه الذي القاه يوم ٢٧ كانون الاول ١٩٤٥، على مبادىء الدمقراطية والحرية والاستقلال، وضرورة ظهور احزاب وهيئات سياسية وطنية للمشاركة بالانتخابات على اساس مناهج معلنه[١٧] ومهما يكن من

(١٣) عباس عطية جياد، المصدر السابق، ص ١٧.

(١٤) "محاضر جلسات مجلس النواب"، الدورة الانتخابية التاسعة، الاجتماع الاعتيادي لسنة ١٩٤١، بغداد، ١٩٤١، ص ٩.

(١٥) المصدر نفسه، ص ٤٤.

(١٦) "محاضر جلسات مجلس النواب"، الدورة الانتخابية العاشرة، الاجتماع الاعتيادي لسنة ١٩٤٥، بغداد، بلا، ١٤٢.

(١٧) للمزيد من المعلومات راجع: دار الكتب والوثائق، الوحدة الوثائقية البلاط الملكي، تسلسل الملف ٤٤-٤، موضوع الملف مجلس النواب والاعيان، الوثيقة رقم ١، ص ٢ - ٣، "محاضر جلسات مجلس النواب" الدورة الانتخابية العاشرة، الاجتماع الاعتيادي لسنة ١٩٤٥، بغداد، ١٩٤٥، ص ٢ - ٣، عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، الطبعة السابعة الجزء السادس، بغداد، ١٩٨٨، ص ٣١٣ - ٣١٦.

امر فاننا يجب ان نأخذ بنظر الاعتبار حقيقة مهمة وهي ان البريطانيين ونوري السعيد هم الذين اوصوا للوصي بهذا الخطاب وذلك لتهدئة الشعب وكسب الوقت لكي يعودوا بعد قليل الى الاساليب التقليدية في الاستبداد حسبما يذكر استاذنا فاضل حسين[١٨].

وبعد كل ذلك اعتبر نوري السعيد الذي شكل وزارته التاسعة في الحادي والعشرين من تشرين الثاني ١٩٤٦، مهمته الاولى اجراء انتخابات نيابية جديدة، فقد قام في نهاية الشهر المذكور بحل مجلس النواب، والدعوة لأنتخاب مجلس نواب جديدالذي التأم في ١٧ آذار ١٩٤٧[١٩]، ومما يجدر ذكره هنا ان هذه الانتخابات جرت بموجب قانون انتخاب النواب رقم (١١) لسنة ١٩٤٦، والذي تضمن اسساً جديدة للترشيح والتزكية، ورفع عدد النواب من (١١٥) الى (١٣٨) نائباً، فضلاً عن انه جعل الدائرة الانتخابية اصغر مما كانت عليه سابقاً[٢٠]، ومع ذلك لم تشتد هذه الانتخابات عن سابقتها من حيث تدخل الحكومة القائمة فقد كانت التدخلات واسعة لدرجة دفعت بعض النواب للأستقالة من المجلس احتجاجاً على ذلك[٢١]، والاهم من هذا كله وصف هذا المجلس بوثيقة رسمية عراقية بأنه مجلس مزور[٢٢].

وقفات ديمقراطية سياسية :

من الضروري ان نلفت النظر الى نقطة لها اهميتها بالنسبة للموضوع الذي نحن بصدد معالجته، وهي ان اروقة مجلس النواب شهدت خلال اجتماعي ١٩٤٧[٢٣] وقفات دمقراطية رائدة، وهي الآن محط انظار وتقدير العراقيين على الرغم من ان مجلس النواب في تلك السنة كانت تسيطر عليه اكثرية تدين بالولاء الاعمى للحكومة القائمة، ولكي نلقي الضوء ساطعاً عليها ارى من المناسب ان نقسمها على وقفات دمقراطية سياسية واخرى اقتصادية.

ومن الجدير بالذكر ان المواقف الدمقراطية موضوع البحث قد دارت في موضوعين اساسين هما خطابي العرش[٢٤]، والمناهج الوزارية، فقد وقف عدد كبير من النواب مناقشين خطاب العرش الذي افتتح به الاجتماع غير الاعتيادي لمجلس الامة لسنة ١٩٤٧. وقد تضمنت تلك المناقشات على آراء وافكار جديرة بالاهتمام والتسجيل.

لقد ابتدأت المناقشات بخطاب نائب العمارة "ميسان"، "كمال السنوي" الذي اكد على ان احداً من رجال الحكم لا يتنصل عن المسؤولية التاريخية التي توجه اليه امام الاجيال القادمة نظراً لما حل في هذه البلاد من النكبات، ويأسف النائب المذكور لأن اكثر من تولى الحكم قد استعمل المعول لهدم كيان هذه المملكة بدل التعمير متمنياً في الوقت نفسه ان يكون رجالات الدولة في المستقبل بانين لا هدامين منشئين لا مخربين وان يقضى على سياسة الهدم التي خلفتها الايدي الاستعمارية[٢٥].

وعلق (غازي العلمي) نائب بغداد على ما ورد في خطاب العرش حول طريقة تعيين الموظفين بقوله: "ان الحكومات العراقية المتعاقبة قد اعتادت على تعيين الموظفين في الدولة لا على اساس العدل والمنطق ولا على الاسس المتبعة في الدول الحية الا وهي اسس الكفاءة والمقدرة والاخلاص والاستقامة والاختصاص، لكنها

---

(١٨) نقلاً عن: عبد الرزاق الحسني، المصدر نفسه، ص ٣١٣.

(١٩) عقد هذا المجلس اجتماعين اثنين فقط، الاول غير اعتيادي الذي بدأ في ١٧ اذار ١٩٤٧ وانتهى ١٧ تموز ١٩٤٧، والثاني بدأ في ١ كانون الاول ١٩٤٧ وتوقف في ١٥ كانون الثاني ١٩٤٨، وحُل في ٢٢ شباط ١٩٤٨.

(٢٠) للمزيد من المعلومات عن القانون انظر: عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، الجزء السابع، الطبعة السابعة، بغداد، ١٩٨٨ ص ٤٩.

(٢١) "محاضر جلسات مجلس النواب"، الدورة الانتخابية الحادية عشر، الاجتماع غير الاعتيادي لسنة ١٩٤٧، بغداد، ١٩٤٧، ص ٣٥.

(٢٢) "محاضر جلسات مجلس النواب"، الدورة الانتخابية الثانية عشر، الاجتماع غير الاعتيادي لسنة ١٩٤٨، بغداد، ١٩٤٨، ص ٥١.

(٢٣) عقد مجلس النواب في ١٩٤٧ اجتماعين، الاول غير اعتيادي بدأ في ١٧ اذار وانتهى في ١٩ تموز ١٩٤٧، والثاني اعتيادي بدأ في الاول من كانون الاول ١٩٤٧ وانتهى في ١٥ كانون الثاني ١٩٤٨.

(٢٤) يسمى الخطاب الذي يفتتح به اجتماعات مجلس الامة بخطاب العرش.

(٢٥) "محاضر جلسات مجلس النواب، الدورة الانتخابية الحادية عشرة الاجتماع غير الاعتيادي لسنة ١٩٤٧، بغداد، ١٩٤٧، ص ٥٥، الجلسة الرابعة المنعقدة في ٣١ آذار ١٩٤٧.

اتبعت الطرق التي كانت سائدة في القرون الوسطى، حيث المحسوبية والمنسوبية وغيرها[٢٦].

اما الشيخ "محمد رضا الشبيبي" نائب بغداد. فقد هاجم ما درجت عليه الهيأة الحاكمة في العراق منذ عام ١٩٤١ بأستيزار الموظفين اصحاب الاختصاص العالي الذين يشغلون وظائفهم بجدارة وكفاءة تحتاج اليها البلاد كل الاحتياج الامر الذي يؤدي الي توجيههم نحو القضايا السياسية مما يعني فتح الباب على مصراعيه لأستخدام الاختصاصيين الاجانب بحجة حاجة البلاد اليهم ، مما يؤدي الى حرمان البلاد من خدمة ابنائها الاختصاصيين لأن معظم هؤلاء يشتغلون بالسياسة، بعد ذلك يخلص الشبيبي الى الحقيقة المهمة عندما اكد على:

"اعتقد عقيدة جازمة ان استيزار الموظفين بكثرة منذ ١٩٤١ وكذلك استيزار فريق من الشباب جاء طبقاً لخطة استعمارية مرسومة وقع في حبائلها من استوزر من هؤلاء الموظفين ومن هؤلاء الشباب"[٢٧].

وحال اعلان وزارة صالح جبر لمنهاجها في العاشر من نيسان ١٩٤٧ دارت حوله العديد من المناقشات والآراء والمواقف والتي تتسم في معظمها بالشجاعة والصراحة والجرأة فقد عدّ النائب (محمد النقيب)[٢٨]، تقديم المناهج عملية روتينية اكثر من كونها واقعية او تنفيذية، مشيرا في عين الوقت إلى ان الشعب العراقي قد سأم الوعود وطال انتظاره للاعمال، وارجع النائب المذكور كثرة الاقوال والمناهج وانعدام الاعمال الايجابية الى "غموض عقيدتنا الوطنية وعدم اتحادنا واجتماعنا على الغايات والاماني والاتجاهات العامة" فضلاً عن النقص في التربية السياسية الصحيحة والعقيدة الوطنية السليمة من المخادعة والمماطله وفي ختام خطابه اكد على ان لا نجاح لنا الا بعد الايمان بغاياتنا الوطنية العليا[٢٩].

وتطرق "محمد رضا الشبيبي" في معرض خطابه عن منهاج وزارة صالح جبر[٣٠]، الى موضوع: اصول وطبيعة الحكم في العراق فقال:

"ان الحرية الدستورية وهي حق مشاع لجميع ابناء العراق بنص الدستور، اصبحت حقاً لأشخاص يعدون على الاصابع فهؤلاء الاشخاص فيما ارى هم احرار بكل معنى الحرية وفي وسعهم ان يأتوا الى مناصب الحكم العليا متى ارادوا ان يأتوا اليها، وفي امكانهم كل حين ان يتخلوا عن تلك المناصب لاجل الراحة والاستجمام متى شاءوا الاستجمام، اما خزينة الدولة العراقية في طوع اشارة القوم يتناولون منها ما يشاؤون"[٣١] وتابع الشيخ الشبيبي قائلاً:

"وعلى ابناء العراق وعلى كل فرد من ابناء العراق ان يكد ويشقى لسد نفقاتهم الطائلة وعلى الفقير أن يدفع الضريبة الباهظة احياناً لأجل ضمان سعادة اشخاص معدودين وتمكنهم من البذخ والاسراف"[٣٢].

وهاجم الشبيبي بشدة ما اعلنته الوزارة بمنهاجها عن نيتها بتعديل معاهدة ١٩٣٠ عندما أكد "ما معنى الشروع في المفاوضات من اجل تعديل معاهدة في بلد محتل فعلاً وفي هذه الحالة لن يمكن أن يفاوض المستر بيغن نفسه ولو كان في الحقيقة مستتراً وراء صديقنا الجمالي، ولكن مهما زاد.. الجمالي بسطة في الجسم والعلم فلا بد وان نرى شبح المستر بيغن وراء الستار"[٣٣]، وبعد ذلك اعرب عن اعتقاده وبشكل ينم عن بصيرة تاريخية نافذة، بأن المعاهدة المرتقبة لا تحقق شيئا عندما قال بالنص: "واني اعتقد

(٢٦) المصدر نفسه، ص ٦٢ (الجلسة نفسها).

(٢٧) المصدر نفسه، ص ٦٦ (الجلسة نفسها).

(٢٨) نائب اربيل.

(٢٩) المصدر نفسه، ص ٧٠ "الجلسة الثامنة المنعقدة بتاريخ ١٤ نيسان ١٩٤٧".

(٣٠) اعلن المنهاج في ١٠ نيسان ١٩٤٧، للتفصيل عنه راجع: المصدر نفسه ص ٨٠ - ٨٧.

(٣١) المصدر نفسه، ص ٩٩ (الجلسة نفسها).

(٣٢) المصدر نفسه، ص ٩٩ (الجلسة نفسها)

(٣٣) المصدر نفسه، ص ١٠٠ (الجلسة نفسها)

والحالة هذه لا انتظر ان تحقق شيئا جوهرياً للبلاد".[34].

ووصف "نصرة الفارسي" نائب بغداد المنهاج الوزاري لوزارة صالح جبر بأنه ضرب الرقم القياسي بتعدد مواضيعه وتشعب مراميه وكثرة وعوده، وانه انشاء جديد[35].

وناقش جميل الاورفه لي المنهاج موضوع البحث بهذه الكلمات المعبرة: ما الذي حل بمناهج الوزارات السابقه التي بلغ عددها تسعة وثلاثون، وما كان نصيب العراق منهما واستمر نائب ديالى قائلاً فاذا ما تجولتم في طول البلاد وعرضها تجدون الفقر والجهل والمرض مستولياً على البلاد، واذا ما ذهبتم الى خارج المدن الكبرى تجدون ان الناس هناك يعيشون عيشة القرون الوسطى، فلا ماء مصفى ولا كهرباء ولا ابنية ولا عمران، مختتماً خطابه يتساءل لا يخلو من الم واضح "فأين تلك المناهج واين ما دون فيها فقد اصبحت مع الاسف حبراً على ورق".[36].

وابتدأت الجلسة التاسعة بخطاب (جعفر حمندي)، الذي اشار الى حقيقة ان المناهج الوزارية تكاد تكون متشابهة الا في امور طفيفة يقصدها المسؤولون لا تتعدى التقديم والتأخير واضاف لما تقدم، لو استطاعت الحكومات العراقية المتعاقبة تطبيق عشر ما جاء في مناهجها لاصبح العراق في جنة عدن[37].

اما النائب "خليل كنه" فبعد ان اوضح ان المناهج الوزارية لم تخلُ من الكلام المعسول والاماني العزيزة، بين ان الاعوام مضت وهي تطوي هي الوزارات ومعها مناهجها أن الاعوام مضت وهي تطوي هذه الوزارات ومعها مناهجها وظل البلد يعاني الفقر ويكابد الجهل والمرض حتى تسرب الملل واليأس الى قلوب الشعب[38].

ولفت نائب البصرة "عبد الهادي البجاري" انظار الجميع الى ان ماكنة الحكومة اصبحت متفسخة تفسخاً يشمل جميع أجزائها، لدرجة اصبح من المتعذر اصلاح ادوات هذه الماكنة نظراً للوضع الحاضر، كما شجب بشدة الهيأة الحاكمة في العراق واسلوبها في حكم وادارة البلاد وما نتج عنها من مشكلات عندما قال بالحرف الواحد:

"الشعب يئن ويتظلم من ابنائه الذين سادوه وحكموه ولم تأخذهم رأفة بحاله فشاء الحاكمون تدعيماً لسلطاتهم ان يعلنوا الاحكام العرفية والقوانين الاستثنائية واجبار الناس على تبديل مساكنهم وارسالهم الى المعتقلات والسجون".[39].

وشكك "سليمان فتاح" ممثل كركوك "التأميم" في مجلس النواب، بأمكانية وزارة صالح جبر تطبيق عشر منهاجها، متطرقا فيما بعد الى خصائص العراقية الطبيعية من حيث وفرة مياهه وخصوبة تربته ومخزونه النفطي الكبير ومضى النائب منحنياً باللائمة على الذين تولوا المسؤولية فيه عندما قال بالنص: "لو نقيس بلادنا مع اي بلد آخر في العالم مع هذه الجودة والخصائص، نجد نحن المسؤولون على الحكم جانين لاننا لم نقم بواجباتنا ووزرائنا منهمكين بالاعمال الروتينية البسيطة[40].

ولم يكتفِ (سليمان فتاح) بذلك بل راح ينتقد كل الذين اكالوا التهم للموظفين ولعله اراد ان يقول لهم املئوا بطون الموظفين الفارغة قبل ان تتحدثوا عن الرشوة وارتشاء الموظفين عندما تساءل "كيف يطلبون من الموظف ان يكون نزيهاً وعادلاً ومخلصاً وهو يذهب الى البيت جوعان".[41].

وفسر (جعفر البدر) نائب البصرة اسباب اخفاق الوزارات العراقية في تطبيق مناهجها، فأرجعها الى تغلغل النفوذ الاجنبي بالبلاد، الذي يشل كل مرافق البلاد سواء الاقتصادية والاجتماعية

(٣٤) المصدر نفسه.

(٣٥) المصدر نفسه، ص ١٠١ (الجلسة نفسها).

(٣٦) المصدر نفسه، ص ١٠٨، (الجلسة نفسها).

(٣٧) المصدر نفسه، ص ١١٤ (الجلسة نفسها).

(٣٨) المصدر نفسه، ص ١١٦ (الجلسة التاسعة المنعقدة بتاريخ ١٥ نيسان ١٩٤٧).

(٣٩) المصدر نفسه، ص ١٣٢ (الجلسة نفسها).

(٤٠) المصدر نفسه، ص ١٣٤، (الجلسة نفسها).

(٤١) المصدر نفسه، ص ١٣٥، (الجلسة نفسها).

منها ام السياسية، الامر الذي ادى الى ان تأتي الوزارات الى الحكم هذا اليوم وتتركه غدا ولم تستطع تنفيذ حتى اوليات المشاريع التي وردت في مناهجها[٤٢].

ومن الامور الحيوية التي اثيرت في هذه الجلسة ما ذكره نائب الموصل (عبد الرحمن الجلبي) في موضوع الدفاع فلم يقف عند حدود المطالبة بجعل الخدمة الالزامية على كل العراقيين بالغاء البدل النقدي واسفه على تقلص الجيش العراقي عما كان عليه سابقاً، بل تحدث عن موضوع الاسلحة القديمة وعن سبب عدم تقديم المتهمين بتلك القضية الى الآن للقضاء بعد ذلك حمل النائب المذكور البعثه العسكرية البريطانية في العراق مسؤولية تدني معنويات الجيش وتسلحه بالاسلحة الفاسدة، ثم اخذ يتساءل وكأنه بذلك يعبر عن رأي الشعب العراقي، ماذا يريدون من الجيش حتى يسيطروا عليه بهذه الدرجة، ولماذا يخافون من الجيش العراقي.

بعد ذلك يعرب عن رغبته بأن يكون على رأس الجيش ضابطاً عراقياً عندما قال "اني اريد ان يكون الضابط على رأس الجيش عراقياً يتحسس لشعوره ويتألم لألمه ويفرح لفرحه اما اذا كانت البعثه اجنبية سواء اكانت انكليزية ام غيرها فلا اعتقد ان الشعور الوطني يمكن ان يتربى وينمو نموا قوياً في نفوس ابنائنا حماة الوطن"[٤٣].

وبيّن (سالم نامق) نائب الموصل، ان العبرة ليست بالمناهج، ذلك ان الشعب العراقي قد حلّ المناهج الوزارية التي قدمت من الوزارات المتعاقبة واصبح لا يكترث بتغير الوزارات، وان سبب ذلك كما يرى النائب هو التجارب التأسيسية التي مرت عملية خلال سنين طويلة، فكل وزارة تأتي الى الحكم تقدم منهاجاً واسعاً قد لا يختلف عن هذا المنهاج، ثم تراها تشتغل بأمور اخرى ولا تطبق منه الا جزءا يسيرا مما وعدت به[٤٤].

واعلن النائب (مصلح الدين النقشبندي) ممثل الموصل من على منبر المجلس وبشكل واضح انه يريد منهاجاً تطبيقيا لا منهاجاً كلامياً، كما انه فسر عدم ثقة الشعب بالمناهج وبالحكومات فأرجعه الى انه - اي الشعب - لم يلمس تنفيذ شيئا من تلك المناهج[٤٥].

واعقبه في الكلام (عز الدين الملا) نائب اربيل، مذكراً النواب بحقيقة ان جدران قاعة مجلس النواب طالما رددت اصوات رؤوساء الوزارات بتلون مناهجها، وتلاشت الاصوات وبقيت المناهج حبراً على ورق، وطالما سمعت صيحات نواب الشعب يطلبون الاصلاح لكنها ذهبت كصرخة في وادٍ او نفخة في رواد[٤٦].

اما النائب (عبد الاحد عبد النور) فقد اعلن انه لا يريد الكلام فقط وانما العمل من كل وزارة تأتي إلى الحكم[٤٧].

وانتقد نائب بغداد (محمد حسن كبه) صالح جبر رئيس الوزراء بشدة لأنه لم يقم بأي عمل اصلاحي او انشائي على الرغم من مرور ثلاثة اشهر على تسلمه الحكم، مذكراً اياه بأنه كان قد طلب عندما قدم منهاج وزارته الاستعجال في اقراره لأن البلاد خراب وبحاجة الى الاصلاح[٤٨].

لقد اثار تقديم وزارة صالح جبر الميزانية العامة للدولة لسنة ١٩٤٧، في ١٤ حزيران حفيظة العديد من النواب فتناولوها بالنقاش والتحليل والنقد كذلك، فالنائب (ذيبان الغبان) بعد ان اشار الى سياسة الاستعمار المبنية أساساً على ايجاد الاختلاف في الآراء والمواقف بين ابناء الشعب، اكد على ان هناك ايد عراقية غير نزيهة تنفذ هذه السياسة، واسترسل في خطابه رافضاً بشكل قاطع وجود افراد معدودين يتمتعون بكل ملذات الحياة، السيارات والقصور الشامخة والاسهم الكبيرة في الشركات المقتصرة عليهم تقريباً دون حساب او كتاب وان نطلب من المسكين ان يتقدم لدفع ضريبة الدم وضريبة المال[٤٩].

(٤٢) المصدر نفسه، ص ١٥٢، (الجلسة العاشرة المنعقدة بتاريخ ١٧ نيسان ١٩٤٧).
(٤٣) المصدر نفسه، ص ١٥٨، (الجلسة نفسها).
(٤٤) المصدر نفسه، ص ١٦٤، الجلسة (١١) المنعقدة بتاريخ ١٧ نيسان ١٩٤٧).
(٤٥) المصدر نفسه، ص ١٧٨، (الجلسة نفسها).
(٤٦) المصدر نفسه، ص ١٨٠، (الجلسة نفسها).
(٤٧) المصدر نفسه، ص ١٨٣، (الجلسة نفسها).
(٤٨) المصدر نفسه، ص ٤٥٩، (الجلسة السادسة والعشرين المنعقدة بتاريخ ١٤ حزيران ١٩٤٧).
(٤٩) المصدر نفسه، ص ٤٦٣، الجلسة نفسها.

اما الشيخ (محمد رضا الشبيبي) فقد القى خطاباً ناقدا لاذعاً، في بدايته سلط الضوء على جهود الرعيل الاول من المجاهدين العراقيين، الذين كان لهم الدور الاكبر في مقاومة الاتراك والبريطانيين، وافشال الدسائس الاستعمارية، وتأسيس الكيان العراقي، ثم استنكر بشدة محاولات البعض للتنكيل باولئك المجاهدين، حيث قال بالنص: "اتضح منذ حين ان هناك خطة مدبرة للتنكيل بطريقة من اولئك المجاهدين واضطهادهم بشتى الوسائل، وذلك ليصفو الجو لطبقة "اي لفئة ٤ . ش" مستضعفة ذليلة خانعة للأقوياء "الطامعين" وتابع الشبيبي يقول "بدأ المستعمرون برسم هذه الخطط للأنتقام من المخلصين قبل مدة طويلة اي في الدور الاول من ادوار الحكم الوطني بيد ان الظروف لم تكن مواتيه لتطبيقها برمتها، ولما اصبحت الظروف مواتية لهم في هذه السنوات الاخيرة، بادروا الى تطبيق هذا البرنامج بحذافيره"[٥٠].

فيما بعد يوضح نائب بغداد نتائج تلك السياسة بهذه الكلمات التي لا يحتاج المرء الى خيال خصب لفهمها:

"هكذا عادت البلاد ايها السادة فيه لفريق من النفعيين الانتهازيين وسجناً للكثير من ابنائها الامناء، وذلك على الوجه الذي دبره بعض المستعمرين وهكذا اصبح العراقي الحر غريباً في وطنه.. ورجوع البلاد في كثير من نواحيها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعمرانية وغير ذلك"[٥١].

وفي الخطاب نفسه تطرق الشبيبي الى ما اصاب المجتمع العراقي من مرض طغيان الاموال على حساب القيم والمثل العليا والاخلاق الفضيلة عندما قال: "تلاشى بعد الحرب او كاد ايماننا بالمثل العليا وبالفضيلة والصدق والاخلاص، وامتازت هذه الاخلاق بهذا الجنون وراء الركض وراء المادة ولو كانت الذمة والشرف ثمناً للحصول على بعض المتع المادية"[٥٢].

وفي هذا الخضم من النقاش الذي ظهرت فيه آراء بارزة وممتازة ظهر رأي آخر اكثر حدة متطرفاً ووضوحاً، وقد صدر هذا الرأي عن (عبد الرزاق الشيخلي) نائب بغداد الذي اكد بصريح العبارة على ان النتائج التي تمخضت عن كل هذه الميزانيات التي تقدمت بها الحكومات، هي الافلاس في كل شيء في الاخلاق وفي الروح الوطنية وفي السياسة وفي جميع النواحي الحيوية الاخرى وتابع تأكيده، وما هذه الميزانية المعروضة عليكم الا مثل من هذا الافلاس الذي مني به العراق، وذلك لاننا لا نجد فيها خطة مرسومة قويمة وعليه فانها كسابقاتها فاشلة ايضاً[٥٣].

ولم يقف النائب المذكور عند هذا الحد بل راح يتحدث عن المستقبل بالاسلوب نفسه قائلا: " انني ارى ان المستقبل مظلم جداً ولا بد من وقوعنا في الهاوية"[٥٤].

والقى النائب (جعفر البدر) خطابا سياسياً علناً بمناسبة مناقشة الميزانية العامة، تحدث فيه اولاً عن الفترة القصيرة التي اعقبت الحرب العالمية الثانية التي تمتعت بها البلاد بقدرٍ معينٍ من الحرية، حيث تم اجازة عدد من الاحزاب السياسية واصدار عدد من الصحف مؤكداً ان هذه الفترة لم تكن قصيرة وقصيرة جداً فحسب، بل هي لعبة حذق المستعمرين سبكها فضلاً من انها كانت فترة تحرير للشعب، بعد ذلك هاجم نائب البصرة (ضيف صدر) وزارة صالح جبر من نقد المعارضة واغلاقها للصحف الحزبية، وفي ختام خطابه يسأل النائب سؤال لا يخلو من مغزى واضح وكأنه قد قرأ في سؤاله ما يخلد صالح جبر:

"هل هناك حدث عظيم ستقدم عليه البلاد يستوجب اللجوء إلى كبت الحريات لكي يبقى الشعب في غفلة"[٥٥].

واعتبر نائب آخر[٥٦] منهاج حكومة صالح جبر الذي صدر منذ

(٥٠) المصدر نفسه، ص ٤٨٠، (الجلسة السابعة والعشرين المنعقدة بتاريخ ١٥ حزيران ١٩٤٧).

(٥١) المصدر نفسه، ص ٤٨٠، (الجلسة نفسها).

(٥٢) المصدر نفسه، ص ٤٨١، (الجلسة نفسها).

(٥٣) المصدر نفسه، ص ٥٠١، (الجلسة الثامنة والعشرين المنعقدة بتاريخ ١٥ حزيران ١٩٤٧).

(٥٤) المصدر نفسه، ص ٥٠١، (الجلسة نفسها).

(٥٥) المصدر نفسه، ص ٥١٠، (الجلسة التاسعة والعشرين) المنعقدة بتاريخ ١٧ حزيران ١٩٤٧).

(٥٦) هو محمد النقيب نائب اربيل.

عدة اشهر ولم يظهر منه اي عمل اصلاحي بأنه مثل مناهج اكثر الحكومات العراقية هي حبراً على ورق لا اكثر ولا اقل وتابع بتهكم واضح يقول: لا اعلم هل ان الاصلاح الذي قامت به الحكومة هو موجة الغلاء الفاحش الذي فوجئنا به في الاسابيع الاخيرة في المواد الضرورية للمعيشة بدون ان يكون لها سبب مبرر[٥٧].

وفي الجلسة نفسها هاجم (جعفر حمندي) ممثل بغداد سياسة التوظيف التي كانت تسير عليها حكومة صالح جبر، بعنف متهماً اياها بأنها توجه كامل عنايتها الى ايجاد المال اللازم والاكثار من الموظفين، خاصة من ذوي الرواتب الضخمة، كما عدّ الاكثار من تعيين الاجانب وسيلة يتخذها بعض الوزراء للأستمرار في الحكم[٥٨].

وطالب النائب (ذيبان الغبان) بأن تمنح صحف المعارضة والاحزاب نفس الحرية التي تتمتع بها الصحف الموالية للحكومة، لكي تقارع الحجة بالحجة كي تظهر الحقيقة كاملة للشعب مذكراً الحكومة بحقيقة ان شدة الضغط على حرية الفكر وحرية النشر، ولد عند الشعوب الاخرى شعوراً معاكساً وجعل الاعمال السرية والهدامة مجالاً اوسع للعمل والعبث والفساد، الى جانب ذلك اعرب نائب بغداد عن اعتقاده بأن الضغط على الحريات وتضييق دائرة حرية ابداء الرأي والنشر وجعله مستمراً بحسب رغبة الحاكم، يعني ان ذلك ما هو الا نظاماً دكتاتورياً او نظاماً نازياً[٥٩].

وطبقا للقواعد البرلمانية السائدة آنذاك، بدأ مجلس النواب اجتماعه الاعتيادي لسنة ١٩٤٧، في الاول من شهر كانون الاول من العام نفسه، بخطاب العرش الذي القاه الوصي عبد الاله، وحال الانتهاء من اجراءات انتخاب رئيس المجلس ونائبيه، تناوله "اي خطاب العرش"، النواب بالمناقشة فكان (ذيبان الغبان) اول المتكلمين، ولئن جاء خطابه شاملاً الا انه ركز على موضوعين اساسيين، هما القضية الفلسطينية ووضع الجهاز الاداري، ومن الممكن جداً القول ان الافكار التي تضمنها الخطاب تدل على وعي سياسي ممتاز وشجاعة واضحة والاهم من هذا ان فيها ما يشرف الحياة البرلمانية العراقية، ففي البدء اشار الى تبجح بعض اصحاب (الفخامات)، لم يكن دافعه المصلحة العامة، بعد ذلك صبَّ جام غضبه على رئيس الوزراء صالح جبر الذي اتهمه بأنه كان بخيلاً بالتصريحات امام النواب عن القضية الفلسطينية في الوقت نفسه لم يكن كريماً فحسب بل مسرفاً بالتصريحات غير المنطقية الى ممثلي الصحف ومراسلي شركات الاخبار في الخارج، ومنتقدا تصريحاته عن الجيش العراقي واستعداداته العسكرية، واسترسل قائلا، ان رئيس الوزراء منذ ان عاد من مؤتمر القاهرة، لم يصرح لمجلس النواب بشيء على الرغم من ان بعض النواب طلبوا منه ان يوضح للمجلس آخر تطورات القضية الفلسطينية وكأنها قضية تافهة لا تستحق العناية، ثم يتساءل عن القوة التي ارغمته على السكوت، ولم يكتف نائب بغداد بذلك بل طالب صالح جبر بأن يشرح كل ادوار القضية الفلسطينية وتطوراتها امام المجلس لدراستها بشكل وافي، ليقرر ممثلي الشعب ما يروه مناسباً للدفاع عنها والا فليعتزل الحكم ويدع هذه القضية للشعب العراقي وممثليه ليتدارك الامر ولو في آخر مرحلة[٦٠].

كما ان النائب المذكور كذب الحكومة التي قالت في خطاب العرش، بأنها قامت باصلاح الجهاز الاداري عندما قال موجهاً كلامه الى رئيس الوزراء من خلال هذه الكلمات الواضحة :

"لا يا سيدي رئيس الوزراء ان الرشوة والاختلاس وسوء الاستعمال والسرقات وعدم احقاق الحق، وعدم التساوي في الحقوق والواجبات منذ مجيئكم حتى الآن زادت على السابق اضعافاً مضاعفة"[٦١].

---

(٥٧) المصدر نفسه، ص ٥١١، (الجلسة نفسها).

(٥٨) المصدر نفسه، ص ٥٢٤، (الجلسة نفسها).

(٥٩) المصدر نفسه، ص ٥٢٤، (الجلسة نفسها).

(٦٠) "محاضر جلسات مجلس النواب"، الرواية الانتخابية الحادية عشر، الاجتماع الاعتيادي لسنة ١٩٤٧، بغداد، ١٩٤٧، ص ٥٤ (الجلسة الخامسة المنعقدة بتاريخ ٣١ كانون الاول١٩٤٧).

(٦١) المصدر نفسه، ص ٥٤، (الجلسة نفسها)

وارجع (عبد الرزاق الشيخلي) نائب بغداد في خطابه الذي القاه في الجلسة نفسها، كل مشاكل البلاد ونكساتها الى خروج الحكومات العراقية المتعاقبة عن روح الدستور[٦٢].

اما النائب (عبد الجبار الملاك) فقد اشار في خطابه الذي ناقش به خطاب العرش الى حالة الفساد المستشرية في كل انحاء القطر عندما قال: "ان كل بلد وكل جهة من جهاتنا منكوبه ومبتلاة بافراد ومخلوقات ديدتها بل همها العيش على امتصاص دماء الشعب وابتزاز قوتها تلك هي والله مخلوقات قذرة قد فسح لها المجال تسرح وتمرح وتزيد في امتصاصها دون رقيب ولا محاسب"[٦٣].

وقفات ديمقراطية اقتصادية واجتماعية :

كانت مناقشة بعض اعضاء مجلس النواب للأوضاع الاقتصادية بجوانبها المتعددة، تستحق بلا ادنى شك الوقوف امامها كوقفات دمقراطية متميزة، فضلاً عن انها تثير الاعجاب،فنائب الدليم "الدينار" (حامد الوادي)، علق على ما ورد بخطاب العرش الذي القي يوم ١٧ آذار ١٩٤٧، عن استعداد الحكومة لاصدار تشريعات تنسجم وانتقال العالم من حالة الحرب الى السلام قائلاً: اننا لم نخرج ولم ننج من الضربة الموجعة التي هزت العالم في صميم اخلاقه ومعنوياته، فقد كانت الضربة في هذه الناحية اليمة وعنيفة، وها هي مقاييسنا في الحكم والتقرير لقد دكت قواعدها، وانهارت اسسها واصبح الحق باطلاً والعدل ظلماً والايمان كفراً والمحسن مسيئا والعزيز هينا والثمين رخيصاً، ومضى النائب المذكور يقول: كما وان الاموال قد طغت على كل عزيز وغالٍ واصبحت مثلاً اعلى للوجاهة واللياقة والرجاحة، فارتفعت نتيجة لذلك طبقة محدودة العدد وانهارت طبقات هي عماد هذا البلد وهي المرجع اذا جدّ الجد[٦٤]. واضاف منتقداً ارتفاع القصور الشامخة واثار ذلك النفسية على عموم المجتمع فيؤكد، ان ارتفاع الشوامخ من القصور والدور قد ادى الى تهديم العزيز والنفيس في الجوانب الروحية بعد كل ذلك يخلص الى النتيجة الآتية: "فنحن اذن حيال مشاكل معنوية ومادية خلفتها الحرب، وعلى الذين يتحملون المسؤولية واعباء الحكم ان يدركوا هذه الحقائق"[٦٥].

اما النائب (غازي العلي) ممثل بغداد في مجلس النواب، فقد اصاب في خطابه الذي القاه في نيسان ١٩٤٧، مرمى الحقيقة واظهر عين اليقين عندما اكد بشكل واضح ومن على رؤوس الاشهاد ان وضع البلاد الاقتصادي خاضعاً ومسيراً من فئة خاصة والشركات الاستعمارية، ومن المهم ان ننقل بعض من فقرات هذا الخطاب:

"ان وضعنا الاقتصادي نراه خاضعاً ومسيرا من قبل فئة خاصة تسيره حسبما تريد هي والشركات الاستعمارية"[٦٦].

وطالب نائب أخر[٦٧] بالغاء وزارة التموين التي اذاقت العراقيين الامرين في زمن الحرب، فضلاً عن انها كانت معسكراً ثابتاً لدولة الاحتلال، حيث احتل الضباط والجنود والانكليز اعلى المناصب وتحكموا بمقدرات البلاد[٦٨]، وتحدث النائب (جعفر البدر) بعد ان عدّ ميزانية الدولة ميزانية رواتب ومخصصات ومصاريف سفر، تحدث عن الطبقات الكادحة واوضاعها المزرية وما تتحمله من ضرائب متنوعة فيقول "بقيت طبقات الشعب الكادحة في مستوى واطيء وقد اثقل كاهلها الضرائب المتنوعة وانتابتها الاوبئة والامراض واستحوذ عليها الجهل وعضها الفقر بنابه حتى ان

(٦٢) المصدر نفسه، ص ٥٧، (الجلسة نفسها).

(٦٣) المصدر نفسه، ص ٦٢، (الجلسة نفسها).

(٦٤) "محاضر جلسات مجلس النواب"، الدورة الانتخابية الحادية عشرة، الاجتماع غير الاعتيادي لسنة ١٩٤٧، بغداد، ١٩٤٧، ص ٦٠، (الجلسة الرابعة المنعقدة بتاريخ ٣١ اذار ١٩٤٧).

(٦٥) المصدر نفسه، ص ٦٠، (الجلسة نفسها).

(٦٦) المصدر نفسه، ص ٦٢، (الجلسة نفسها).

(٦٧) هو نائب البصرة عبد الجبار الملاك.

(٦٨) المصدر نفسه، ص ١١٠ (الجلسة الثامنه المنعقدة بتاريخ ١٤ نيسان ١٩٤٧).

بعضها لا يزال يعيش في حالة بدائية بين مياه الاهوار الآسنة وبين صخور الجبال الجرداء وفي الصحاري القاحلة"[٦٩] واستطرد نائب البصرة متسائلا: "ماذا اعددنا في ميزانيتنا هذه وميزانيات السنين الماضية من خطط للترقيه عن هذه الطبقات، وانهى خطابه بسؤال هل ان مخصصات الميزانية تصرف حقاً على الامور المخصصة لها؟ وتاتي الاجابة كلها شك: اذا كانت كذلك فما اسباب الشكوى والتذمر المنبعثه من كل فرد من ابناء العراق"[٧٠].

وارجع الشيخ (محمد رضا الشبيبي) سبب الغلاء الفاحش والضيق الشديد الذي يعاني منه الشعب يومئذ، الى التهريب، كما انه هاجم بشدة عجز الحكومة عن مكافحة التهريب، مشيرا الى ان هذا العجز يبعث على اليأس، واعرب في الوقت نفسه عن اعتقاده بأن للمجرمين المهربين شركاء يتمتع بعضهم بمراكز مهمة، وواصل نائب بغداد خطابه حينما قال: اذا كانت الحكومة عاجزة عن مكافحة التهريب بهذا الشكل فما الفائدة من تسلم المسؤوليات او ليس هذا معناه عجز المسؤولين"[٧١].

وفي السياق ذاته اعلن نصرة الفارسي نائب بغداد، وهو يناقش موضوع المرسوم الذي اصدرته حكومة صالح جبر ومنحت بموجبه الموظفين والمستخدمين نصف راتب كمنحة، اعلن عن استغرابه لأن الحكومة بعد عدة اشهر من غلاء المواد الغذائية، الفاحش تأتي وتتكرم على الموظفين بمنحة نصف راتب، وكأن الضائقة فاجأتها مفاجأة، ولم تكن مستمرة ومعلومة من قبل، بعد ذلك يعترض النائب على استخدام كلفة منحة في شؤون الدولة، فاموال الدولة كما يرى لا تصرف الا على ما هو ضروري للمصلحة العامة ومتى كان الصرف كذلك فأنه يكون واجباً على الدولة حقاً للجهة المصروف عليها لا منحه ولا عيدية[٧٢].

وبين النائب (كمال السنوي) في خطابه الذي القاه بمناسبة بحث موضوع المنحة والازمة الاقتصادية العامة، ان هذه الازمة الاقتصادية المخيفة التي استحكمت حلقاتها ليست وليدة هذا اليوم وانما تقع مسؤوليتها على جميع من تولوا كراسي الحكم منذ سنة ١٩٤٢ حتى هذه الدقيقة، كما انه شبه المنحة التي قدمتها الحكومة بحقن المورفين المخدرة التي تزيل الالم لمدة قليلة جداً، في حين كان الواجب كما يعتقد النائب المذكور ان يستأصل الداء لا تخفيفه مؤقتا[٧٣] وفي الجلسة التالية للمجلس طرح (كمال السنوي) اراءه وافكاره بشكل اكثر وضوحاً وتحديداً، عندما أكد على ان جميع رجال الدولة مسؤولون عما وصلت اليه البلاد، بعد ذلك اعرب عن اعتقاده بأن رجالات الحكم لم يكونوا مخلصين تمام الاخلاص تجاه المصلحة العامة اذ لو كان الامر كذلك كما يلاحظ النائب لتمكنا من مسايرة مواكب الشعوب التي تقدمت اشواطاً بعيدة في مدى المدنية والصناعة كما ان ذكر الكل بأن سبب الحرمان والفاقة والعوز التي عانى منها الشعب العراقي منذ الحرب العالمية الثانية، هو ان رجاله قد اهملوه ولم يعملوا كما عمل الآخرين في الدول المجاورة، ثم خلص في ختام خطابه الى الحقيقة المهمة التالية حينما قال:

"كل وزارة تاتي فتضرب منهج الوزارة السابقة عرض الحائط، واكرر قولي بأن كل وزارة تأتي الى الحكم ان لم تهدم جميع ما بنته الوزارة السابقة فهي تهدم القسم الملكي منه"[٧٤].

اما النائب (محمد النقيب) فقد اعرب عن اعتقاده بأن الاحتياج والضيق في المعيشة والعجز في تدبير شؤون البيت والاطفال يسوق المرء الى كل شيء الى الارتشاء، الى السرقة وغير ذلك من الجرائم.[٧٥].

(٦٩) المصدر نفسه، ص ٥١١ (الجلسة التاسعة والعشرين) المنعقدة بتاريخ ١٧ حزيران ١٩٤٧).

(٧٠) المصدر نفسه، ص ٥١١، (الجلسة نفسها).

(٧١) المصدر نفسه، ص ٦٦٥، الجلسة ٣٦، المنعقدة بتاريخ ٢٩ حزيران ١٩٤٧).

(٧٢) "محاضر جلسات مجلس النواب"، الدورة الانتخابية الحادية عشر الاجتماع الاعتيادي لسنة ١٩٤٧، بغداد، ١٩٤٧، ص ٢٠، الجلسة الثالثة والرابعة المنعقدة بتاريخ ١٨ كانون الاول ١٩٤٧).

(٧٣) المصدر نفسه، ص ٢٠، (الجلسة نفسها).

(٧٤) المصدر نفسه، ص ٥٠، (الجلسة الخامسة المنعقدة بتاريخ ٣١ كانون الاول ١٩٤٧).

(٧٥) المصدر نفسه، ص ٥١، (الجلسة نفسها).

الخاتمة :

من كل ما سبق يمكن القول ان الانكليز والهيأة الحاكمة في العراق قد اختاروا بعناية جداً في ربيع عام ١٩٤٧ صالح جبر لرئاسة الحكومة في العراق، المعروف لا بعنجهيته وتهوره فحسب بل بكرهه الشديد للحركة الوطنية العراقية فضلاً عن رغبته المفرطة لخدمة المصالح البريطانية، ولكن على الرغم من كل ذلك وغير ذلك شهدت اجتماعات مجلس النواب لسنة ١٩٤٧، صولات دمقراطية تتسم بالشجاعة والوضوح والجرأة، فضلاً عن ظهور اراء وافكار سياسية، تتصف ببعد سياسي ثاقب وبصيرة تاريخية نافذة.



خطوات السيطرة العثمانية في المشرق والخليج العربي ١٥١٤ - ١٥٤٧

حميد أحمد حمدان التميمي
كلية الآداب / جامعة البصرة

تناما في الشرق الأوسط، في مطلع القرن السادس عشر، نفوذ ثلاث دول تصارعت فيما بينها على الهيمنة المكانية والصلحة الاقتصادية، هي الدولة العثمانية، في آسيا الصغرى، وامتداداتها في أوروبا الشرقية والوسطى، والدولة الصفوية التي نشأت في حدود عام ١٥٠١م، في فارس وامتدت هيمنتها من مدينة هراة في أفغانستان الى ديار بكر، في جنوب الأناضول وحتى بغداد، التي سيطرت عليها، في سنة ١٥٠٨، إثر سقوط دولة الخروف الأبيض (آق قونيلو) التركمانية على يديها. وأخيرا الدولة المملوكية في مصر والشام وغرب الجزيرة العربية [1] . واذا أضفنا إلى ذلك بدايات التوغل الأوروبي في المنطقة العربية المتمثل بالغزو البرتغالي الذي بدأ في منطقة الخليج العربي، إثر جهود استكشافية حثيثة. إذ أن اهتمام البرتغاليين بدأ منذ سنة ١٤٨٨ - ١٤٨٩، حين تجول فيها أحد مواطنيهم المدعو بيرو دي كوفلهاو Pero de Covihao ونظرا لمعرفته باللغة العربية فقد استطاع تجميع معلومات عن النشاط التجاري والإقتصادي ساعدت في الغزو العسكري الذي بدأ حين تمكن فاسكودي غاما بعد عشر سنوات تقريباً (أي في عام ١٤٩٨) من الدوران حول رأس الرجاء الصالح بمساعدة البحار العربي أحمد بن ماجد[2] وكان أن دخل البرتغاليون الى الخليج العربي، في حدود سنة ١٥٠٦، وفي تسع سنوات لاحقة كان البرتغاليون يُسيطرون على الموانيء في المنطقة وأخذوا يتحكمون في مسار التجارة الدولية، الأمر الذي خلق وضعاً جديداً بدأت آثاره تظهر في مختلف الأنحاء[3] . وهكذا كانت ملامح الخريطة السياسية لمنطقة الشرق العربي، في هذه الحقبة الزمنية.

شُغلتْ القوى السياسية، المشار اليها، بتطورات الأحداث بقدر ارتباطها بمصالحها، وفي الوقت الذي كانت فيه الدولة العثمانية معنية بصورة خاصة، طوال القرن الخامس عشر بالتوسع في أوروبا الشرقية والوسطى، كانت الدولة الصفوية تعملُ على خلق موطيء قدم لها في شرق الأناضول بوسائل شتى عن طريق التعامل مع الجماعات التركمانية، على وجه الخصوص. وربما كان هذا، فضلاً عن المصالح التجارية، أحد الأسباب المهمة التي أدّت بالسلطان العثماني سليم الأول ١٥١٢ - ١٥٢٠، عاشر سلاطين آل عثمان، الى أن يبدأ عملية تغيير كبيرة في إتجاه التحرك العثماني نحو الشرق، إذ أنه نظرا لتشابك المصالح الدولية وتصادمها، في المنطقة، بدأت اهتمامات العثمانيين بها تكبر بشكل مضطرد[4] .

فكان التصادم العسكري العثماني الصفوي في ٢٣ آب ١٥١٤، حين دارت رحى معركة جالديران، التي انتصر فيها العثمانيون واحتلوا العاصمة الصفوية تبريز، ورغم أن هذه المعركة لم تكن حاسمة بالنسبة للصراع بين الدولتين وان العثمانيين انسحبوا من المدينة، الا أنها حققت نتائج جيدة للآخرين. اذ أنهم سيطروا على الموصل التي صارت نقطة ارتكاز مهمة للنشاط العثماني في المنطقة كما ضموا ديار بكر وماردين وخضع لهم أمراء أردلان والعمادية وجزيرة إبن عمر، وجرى ضم الأناضول الشرقية الى الإمبراطورية العثمانية، وأنشأت حامية عسكرية في ولاية وان[5] .

هكذا بدأت تتغير الخريطة السياسية للمنطقة وصارت الأطراف المختلفة تحسب للقوة العثمانية القادمة حسابها. فكانت محاولات

(١) عبد الكريم رافق؛ العرب والعثمانيون ١٥١٦ - ١٩١٦ (دمشق - ١٩٧٤) ص ١٤ و ص ٥٥ انظر : ابراهيم خليل أحمد، بدايات التوجه العثماني نحو منطقة الخليج العربي، مجلة المؤرخ العربي، العدد ٤٣، السنة ١٦، (بغداد - ١٩٩٠) ص ٢٥.

(٢) صالح أوزبران؛ الاتراك العثمانيون والبرتغاليون في الخليج العربي ١٥٣٤ - ١٥٨١، ترجمة د. عبد الجبار ناجي (بغداد - ١٩٧٩) ص ١٧.

(٣) ابراهيم خليل احمد؛ المصدر السابق، ص ٢٦.

(٤) رافق؛ المصدر السابق، ص ٥٥ - ٦١ .

(٥) المصدر نفسه، ص ٥٦ و ص ٦٦.

التفاهم الصفوي المملوكي، سنة ١٥١٤، والتقارب الصفوي البرتغالي، سنة ١٥١٤ - ١٥١٥ (٦). وبالمقابل لم تتوقف الجهود العسكرية العثمانية، إذ أن العثمانيين دخلوا في معركة فاصلة مع السلطنة المملوكية، بعد سنتين تماماً من معركة جالديران، وذلك في ٢٣ آب ١٥١٦، في منطقة مرج دابق القريبة من حلب، ثم كان توغلهم الى مصر، حيث انتصروا على المماليك، في معركة الريدانية، في ٢٣ كانون الثاني ١٥١٧. وبهذا امتدت هيمنة الدولة العثمانية الى أجزاء مهمة من الوطن العربي، إذ أن سيطرتهم على ممتلكات السلطنة المملوكية جعلهم مهيمنين على منطقة الحجاز، حيثُ الحرمين الشريفين، في مكة المكرمة والمدينة المنورة، وصار الى العثمانيين مسؤولية مواجهة الوجود البرتغالي في البحر الأحمر والمحيط الهندي(٧).

كان من نتائج التوسع العثماني في المنطقة أن ضعف النفوذ الصفوي، في بغداد، الى درجة أنه أصبح إسمياً تقريباً. وقد شجع هذا الوضع أحد زعماء القبائل الكردية القاطنة في أطراف لورستان ويدعى ذو الفقار على اغتيال الحاكم الصفوي، في بغداد، في سنة ١٥٢٤. في محاولة لاستثمار الخلاف السياسي في المنطقة وتقرب الى العثمانيين بكتابة إسم السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠ - ١٥٦٦) على العملة والدعاء له في المساجد، في خطبة يوم الجمعة. ولكنه مع ذلك لم يحصل على دعم عثماني ملموس يتجاوز حد الوصاية ونجحت محاولات طهماسب في التخلص منه حين أغرى شقيقه باغتياله في سنة ١٥٣٠(٨).

سادت في هذه الفترة حالة من التخلخل في الولاءات السياسية بين العاملين، في الدولتين المتجاورتين الصفوية والعثمانية، فضلاً عن بدء مرحلة جديدة من التدخل في الشؤون الداخلية للطرفين وتحالفات معاوية لبعضهما البعض في السياسة الخارجية، فبالنسبة للجانب الأول نجد أن حاكم بتليس Bitlis (٩) المعروف بولائه للعثمانيين، الزعيم الكُردي تبريز الصفوي علامة خان الى العثمانيين، وتوسع الصفويون في المناطق الحدودية، وفي الجانب الاخير نجد أن الشاه طهماسب شجع ثورة قامت في الأناضول ضد العثمانيين، قادها قلندر جلبي سنة ١٥٢٧ وحقق الشاه أيضاً قيام علاقات خارجية جديدة مع الامبراطور شارل الخامس (١٥١٩-١٥٥٨) امبراطور الامبراطورية الرومانية المقدسة الذي كان في حالة حرب مع العثمانيين، وقد أرسل الأخير موفدين الى بلاط الشاه في سنة ١٥٢٩ لتعزيز علاقات الصداقة(١٠).

إذا ما أضفنا الى كل ما تقدم ذكره تقدير العثمانيين لأهمية بسط سيطرتهم على طرق التجارة الرئيسية في المنطقة مثل طريق الحرير بين تبريز وبورصة(١١) وطريق التوابل بين البصرة وحلب فضلاً عن سيادتهم المتحققة في كل من سوريا ومصر، في السنوات السابقة، جعلت الانطلاق نحو العراق لتحقيق الهيمنة الكاملة في انحاء المنطقة الاقليمية أمراً بالغ الأهمية(١٢). وبهذا نخلص الى أن التحرك العسكري العثماني لم يكن مفاجئاً بل كان مُنسجماً مع تطور الأحداث.

---

(٦) المصدر نفسه، ص ٦٠ و ص ٦٢. وانظر أحمد؛ المصدر السابق، ص ٢٨.

(٧) المصدر نفسه، ص ٦٠ - ٦٣.

(٨) رافق؛ المصدر نفسه، ص ٦٦.

(٩) تقع على نهر بطليس جنوبي غربي بحيرة وان. وهي المدينة الرئيسية في ولاية تبليس التي يبلغ عدد سكانها بموجب احصاء ١٩٧٠ (١٨,٥٠٠) نسمة. راجع : ابراهيم خليل احمد وآخرون؛ تركيا المعاصرة (الموصل - ١٩٨٨) ملحق رقم ٤ ص ٢٨٣.

(١٠) رافق؛ المصدر السابق، ص ص ٦٦ - ٦٧ .
واوزبران؛ المصدر السابق، ص ٢٧ - ٢٨.

وراجع بصدد صلات سليمان القانوني بشارل الخامس، في :
Green, H.; The Renaissance and Reformation (Arnold - 1977) PP. 127 - 155. & Hayes, Carlton; Poltical and Cultural History of Modern Europe (New York) - 1936) Vol. 1, PP. 225 - 241.
وعبد العزيز سليمان نوار؛ الشعوب الاسلامية (بيروت - ١٩٧٣) ص ١٤٦.

(١١) ولاية بورصة التركية، مركزها مدينة بورصة، بلغ عدد سكانها بموجب إحصاء سنة ١٩٧٠ ، ٩٠٠,٨٤٧ نسمة.
راجع : احمد وآخرون؛ المصدر السابق، ملحق رقم (٤)، ص ٢٨٣.

(١٢) اوزبران؛ المصدر السابق، ص ٢٧.
ورافق؛ المصدر السابق؛ ص ٦٦.

قاد الصدر الأعظم إبراهيم باشا الحملة العسكرية الى العراق، في ٢١ تشرين الأول ١٥٣٣ وكانت وجهته الأولى تبريز التي دخلها مُحتلاً في ١٣ تموز ١٥٣٤ وبقي هناك الى أن التحق به السلطان سُليمان القانوني، في شهر أيلول من العام نفسه، ومن تبريز سارت الجيوش العثمانية الى بغداد عبر طريق همذان، التي وصلوها في ٣١ تشرين الأول ١٥٣٤ ومنها الى خانقين ولم تواجه مقاومة صفوية. ونظراً لذلك قدم الحكام المحليون ولاءهم للسلطان العثماني وكذلك فعل حاكم بغداد محمد خان (محمد التكه لي وهو كُردي) وقد هرب منها، فكان أن دخلها إبراهيم باشا، في ٣١ كانون الأول ١٥٣٤، بينما تأخر دخول السلطان لحين استتباب الأمر في المدينة، بعد يومين، فكان ذلك في الثاني من شهر كانون الثاني من العام التالي (١٥٣٥)، وبقي فيها ينظم شؤونها حتى اليوم الثاني من شهر نيسان من العام نفسه حين غادرها الى اسطنبول[١٣] .

يُعد احتلال سليمان القانوني لبغداد مرحلة جديدة في تاريخ العراق ومنطقة الخليج العربي، وكان السلطان مُدركاً منذ البداية، الأهمية الاستراتيجية والتجارية لهذه المنطقة، ولهذا وجدناه يتدارس مع مستشاريه، وهو في بغداد، الاجراءات الادارية للمناطق المختلفة من العراق ونقل قطعات من الاسطول البحري العثماني الى منطقة الخليج العربي للمرابطة عند البصرة، في مواجهة تحديات البرتغاليين[١٤] الذين قد وطدوا اقدامهم في جزيرة هرمز، منذ سنة ١٥٠٧، وصاروا يهيمنون على سير الحركة التجارية في الخليج العربي بل وهاجموا البحرين والإحساء وشمال شرقي الجزيرة العربية، في سنة ١٥٢١، وكرروا ذلك الهجوم على البحرين في سنة ١٥٢٩، وتدخلوا في شؤون البصرة، في السنة الأخيرة أيضاً، حين وقفوا الى جانب حاكمهم العربي راشد بن مغامس - بناء على طلبه - ضد العشائر العربية في الجزائر. وحين انتهى النزاع بالصلح بين الطرفين العربيين وجدنا أن البرتغاليين يطالبون راشداً بأن يسلمهم ستة سفن عسكرية، كانت ترسو عند البصرة وحين رفض ذلك قام القائد البرتغالي بإحراق القرى الساحلية وانسحب الى هرمز[١٥] .

إن البصرة، في واقع الحال، لم تخضع عسكرياً الى السلطان العثماني، حين احتلاله بغداد، بل كانت حتى ذلك الحين تُحكم من قبل أميرها العربي راشد بن مغامس، وتُشير المصادر التاريخية، العثمانية خاصة، إلى أن السلطان العثماني تلقى حين استقر في بغداد الولاء والطاعة من رؤوساء القبائل ووجوه المنطقة الذين توسموا فيه العون ضد البرتغاليين. وأمّ بغداد، أيضاً وفود من القطيف والبحرين حملت رسائل الترحيب من شيوخها، الى السلطان[١٦] .

كان من بين من قدمَ مانع بن راشد بن مغامس، الذي توجه الى بغداد بتكليف من أبيه، حيثُ قدمَ الى السلطان مفاتيح مدينة البصرة. وهكذا امتدت السيطرة العثمانية، دون عناء عسكري الى مناطق الجزائر في الأهوار والخراف والحويزة ومنطقة تلال لورستان فضلاً عن البصرة[١٧] ، التي أصبحت مركز إيالة، وقد أقر

(١٣) اوزيران؛ المصدر السابق، ص ٢٨.
رافق؛ المصدر الاسبق، ص ٦٧.
نوار؛ المصدر السابق، ص ١١٢.
(١٤) يراجع :

B. Lewis; Istanbul, and the Civilization of the Ottoman Empire (Oklahoma - 1963) P. 33.

عباس العزاوي؛ تاريخ العراق بين احتلالين (بغداد - ١٩٤٩) جـ ٤، ص ٨٧.
(١٥) اوزيران؛ المصدر السابق، ص ١٧ - ٢٦.
نوار، المصدر الاسبق، ص ١٣٧ - ١٣٨.
(١٦) اوزيران؛ المصدر السابق، ص ٢٩.
ورافق، المصدر السابق، ص ٦٨
(١٧) ابن الغملاس؛ ولاة البصرة ومتسلموها (بغداد - ١٩٦٢) ص ٥٥ . مرتضى نظمي زاده؛ كلشن خلفا (النجف - ١٩٧١) ترجمة عن اللغة التركية موسى كاظم نورس ص ١٩٩.
ستيفن هميسلي لونكرك؛ اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث (بغداد - ١٩٦٨) ترجمة جعفر الخياط، ص ٤٠ .

السلطان راشد بن مغامس في منصبه بتقليد كتابي[١٨] . وكان عليه أن يخضع لوالي بغداد، ولكن يبدو أن أمير المدينة ظل يحكم بصورة مستقلة. إذ تُشير المصادر التركية الى «أن اسم السلطان لم يظهر على النقود ولم يذكر في خطبة الجُمعة سنة ١٥٣٨»[١٩] أي بعد ثلاث سنوات على الاعتراف بالتبعية الى السلطان العثماني. ونظراً لكون موقع البصرة تسيطر عليه القبائل العربية القوية، فقد ظل هناك نزاع دائم بينها وبين الوالي في بغداد[٢٠] . وقد اعقب مانع أباه راشداً في الحكم ثم تنازل الأخير الى إبن عمه يحي بن فضل واستمر ها في الحكم، بصورة مستقلة ولم يتعاون في سنة ١٥٤٥، مع مبعوث لوالي بغداد يُدعى حارم بك، أُرسل لينشأ حصناً عسكرياً في منطقة زكية الواقعة بين البصرة وواسط، وفي سنة ١٥٤٦، لم يُجِبْ السلطان الى طلبه بإعادة لاجئين عرب الى بغداد، كانوا قد لجأوا الى البصرة طلباً للحماية فيها من السلطات العثمانية، فاعتبرت هذه السلطات يحي بن فضل شخصاً خارجاً عليها، ولذلك كُلِّفَ اياس باشا، والي بغداد، بقيادة حملة عسكرية الى البصرة، ودخلها بعد قتالٍ ضارٍ، في ٢٦/ كانون الأول من العام الأخير. ونظم شؤون الإدارة فيها على النمط العثماني وصارت البصرة بيلر بيلك وعُيِّن عليها بلال محمد باشا بكلر بكاً (أميراً للأمراء) وخضعت لسيطرة عثمانية مباشرة، وأصبحت ايالة «ساليانه»، أي أن رواتب الأمراء والجند وموظفي الجهاز الحكومي الآخرين، تُصرف من مجموع واردات الضرائب السنوية[٢١] .

وهكذا أصبح للعثمانيين موطىء حقيقي عند رأس الخليج العربي - ظلوا يهيمنون عليه حتى اليوم الثاني والعشرين من شهر تشرين الثاني - سنة ١٩١٤ - وبدأوا منه ينسقون خطواتهم، على كافة الصعد لتحقيق مطامحهم الاقتصادية والسياسية الذي سبق لهم، كما ذكرنا من قبل، ان دخلوا غزاة للخليج العربي، منذ سنة ١٥٠٦، وكان لكل من الطرفين أهداف متعارضة مع الآخر، الأمر الذي قاد الى صراع عسكري، بحري بالدرجة الأولى، وام لسنين عديدة لاحقة. .

(١٨) راجع نص التقليد باللغة التركية في :

اوزبران؛ المصدر السابق، ص ٣٠ هامش ٣٤.

(١٩) المصدر نفسه، ص ٢٩.

(٢٠) رافق؛ المصدر السابق، ص ٦٩، ص ٨٩، ص ٩١.

(٢١) أوزبران؛ المصدر السابق، ص ٢٩ - ٣٢ و ص ٣٤ - ٣٥ .





بحوث التاريخ العربي والاسلامي

دواوين العطاء في الامصار في صدر الاسلام

د. زريف المعايطة

كلية الاداب/ جامعة مؤتة

مقدمة

تشير الروايات الى أن بداية تدوين الدواوين في الاسلام، كانت على يد الخليفة عمر بن الخطاب (١٣ - ٢٣هـ)، فهو أول "من دوّن الدواوين من العرب في الاسلام"[١].

تذكر الروايات ان انشاء هذا الديوان، يعود الى كثرة الاموال الواردة من البلاد المفتوحة، ورغبة الخليفة عمر بن الخطاب في تنظيم توزيعها، حيث يروى أن أبا هريرة (ت ٥٩ هـ) قدم على عمر من البحرين بمال كثير، وتشاور في تنظيم قسمته فأشار عليه بعض الحاضرين بعمل الديوان[٢].

وعلى هذا فقد كانت كثيرة الاموال في المدينة دافعاً الى تنظيم توزيع هذه الاموال في اعطيات سنوية يحفظ الباقي في بيت المال عكس ما سبق عندما كانت توزع الاموال الواردة للمدينة عند وصولها بين المسلمين.

تواريخ انشاء الدواوين في الامصار:

كان الديوان الذي رسمه عمر هو ديوان الجند بشكله الاول، واطلق عليه ذلك الوقت الديوان، لانه الرئيسي في المدينة[٣]. كان هذا الديوان يتألف من سجلات، كتب فيها أسماء المسلمين الذين يستحقون العطاء وأنسابهم على قبائلهم مع ذكر مبلغ عطائهم، وكان عمر ربما حمل بعض السجلات التي رتبت على الاسر والقبائل، فيطوف على أصحابها، ويسلم كل واحد منهم عطاءه بيده[٤].

أنشأ عمر بن الخطاب فروعاً لديوان الجند في مراكز الامصار مثل البصرة، الكوفة، ودمشق والفسطاط، اذ يرد ذكر لاسماء عمال بعض هذه الدواوين زمن عمر، فمثلاً يذكر أن أبا طلحة عبد الله بن خلف الخزاعي كان على ديوان جند البصرة، وأن أبا جبيرة بن الضحاك كان على ديوان جند الكوفة في خلافة عمر بن الخطاب[٥]. فكانت هذه الدواوين تعمل إلى جانب دواوين الخراج البيزنطية والفارسية التي استمرت تعمل كالسابق، ذكر الجهشياري، "ولم يزل بالكوفة والبصرة ديوانان أحدهما بالعربية لاحصاء الناس واعطياتهم وهذا الذي رسمه عمر، والاخر لوجوه الاموال بالفارسية"[٦]. وذكر الصولي أنه "كان بالبصرة والكوفة ديوانان لاعطاء الجند المقاتلة والذرية بكتاب بالعربية، وديوان بالفارسية. وبالشام ديوان بالعربية لمثل ذلك وديوان بالرومية"[٧]. اما ديوان الجند في الفسطاط فقد أسس في أثناء ولاية عمرو بن العاص عليها لعمر بن الخطاب (٢١ - ٢٣هـ)[٨].

ولا تعطي الروايات تاريخا محددا لانشاء هذه الدواوين، وتكتفي أحيانا بالاشارة إلى اسم الوالي الذي تم التدوين في عهده في هذا المصر أو ذلك، فهي تنسب انشاء ديوان البصرة إلى المغيرة بن شعبة فيذكر ابن قتيبة أن المغيرة "هو أول من وضع ديوان

---

(١) الجهشياري، الوزراء، ص ١٦، وانظر ابن سعد، الطبقات، ج٣، ص ٢٨٢. الطبري، تاريخ، ج ٤، ص ٢٠٩، ابن رسته الاعلاق، ص ١٩٩.

(٢) ابو يوسف، الخراج، ص ٤٩. أبن سعد، الطبقات، ج ٣، ص ٣٠٠. البلاذري، فتوح، ص ٥٥٤.

(٣) الدوري، النظم، ص ١٨٩.

(٤) البلاذري، فتوح، ص ٥٥٢ – ٥٥٣. الطبري، تاريخ، ج ٤، ص ٢١٠.

(٥) ابن حبيب، المنمق، ص ٣٧٧ – ٣٧٨. ابن قتيبة، المعارف، ص ٢٩٥. اليعقوبي، البلدان، ص ٧٠. ابن حجر، الاصابة، ج ٢، ص ٦٢.

(٦) الجهشياري، الوزراء، ص ٣٨.

(٧) الصولي، ادب، ص ١٩٢.

(٨) الكندي، ولاة، ص ٩٢. المقريزي، خطط، ج ١، ص ١٧٣.

البصرة"[9]. ويذكر الاصفهاني أن المغيرة بن شعبة "هو أول من وضع ديوان العطاء بالبصرة ورتب الناس فيه فأعطاهم على الديوان ثم صار لهم رسماً بعد ذلك يحتذونه"[10]. واذا ما علمنا أن ولاية المغيرة بن شعبة على البصرة كانت بين سنتي (١٦ ـ ١٧ هـ)[11]. فانه يصبح من المتعذر قبول هذا التاريخ. لتدوين الديوان فيها، إذ لا ينتظر أن يتم قبل تدوين الديوان في المركز سنة ٢٠ هـ[12]. والارجح أن هذه الروايات تعبر عن التغير الذي حصل على توزيع العطاء في العراق اذ صار العطاء يوزع مرة واحدة في السنة ابتداء من سنة ١٦ هـ، بعد أن كانت الاموال توزع عند قبضها قبل هذا التاريخ[13]. وأنشيء ديوان الشام في خلافة عمر بن الخطاب. ذكر البلاذري "لما دون عمر الدواوين في الشام سأله بلال أن يجعل ديوانه مع أبي رويحة عبد الله بن عبد الرحمن الخثعمي"[14]. اما ديوان الفسطاط فتذكر المصادر "أن أول تدوين كان بمصر على يد عمرو بن العاص"[15]. وقد تم فتح مصر على يد عمرو سنة ٢١ هـ، ثم تولاها بعد ذلك لعمر بن الخطاب (٢١ ـ ٢٣ هـ)[16]. وذكر اليعقوبي أن عمرو بن العاص كتب إلى عمرو بن الخطاب يخبره بأنه قد اختط الفسطاط وانه "جعل لكل قبيلة محرساً وعريفاً"[17]. مما يشعر بأن تدوين الديوان تم مع اختطاف المدينة في عام واحد، وبعد الفتح مباشرة.

وهكذا يبدو أن دواوين البصرة والكوفة والشام أنشئت مع ديوان المدينة سنة ٢٠ هـ، في حين جرى تدوين ديوان الفسطاط بعد فتح مصر مباشرة سنة ٢١ هـ.

وأنشئت دواوين أخرى للجند في العصر الاموي منها ديوان خراسان الذي تم تأسيسه سنة ٥١ هـ. في أثناء ولاية زياد بن أبيه على العراق[18]. وديوان القيروان الذي أنشيء في ولاية حسان بن النعمان على افريقية (٦٩ ـ ٧٨ هـ). فيذكر ابن عبد الحكم أن حسان بن النعمان قضى على الكاهنة ودانت له افريقية "ودوّن الدواوين"[19].

وفي الامصار كان يجري احصاء للقادمين الجدد وللولادات ويتم رفع قوائم بأسمائهم إلى الدواوين للنظر في امكانية استيعابهم فيها، فمثلا عندما لاحظ الخليفة علي بن ابي طالب قلة من استجاب لندائه بالخروج لقتال معاوية بعد فشل التحكيم في صفين، طلب من رؤساء العشائر في الكوفة أن يرفعوا اليه اسماء ابنائهم ومواليهم الذين ادركوا سن القتال وغير مسجلين في الديوان قائلاً "واني آمركم أن يكتب اليَّ كل رئيس قوم منكم ما في عشيرته من المقاتلة وأبنائهم الذين أدركوا القتال والعبدان والموالي. وارفعوا ذلك إليَّ لأنظر فيه انشاء الله" فكان جميع ما رفعوا اليه أربعين ألف مقاتل وسبعة عشر ألفا من الابناء، وثمانية آلاف من عبيدهم ومواليهم. فكانت العرب سبعة وخمسين ألفا من أهل الكوفة، ومن مماليكهم ومواليهم ثمانية آلاف"[20].

وعيّن معاوية لكل قبيلة في مصر رجلا مهمته تسجيل أسماء المواليد والمهاجرين الجدد ورفعها الى الديوان، فذكر ابن عبد الحكم "كان معاوية قد جعل على كل قبيلة من العرب رجلا، فكان على المعافر رجلاً يقال له الحسن يصبح كل يوم فيدور على المجالس فيقول: هل ولد الليلة فيكم مولود؟ وهل نزل بكم نازل؟ فيقال: ولد

(٩) ابن قتيبة، المعارف، ص ٢٩٥. النووي، تهذيب الاسماء، ج ٢، ص ١١٠.
(١٠) الاصفهاني، الاغاني، ج ١٦، ص ٤٣.
(١١) زمباور، معجم، ص ٦٧.
(١٢) ابن سعد، الطبقات، ج ٣، ص ٢٩٦. البلاذري، فتوح، ص ٦٤١.
(١٣) الطبري، تاريخ، ج ٤، ص ٤٢.
(١٤) البلاذري، انساب، ج ١، ص ١٩٣.
(١٥) الكندي، ولاة، ص ٩٢. المقريزي، خطط، ج ١، ص ١٧٣.
(١٦) زمباور، معجم، ص ٣٨.
(١٧) اليعقوبي، البلدان، ص ٨٦. ابن حجر، رفع الاصر، ق ٢، ص ٣٤٨.
(١٨) البلاذري، فتوح، ص ٥٧٧. قدامة بن جعفر، الخراج، ص ٤٠٥. النويري، نهاية، ج ٢، ص ٣٢٩.
(١٩) ابن عبد الحكم، فتوح، ص ٢٠١. المالكي، رياض النفوس، ج ١، ص ٣٦. ابن عذارى، البيان، ج ١، ص ٣٨.
(٢٠) مؤلف مجهول، الامامة والسياسة، ص ١٥١.

لفلان غلام ولفلان جارية فيقول: سمّوهم فيكتب، ويقال: نزل بنا رجل من أهل اليمن بعياله فيسمونه وعياله فاذا فرغ من القبائل كلها أتى الديوان"[٢١]. وكان العرفاء في المدينة مسئولين عن رفع أسماء الموتى والغائبين من قبائلهم الى الديوان[٢٢]. من المرجح انهم كانوا يرفعون أسماء المواليد.

ويشار عادة إلى اعادة تنظيم الديوان بالتدوين فمثلا يذكر اليعقوبي أن زياد بن أبيه" أول من دون الدواوين"[٢٣]. فالدواوين في الكوفة والبصرة أنشئت من زمن الخليفة عمر، وربما هذه الرواية تشير الى الدور الذي لعبه زياد في تنظيم ديواني الكوفة والبصرة في أثناء ولايته على العراق (٤٥ - ٣٥ هـ) اذ جعل لكل عشيرة عريفا وأحدث وظيفة المنكب، وهو المسؤول عن العرفاء في كل قبيلة[٢٤]. وأضاف أعدادا جديدة لمقاتلة المصرين المذكورين، قال المدائني كان عدد مقاتلة البصرة عندما وليها زياد "أربعين ألفا فبلغ بهم ثمانين ألفا، وكانت الذرية ثمانين ألفا فبلغ بهم ماية وعشرين ألفا"[٢٥]. وذكر العتبي أن زيادا بلغ بالمقاتلة من أهل الكوفة ستين ألفا، وكانوا قبل ولايته أربعين ألفا[٢٦]. هذا فضلا عن انشاء ديوان خراسان ونقل خمسين ألفا من مقاتلة الكوفة والبصرة اليهما[٢٧].

وذكر اليعقوبي أن الوليد بن عبد الملك "أحصى أهل الديوان وألقى منهم خلقا كثيرا بلغت عدتهم عشرين ألفا"[٢٨]. وجاء في تاريخ الخلفاء أن هشام بن عبد الملك "أول من أحدث الدواوين لانه فرض لعيال الاعاجم وابناء الفرس من أهل بعلبك وانطاكية في خمسة دنانير ولم يفرض لهم احد قبله"[٢٩].

وتتوفر معلومات أكثر تفصيلا عن عمليات التوسع واعادة التنظيم التي جرت في ديوان مصر في صدر الاسلام فتذكر المصادر أن "أول تدوين كان بمصر على يد عمرو بن العاص، ثم دون عبد العزيز بن مروان تدوينها ثانيا، ودون قرة بن شريك التدوين الثالث، ثم دون بشر بن صفوان تدوينا رابعاً، ثم لم يعد بعد تدوين بشر شيء له ذكر الا ما كان من الحاق قيس بالديوان في خلافة هشام بن عبد الملك"[٣٠]. حيث الحق هشام ثلاثة آلاف من قيس بديوان مصر سنة ١٠٩هـ[٣١].

ويبين الكندي ما جرى في عملية التدوين الرابع التي تمت في ولاية بشر بن صفوان على مصر (١٠١ - ١٠٢ هـ) فيذكر أنه "لما رأى بشر افتراق قضاعة في القبائل كتب إلى يزيد بن عبد الملك يسأله الاذن في استخراج من كان في القبائل منهم، فأذن له يزيد بن عبد الملك في ذلك فأخرج مهرة من كندة، واخرج تنوخا من الازد، وأخرج آل كعب بن عدي التنوخي من قريش، وأخرج جهينة من أهل الراية، وأخرج خشينا من لخم، فجعلهم مع سائر قضاعة. وتدوين بشر بن صفوان هذا هو التدوين الرابع"[٣٢]. فكانت عملية التدوين الرابعة في مصر تتمثل في تجميع قضاعة في قائمة واحدة بالديوان، بعد أن كانت بطون هذه القبيلة موزعة في قوائم القبائل الاخرى.

وكان الخلفاء والولاة دواوين الجند عناية خاصة فيدققونها بأنفسهم ويراقبون سير العمل فيها ومجالات صرف الاعطيات لمنع التلاعب وتفادي الاخطاء ومعالجتها، وكانوا أحيانا يكلفون من ينوب عنهم في هذه المهمة، فمثلا لاحظ معاوية بن أبي سفيان أن

(٢١) ابن عبد الحكم، فتوح، ص ١٠٢. المقريزي، خطط، ج ١، ص ١٧٣.
(٢٢) مصعب الزبيري، نسب قريش، ص ١٥٤ – ١٥٥.
(٢٣) اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص ٢٣٤.
(٢٤) البلاذري، انساب، ج ٤، قسم ١، ص ١٩٠. ابو هلال العسكري، الاوائل، ص ٢٤٣.
(٢٥) البلاذري، انساب، ج ٤، قسم ١، ص ١٩٠. ابن عبد ربه، العقد، ج ٥، ص ٢٥١.
(٢٦) البلاذري، انساب، ج ٤، قسم ١، ص ١٩٠. ابن عبد ربه، العقد، ج ٥، ص ٢٥١.
(٢٧) البلاذري، فتوح، ص ٥٧٧. قدامة بن جعفر، الخراج، ص ٤٠٥.
(٢٨) اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص ٣٤٨.
(٢٩) مؤلف مجهول، تاريخ الخلفاء، ص ٣٩٩.
(٣٠) الكندي، ولاة، ص ٩٢. المقريزي، خطط، ج ١، ص ١٧٣.
(٣١) الكندي، ولاة، ص ٨٩.
(٣٢) الكندي، ولاة، ص ٩٢.

العرفاء بالمدينة لا يرفعون أسماء الموتى والغائبين إلى الديوان ويستمرون في قبض عطائهم بالاتفاق مع ذويهم ويقتسمون فيما بينهم، فأرسل عاصم بن عتبة إلى المدينة ليصحح الديوان ويمنع اخراج العطاء للموتى والغائبين[٣٣]. وذكر يوسف بن يعقوب الماجشون (توفى سنة ١٨٥ هـ) أنه سجل وهو لا يزال طفلا في عداد المقاتلة أيام سليمان بن عبد الملك "فلما ولى عمر بن عبد العزيز عرض الديوان فمر به اسمى فقال ما أعرفني هذا الغلام، هذا صغير ليس من أهل الفرائض فردني عيّلا"[٣٤].

وقد يكلف الخليفة أو الوالي أحد موظفيه بتدقيق الديوان في مصر من الامصار، ذكر الطبري أن عمر بن هبيرة والي العرق (١٠٢ ـ ١٠٥) "دعا جميل بن عمران فقال له بلغني أشياء عن الحرشي، فأخرج إلى خراسان وأظهر أنك قدمت تنظر في الدواوين وأعلم لي علمه. فقدم جميل، فقال له الحرشي: كيف تركت أبا المثنى؟ فجعل ينظر في الدواوين، فقيل للحرشي: ما قدم جميل لينظر في الدواوين، وما قدم الا ليعلم علمك"[٣٥]. فهذه الرواية تبين أن الخلفاء والولاة كانوا يبعثون عمالا من قبلهم لتدقيق الدواوين، وان عمر بن هبيرة اتخذ ذلك ذريعة للتعرف على سلوك عامله. وكان الخلفاء يطلبون احيانا من عمال دواوين في الامصار أن يفدوا عليهم بحساب دواوينهم للإطلاع على سير العمل فيها وتدقيقه، فمثلا كان رجل من أهل الشام يدعى يزيد بن هرمز على ديوان المدينة زمن يزيد بن عبد الملك" فكتب إليه يزيد أن يرفع حسابه ويدفع الديوان" ففعل[٣٦]. وكان عامل الديوان يحاسب على كل تلاعب او تقصير يكتشف في الديوان، وذكر صاحب الامامة والسياسة ان عبد الملك وليّ اخاه بشرا العراق وبعث اليه بديوانها وكتب اليه "قد بعثت اليك بديوان العراق فارفعه إلى موسى بن نصير، واعلمه انه المأخوذ بكل خلل وتقصير"[٣٧]. وهذه الرواية تشعر بوجود نسخ من دواوين الامصار في المركز، ويدل على ذلك أيضا ما ذكره الوليد بن مسلم الدمشقي (ت ١٩٦ هـ) أن الوليد بن عبد الملك قال لصاحب الديوان "أحصر من قبلك ممن يأخذون رزقنا، فوجدوا ثلاثماية ألف في جميع الامصار"[٣٨]. وبالتالي فانه كان بامكان الخليفة أن يطلع على هذه الدواوين ويراجعها في الوقت الذي يريد، فيعرف ما يجري في كافة الدواوين. وكان هشام بن عبد الملك أكثر خلفاء بني أمية مراجعة للدواوين وفحصا لها حتى غدت الدواوين في عهده مثلا للدقة. ذكر المدائني أن غسان بن عبد الحميد الكاتب قال "لم يكن أحدا من بني مروان أشد نظراً في أمر أصحابه ودواوينه، ولا أشد مبالغة في الفحص عنهم من هشام"[٣٩]. وقد نالت دقة دواوين هشام اعجاب العباسيين وثناءهم قال عبد الله بن علي العباسي والي الشام لابي العباس السفاح "جمعت دواوين بني مروان فلم أر ديوانا أصح ولا أصلح من ديوان هشام في أمر الخاصة والعامة والسلطان"[٤٠].

أسس التسجيل في دواوين الامصار:

سجل المقاتلة العرب في دواوين الامصار حسب أنسابهم القبلية حيث كان لكل قبيلة ديوان او سجل خاص يضم أسماء مقاتلتها وعيالهم. فمثلا كان هناك ديوان لخثعم بالشام زمن عمر بن الخطاب [٤١]، وديوان للنخع [٤٢]، واخر لكندة [٤٣]، في الكوفة.

(٣٣) مصعب الزبيري، نسب قريش، ص ١٥٤ – ١٥٥.

(٣٤) ابن سعد، الطبقات، ج ٥، ص ٤١٥.

(٣٥) الطبري، تاريخ، ج ٧، ص ١٥ – ١٦.

(٣٦) الطبري، تاريخ، ج ٧، ص ١٣.

(٣٧) مؤلف مجهول، الامامة والسياسة، ص ٢٩٣.

(٣٨) ابن عساكر، تاريخ، ج ٢، قسم ١، ص ٣٥ – ٣٦. وانظر ابن عساكر، تاريخ مخطوط، ج ١، ص ١٥٨.

(٣٩) الطبري. تاريخ، ج ٧، ص ٢٠٣. ابن كثير، البداية، ج ٩، ص ٣٩٧.

(٤٠) البلاذري، انساب، مخطوط، ق ٢، ص ٢٤٦. الطبري، تاريخ، ج ٧، ص ٢٠٣. ابن الاثير، الكامل، ج ٥، ص ٢٦٢.

(٤١) ابن قتيبة، المعارف، ص ١٧٦. البلاذري، انساب، ج ١، ص ١٩٣. ابن حجر، الاصابة، ج ٧، ص ٧٠.

(٤٢) البلاذري، انساب، مخطوط، ق ٢، ص ٥٧٢.

(٤٣) ابن سعد، الطبقات، ج ٦، ص ١٣٢.

وفي مصر كان هناك ديوان لمراد[٤٤]، وديوان للمعافر[٤٥]، وديوان للازد [٤٦]. هذا بالنسبة للقبائل التي لها من العدد ما يسمح بتخصيص دعوة منفردة لها في ديوان المصر.

أما القبائل التي كانت قلة عدد مقاتلتها لا تسمح بتخصيص دعوة منفردة لها فكانت تسجل مع قبائل أخرى الى أن يجمع لها من العدد ما يسمح بتخصيص دعوة منفردة لها فمثلا كانت قبيلة قضاعة في مصر موزعة في دواوين عدة قبائل إلى أن تم تجميعها في سجل واحد في ولاية بشر بن صفوان الكلبي على مصر (١٠١ - ١٠٢ هـ) [٤٧].

وكان ديوان فهم وهي من جديلة قيس في مصر مع اهل اليمن لقلة عددها يلاحظ ذلك من كتاب عبد الله بن الحبحاب سنة ١٠٩ هـ الى هشام بن عبد الملك "قدمت مصر فلم أر حظاً لقيس الا هذه الابيات من فهم ديوانهم في اهل اليمن" [٤٨].

كرهت بعض القبائل القليلة العدد في مصر أن تسجل في دواوين قبائل أخرى فخصصت لها دعوة منفردة ضمت جميع هذه القبائل وحملت اسم اهل الراية فيذكر المقريزي أن "أهل الراية جماعة من قريش والانصار وخزاعة، وأسلم، وغفار، ومزينة وأشجع، وجهينة، وثقيف، ودوس، وعبس بن بغيض، وجرش بن كنانة، وليث بن بكر والعتقاء" ويضيف قائلا "وانما سموا أهل الراية ونسبت الخطة اليهم لانهم جماعةلم يكن لكل بطن منهم من العدد ما ينفرد بدعوة من الديوان، فكرة كل بطن ان يدعى باسم قبيلة غير قبيلته، فجعل لهم عمرو بن العاص راية ولم ينسبها الى احد فقال: "يكون موقفهم تحتها فكانت لهم كالنسب الجامع وكان ديوانهم عليها" [٤٩]. وكانت القبائل الكبيرة التي لها دعوات منفردة لا ترضى بأن تسجل بطن من بطونها خارج ديوانها فمثلا كان أهل اللفيف في مصر وهم جماعة من عدة قبائل خفوا لرد الروم عن الاسكندرية في ولاية عمرو بن العاص الاولى على مصر قد سألوا عمرو بن العاص أن يفرد لهم دعوة منفردة "فامتنعت قبائلهم من ذلك، فقال لعمرو "فانا نجتمع في المنزل حيث كنا فأجابهم الى ذلك فكانوا مجتمعين في المنزل متفرقين في الديوان، اذا دعي كل بطن منهم انضم الى بنى أبية" [٥٠].

أما الموالي الذين لم يكن يجمعهم النسب فكانوا يسجلون في دواوين القبائل التي يوالونها، واذا ما رغبوا عن ذلك فانهم يلحقون بدواوين القبائل التي يختارونها، او تخصص لهم دعوة منفردة اذا كان عددهم يسمح بذلك يفهم ذلك من كتاب عمر بن الخطاب الى أمراء الاجناد" ومن اعتقتم من الحمراء فاسلموا فالحقوهم بمواليهم لهم ما لهم وعليهم ما عليهم وان احبوا ان يكونوا قبيلة وحدهم فاجعلوهم أسوتكم في العطاء والمعروف" [٥١]. واختار بلال بن رباح مولى ابي بكر الصديق قبيلة خثعم ليكون ديوانه فيها وسجل الاحباش في الشام في ديوان خثعم لان بلالا كان مسجلا فيهم [٥٢]. وكان ديوان الاحباش في مصر مع الازد[٥٣]. وكان حفص بن رجاء مولى مراد (توفى سنة ١٥٠هـ) مسجلا في ديوان مراد بمصر[٥٤]. وكان ديوان ابراهيم مولى النخع بالكوفة مع النخع[٥٥].

(٤٤) ابن ماكولا، الاكمال، ج ٢، ص ١٢١.
(٤٥) ابن ماكولا، الاكمال، ج ٢، ص ٣٦.
(٤٦) ابن دقماق، الانتصار، قسم ١، ص ١٢٥.
(٤٧) الكندي، ولاة، ص ٩٢.
(٤٨) الازدي، تاريخ الموصل، ص ٣٠ - ٣١.
(٤٩) المقريزي، خطط، ج ١، ص ٥٥٧.
(٥٠) ابن دقماق، الانتصار، قسم ١، ص ٣. المقريزي، خطط، ج ١، ص ٥٥٨.
(٥١) ابو عبيد، الاموال، ص ٣٣٦. البلاذري، فتوح، ص ٦٤٢.
(٥٢) ابن عساكر، تاريخ، مخطوط، ج ١٩، ص ٢٦. ابن حجر، الاصابة، ج ٧، ص ٧٠.
(٥٣) ابن دقماق، الانتصار، قسم ١، ص ١٢٥ - ٢١٦.
(٥٤) ابن ماكولا، الاكمال، ج ٢، ص ١٢١.
(٥٥) البلاذري، انساب، مخطوط، ق ١، ص ٥٧٢.

ورفض الروم والفرس الذين شهدوا فتح مصر مع عمرو بن العاص ان يوالوا احدا من العرب فخصصت لهم دعوات منفردة تحمل اسمهم، ذكر سعيد بن غفير المصري (توفى سنة ٢٢٦هـ) أن سنبخت الفارسي كان على عرافة الفارسيين بمصر[٥٦].

كان التسجيل في الديوان يتطلب من المقاتل الاقامة في البلد الذي فيه ديوانه لذا الامويون لا يفرضون في الشام الا للقبائل اليمانية، وعندما سأله مسكين الدارمي الشاعر القيسي ان يفرض له بالشام أبى عليه، ولم يزل معاوية على ذلك الى ان كثرت اليمن وضعفت عدنان بالشام فعرض معاوية لا ربعة الاف من قيس بالشام وجعل مسكين الدارمي في شرف العطاء[٥٧]. ولم يفرض المروانيون لاحد من تميم وبكر وائل في الشام[٥٨]. وقد بين عبد الملك سبب ذلك فقال "ان بكر وائل وبني تميم حيان كثير شرهما وما أحب أن يكثروا بهذه البلاد"[٥٩]. والذي عناه عبد الملك بذلك ان الكثير منهم على رأي الخوارج، فقد رفض عبد الملك نقل اسم شبيب بن يزيد الشيباني وقومه من ديوان الكوفة الى ديوان الشام وقال "ان رأيهم رأي الخوارج"[٦٠]، يتبين من هذه الروايات ان نقل المقاتلة من ديوان مصر الى آخر يحتاج الى موافقة الخليفة شخصيا ويظهر ذلك ايضا في استئذان عبدالله بن الحبحاب لهشام بن عبد الملك في نقل قيس الى مصر، ذكر الكندي أن قيسا نقلت الى مصر سنة ١٠٩هـ ولم يكن بها منهم احد قبل ذلك الا من فهم وعدوان، فوفد عبدالله بن الحبحاب على هشام فسأله ان ينقل اليها ابياتا منهم فأذن له هشام في الحاق ثلاثة آلاف منهم وتحويل ديوانهم الى مصر على ان لا ينزلهم الفسطاط ففرض لهم ابن الحبحاب، وقدم بهم فانزلهم الحوف الشرقي[٦١].

أسس تقدير العطاء ومقاديره :

لم يكن في الامصار اعداد كبيرة من اهل السابقة كما هو الحال في المدينة، عند تدوين الديوان في زمن عمر، لذا فانه لم يتبع التفضيل بين المقاتلة في الامصار على هذا الاساس، وفضل بينهم على اسس اخرى منها: السبق في المشاركة في معارك الفتح الاولى، فكان اعلى عطاء دفع للمقاتلة في الامصار هو ما خصص لاهل الايام والقادسية واليرموك[٦٢].

وكانت الشجاعة والبسالة في القتال من أبرز أسس التفضيل، كتب عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص واليه على مصر أن يفرض لخارجه بن حذافة في مئتي دينار، شرف العطاء، بمصر لشجاعته[٦٣]. وفضل أهل البلاء في القادسية على غيرهم ممن شهدها بمقدار خمسمائة، فكان عطاؤهم الفين وخمسمائة درهم وعطاء عامة من شهد القادسية الفا درهم[٦٤]. وكتب عمر الى سعد بن ابي وقاص ان يعطي عمرو بن معد يكرب الذي لا يحفظ من القرآن شيئا "على مقاماته في الحرب"[٦٥]. وكان عمرو من اهل البلاء في القادسية، ذكر الاصفهاني ان بشر بن ربيعة الخثعمي وعمرو بن معد يكرب وهما من قادة المرتدين سابقا شهدا القادسية وابليا فيها بلاء حسنا، وعندما اراد سعد ان يفضل حفظة القرآن عليهما احتجا عليه ببلائهما في القتال فكتب سعد باسرهما الى عمر فردّ عليه عمر "أن اعطهما على بلائهما"[٦٦]. وذكر الماوردي انه "روعي في التفضيل عند انقراض اهل السابقة بالتقدم في الشجاعة

(٥٦) ابن ماكولا، الاكمال، ج ٤، ص ٣٨٦. المقريزي، خطط، ج ١، ص ٥٥٨.

(٥٧) الاصفهاني، الاغاني، ج ٢، ص ١٧٢. ابن عساكر، تهذيب، ج ٥، ص ٣٠٤. البغدادي، خزانة الادب، ج ٣، ص ٦٨.

(٥٨) البلاذري، انساب، مخطوط، ق ٢، ص ٨٩.

(٥٩) البلاذري، انساب، مخطوط، ق ٢، ص ٨٨.

(٦٠) ابن اعثم الكوفي، فتوح، ج ٧، ص ٨٤ - ٨٥.

(٦١) الكندي، ولاة، ص ٩٨.

(٦٢) الطبري، تاريخ، ج ٣، ص ٦١٤. مؤلف مجهول، تاريخ الخلفاء، ص ١٦. ابن الجوزي، سيرة عمر بن الخطاب، ص ١٢٩.

(٦٣) ابن سعد، الطبقات، ج ٧، ص ٤٩٦. ابو عبيد، الاموال، ص ٣٢٢. ابن حجر، الاصابة، ج ٤، ص ١٢٤.

(٦٤) الطبري، تاريخ، ج ٣، ص ٦١٤. مؤلف مجهول، تاريخ الخلفاء، ص ١٦. ابن الجوزي، سيرة عمر بن الخطاب، ص ١٢٩.

(٦٥) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج ١، ص ٢٦٦ - ٢٦٧.

(٦٦) الاصفهاني، الاغاني، ج ١٥، ص ١٨٩ - ١٩٠.

والبلاء في الجهد"[٦٧]. وكان الاقبال على حفظ القرآن وتعلمه سببا للتفضيل في بعض الاحيان، ذكر ابو عبيد ان عمر كتب الى احد عماله "أن أعط الناس على تعلم القرآن"[٦٨]. وذكر ابن عبد ربه أن عمر بن الخطاب كتب الى سعد بن ابي وقاص "من قرأ الناس على قدر ما معهم من القرآن"[٦٩]. وقال سعد بن ابي وقاص "أن أعط القرآن الحقته في الفين"[٧٠]. وذكر الواقدي ان عمر بعد ان انتهى من فرض العطاء لاهل السابقة وابناء المهاجرين ومن شهد فتح مكة "فرض للناس على منازلهم وقراءتهم للقرآن وجهادهم"[٧١]. ويبدو من هذه الروايات ان الخلافة كانت تهدف من وراء تفضيل حفظة القرآن في العطاء إلى ترسيخ المفاهيم الاسلامية لدى حديثي العهد بالاسلام من الناس.

وللاسراع في الهجرة الى الامصار والمشاركة في الجهاد وقرب مكان الاقامة او بعده من دار الهجرة دور في التفضيل في العطاء، فقد تدرج عطاء الروادف حسب الاسبقية في الهجرة فاخذت الرادفة الاولى عطاء اكثر من الثانية وهكذا حتى كانت اخر الروادف في خلافة عمر اقلها عطاء[٧٢]. وذكر الجاحظ ان عمر فرض للناس على قدر بعد الدار وقربها من المهاجر، ففرض لاهل اليمن في السبعمائة الى الالف وانما ارغبهم وزادهم لبعد دارهم من المهاجر، وكانوا اهل قرى ومزارع فتركوا مطنبهم رغبة في الهجرة، وفرض لربيعة في مائتين وخمسين وقال "انما هاجروا من اطناب بيوتهم"[٧٣]. وكانت ربيعة تقيم في بادية العراق وهاجرت الى الكوفة والبصرة القريبة منها[٧٤].

يبدو ان التفضيل حسب قرب الدار وبعدهما من المهاجر طبق على الروادف فقط، ولم يطبق على اهل القادسية لان من قربت داره من اهل القادسية كان عرضة لخطر الفرس المباشر اكثر ممن بعدت داره. يدل على ذلك رد عمر على مطالبة من بعدت داره من اهل القادسية ان يفضلهم على من قربت داره منهم " وكيف افضلهم عليهم على بعد دارهم وهم شجن العدو وما سويت بينهم حتى استطبتهم، فهلا فعل المهاجرون بالانصار اذا قاتلوا بفنائهم مثل هذا"[٧٥].

واستمر وضع العطاء على التفضيل في الامصار زمن عثمان[٧٦] وعندما ولي علي بن ابي طالب الخلافة الغى التفضيل وسوى بين الناس في العطاء[٧٧].

أبقى الامويون العطاء على التفضيل كما كان ايام عمر وعثمان، اما الاسس التي جرى عليها التفضيل فبعضها استمر العمل به كالتفضيل على البلاء في القتال، وبعضها انتهى مثل التفضيل على اساس السابقة في الاسلام الذي عمل به في المدينة زمن عمر وعثمان، واحدثت أسساً اخرى مثل الولاء للبيت الاموي وخدمته[٧٨].

كان العطاء في الكوفة زمن الراشدين يتدرج بين اهل الايام والقادسية والروادف، اما اهل الايام وهم الذين شاركوا في المعارك التي سبقت القادسية فكان عطاء الرجل منهم في السنة ٣٠٠٠ درهم[٧٩]. وعطاء عامة من شهد القادسية ٢٠٠٠ درهم للرجل منهم في السنة[٨٠].

(٦٧) الماوردي، الاحكام، ص ٢٠٢.
(٦٨) ابو عبيد، الاموال، ص ٣٧٢.
(٦٩) ابن عبدربه، العقد الفريد، ج ١، ص ٢٦٦.
(٧٠) ابو عبيد، الاموال، ص ٣٧٢.
(٧١) ابن سعد، الطبقات، ج ٣، ص ٢٩٧. البلاذري، فتوح، ص ٦٣٣.
(٧٢) الطبري، تاريخ، ج ٣، ص ٦١٥. ابن الجوزي، سيرة عمر بن الخطاب، ص ١٣.
(٧٣) الجاحظ، العثمانية، ص ٢١٢. وانظر المقدسي، البدء، ج ٥، ص ١٦٨.
(٧٤) جمال جودة، العرب والارض، ص ٦٨ - ٧٣.
(٧٥) الطبري، تاريخ، ج ٣، ص ٥٦٨ - ٦١٤.
(٧٦) الطبري، تاريخ، ج ٤، ص ٢٧٩. الماوردي، الاحكام، ص ٢٠١. ابن عساكر، تهذيب، ج ٦، ص ١٣٨.
(٧٧) الشافعي، الام، ج ٤، ص ١٤٨. اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص ١٨٣. المقدسي، البدء، ج ٥، ص ١٦٨. المسعودي، مروج، ج ٢، ص ٣٥٣.
(٧٨) ابو زرعة الدمشقي، تاريخ، ص ٣٠٩، ٥٢٢. نصر بن مزاحم، وقعة صفين، ص ٤٩٢. الجاحظ، التاج، ص ٧٥.
(٧٩) الطبري، تاريخ، ج٣، ص ٥٦٩، ٦١٤. مؤلف مجهول، تاريخ الخلفاء، ص ٦٠. ابن الجوزي، سيرة عمر بن الخطاب، ص ١٢٩. ابن الوردي، تاريخ، ج ١، ص ١٤٥.
(٨٠) ابن سعد، الطبقات، ج ٣، ص ٢٩٦. البلاذري، فتوح، ص ٦٣٣. الطبري، تاريخ، ج ٣، ص ٦١٤. الماوردي، الاحكام، ص ٢٠١. ابن الجودي، سيرة عمر بن الخطاب، ص ١٢٩. ابن الوردي، تاريخ، ج ١، ص ١٤٥.

كما فرض عمر لبعض الاعاجم الذين اسلموا وشهدوا القادسية مع سعد ٢٠٠٠ درهم[٨١]. وفضل عمر اهل البلاء النازع في القادسية على عامة من شهدها بمقدار ٥٠٠ درهم فكان عطاء الرجل منهم في السنة ٢٥٠٠ درهم[٨٢]. وكان عدد اهل البلاء في القادسية قليلا، ولا يتجاوز خمسة وعشرين رجلا، قال الشعبي الكوفي (توفي سنة ١٠٤هـ). "ان اهل البلاء يوم القادسية فضلوا عند العطاء بخمسمائة خمسمائة في اعطياتهم خمسة وعشرين رجلا منهم: زهرة، عصمة الضبي والكلج"[٨٣]. ومنهم ايضا الاشعث بن قيس الكندي، وجبلة بن ابي كريب، والصلت بن حجر بن النعمان وقيس بن المثلم واياس بن شرحبيل الهمداني، ويزيد بن مالك بن ذؤيب، وأبو مرثد عبد الله بن عوف[٨٤].

ويلاحظ من تراجم اهل البلاء انهم لم يكونوا شخصيات اعتيادية، بل كانوا رؤساء قبائلهم او عشائرهم واشرافها وقادتها في المعارك ولعبوا دورا رئيسيا في القتال، فيذكر الطبري ان زهرة بن حوية السعدي سوّد في الجاهلية وحسن بلاؤه في الاسلام حيث قتل الجالينوس يوم القادسية فكتب عمر الى سعد "أن يفضله عند العطاء بخمسمائة درهم"[٨٥]. وكان الاشعث بن قيس الكندي سيد قومه"[٨٦]. وتختلف الروايات في عدد الروادف التي لحقت بالامصار زمن عمر بن الخطاب وفي مقادير اعطياتها فيذكر الواقدي (توفي سنة ٢٠٧هـ) ان عمر فرض لمن جاء بعد القادسية واليرموك من اهل اليمن وقيس بالشام والعراق ما بين "ألف الى التسعمائة الى الخمسمائة الى الثلاثمائة ولم ينقص احد من ثلاثمائة"[٨٧].

وان عمر فرض للروادف الذين ردفوا بعد القادسية واليرموك الفا الفا، ثم فرض للروادف المثنى خمسمائة خمسمائة، ثم فرض للروادف الثليث ثلثمائة ثلثمائة، سوى كل طبقة في العطاء قويهم وضعيفهم عربهم وعجمهم، وفرض للروادف الربيع مائتين وخمسين، وفرض لمن بعدهم من اهل هجر العباد على مائتين"[٨٨]. وفرض عمر بن الخطاب لحمراء ديلم وهم جماعة من جند الفرس الذين اسلموا بعد القادسية ونزلوا الكوفة عطاء الرادفة الاولى ١٠٠٠ درهم للرجل منهم في السنة[٨٩]. وقد زاد عمر عطاء بعض الروادف لبلائهم في القتال. فيذكر الطبري ان عمر "الحق من شهد نهاوند فابلى من الروادف بلاء فاضلا في الفين الفين الحقهم باهل القادسية"[٩٠]. وزاد عثمان افراد قبيلة ربيعة في اعطياتهم خمسمائة درهم[٩١]. ولعل هذا يفسر سبب اختلاف الروايات في الارقام التي توردها عن عطاء بعض الروادف، ذلك ان اعطياتهم لم تبق ثابتة ويبدو ان بعض الروايات اعتمدت على الارقام الاولى التي فرضت لهذه الروادف ولم تتبع الزيادة على عطائها فيما بعد.

كان اعلى عطاء في البصرة زمن الراشدين هو ما خصص لاهل الايام ٣٠٠٠ درهم للرجل في السنة[٩٢]. وكان عطاء اهل القادسية ممن سكن البصرة وعددهم خمسة الاف رجل ٢٠٠٠ درهم لكل منهم في السنة. فيذكر سيف "أن أصحاب الالفين ممن شهد القادسية ثم اتى البصرة مع عتبة بن غزوان خمسة الاف"[٩٣].

(٨١) الطبري، تاريخ، ج ٣، ص ٥٨٢.
(٨٢) الطبري، تاريخ، ج ٣، ص ٦١٤. مؤلف مجهول، تاريخ الخلفاء، ص ٦. ابن الجوزي، سيرة عمر بن الخطاب، ص ١٢٩.
(٨٣) الطبري، تاريخ، ج ٣، ص ٥٦٨. وانظر ابن مسكوية، تجارب، ج ١، ص ٣٧٩.
(٨٤) انظر ابن الكلبي، النسب الكبير، مخطوط، ص ٩٠، ١٠٠، ١١٠، ٢٠٩، ٢٠٧، ٢١١، ٣٢٨.
(٨٥) الطبري، تاريخ، ج ٣، ص ٥٦٧ - ٥٦٨.
(٨٦) ابن الكلبي، النسب الكبير، مخطوط، ص ٩٠.
(٨٧) ابن سعد، الطبقات، ج ٣، ص ٢٩٦. البلاذري، فتوح، ص ٦٣٣.
(٨٨) الطبري، تاريخ، ج ٣، ص ٦١٤. ابن الجوزي، سيرة عمر بن الخطاب، ص ١٢٩ - ١٣٠. ابن ابي الحديد، شرح، ج ١٢، ص ٢١٤ - ٢١٥. النويري، نهاية، ج ١٩، ص ٣٥٥. ابن الوردي، تاريخ، ج ١، ص ١٤٥.
(٨٩) البلاذري، فتوح، ص ٣٩٣.
(٩٠) الطبري، تاريخ، ج ٣، ص ١٣٧.
(٩١) خليفة بن خياط، تاريخ، ج ١، ص ١٤٩. ابن عساكر، تاريخ، مخطوط، ج ١١، ص ٢٠٩.
(٩٢) الطبري، تاريخ، ج ٣، ص ٥٦٨، ٦١٤. مؤلف مجهول، تاريخ الخلفاء، ص ٦. ابن الجوزي، سيرة عمر بن الخطاب، ص ١٢٩.
(٩٣) الطبري، تاريخ، ج ٤، ص ٧٥.

وفرض عمر للذين شهدوا فتح الابلة وعددهم ثلاثمائة رجل الفي درهم لكل منهم[٩٤]. والحق عمر جميع من شهد فتح الاهواز من اهل البصرة في الفي درهم من العطاء ايضا[٩٥]، كما فرض عمر لاساورة البصرة الذين اسلموا قبيل فتح السوس في الفي درهم لكل رجل منهم[٩٦].

كما الحق عمر عددا من حفظة القرآن في البصرة بالفين من العطاء في اثناء ولاية ابي موسى (١٧ - ٢٣هـ)[٩٧]. وهذا يعني انه عندما وضع الديوان سنة ٢٠هـ كان اكثر مقاتلة البصرة قد شهدوا فتح الابلة والاهوز والحقوا في الفين من العطاء، الامر الذي جعل وضع الروادف في البصرة افضل من وضع روادف الكوفة، اذ كان هناك تباين واسع بين عطاء الروادف في الكوفة.

وربما كان للوضع الجيد لروادف البصرة دور في الازدياد السريع في عدد مقاتليها حتى صار خراج فتوحهم لا يكفيهم سنة ٢٢ هـ، قال سيف بن عمر "كتب عمرو بن سراقة وهو يومئذ على البصرة الى عمر بن الخطاب يذكر له كثرة اهل البصرة وعجز خراجهم عنه ويساله ان يزيدهم"[٩٨].

لكن استمرار الفتوح في فارس وكرمان في اواخر خلافة عمر بن الخطاب وفي خراسان زمن عثمان بن عفان حال دون حدوث تباين كبير بين عطاء الروادف في البصرة[٩٩].

وكانت نسبة اصحاب الالفين في العطاء من مقاتلة البصرة مرتفعة زمن عثمان، اذ كان في حي واحد فقط ثمانون رجلا ممن ياخذون هذا المبلغ[١٠٠].

ان بقاء عطاء الروادف مرتفعا وقلة الفوارق بين طبقات العطاء في البصرة فضلا عن استمرار فتوحاتها زمن عثمان حال دون صدور تذمر من تدني العطاء فيها كما حصل في الكوفة في السنوات الاخيرة من خلافة عثمان اذ ازداد عدد سكانها وبقي واردها ثابتا لتوقف فتوحاتها[١٠١].

وكان شرف العطاء في مصر زمن الراشدين ٢٠٠ دينار او ٢٠٠٠ درهم. قال يزيد بن ابي حبيب المصري "أن عمر بن الخطاب كتب الى عمرو بن العاص ان افرض لكل من بايع تحت الشجرة في مائتين من العطاء وابلغ ذلك لنفسك بامارتك، وافرض لخارجة بن حذافة في الشرف لشجاعته، وافرض لعثمان بن قيس السهمي في الشرف لضيافته"[١٠٢]. وليس هناك معلومات عن طبقات العطاء الاخرى في مصر زمن الراشدين، وينتظر ان تكون مشابهة للاعطيات في الشام لان بعض مقاتلتها قدموا اليها من الشام مع عمرو بن العاص.

وفرض عمر العطاء لنساء المقاتلة، وجعلهن على طبقات وفق اعطيات ازواجهن، وقد تدرج عطاء النساء في الامصار بين نساء اهل الايام، ونساء اهل القادسية واليرموك والروادف، حيث فرض عمر لنساء اهل الايام ٣٠٠ درهم، ولنساء اهل القادسية واليرموك ٢٠٠ درهم، وجعل عطاء نساء من جاء بعدهم من الروادف طبقة واحدة حيث فرض لكل منهن ١٠٠ درهم[١٠٣].

واستمر عطاء النساء في خلافة عثمان، لكن سعيد بن العاص والي عثمان على الكوفة (٣٠ - ٣٤هـ) أنقص اعطيات نساء اهل القادسية مائة درهم وسواهن بنساء الروادف. فيذكر المجالد بن

(٩٤) الطبري، تاريخ، ج ٣، ص ٥٩٤.

(٩٥) الطبري، تاريخ، ج ٤، ص ٧٥.

(٩٦) البلاذري، فتوح، ص ٥١٩. الطبري، تاريخ، ج ٤، ص ٩٠ - ٩١. ابن مسكوية، تجارب، ج ١، ص ٤١٣.

(٩٧) ابن سعد، الطبقات، ج ٧، ص ١٢٣.

(٩٨) الطبري، تاريخ، ج ٤، ص ١٦١.

(٩٩) ابن حجر، الاصابة، ج ١، ص ٢٧٢.

(١٠٠) ابو عبيدة، النقائض، ص ٤١٧.

(١٠١) الطبري، تاريخ، ج ٤، ص ٢٧٩.

(١٠٢) ابن سعد، الطبقات، ج ٧، ص ٤٩٦. ابو عبيد. الاموال، ص ٣٢٢، ٣٢٣. ابن عبد الحكم، فتوح، ص ٤٥. البلاذري، فتوح، ص ٦٤٠. ابن عساكر، تاريخ ج ١، ص ٩، ١٠.

(١٠٣) الطبري، تاريخ، ج ٣، ص ٦١٤ - ٦١٥. ابن الجوزي، سيرة عمر بن الخطاب، ص ١٢٩. المقريزي، خطط، ج ١، ص ١٧١.

سعيد الهمداني ان عمر فرض لعمة له مائتي درهم "فلما أمرّ سعيد بن العاص على الكوفة الغى احدهما"[١٠٤].

وكان علي بن ابي طالب يفرض للنساء في خلافته ١٠٠ درهم، قال محمد بن قيس الاسدي الكوفي "حدثتني والدتي ام الحكم ان عليا الحقها في مائة من العطاء"[١٠٥].

كما فرض عمر للاطفال جميعا ذكورا ام اناثا شرعيين كانوا ام لقطاء ١٠٠ درهم. وكان يزيد في عطاء الاطفال الذكور مع كبر سنهم الى ان يبلغوا سن الاحتلام فيفرض لهم في عطاء المقاتلة، واستمر الفرض للاطفال في خلافتي عثمان وعلى في ١٠٠ درهم سنويا[١٠٦].

مقادير العطاء:

كانت مقادير عطاء المقاتلة بالكوفة زمن الامويين ما بين ٢٠٠٠ درهم و ٢٠٠ درهم للمقاتل في السنة، ذكر السجستاني انه كان بالكوفة رجال يأخذون ٢٠٠٠ درهم زمن معاوية[١٠٧]. كما تسمي الروايات رجالا من اهل الكوفة كانوا ياخذون هذا المبلغ زمن المروانيين، ذكر ابن حبيب ان اشرس بن جبير النخعي الكوفي كان في الفين من العطاء زمن عبد الملك بن مروان[١٠٨].

وذكر الزبير بن بكار ان الحجاج فرض لجحدر بن مالك العجلي في شرف العطاء لشجاعته[١٠٩]. وكان عامر بن شرحبيل الشعبي في الفين من العطاء زمن عبد الملك وولاية الحجاج على العراق[١١٠].وكان انيس بن معقل الهمداني في الفين من العطاء في مطلع ولاية الحجاج على العراق[١١١].

وترد اشارات الى مقادير أخرى فيذكر الشعبي أن عبد الملك بن مروان فرض لعشرين رجلا من ولده واهل بيته الف درهم لكل منهم[١١٢]. وكان رجل من جديلة عدوان في الكوفة في سبعمائة درهم من العطاء زمن عبد الملك بن مروان، وقد حطّ عبد الملك من عطائه ٣٠٠ درهم لجهله بانساب قبيلته واشعارها[١١٣]. وفرض عبدالله بن عمر بن عبد العزيز والي الكوفة سنة ١٢٦هـ لرجال من بني شيبان في سبعين وفي ستين دينار او ٧٠٠ درهم و ٦٠٠ درهم للرجل في السنة[١١٤].

والحد الادنى لعطاء المقاتلة في الكوفة زمن السفيانيين والمروانيين ٢٠٠ درهم للمقاتل في السنة[١١٥].

وكان الجعد بن قيس الهمداني الكوفي في مائتي درهم من العطاء زمن عبد الملك بن مروان[١١٦].

وتراوحت مقادير عطاء مقاتلة البصرة في العصر الاموي بين ٢٠٠٠ درهم و ٣٠٠ درهم للمقاتل في السنة، يفهم ذلك من الروايات التالية :

ذكر ابن عبد ربه ان زياد أعطى في يوم واحد الف رجل من اهل البصرة عطاءهم الفين الفين[١١٧].

كان احد مقاتلة البصرة ياخذ ٧٠٠ درهم زمن عبيد الله بن زياد فحطّ عبيد الله من عطائه ٤٠٠ درهم لحمقة فأصبح عطاؤه ٣٠٠ درهم[١١٨].

(١٠٤) ابو يوسف، الخراج، ص ٤٥.
(١٠٥) البلاذري، فتوح، ص ٦٣٩.
(١٠٦) ابو عبيد، الاموال، ص ٣٢٨، ٣٣٩. البلاذري، فتوح، ص ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٦٢. ابن سعد، الطبقات، ج ٤، ص ٢١٤، ٢١٥.
(١٠٧) السجستاني، المعمرون، ص ٧٦ - ٧٧. ابن عبد ربه، العقد، ج ٥، ص ٢٥٤ - ٢٥٥.
(١٠٨) ابن حبيب، المنمق، ص ٣٤١.
(١٠٩) الزبير بن بكار، الاخبار، ص ١٧٥.
(١١٠) ابن عبد ربه، العقد، ج ٢، ص ٤، الاصفهاني، الاغاني، ج ١١، ص ٢٣. ابن عساكر، تهذيب، ج ٧، ص ١٥٣.
(١١١) الهمداني، الاكليل، ج ١٠، ص ٤٢٥.
(١١٢) الاصفهاني، الاغاني، ج ١١، ص ٢٣. ابن ابي الحديد، شرح، ج ٢٠، ص ٥٠١.
(١١٣) البلاذري، انساب، ج ٥، ص ٣٥٣. الطبري، تاريخ، ج ٦، ص ١٦٤.
(١١٤) البلاذري، انساب، مخطوط، ق ٢، ص ١٧٠.
(١١٥) انظر الاصفهاني، الاغاني، ج ١٢، ص ١٦١.
(١١٦) ابن حبيب، المنمق، ص ٣٤١.
(١١٧) ابن عبد ربه، العقد، ج ٥، ص ٢٥٤ - ٢٥٥.
(١١٨) ابن قتيبة، عيون، ج ٢، ص ٤٤. ابن كثير، البداية، ج ٨، ص ٣٠٦.

وكان الحجاج والي العراق يفرض لمن يسجله في الديوان لاول مرة ٣٠٠ درهم[١١٩].

ومن المتوقع ان تكون اعطيات مقاتلة خراسان مماثلة لدرجات العطاء في البصرة حيث ان اكثرية مقاتلتها نقلوا اليها من البصرة وبعضهم من الكوفة[١٢٠]. ووردت اشارة من الطبري تدل على وجود ثلاث درجات من العطاء في اثناء ولاية اشرس بن عبد الله الحكمي على خراسان لهشام بن عبد الملك وهي ١٠٠٠ درهم و ٦٠٠ درهم و ٣٠٠ درهم[١٢١].

وتراوح العطاء في المدينة خلال العصر الاموي بين ٢٠٠٠ درهم شرف العطاء و ٣٠٠ درهم كما يبدو في بعض الروايات، أخذ أبناء المهاجرين زمن معاوية في الفين من العطاء[١٢٢]. وكان التقدم في السن سببا لالحاق الشخص احيانا في شرف العطاء بالمدينة. ذكر أن أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم والي المدينة لعمر بن عبد العزيز كتب اليه "أن قوما من الانصار قد بلغوا اسنانا ولم يبلغ عطاؤهم الشرف فان راى امير المؤمنين ان يامر باثباتهم في شرف العطاء فليفعل"[١٢٣]. وكان عطاء علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن ابي طالب الف درهم زمن يزيد بن معاوية[١٢٤]. وفرض عمر بن عبد العزيز لمولى لعلي بن ابي طالب في المدينة ٣٠٠ درهم[١٢٥].

وكان عطاء مقاتلة مصر في العصر الاموي يتراوح بين ٢٠٠ دينار (٢٠٠٠ درهم) و ٢٠ دينارا (٢٠٠ درهم). ذكر ابن لهيعة انه كان في ديوان مصر زمن معاوية اربعون الف مقاتل منهم اربعة الالف في مائتي دينار من العطاء[١٢٦]. يفهم من ذلك ان عشر مقاتلة مصر كانوا في شرف العطاء زمن معاوية بن ابي سفيان.

ويلحق شرف العطاء من يبدي بسالة نادرة في القتال، او يتولى بعض الاعمال الادارية كالقضاء فمثلا وفد عامر على معاوية بخبر مقتل محمد بن ابي بكر "فبلغ به معاوية الشرف في العطاء فكان في مئتين، وعرّفة على موالي مذحج كلها"[١٢٧]. واشترك عبد الرحمن بن يحنس مولى بني ابذى من تجيب في قتل عبد الله بن الزبير ففرض له عبد الملك في الشرف، وعرّفه على موالي تجيب[١٢٨]. وهذه الروايات تشعر بأن العرفاء يوضعون في شرف العطاء. ويدل على ذلك ايضا أن سنبخت الفارسي عريف الفارسيين بمصر ويأخذ شرف العطاء[١٢٩].

ويرد ذكر مقادير عطاء دفعت للمقاتلة في مصر منها: ١٠٠ دينار (١٠٠٠ درهم) زمن المروانيين، ذكر صاحب الامامة والسياسة أن عبد العزيز بن مروان فرض لزرعة بن ابي مدرك في مائة دينار من العطاء[١٣٠].

و ٣٠ دينار (٣٠٠ درهم) في الفترة المروانية المتأخرة، فرض الحوثرة بن سهيل الباهلي والي مصر (١٢٨ - ١٣١هـ) لزيد بن ابي أمية المعافرى في ثلاثمائة درهم[١٣١].

و ٢٥، ٢٠ دينار (٢٥٠، ٢٠٠ درهم) زمن المروانيين، فرض حفص بن الوليد والي مصر (سنة ١٢٦هـ) لثلاثين الفا من المقامصة والموالي في عشرين وخمسة وعشرين دينارا[١٣٢].

(١١٩) ابو عبيدة، النقائض، ج ٢، ص ٨٩٧.
(١٢٠) البلاذري، فتوح، ص ٥٧٧. الطبري، تاريخ، ج ٦، ص ٥١٢.
(١٢١) الطبري، تاريخ، ج ٧، ص ٦١.
(١٢٢) الجاحظ، التاج في اخلاق الملوك، ص ٥٧.
(١٢٣) البلاذري، انساب، مخطوط، ق ٢، ص ١٣٩.
(١٢٤) ابن اعثم، الفتوح، ج ٥، ص ٣٠٠.
(١٢٥) الاصفهاني، الاغاني، ج ٩، ص ٢٥٤ - ٢٥٥. وانظر ابن الجوزي، سيرة عمر بن عبد العزيز، ص ٩١ - ٩٢.
(١٢٦) ابن عبد الحكم، فتوح، ص ١٠٢. المقريزي، خطط، ج ١، ص ١٤٥، ١٧٢، ١٧٣.
(١٢٧) ابن عساكر، تاريخ، ج ١، ص ٤٨٣ - ٤٨٤.
(١٢٨) الكندي، ولاة، ص ٧٢. ابن ماكولا، الاكمال، ج ١، ص ١٠. الهمداني، عجالة المبتدىء، ص ٩.
(١٢٩) ابن ماكولا، الاكمال، ج ٤، ص ٣٨٦.
(١٣٠) ابن قتيبة، الامامة والسياسة، ص ٢٠٣.
(١٣١) الكندي، ولاة، ص ١١٢.
(١٣٢) الكندي، ولاة، ص ١٠٦.

وكانت مقادير العطاء في ديوان القيروان الذي أنشئ في خلافة عبد الملك، تترواح بين ٢٠٠ دينار و ٣٠ دينار. وذكر ان عبد الملك فرض لموسى بن نصير والي افريقية (٧٨ - ٩٦ هـ) مائتي دينار. ولكل واحد من ابنائه مائة دينار، ولخمسمائة من مواليه في ثلاثين دينار للواحد منهم في السنة[١٣٣]. والحق الوليد بن عبد الملك ابناء موسى بن نصير ووجوه قبائل العرب وقريش الذين وفدوا عليه من القيروان مع موسى بن نصير في شرف العطاء[١٣٤]. اي جعل عطاءهم ٢٠٠ دينار.

تنظيم توزيع العطاء :

كان توزيع العطاء في الكوفة على العرفات، قال سيف بن عمر بن حديثة عن تقسيم الناس في الكوفة الى اسباع" وعرفوهم على مائة الف درهم فكانت كل عرافة من اهل القادسية خاصة ثلاثة واربعين رجلا، وثلاثا واربعين امرأة وخمسين من العيال، لهم مائة الف درهم، وكل عرافة من اهل الايام عشرين رجلا، على ثلاثة الاف، وعشرين امرأة، وكل عيّل على مائة، على مائة الف درهم، وكل عرافة من الرادفة الاولى ستين رجلا وستين امرأة، واربعين من العيال، ممن كان رجالهم الحقوا على الف وخمسماية درهم على مائة الف درهم، ثم على هذا الحساب"[١٣٥].

يفهم من رواية سيف أن أفراد كل عرافة كانوا من طبقة عطاء واحدة وأن العرفات لم تكن متساوية من حيث عدد المقاتلة، ولكنها متساوية في مجموع العطاء، حيث خصص لجميع العرافات مبلغا واحدا ١٠٠ درهم وبالتالي فان عدد أفراد العرافة يزيد او يقل بحسب طبقة عطاء رجال تلك العرافة.

ويقوم بتوزيع العطاء على أفراد العرافة ثلاثة اشخاص هم : النقيب، والعريف، والامين. ذكر عطية بن الحارث "كان العطاء يدفع الى امراء الاسباع، واصحاب الرايات، والرايات على ايادي العرب. فيدفعونه الى العرفاء والنقباء، فيدفعونه الى اهله في دورهم"[١٣٦].

وهذه الراوية لا تبين من هو اعلى مرتبة النقيب، ام العريف ام الامين، وهي لا توضح دور كل منهم او فيما اذا كانوا يقومون بنفس العمل. ويفهم مما ذكره الماوردي وابو يعلى ان النقيب اعلى من العريف حيث يذكران ان على امير الجند "أن يعرف عليهم العرفاء وينقب عليهم النقباء"[١٣٧]. ويفهم ذلك ايضا مما ذكره النووي "وينقب الامام صاحب الجيش، وهو ينقب النقباء، وكل نقيب ينصب العرفاء"، وكل عريف يحيط باسماء المخصوصين به فيدعوا الامام صاحب الجيش، وهو يدعو النقباء وكل نقيب يدعو العرفاء الذين تحت رايته"[١٣٨].

ويبدو أن مهمة النقيب حمل الاموال الى العرفاء التابعين له ليقوم العرفاء بمساعدة الامناء بتوزيعها على افراد عرافاتهم، ومن المحتمل انه ساعد العرفاء على التعرف على افراد عرافاتهم الذين لا يعرفونهم جيدا بسبب انتمائهم لعدة عشائر في اغلب الاحيان[١٣٩]، ويشعر بذلك عبادة بن الصامت (توفى سنة٣٤هـ) ان النقيب "كالعريف على القوم المقدم عليهم الذي يتعرف اخبارهم وينقب عن احوالهم"[١٤٠].

ويبدو ان النظام الذي اتبع في توزيع العطاء في الكوفة قد اتبع في البصرة، قال عطية بن الحارث بعد حديثه عن توزيع العطاء في الكوفة على عرافات مجموع عطاء كل منها مائة الف درهم. وعلى مثل ذلك كان اهل البصرة"[١٤١]. وهكذا يلاحظ ان العرافات في

(١٣٣) مؤلف مجهول، الامامة والسياسة، ص ٣٠٣.

(١٣٤) مؤلف مجهول، الامامة والسياسة، ص ٣٢٦.

(١٣٥) الطبري، تاريخ، ج ٤، ص ٤٨ - ٤٩. المقريزي، خطط، ج ١، ص ١٧٢.

(١٣٦) الطبري، تاريخ، ج ٤، ص ٤٩. المقريزي، خطط، ج ١، ص ١٧٢.

(١٣٧) الماوردي، الاحكام، ص ٣٦. ابو يعلى، الاحكام، ص ٤٠.

(١٣٨) النووي، مغني المحتاج، ج ٣، ص ٩٦.

(١٣٩) جمال جودة، العرب، ص ٢٠٢.

(١٤٠) ابن منظور، لسان، ج ١، ص ٧٧٠.

(١٤١) الطبري، تاريخ، ج٤، ص ٤٩. المقريزي، خطط، ج١، ص ١٧٢.

الكوفة والبصرة نظمت على اساس مجموع ما يدفع لكل عرافة، في حين نظمت العرافات في الشام والمدينة ومصر على اساس عدد الافراد اذا اعتبرت كل قبيلة عرافة لها عريف منها يوزع العطاء على افرادها زمن الراشدين[١٤٤].

وفي العصر الاموي اعيد تنظيم العرافات بالعراق اذ صارت العرافة تضم عشيرة واحدة وعريفها منها، فيذكر اليعقوبي ان زيادا جعل لكل عشيرة عريفا خاصا بها يقوم بتوزيع العطاء على افرادها[١٤٥]. وفي مصر كان توزيع العطاء منذ البداية بواسطة العرفاء، فقد جعل عمرو بن العاص بعد اختطاط الفسطاط لكل قبيلة عريفا[١٤٦]. وفي المدينة استمر العطاء يوزع بواسطة العرفاء في العصر الاموي حيث كان لكل قبيلة عريف يأخذ اعطياتهم ويدفعها اليهم[١٤٧].

وبالاضافة الى توزيع العطاء على افراد عرافته كان العريف مسؤولا عن امور اخرى مثل جمع الجند عند ارسال البعوث، وكتابة قوائم باسماء المشتركين فيها، ومعرفة الكفاءة القتالية لكل مقاتل من افراد عرافته لاطلاع القادة عليها عندما تدعوا الحاجة[١٤٨].

وكان العرفاء مسؤولين ايضا عن حفظ الامن والنظام في عرافاتهم وهذا يتطلب منهم معرفة ميول افراد عرافاتهم وانتماءاتهم السياسية، ورفع اسماء المشبوهين والمشكوك في ولائهم للدولة الى الامير لاتخاذ الاجراءات المناسبة بحقهم. وكان من يتخلف عن القيام بهذه المهمة من العرفاء يعرّض نفسه للعوقبة الشديدة[١٤٩].

وكلف العريف احيانا بالاشراف على اموال اليتامى في عرافته، ذكر ابن لهيعة ان عبد الرحمن بن معاوية بن حديج قاضي مصر زمن عبد العزيز بن مروان "اول من نظر في اموال اليتامى، وضمن عريف كل قوم اموال يتامى تلك القبيلة[١٥٠]، وكان للعرفاء دور في زيادة العطاء وحطه او قطعه نهائيا، فمثلا وقع بين امرأة من اهل المدائن وعريفها مشاجرة فاسقط اسمها من الديوان[١٥١]. ويبدو ان بعض العرفاء كانوا يفتقرون الى الامانة والورع ويسيئون استخدام وظيفتهم. فكانوا احيانا لا يرفعون اسماء الموتى والغائبين من افراد عرافاتهم الى الديوان وياخذون عطاءهم بالاتفاق مع اهلهم ويقتسمونه فيما بينهم[١٥٢]، وبعضهم كان يستغل ضعف الارامل واليتامى فلا يدفعون اليهم عطاءهم وياخذونه لانفسهم[١٥٣].

ونظرا لاهمية الدور الذي كان يلعبه العرفاء فقد جرى تعيينهم من قبل الخليفة او الوالي مباشرة في اكثر الاحيان[١٥٤].

ونظرا لان العرفاء موظفون في الدولة يعملون على تنفيذ اوامرها فيما يتعلق بجمع الجند وارسالهم في البعوث، وابلاغ الدولة عن المشبوهين من افراد عرافاتهم وتعقب المطلوبين منهم للدولة والقاء القبض عليهم فضلا عن تلاعب بعض العرفاء بعطاء افراد عرافاتهم وظلمهم للارامل واليتامى جعلت الناس خاصة في المناطق التي تكثر بها حوادث الاخلال والتقصير في القيام بالواجب، يكرهون العرفاء ويعملون على تشويه سمعتهم. وقد نقل الينا عدد من الاحاديث والاقوال والاشعار في ذم العرفاء والنهي عن

(١٤٢) ياقوت الحموي، معجم، ج٤، ص ٢١٤. ابن حجر، الاصابة، ج ١، ص ١٩٠.

(١٤٣) اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص ٢٣٥.

(١٤٤) البلاذري، انساب، ج ٤، قسم ١، ص ١٩٠. ابن عبد ربه، العقد، ج ٥، ص ٢٥١.

(١٤٥) الطبري، تاريخ، ج ٦، ص ٤٧٤.

(١٤٦) اليعقوبي، البلدان، ص ١٦.

(١٤٧) مصعب الزبيري، نسب، ص ١٥٤ - ١٥٥.

(١٤٨) انظر الطبري، تاريخ، ج ٦، ص ٢٠٥، ٢٠٧، ٤٧٤.

(١٤٩) انظر الطبري، تاريخ، ج ٥، ص ٣٥٩. ابن الاثير، الكامل، ج ٤، ص ٢٤.

(١٥٠) ابن حجر، رفع الاصر، قسم ٢، ص ٣٤٨.

(١٥١) البلاذري، انساب، مخطوط، ق ٢، ص ١٥٨.

(١٥٢) انظر مصعب الزبيري، نسب، ص ١٥٤ - ١٥٥.

(١٥٣) ابن عبد الحكم، سيرة، ص ٤٢.

(١٥٤) ابن سعد، الطبقات، ج ٦، ص ٢٤٩. البلاذري، انساب، مخطوط، ق ٢، ص ٥٢ - ٥٣. ابن عساكر، تهذيب، ج ٧، ص ١٥٣. الكندي، ولاة، ص ٧٢. ابن حجر، الاصابة، ج ٢، ص ١٤٨.

تولي منصب العرافة، ففي الحديث ان "العرافة حق والعريف في النار"[155].

وكان الناس يرون ان العرفاء عيونا عليهم للدولة، لذا فانهم كانوا يكرهون مجالستهم او التحدث اليهم[156].

يلاحظ مما تقدم بأن مصدر الاقوال والاحاديث التي رويت عن العرفاء هي في الغالب العراق والمدينة حيث كانت تنتشر الاحزاب السياسية فضلا عن كراهية البلدين للامويين وبالتالي لعمالهم وفي مقدمتهم العرفاء والشرط الذين كانوا عين الدولة على المشبوهين واداتها في القاء القبض على الجناة، بينما لم تصدر مثل هذه الاقوال عن اناس في الشام او مصر حيث الاوضاع اكثر هدوءا.

الخلاصة:

انشئت دواوين جند محلية في الكوفة والبصرة والشام والفسطاط زمن عمر بن الخطاب، ويرجح ان ذلك جرى بين سنتي ٢٠ و ٢١ هجرية. وانشيء ديوانان اخران زمن الامويين هما: ديوان خراسان، وديوان القيروان. وقد جرى في هذه الداواوين بعد تأسيسها عمليات توسع واعادة تنظيم متعددة، وعني الخلفاء والولاة بتدقيقها للاطلاع على سير العمل فيها، وحفظت نسخ منها في المركز.

وسجل المقاتلة العرب في الامصار على النسب القبلي، فجعل لكل قبيلة ديوان او سجل خاص بها، وسجل مقاتلة بعض القبائل لقلة عددهم في دواوين قبائل اخرى، وسجل الموالي في دواوين القبائل التي يوالونها او في دواوين خاصة بهم اذا سمح عددهم بذلك. ونظرا لقلة عدد اهل السابقة في الامصار زمن الراشدين، فقد تركز التفضيل بين المقاتلة هناك على اسس اخرى منها الاسراع في الهجرة والمشاركة في معارك الفتح الاولى، والبلاء في القتال. وتدرج العطاء في الامصار بين اهل الايام واهل القادسية واليرموك والروادف، وظهرت بعض الفوارق في مقادير العطاء بين مصر واخر خاصة فيما يتعلق بالحد الادنى للعطاء.

وتولى العرفاء توزيع العطاء على عرافاتهم، الا ان تنظيم العرافات اختلف في بعض الامصار عنه في الاخرى زمن الراشدين، اذ نظمت العرافات في العراق على اساس المبلغ الكلي المخصص لكل عرافة ونظمت في الامصار الاخرى على اساس العدد اذ جعل لكل قبيلة او عشيرة عريف الى أن اعاد زياد بن ابيه تنظيم العرافات في العراق فجعلها كسائر الامصار. وقام العرفاء بمهمات اخرى منها جمع الجند عند ارسال البعوث ورفع اسماء الموتى والغائبين الى الديوان، وتبليغ الدولة عن المشبوهين من افراد عرافاتهم، لذا كرههم الناس خاصة في المناطق التي تكثر فيها حوادث الاخلال بالامن والتقصير في القيام بالواجب.

(١٥٥) ابن منظور، لسان، ج ٩، ص ٢٣٨. وانظر ابن الجوزي، سيرة عمر بن عبد العزيز، ص ٢٩٤. الاصفهاني، حلية، ج ٥، ص ٣٤٥.

(١٥٦) انظر ابن سعد، الطبقات، ج ٦، ص ٢٧٣.

المصـــادر المخطوطة

البلاذري – احمد بن يحيى بن جابر (توفى سنة ٣٧٩ هـ)

١ – أنساب الاشراف، نسخة استانبول، السليمانية، رقم ٥٩٧ – ٥٩٨.

ابن عساكر، علي – علي بن الحسن (توفى سنة ٥٧١ هـ)

٢ – تاريخ دمشق، دمشق، مكتبة الظاهرية، ٣٣٦٦ – ٣٣٨٣ و ٣٤٥٠.

ابن الكلبي – هشام بن محمد السائب (توفى سنة ٢٠٤ هـ)

٣ – النسب الكبير، مدريد، مكتبة الاسكوريال، رقم AZ / 1698.

المصـــادر المطبوعـة

ابن الاثير – علي بن محمد بن عبد الكريم الحرزي (ت ٦٣٠ هـ)

١ – الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ١٩٦٥ م.

الازدي – يزيد بن محمد بن اياس (٣٣٤ هـ)

٢ – تاريخ الموصل، نشر مؤسسة التحرير، القاهرة، ١٩٦٧ م.

الاصبهاني – احمد بن عبد الله (ت ٤٣٠ هـ)

٣ – حلية الاولياء وطبقات الاصفياء، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٠م.

الاصفهاني – ابو الفرج علي بن الحسين (ت ٣٥٦ هـ)

٤ – الاغاني، دار الثقافة، بيروت، ١٩٥٧ – ١٩٦١م.

ابن اعثم – احمد بن اعثم الكوفي (ت ٣١٤ هـ)

٥ – الفتوح، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر اباد الدكن، ١٩٦٨ – ١٩٧٥م.

البغدادي – عبد القادر بن عمر (ت ١٠٩٣ هـ)

٦ – خزانة الادب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٩ م.

البلاذري – احمد بن يحيى بن جابر (ت سنة ٢٧٩ هـ)

٧ – انساب الاشراف، ج ١، تحقيق محمد حميد الله، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٩.

– ج ٢، تحقيق : محمد باقر المحمودي، بيروت، ١٩٧٤ م.

– ج ٣، تحقيق : محمد باقر المحمودي، بيروت، ١٩٧٧ م.

– ج ٤، قسم ١، نشر ماكس شلوز نجر، القدس، ١٩٧١ م.

– ج ٤ قسم ٢، نشر ماكس شلوزنجر، القدس، ١٩٣٨م .

– ج ٥، نشر غوتين، القدس، ١٩٣٦م.

فتوح البلدان، تحقيق، عبد الله انيس الطباع وعمر انيس الطباع، دار النشر للجامعيين، بيروت، ١٩٥٧ م.

الجاحظ – عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ)

٨ – التاج في اخلاق الملوك، المطبعة الاميرية، القاهرة، ١٩١٤م.

– العثمانية، نشر مكتبة الخانجي بمصر، ومكتبة المثنى ببغداد، القاهرة، ١٩٥٥ م.

الجهشيادي، محمد بن عبدوس (ت ٣٣١ هـ)

الوزراء والكتاب، الطبعة الاولى، القاهرة، ١٩٣٨ م.

ابن الجوزي – عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧ هـ)

٩ – سيرة عمر بن الخطاب، دمشق، ١٣٩٤ هـ.

– سيرة عمر بن عبد العزيز، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٤.

ابن حبيب – محمد بن حبيب بن امية (ت ٢٤٥ هـ)

١٠ – المنمق، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر ابادالدكن، ١٩٦٤ م.

ابن حجر – احمد بن علي (ت ٨٥٢ هـ)

١١ – الاصابة في تمييز الصحابة، مطبعة السعادة، مصر، القاهرة، ١٣٢٣ هـ.

– رفع الاصر عن قضاة مصر، المطبعة الاميرية، القاهرة، ١٩٥٧ – ١٩٦١م.

ابن ابي الحديد – عز الدين بن هبه الله بن محمد (ت ٦٥٦ هـ)

١٢ – شرح نهج البلاغة، دار احياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٩ – ١٩٦٣م.

ابن خلدون – عبد الرحمن بن محمد (ت ٨١٨ هـ)

١٣ – تاريخ ابن خلدون، منشورات الاعلمي، بيروت، ١٧٩١ م.

خليفة بن خياط (ت ٢٤٠ هـ)

١٤ – تاريخ خليفة بن خياط، الطبعة الاولى، بغداد، ١٩٦٧ م.

ابن دقماق – ابراهيم بن محمد العلائي (ت ٨٠٩ هـ)

١٥ – الانتصار لواسطة عقد الامصار، مطبعة بولاق، القاهرة، ١٨٩٣ م.

الدينوري – احمد بن داود (ت ٢٨٢ هـ)

١٦ - الاخبار الطوال، مكتبة المثنى، بغداد (ب – ت)

ابن رسته – احمد بن عمر (ت ٢٩٠ هـ)

١٧ - الاعلاق النفيسة، مطبعة بريل، ليدن، ١٨٩١م.

ابو زرعة الدمشقي – عبد الرحمن بن عمرو (ت ٢٨١ هـ)

١٨ – تاريخ ابو زرعة الدمشقي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، دمشق، ١٩٨٠م.

السجستاني – سهل بن محمد بن يزيد (ت ٢٥٠ هـ)

١٩ – المعمرون والوصايا، دار احياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦١ م.

ابن سعد – محمد (ت ٢٢٠ هـ)

٢٠ - الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، ١٩٥٧م.

السيوطي – عبد الرحمن بن ابي بكر (ت ٩١١ هـ)

٢١ – تاريخ الخلفاء، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٥٠ م.

الشافعي – محمد بن ادريس (ت ٢٠٤ هـ)

٢٢ – الأم، الطبعة الاولى، مكتبة الكليات الازهرية، القاهرة، ١٩٦١م.

الصولي - محمد بن يحيى (ت ٣٣٦ هـ)

٢٣ - ادب الكتاب، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٤١هـ.

الطبري - محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ)

٢٤ - تاريخ الرسل والملوك، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٠ م.

ابن عبد الحكم - عبدالله (ت ٢١٤هـ)

٢٥ - سيرة عمر بن عبد العزيز، دار الفكر، دمشق، ١٩٦٤م.

ابن عبد الحكم - عبد الرحمن بن عبد الله (ت ٢٥٧هـ)

٢٦ - فتوح مصر واخبارها، ليدن، ١٩٢٠م. اوفست مكتبة المثنى، بغداد.

ابن عبد ربه - احمد بن محمد (ت ٣٢٨هـ)

٢٧ - العقد الفريد، دار الفكر، دمشق، ١٩٤٠م.

ابو عبيد - القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ)

٢٨ - الاموال، مكتبة الكليات الازهرية، القاهرة، ١٩٦٨م.

ابو عبيدة - معمر بن المثنى (ت ٢٠٩هـ)

٢٩ - النقائض : جرير والفرزدق، ليدن، ١٩٠٥ - ١٩١٢م.

ابن عذارى - ابو عبد الله محمد المراكشي (ت ٦٩٥هـ)

٣٠ - البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب، دار الثقافة، بيروت، (ب - ت).

ابن عساكر - علي بن الحسن (ت ٥٧١ هـ)

٣١ - تاريخ مدينة دمشق، نشر المجمع العلمي بدمشق، ١٩٥١ - ١٩٨١م.

- **تهذيب تاريخ ابن عساكر، بيروت، ١٩٧٩م.**

ابن قتيبة - عبدالله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ)

٣٢ - عيون الاخبار، نشر دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٢م.

- المعارف، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٠م.

قدامة بن جعفر (ت ٣٣٨هـ)

٣٣ - كتاب الخراج وصناعة الكتابة، بغداد، ١٩٧٩م.

ابن كثير - اسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤ هـ)

٣٤ - البداية والنهاية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٣٣م.

- سيرة عمر بن عبد العزيز، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة (ب - ت).

الكندي - محمد بن يوسف التجيبي (ت ٣٥٠هـ)

٣٥ - ولاة مصر، بيروت، ١٩٥٩م.

ابن الكلبي، هشام بن محمد بن السائب (ت ٢٠٤هـ)

٣٦ - جمهرة النسب، تحقيق نهاية سعيد، الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٨٣م.

المالكي - عبد الله بن ابي عبد الله (ت ٤٥٣هـ)

٣٧ - رياض النفوس، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥١م.

الماوردي – علي بن محمد بن حبيب (٤٥٠هـ)

٣٨ – الاحكام السلطانية والولايات الدينية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨م.

المسعودي – علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ)

٣٩ – مروج الذهب ومعادن الجوهر، بيروت، ١٩٦٥م.

– التنبية والاشراف، مكتبة خياط، بيروت، ١٩٦٥م.

ابن مسكوية – ابو علي احمد بن محمد (ت ٤٢١هـ)

٤٠ – تجارب الامم، ليدن، ١٩٠٩م.

المقدسي – مظهر بن طاهر (ت ٣٢٢هـ)

٤١ – البدء والتاريخ، باريس، ١٩١٦م.

المقريزي – تقي الدين احمد بن علي (ت ٨٤٥هـ)

٤٢ – المواعظ الاعتبار بذكر الخطط والاثار "المعروف بالخطط المقريزية"، دار التحرير للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٨م.

ابن منظور – محمد بن مكرم بن علي (ت ٧١١هـ)

٤٣ – لسان العرب، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م.

نصر بن مزاحم (ت ٢١٢هـ)

٤٤ – وقعة صفين، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٦٢م.

النووي – محي الدين بن شرف (ت ٦٧٦هـ)

٤٥ – مغني المحتاج في معرفة الفاظ المنهاج، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٨م.

– تهذيب الاسماء واللغات، نشر ادارة المطبعة المنيرية، القاهرية (ب – ت).

النويري – احمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ)

٤٦ – نهاية الارب في فنون الادب، طبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٣م.

ابو هلال العسكري – الحسن بن عبد الله (ت ٣٦٥هـ)

٤٧ – الاوائل، المدينة المنورة، ١٩٦٦م.

الهمداني – محمد بن ابي عثمان الحازمي (ت ٥٨٤هـ)

٤٨ – عجالة المبتدى وفضالة المنتهى في النسب، الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية، القاهرة، ١٩٦٥م.

ابن الوردى – سراج الدين ابو حفص عمر (ت ٧٤٩هـ)

٤٩ – تاريخ ابن الوردى، جمعية المعارف، القاهرة، ١٢٨٥هـ.

ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ)

٥٠ – معجم البلدان، منشورات مكتبة الاسدي، طهران، ١٩٦٥م.

اليعقوبي – احمد بن ابي يعقوب (ت ٢٨٤هـ)

٥١ – تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠م.

– البلدان، ليدن، ١٨٩٢م.

ابو يعلى - محمد بن الحسين الفرّاء (ت ٤٥٨هـ)

٥٢ - الاحكام السلطانية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م.

ابو يوسف - يعقوب بن ابراهيم (ت ١٨٣هـ)

٥٣ - الخراج، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٩م.

مؤلف مجهول (من القرن الثالث الهجري)

٥٤ - الامامة والسياسة، تحقيق سعيد صالح (رسالة ماجستير)، الجامعة الاردنية، عمان، ١٩٧٨م.

مؤلف مجهول (من القرن الخامس الهجري)

٥٥ - تاريخ الخلفاء، نشر بطرس غرياز نيوييج، موسكو، ١٩٦٧م.

مؤلف مجهول

٥٦ - العيون والحدائق في اخبار الحقائق، مطبعة بريل، ليدن، ١٨٧١م.

جمال عودة

٥٧ - العرب والارض في العراق في صدر الاسلام، الشركة العربية للطباعة والنشر، عمان، ١٩٧٩م.

عبد العزيز الدوري

٥٨ - النظم الاسلامية، الطبعة الاولى، مطبعة نجيب، بغداد، ١٩٥٠م.

زمباور

٥٩ - معجم الانساب والاسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي، مطبعة جامعة فؤاد الاول، القاهرة، ١٩٥١م.

التجارة في العصر الاموي

الاستاذ الدكتور لبيد ابراهيم احمد
كلية الاداب - جامعة بغداد

والتجارة حسبما هو معروف عنصر اساسي من عناصر الحياة الاقتصادية لاي امة من الامم، ولقد لعب العرب منذ أزمنة بعيدة دوراً مهماً في عالم التجارة الداخلية والخارجية على حد سواء. وما الدور الذي لعبه عرب عُمان واليمن والحجاز والجزيرة الفراتية في تجارة العالم القديم عبر البحر الاحمر والبحر العربي والمحيط الهندي والخليج العربي وعبر أرجاء الجزيرة العربية براً، وما اشتهر به المجتمع المكي التجاري من نشاط تجاري في رحلتي الشتاء والصيف، وما لعبه مجتمع مملكة تدمر العربية من فعالية تجارية في الطريق التجاري البري عبر الجزيرة الفراتية إلا أدلة واضحة على ما نشط به العرب في هذا المضمار.

فلم ينظر العرب الى امتهان التجارة نظرة استهجان وازدراء، لكنهم على العكس عدوا الاشتغال بالتجارة من أشرف الحرف. فقد زاولها الملوك وعلية القوم والامراء، وكانت لهم خبرة واسعة في البيع والشراء.

لقد كان خير الأمة رسولها الكريم (ص) واكابر عشيرته يزاولون التجارة. واحتوى القرآن الكريم على عدد من الايات الكريمة تضمنت مصطلحات تخص التجارة النزيهة الخالية من الربا[1].

وكما أن هناك عوامل ادت الى ازدهار الزراعة في العالم الاسلامي خلال عهد الخلافة الأموية، فان هناك عواملاً متنوعة دفعت العرب خلال هذه الفترة الى تنشيط فعاليتهم والابقاء على أهمية دورهم في عالم التجارة ومن بين هذه العوامل:

١ - الموقع الجغرافي :

لقد تمتعت البلاد العربية بموقع جغرافي مهيمن، فقد ازدادت اهمية هذا الموقع ذا المواصفات المتنوعة حينما نجحت الجيوش العربية في تحرير وفتح الكثير من المناطق الشاسعة والمهمة التي كانت خاضعة لسيطرة الامبراطوريتين الساسانية والبيزنطية فصارت الدولة العربية ابان العصر الاموي ممتدة شرقاً حتى نهر سيحون وجيحون بضمنها بلاد السند والهند، وغرباً في المغرب العربي والاندلس، ولهذا غدت مهيمنة على البحر الاحمر والبحر الابيض وبحر العرب والمحيط الهندي والخليج العربي، وهي بحار ومحيطات استقطبت جميع الخطوط الملاحية التجارية البحرية التي كانت تربط الشرق بالغرب. علاوة على هيمنتها على الطرق البحرية الممتدة عبر الجزيرة العربية والجزيرة الفراتية والعراق وبلاد فارس الى مصر والمغرب العربي.

٢ - انتعاش نشاط الطرق البحرية والنهرية والبرية :

لقد انتعشت الطرق البحرية والنهرية والبرية في الدولة الاموية الواسعة الارجاء، وقد ظهر هذا النتعاش والنشاط نتيجة الى زيادة الطلب على الواردات والى تبادل السلع والتجارات بعد استقرار عمليات التحرير والفتوحات العربية الاسلامية وتأسيس الامصار والمدن. فنشطت انماط انتاجية غير زراعية في هذه المراكز الحضرية التي جذبت بدورها الطرق التجارية البرية والنهرية والبحرية كالبصرة والكوفة وواسط والموصل ودمشق وحلب والفسطاط والقيروان وتونس وموانيء اليمن وموانيء مكة المكرمة وموانيء البحرين وعُمان وموانيء الساحل الشرقي من الخليج العربي.

وبالرغم من الحقيقة بان النشاط التجاري خلال المرحلة التي انشغل فيها العرب المسلمون بالفتوحات الاسلامية لم تكن مزدهرة بشكل واضح علاوة على الاهتمام المتزايد التي ابداها المسؤولون في البلاد العربية لتنمية الموارد الزراعية والاهتمام بتحسين وتطوير مشاريع الري. وعلى الرغم من أن الأبصار التي تأسست انذاك خلال العصر الراشدي وبداية الخلافة الأموية لم تكن انذاك

(١) انظر سورة المطففين، آية ١ وما بعدها؛ سورة البقرة، اية ٢٤٥، ٢٧٥، ٢٧٩؛ سورة النساء، الآية ١٠٠.

امصاراً قد نمت وتطورت لتصبح مراكز تجارية غير أنها بمرور الزمن، وربما عندما أفلح الخلفاء الامويون في السيطرة على المشاكل السياسية ابان عصر الخليفة عبد الملك بن مروان وعندما ابدى هذا الخليفة اهتماماً ملحوظاً بالشؤون المالية كتعريب النقود وسكها مثلا انصرفت الجهود نحو النشاطات التجارية.

ومع ان المصادر التي بين أيدينا لم تقدم غير معلومات قليلة حول واقع النشاط التجاري في الخليج العربي والمحيط الهندي، الذي ربما كان منكمشاً حتى منتصف القرن الاول للهجرة لكن دون شك فان الطرق البحرية عبر البحر الاحمر والبحر المتوسط وكذلك طرق الحجيج عبر البصرة والكوفة الى مكة والطرق البرية عبر الساحل الافريقي الشمالي (المغرب العربي) كانت اكثر فعالية وحيوية في نقل البضائع المختلفة.

٣- التطور الاقتصادي للمجتمع العربي:

وكما المحنا سابقاً فان توجه الخلفاء الامويون وعمالهم وآخرين غيرهم باستصلاح الاراضي وتحويلها من اراض موات الى اراضي زراعية مثمرة وتزايد اهتماماتهم بتملك الاراضي الزراعية كان واضحاً اثناء عمليات التحرير والفتوح وبعدها. غير أن نشوء الامصار التي توافد الناس عرباً وغير عرب الى الاستقرار فيها ادى الى الانخراط في تلبية الشؤون اليومية الحياتية القائمة على السوق وتبادل البضائع وتصنيع ما يحتاج اليه من صناعات يدوية ضرورية. كل هذه المتغيرات جعلت الحاجة ماسه الى سد الاحتياجات اليومية الاساسية من مأكل وملبس وهذه لم تتحقق طبعاً في هذا المصر لوحده او ذلك انما استوجب استيرادها او جلبها من المراكز والامصار التي تنتجها.

إنه ليس من المبالغة في شيء، اذا أكدنا، باديء ذي بدء، أن قضايا العمران بنوعية البدوي والحضري، التي جاءت كنتيجة حتمية ومنطقية لنشوء الامصار والمدن واستقرار العرب ادى الى تطور الاحوال الحضرية في المجتمع العربي الذي تطور من مجتمع زراعي الى مجتمع اهتم بالجوانب الاقتصادية الاخرى تجارية وصناعية.

فقد اهتم الامويون وعمالهم بتنظيم الاسواق في المدن وتشجيع التجار واصحاب الحرف. فيذكر المؤرخون ان والي الخليفة عثمان وبداية الدولة الأموية عبدالله بن عامر كان مهتماً بتنظيم سوق البصرة وبناء الحوانيت، كما أن خالد ابن عبدالله القسري والي العراق بنى ايضا الحوانيت في مدينة الكوفة وسقف سوق المدينة بالآجر والجص والحصي، واتخذ اخوه أسد بن عبدالله القرية المعروفة بسوق أسد في منطقة الكوفة وبنى فيها سوقاً ونقل اليها الناس[٢]. وذكر ايضاً أن بلال بن ابي بردة حفر نهر بلال في البصرة وبنى على جانبيه الحوانيت ونقل اليها السوق[٣].

اما الحجاج الثقفي فقد اعتنى عند بنائه مدينة واسط بالاسواق، فقد اتخذ السوق الرئيسي ووصفه بحشد مؤلف واسط قائلاً ان هذا السوق كان كبيراً يمتد من دار الامارة حتى شاطىء نهر دجلة شرقاً ونحو درب الخرازين جنوبا[٤].

وفي هذا المجال يورد لنا المؤرخ الواسطي بحشد رواية مفصلة عن الكيفية التي وزع فيها الحجاج هذه الاسواق التي كانت موزعة وفقاً للحرف التي نشطت فيها، اذ انزل اصحاب الطعام والبزازين والصيارفة والعطارين الى الجهة اليمنى من السوق الاساس وتمتد هذه الاسواق الى درب الخرازين، كما انزل باعة السفط وباعة الفواكه الى الجانب المقابل للسوق المركزي، وانزل الخرازين والروزجارين والصناع الى الجهة اليسرى من السوق[٥].

اما في مدينة الفسطاط في مصر فقد ذكر ابن عبد الحكم ان موسى بن وردان لعله زمن الخليفة الوليد بن عبد الملك قد أنشأ سوق وردان. واهتم الامويون بتأسيس اسواق اخرى كسوق البربر وسوق البركه.

---

(٢) البلاذري: فتوح ص ٢٨٤.

(٣) ن. م. ص ٣٥٨.

(٤) بحشد، اسلم بن سهل الواسطي: تاريخ واسط ص ٤٤.

(٥) ن. م.

ومن المحتمل ان حركة نمو هذه المدينة - الفسطاط - ونشاطها التجاري جعل هذه الاسواق قاصرة وغير كافية للتعامل التجاري، فيذكر ان عبد العزيز ابن مروان بنى القيسريات. والقيسارية عبارة عن مجمعات للاسواق والمحلات ومن بين تلك القيسريات قيسارية العسل وقيسارية الحبال وقيسارية الكباس وقيسارية عبد العزيز التي كان يباع فيها قماش البز. وبنى الخليفة هشام بن عبد الملك قيسارية اخرى لبيع البز الفسطاطي وكان يمتد من القصر الى البحر وسمي بقيسارية هشام[٦].

ووصفت مدينة القيروان بكثرة اسواقها ونشاطها التجاري فهناك سوق التمارين وسوق الصباغين وسوق الصرافين وسوق القيروان ويصف ابو عبيد البكري ان سماط سوق القيروان كان كبيراً ومتصلاً من جهة القبلة الى الجوف حتى ان طوله بين باب ابي الربيع الى المسجد الجامع بلغ حوالي ميلين إلا ثلث وكان سماط من الاسواق (اي يشبه القيسارية) يشتمل على جميع التجارات والصنائع والمهن. وقد أمر الخليفة هشام بن عبد الملك بترتيبه وتنظيمه حيث وزعه توزيعاً مهنياً فصار كل سوق متخصص بنوع من المهن والبضائع[٧].

وقد شجع الامويون بناء الاسواق في مدينة الموصل، اذ يقال ان سوق الحر الذي كان يقع الى الغرب من جسر المدينة اسسسه والي المدينة الحر بن يوسف في العصر الاموي، كما كان هناك سوق الشعارين وسوق الحشيش.

اما في مدينة الحيرة فقد بنى يوسف بن عمر خلال خلافة هشام ابن عبد الملك بها سوقاً سمي "سوق عمر"[٨].

وحرصاً من الخلفاء على مصلحة الرعية وامكاناتهم المعاشية وابعاد المستغلين والمتلاعبين، واقتداءً برسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه رضوان الله عليهم من بعده[٩]، اعطوا عنايتهم بالاسواق وبالاشراف عليها، فخضعت لمراقبة موظفين خاصين يعينهم الامراء والولاة ومعهم الاعوان يساعدونهم على القيام بمهامهم المختلفة والمتعددة فمنهم من يتولى حراستها في الليل والنهار، ومنهم من يراقب المكاييل والأوزان، وتمييز الدراهم لمعرفة جيدها ورديئها ورصد عمليات البيع خوف التلاعب بالاسعار والتحكم بين اصحاب المهن فيما يقع بينهم من خلافات، اضافة الى جمع ضريبة الاسواق، وقد ذهبت مهامهم الى أبعد من ذلك حيث اشرفوا على الصناعات كالصباغة والحياكة وغيرها. كل ذلك كان ينصب في الاطمئنان على سلامة العمليات التجارية[١٠].

ان هذه الانجازات الكبيرة في بناء الاسواق ومراقبتها وتنظيمها وفقاً للمهن والبضائع المعروضة فيها تعدّ دليلاً واضحاً على الاهتمام المتزايد الذي بذله الخلفاء الامويون وعمالهم في عملية تنشيط الحركة التجارية.

اضافة الى ما قام به الامويون في هذا الصدد فانهم ايضاً شجعوا التجارة من وجوه عدة:

١ - تأمين سلامة الطرق البرية والنهرية والبحرية :

لقد بذل الامويون جهوداً استثنائية لتأمين طرق القوافل البرية وطرق الحجاج والطرق النهرية والبحرية بمطاردتهم قطاع الطرق واللصوص وقراصنة البحر. فيذكر ان الحجاج الثقفي عندما وصلته اخبار قيام بعض الاعراب بقطع الطرق وافسادها كتب اليهم محذراً اياهم فكفوا عن اعمالهم تلك"[١١].

(٦) ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب ص ١٣٤، ١٤٥، ١٥٧، ١٥٨، ١٦٠.

(٧) المقدسي : احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ص ٢١٦.

(٨) البلاذري : فتوح ص ٢٧٥؛ الازدي : تاريخ الموصل ص ٢٤، ٢٠٤.

(٩) استعمل الرسول (ص) سعيد بن العاص على سوق مكة بعد فتحها، واستعمل عمر (رض) على سوق المدينة.

اما الخليفة عمر (رض) فتقول المصادر انه أوجد قاعدة عامة يسير عليها اهل الاسواق في الحصول على مقاعدهم، كما تذكر المصادر بانه اول من عسّ في عمله بالمدينة.

- زيادة في التفاصيل، ينظر الطبري: تاريخ جـ ٤ ص ٤٥ - ٤٦، ١٩٠، ٢١٣.

- احمد، لبيد ابراهيم: الخلافة الراشدة ص ٩٨ - ٩٩.

(١٠) الجاحظ: البيان والتبين جـ ١ ص ١١٠، البلاذري: انساب جـ ٥ ص ٢٧٤٧ الاصفهاني : الاغاني جـ ١ ص ١١٠، الماوردي: الاحكام السلطانية ص ٢٥٣، ٢٥٦، ابن الاثير: الكامل جـ ١ ص ٥٣، جـ ٤ ص ٥٣.

(١١) ابن عبد ربه: العقد الفريد جـ ١ ص ٥١.

كما يذكر البلاذري ان الحجاج الثقفي اهتم بموقف "الميد" وهم قراصنه البحر واصلهم من السند، اذ تعرضوا في بوارجهم لتجار مسلمين كانت تحمل نساء مسلمات فاخذوا السفينة. فلما وصلت الحجاج اخبار هذا العمل قال "انما أخذهن لصوص لا أقدر عليهم" ويعني انه لا يستطيع غزوهم بالبحر لكنه بعث عبيدالله بن نبهان غازياً (لاريبل) وهو موطن الميد لصدهم. ثم ارسال محمد بن القاسم الثقفي ايام الخليفة الوليد بن عبد الملك فغزا السند[١٢].

ويرجع اصل الميد او "الميذ" الى الهند واعتادوا على امتهان القرصنة ومهاجمة السفن التجارية وارباك خطوط الملاحة البحرية، وتعرضت مدينة البصرة وبعض الجزر الواقعة في الخليج العربي كجزيرة قيس الى هجماتهم المتكررة، لكن الخلفاء وقفوا موقفاً متأهباً لدحر هجمات هؤلاء القراصنة.

والواضح ان الخلفاء الامويين وعمالهم اهتموا اهتماماً واسعاً بشؤون البريد وتنظيم طرقه وحفظ الأمن فيها وصيانتها من قطاع الطرق واللصوص وهجمات الاعراب على طرق الحجاج[١٣]. لذلك فقد خضعوا للبديد ديواناً وان الخليفة عبد الملك ابن مروان يعدُّ أول خليفة جعل من ديوان البريد مؤسسة ادارية منظمة ومستقلة وانه كان على اتصال دائم ومستمر بهذه المؤسسة وعين على مسؤولياتها أخص خاصته وهو قبيصة بن ذؤيب[١٤].

وفي هذا الصدد يقول ابو يوسف مشيراً الى اهتمام الخليفة باقامة المسالح على المواضع التي تنفذ الى بلدان الاعداء وان تقوم هذه المسالح بتفتيش من يمّر بها من التجار فمن كان معه سلاح أخذ منه. ويذكر ان الحجاج الثقفي أمر ببناء اسطول تجاري يتألف من عدة سفن لتسير في عرض البحر وتفرض الأمن والسلامة للنقل والتجارات[١٥].

وللغرض نفسه قام الخليفة هشام بن عبد الملك بتهيئة الأمن والاستقرار للقوافل واوعز الى ولاته بتقوية الثغور[١٦].

٢ ـ تنظيم طرق البريد وتحديدها وتثبيتها :

كذلك عمل الامويون على تنظيم طرق البريد وتحديدها وتثبيتها، فأمر الخليفة عبد الملك بن مروان ببناء الاميال (علامات كانت توضع لتحديد مسافة كل ميل بوضع حجر كبير) في الطرقات والمسالك كعلامات لتعيين سير الطريق وتحديد مسافته. وقد عثر على بعض هذه الحجارة ـ العلامات ـ التي وضعت على الطريق في فلسطين[١٧].

واستخدم الحجاج الثقفي طرقاً اخرى لتسهيل المرور النهري والبري على حد سواءفبنى المنارات او الفنارات التي كانت توضع على المناطق المرتفعة بغرض نقل الاشارات بواسطة اشعال النيران أو ارسال الدخان، وبهذا المعنى يقول ياقوت الحموي أن الحجاج اتخذ المناظر بينه وبين قزوين فاذا دخن اهل قزوين دخنت المناظر ان كان ذلك الوقت نهاراً وان كان ليلاً فانهم يشعلون النيران، ويبدو ان هناك مسالح متأهبة لدرء اي خطر حينما تتم اشعال النيران، اذ يقول ياقوت انه اذا اشعلت "تجرد الخيل اليهم"، وكانت هذه المناظر متصلة على الطريق من قزوين الى واسط[١٨].

بما لا شك فيه ان اعمال الامويين في العراق ساعدوا كثيراً على حفر الانهار والقنوات التي استخدمته لاغراض اخرى لكنها في الوقت نفسه استثمرت للاغراض الملاحية الداخلية. ففي العراق كان نهري معقل والابله المتفرعين من نهر شط العرب قد حفرا ايضاً بهدف تسهيل عملية الملاحة النهرية من مدينة البصرة

(١٢) البلاذري : فتوح ص ٤٢٣ ـ ٤٢٤، خليفة بن خياط: تاريخ ص ٤٤٦، ٤٥٢.

(١٣) جرجي زيدان : التمدن الاسلامي جـ ١ ص ١٩٩ ـ ٢٠٠.

(١٤) ابن سعد : طبقات م ٥ ص ١٧٦.

(١٥) ابو يوسف: الخراج ص ١٩٠؛ ابن رسته: الاعلاق النفيسة ص ١٩٦.

(١٦) المسعودي : مروج جـ ٣ ص ٢٠٥.

(١٧) سيدة اسماعيل كاشف : الوليد بن عبد الملك ص ١٨٤.

ـ مقالة Barid في دائرة المعارف الاسلامية (ط / جديدة) : Sourdel.

(١٨) ياقوت الحموي : معجم البلدان جـ ٥ ص ٣٥٠.

والكوفة الى الخليج العربي من جهة وبينها وبين البصرة وواسط والكوفة من الجهة الثانية ومنها الى مدن المشرق الاسلامي من الجهة الثالثة.

واورد الطبري رواية تؤكد بان الخلفاء الأمويين وعمالهم قد أولوا عناية دقيقة براحة التجار خلال تنقلهم عبر البلدان المختلفة، فقد كتب الخليفة عمر بن عبد العزيز الى واليه على سمرقند سليمان بن ابي السري كتاباً جاء فيه "ان اعمل خانات في بلادك لمن مرّ بك من المسلمين فاقروهم يوماً وليلة وتعهدوا دوابهم، فمن كانت به علة فاقروه يومين وليليتين ومن كان منقطعا فقروه بما يصل الى بلده"[١٩].

وتوكيداً لاهتمام الأمويين بالتجارة وحماية التجار فان هناك معلومات قليلة لكنها مفيدة تبين ان الخلفاء قاموا بالغاء بعض الضرائب والمكوس المفروضة على التجارات مثلما فعل الخليفة عمر بن عبد العزيز الذي قال في المكس:

"واما المكس فانه التجسس الذي نهى عنه الله"[٢٠] والمكوس تعني الضرائب التي كانت تفرض على التجار.

والجدير بالذكر أن الامويين كانوا يعتمدون على واردات الضرائب المفروضة على التجارات في الخزينة. فمما يذكر ان الخليفة الوليد بن عبد الملك فرض المكوس على التجارات الداخلية كما فرضها على تبادل التجارات الخارجية سواء كان ذلك على الطرق البرية او النهرية او البحرية[٢١].

بالرغم من حاجة الخزينة الى هذا النوع من الواردات، فإن تلك الضرائب لم تكن باهضة. اذ أعطى صغار التجار منها تشجيعاً لهم، كما أعفي منها المواشي والزروع التي ليست للتجارة[٢٢].

٣ـ استخدام النظم التجارية المتطورة :

لقد عرف العرب في بلادهم قبل الاسلام معاملات البيع والشراء والتي تتم باستعمال العملتين المتداولتين انذاك الذهبية منها والفضية.

ولما جاء الاسلام اجاز تبادل العملتين انفتي الذكر على أن تكون عملية التبادل يداً بيد وأن لا تكون هناك اي فائدة لقاء المبادلة لان الفائدة ـ الزيادة ـ تعتبر ضرب من ضروب الربا[٢٣].

ونظراً لتقدم الحركة التجارية الداخلية وزيادة نشاطها في العصر الاموي بدأ الامويين بادخال النظم التجارية المتطورة كنتيجة لاتساع الرقعة الجغرافية للدولة وحالة الأمن والاستقرار التي تعتبر الحافز الاول لتنشيط الحركة التجارية، لذا كانوا يتعاملون بالعقود في البيع والشراء بما ينسجم والتعاليم الدينية. وعرفوا المصارف واهتموا بشروط التجارة وخاصة عقود الرهن والودائع ونظام المقايضة[٢٤].

وعود على بدء فإن العرب قبل الاسلام استخدموا الصكوك والسفاتج الى جانب التعامل بالعملات النقدية في عملياتهم التجارية والمالية المختلفة. والصك كما يذكر الدكتور الكبيسي هو أمر خطي يحتوي على مبلغ محدد من المال يدفع للشخص المسمى فيه[٢٥].

وأول اشارة الى استخدام الدولة العربية الاسلامية رسمياً للفظة الصك كانت في زمن الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب

---

(١٩) انظر الطبري : تاريخ حـ ٦ ص ٥٦٧.
ـ يا ـ تولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ص ٣٠٧.
- Gibb, H. A. R. : Arab conquests in the Central Asia P. 55.
(٢٠) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٩٩.
(٢١) سيدة كاشف : الخليفة الوليد بن عبد الملك ص ٩٨ ـ ١٠٠.
(٢٢) ابو يوسف : الخراج ص ١٤٣، ١٤٧ ـ ١٤٨.
ـ ابن أدم : الخراج حـ ٢ ص ٥٠.
(٢٣) مسلم : صحيح حـ ٥ ص ٤٣، ٤٩.
(٢٤) البلاذري : فتوح ص ٤٠٣.
(٢٥) الكبيسي، حمدان: اصول النظام النقدي ص ٤٨ ـ ٤٩.

(رض)، وهو أول من صك وختم اسفل الصكوك[٢٦].

والى جانب الصكوك عرفت العرب "السفاتج" او (الحوالات ومنهم من يساويها بالكمبيالة)[٢٧]. منذ قبل الاسلام، والسفتجة هي "ان تعطي مالاً لاخر وللآخر مال في بلد المعطي (او هي) ان تعطي مالاً لآخر فيوفيه اياه ثم يستفيد أمن الطريق"[٢٨]، وقيل هي "كتاب صاحب المال لوكيله أن يدفع مالاً قراضاً يأمن به خطر الطريق"[٢٩].

وعندما جاء الأمويون واستقرت حروب التحرير والفتوح كبر حجم التبادل التجاري بين اسواق اقاليم الدولة، اتسع نطاق التعامل بالسفتجة وتعددت اغراضه. فيذكر الطبري. ان حتى واردات الدولة من الاقاليم اصبحت تسلم اليها بموجب سفاتج احيانا[٣٠].

ان الغرض واضح من استخدام الصكوك والسفاتج وهو عدم الالتزام بالدفع بالعملات المعدنية، وبالتالي تسهيل عملية نقل النقود من بلد الى أخر دون التعرض للاخطار. وعلى اية حال فان استخدام الصكوك والسفاتج من شأنه بعث روح التبادل التجاري اليسير والمستند على الثقة التي تخدم جميع الاطراف المشاركة في التبادل التجاري وبالتالي الى زيادة المردود الاقتصادي.

ومن هذا كله نشأت حوانيت مالية - أشبه بالبنوك - لها فروعها في المدن[٣١] خاصة تلك التي تشهد حياة اقتصادية دائمة ونشطه مثل الكوفة والبصرة وواسط ودمشق وحلب والاسكندرية، وغيرها من المدن التي تربو على العدّ، ولكن الذي لا يجب نسيانه مدينة مكة، تلك المدينة التي لعبت دوراً بارزاً على كافة الاصعدة ومنها التجارية اذ كانت اسواقها الموسمية وغير الموسمية ملتقى التجارات ورجالاتها حيث تمثّل فيها القديم من النظم التجارية وحديثها.

طرق التجارة الداخلية والخارجية :

ليس هناك معلومات مباشرة عن أوضاع الطرق التجارية وانواعها والمصاعب التي تكتنفها والتسهيلات المتوفرة فيها خلال الفترة الاموية بشكل خاص ويعود ذلك الى عدم توفر الكتب الجغرافية وكتب الرحلات خلال هذه الفترة ،ان الاغلبية العظمى لهذه الكتب التي تعد ثروة حقيقية للحديث عن طرق التجارة والنشاطات التجارية في العالم الاسلامي تخص القرن الرابع الهجري فصاعداً.

واعتمادا على هذه الكتب الجغرافية المتأخرة عن الفترة الاموية هناك انواعاً عدة من طرق التجارة والمواصلات، منها الطرق النهرية الداخلية والطرق البحرية الخارجية والطرق البرية الخاصة بالقوافل وطرق الحجيج الى مكة والطرق الخاصة بنقل البريد. ومن المحتمل أن تكون أغلب الطرق البرية هي طرق استعملت لنقل البريد أيضا.

ودون شك ان هذه الطرق المتنوعة كانت موجودة وإلى حد كبير نشطة خلال الفترة الاموية لا سيما بعد أن تم حفر الانهار الكثيرة في الطرق مثلا، اذ تحولت هذه الانهار امثال نهر الابلة ونهر معقل ونهر شط البصرة والنهر الرئيسي دجلة العوراء (شط العرب)، والانهار التي حفرها الحجاج الثقفي في منطقة واسط لربطها مع الكوفة، والانهار التي حفرت في منطقة الكوفة. فمن المؤكد ان هذه الانهار استثمرت لاغراض الملاحة الداخلية لانها كانت صالحة لسير القوارب النهرية والسفن الخاصة بنقل المواد الغذائية والتمور والبضائع والحمولات التي تصدر إلى المدن المجاورة.

صحيح ان الملاحة البحرية والنقل في السفن الكبيرة قد تطور ونما بسرعة خلال العصر العباسي، غير ان هذا لا يعني ان الفترة

---

(٢٦) اليعقوبي : تاريخ جـ ٢ ص ١٥٤، ١٥٥.

(٢٧) انظر خياط : معجم ص ٣١٨، انظر : الكبيسي : ن. م ص ٤٩.

(٢٨) الصابي: الوزراء ص ٤٥٢.

(٢٩) الصابي : ن . م.

(٣٠) الطبري : تاريخ جـ ٩ ص ٣٥٤، ٣٥٥.

- للمزيد من التفاصيل عن أسواق العرب التجارية، انظر، حقي اسماعيل العاني: اسواق العرب التجارية في شبه الجزيرة العربية قبيل وفي صدر الاسلام، رسالة ماجستير مكتوبة على الآلة الكاتبة، كلية الاداب - جامعة بغداد ١٩٩٠.

(٣١) العلي، صالح : التنظيمات الاجتماعية في البصرة ص ٢٩٥.

الاموية خلت من هذه الانشطة. وعلاوة على ذلك فانه من المؤكد هناك عدة طرق برية تتجه سنوياً باتجاه مدن الحجاز المقدسة، مكة والمدينة، خلال موسم الحج الأكبر والمواسم الاخرى، اذ أن هناك:

- طريقاً من المشرق الاسلامي عبر البصرة ومكة.
- وهناك ايضاً طريق عبر المشرق الاسلامي والمناطق الشمالية منه عبر الكوفة ـ مكة.
- وهناك طريق ثالث من الموصل إلى مكة.
- وهناك طريق الحج الشامي من بلاد الشام الى مكة.
- وطريق الحج المغربي والمصري الى مكة.
- وطريق اليمن الى مكة.
- وطريق عُمان والبحرين الى مكة.

ان هذه الطرق البرية العديدة قد استثمرت فعلاً لاغراض التجارة ونقل البضائع من البلدان المختلفة الى مكة وبالعكس.

والذي يدرس الحياة الخاصة في البلاط الاموي ومراسيم الخلفاء اليومية وشؤون حياتهم، واخبار الولاة والعمال وافراد البيت الاموي والاغنياء وما تتطلبه حياتهم، من مأكل وملبس وكماليات ومواد غذائية يصل الى نتيجة تفيد أن النشاط التجاري الداخلي والخارجي كان واسعاً. اذ احتاج الامويون الى المعادن المختلفة كالذهب والفضة والنحاس مثلا لتعدين المفقود وسكها، واحتاجوا الحديد وغيره من المعادن الصلبة لتعدين الاسلحة وكانوا مشهورين ومهتمين كثيراً بصنع الاسلحةو واحتاجوا الاخشاب لصناعة السفن واحتاجوا الانسجة الفاخرة القطنية والصوفية والحريرية من الهند والصين ومصر واحتاجوا العطور والاطياب الفاخرة من الهند والبلدان المجاورة واحتاجوا الادوية والعقاقير واحتاجوا المواد الانشائية الجيدة والفسيفساء التي دخلت في بناء القصور والمساجد الضخمة، وكان الامويون مشهورين في هذا الاتجاه.

ان جميع هذه السلع والبضائع لا تنتج في منطقة واحدة انما في مناطق متعددة من المشرق الاسلامي والمغرب العربي والغرب، لذلك بات من الضروري جداً نقلها اما براً او بحراً او نهراً عبر موانىء كانت موجودة على سواحل الخليج العربي والبحر الاحمر والبحر المتوسط امثال: البصرة والأبله وسيراف واوال والخط ودارين وصحار وظفار وعدن والقطيف ودبا وهجر وعيذاب والاسكندرية وفاس وسجلماته والقيروان وغير ذلك من الموانىء البحرية والمراكز الواقعة على الطرق البرية.

وقد تطور الكثير من هذه الموانىء ليصبح بمرور الزمن مدن تجارية لها سمعة واسعة. وان المتصفح للكتاب المنسوب للجاحظ (التبصر بالتجارة) يرى سعة النشاط التجاري الداخلي والخارجي وضخامة قائمة السلع والبضائع المصدرة من البلاد العربية الى مختلف الارجاء والتي كانت تردها من الخارج.

فكان يأتي من الهند والسند النمور والفيلة والاحجار الكريمة كالياقوت والتوابل، وكان يأتي من الصين المنسوجات الحريرية واواني الذهب والفضة، وكان يصدر من الجزيرة العربية الخيول ومن اليمن الجلود المدبوغة والروائح والصمغ والبن، ومن بلاد فارس كان يأتي الى الشام وغيرها العطور والمفروشات والفضة، واللؤلؤ من سواحل الخليج العربي وعُمان وجزيرة اوال وجزيرة قيس وتصدر الى مختلف الارجاء اذ كان لؤلؤ هذه المنطقة مشهوراً. بصورة واسعة، وكانت دمشق وغيرها من مدن الشام ومدن مصر مشهورة بأنتاج الانسجة الدقيقة الصنع التي تصدر الى الخارج.

اما بلاد المغرب فقد اشتهرت بتصدير الزيوت والانسجة. فكانت ترد الى مدينة فاس من مدن تاهرت والقيروان وسجلماسة الفستق الجيد من مدينة قفصة والسكر والكمون والقمح والكروم والتمور والثياب والمطرزات القطنية والمنسوجات الحريرية والصوفية والكتانية، وكانت تاهرت مشهورة بالقوارير الزجاجية واواني الخزف والتحف المعدنية. وعرفت سجلماسة بانها تصدر الى بلاد السودان وغانه ومدينة اودغست القمح والزبيب والثمار المجففة والمنسوجات القطنية والنحاس المصنع والاحجار الكريمة وتستورد من السودان الذهب والرقيق ومن اودغست اشجار الصمغ.

وعن طريق الصلات التجارية عبر الطرق البرية والبحرية مع الاندلس فقد استوردوا الثياب القطنية والحريرية المشهورة في قرطبة، واستوردت سجلماسة القطن الاشبيلي المعروف.

ولتوضيح الصلات التجارية بين المشرق الاسلامي والمغرب العربي نقول ان التجار القادمون الى سجلماسة او الخارجون منها كانوا يسلكون طرقاً برية وبحرية اهمها: طريق يربط سجلماسة بمدينة وجدة ويبدأ من وجدة الى مدينة صالح ثم الى مدينة تافلييت ثم الى جبل بني برنيبان وقيرو ثم الى مدينة مسلى منهياً بمدينة سجلماسة.

ان هذا الطريق البري كان يتصل بطريق آخر في موضع معين بطريق يأتي من المشرق من البصرة والكوفة ماراً بالمدن الواقعة على الفرات ثم الى الرقة وحران والرها وتل موزن وحلب ودمشق وطبرية والرملة ثم يأتي الى الفسطاط في مصر ثم الاسكندرية وبعدها يمر ببرقة ثم سجلماسة[٣٢].

اما في البحر فان الطرق تبتدأ من موانىء الاندلس مثل اشبيلية وشاطبة الى مدن وموانىء المغرب.

فالعالم الاسلامي كان مترابطاً، المشرق منه والمغرب، عن طريق شبكة مسالك برية وبحرية نشطة، ومن مدن وموانىء مزدهرة تجارياً خدمت نقل التجارات والبضائع المختلفة ليس على الصعيد الداخلي فحسب، وانما على الصعيد العالمي، اذ كان لها أثر فعال في الدورة التجارية العالمية عصرئذ، وذلك بفضل ربطها بين واجهتين تجاريتين حساستين، الواجهة البحرية والواجهة البرية، وهي حالة لم تكن مقصورة على الفترة العباسية كما تصورها المصادر انما هي عامة ولها جذور تاريخية قديمة تمتد الى الفترة الأموية وغيرها من الفترات التاريخية من تاريخنا العربي الاسلامي.



(٣٢) انظر البكري: المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، ص ٧٧، ٨٨، ١٤٦.

المصـــادر والمراجـــع

١ ـ المصادر الأولية:

القرآن الكريم

- ابـن الأثيـــر : عز الدين ابو الحسن علي (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٣م) الكامل في التاريخ، بيروت، دار صادر ١٩٧٩.
- ابـن آدم : يحيى بن آدم القرشي (ت ٢٠٣ هـ / ٨١٨ م) الخراج، صححه ابو الاشبال احمد بن محمد، بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩م.
- الاصفهـاني : ابو الفرج علي بن الحسين بن محمد (ت ٣٥٦ هـ / ٩٦٦ م) الاغاني، بيروت، نشر صلاح الدين يوسف خليل، دار الفكر للجميع، عن طبعة بولاق الاصلية.
- بحشـل : اسلم بن سهل الرزاز الواسطي (ت ٢٩٢ هـ / ٩٠٥ م) تاريخ واسط، تحقيق كوركيس عواد، بغداد ١٩٦٧.
- البكـري : ابو عبيد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م) المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، نشر دي سلان، الجزائر ١٨٥٧ م.
- البـلاذري : احمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م) فتوح البلدان، تحقيق رضوان محمد رضوان، القاهرة، المطبعة المصرية، ط١ ١٩٣٢.
- الجـاحـظ : ابو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ / ٨٦٩ م).
  - البيان والتبين، تحقيق حسن السندوبي، القاهرة ١٩٤٨.
  - التبصر بالتجارة.
- الجهشيـاري : ابو عبدالله محمد بن عبدوس (ت ٣٣١ هـ / ٩٤٢ م).
  الوزراء والكتاب، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، القاهرة مطبعة البابي الحلبي ١٣٥٧ هـ / ١٩٣٨ م).
- ابـن خيـاط : ابو عمر خليفة بن خياط (ت ٢٤٠هـ / ٨٥٤ م).
  تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق اكرم ضياء العمري، النجف ١٩٦٧.
- ابـن رستـه : احمد بن عمر (ت ٢٩٠ هـ ويذكر كان حيا في هذا العام (٩٠٢ م).
  الاعلاق النفيسة، اعتناء دي غوية، ليدن ١٨٩١ م.
- ابـن سعـد : محمد بن سعد الكاتب الواقدي (ت ٢٣٠ هـ / ٨٤٤ م).
  الطبقات الكبرى، تحقيق زياد محمد منصور، ط ١، المدينة المنورة، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م.
- ابـن سـلام : ابو عبيد القاسم (١٥٤ ـ ٢٢٤ هـ).
  الاموال، صححه وعلق على هوامشه محمد حامد الفقي، القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى ١٣٥٣ هـ.
- الصـابـي : الهلال بن المحسن (ت ٤٤٨ هـ / ١٠٥٦ م).
  رسوم دار الخلافة، تحقيق ميخائيل عواد، مطبعة العاني، بغداد ١٩٦٤.
- الطبـري : ابو جعفر بن جرير (ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م).
  تاريخ الرسل (الامم) والملوك، نشر دي غوية، ليدن ١٨٧٩ ـ ١٩٠٣.
- ابـن عبـد الحكـم : ابو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (ت ٢٥٧ هـ / ٨٧٠ م).
  فتوح مصر واخبارها، نشر جارلس توري، نيوهفن ١٩٢٢.
- ابـن عبـد الحكـم : ابو محمد عبد الله (ت ٢١٤ هـ / ٨٢٩ م).
  سيرة عمر بن عبد العزيز، صححه وعلق عليه، احمد عبيد، دار العلم للملايين، (بيروت، ١٩٦٧).
- قـدامـة : ابو الفرج قدامة بن جعفر (ت ٣٢٩ هـ / ٩٤٩ م).
  الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق الدكتور محمد حسين الزبيدي، بغداد، دار الحرية ١٩٨١.
- ابن عبـد ربـه : احمد بن محمد (ت ٣٢٨ هـ / ٩٣٩ م).

العقد الفريد، شرحه وطبعه وصححه، احمد أمين واحمد الزين وابراهيم الابياري، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٥٢ـ١٩٦٥.

- القلقشنـــــدي : ابو العباس احمد بن علي (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م).
صبح الاعشى في صناعة الأنشا، المطبعة الاميرية، القاهرة ١٩١٥ مآثر الانافة في معالم الخلافة، تحقيق عبد الستار احمد فراج، الكويت ١٩٦٤.

- المـــــــاوردي : ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م).
الاحكام السلطانية والولايات الدينية، بغداد، منشورات المكتبة العالمية ١٩٨٩، ط ٢ القاهرة، مكتبة مصطفى البابي١٩٦٦.

- المسعــــــودي : ابو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م).
مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط ٥، القاهرة ١٩٦٧.
التنبيه والاشراف، عني بتصحيحه ومراجعته عبدالله اسماعيل الصاوي المكتبة التاريخية ١٩٣٨.

- مسلــــــــم : ابو الحسن بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١ هـ / ٨٧٤ م) صحيح مسلم، دار احياء المكتبة العربية ١٩٥٥.

- المقـدســـــي : شمس الدين ابو عبدالله محمد الشافعي (ت ٣٨٧ هـ / ٩٩٧ م).
احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، نشر دي غويه، ليدن ١٩٠٦.

- ياقــــــوت : ابو عبدالله شهاب الدين الحموي (٦٢٦ هـ / ١٢٢٦ م).
معجم البلدان، بيروت، دار صادر ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م).

- يحيـى بـن عمـر : الكناني (ت ٢٨٩ هـ / ٩٠١ م).
احكام السوق، نشر ضمن صحيفة المعهد المصري للدراسات الاسلامية في مدريد، مجلد ٤، العدد ١ ـ ٢ لسنة ١٩٥٦م.

- اليعقـوبـــــي : احمد بن ابي يعقوب بن واضح (ت ٢٨٤ هـ / ٨٩٧ م).
تاريخ اليعقوبي، بيروت، دار صادر، توزيع دار صادر بلا.

- ابـو يـوســـف : يعقوب بن ابراهيم (١١٣ ـ ١٨٢ هـ / ٧٩٨ م).
الخراج. ط ٣، القاهرة ، المكتبة السلفية ١٣٨٢ هـ.

٢ ـ المراجع العربية:

- احمــــــــد : لبيد ابراهيم احمد
الخلافة الراشدة، العراق، الموصل، دار الحكمة ١٩٩٠.

- احمـــد ونـاجي : لبيد ابراهيم احمد، عبد الجبار ناجي
العمق التاريخي العربي لجزر الساحل الشرقي للخليج العربي، العراق، الموصل، دار الحكمة ١٩٩١.

- جــرجـــــي : زيدان
التمدن الاسلامي، دار الهلال، بيروت ١٩٢٦ ـ ١٩٣٥.

- الجنحـانـــــي : الحبيب
دراسات مغربية في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الاسلامي بيروت، الطليعة ١٩٨٠.
- القيروان عبر عصور ازدهار الحضارة الاسلامية في المغرب، بيروت، الطليعة، ١٩٦٨.

- الريس : محمد ضياء الدين
الخراج والنظم المالية للدولة الاسلامية، القاهرة، ١٩٦٩.
- السامرائي : عبد الجبار محسن
التنظيمات الادارية والاصلاحات المالية في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان رسالة ماجستير - مكتوبة على الآلة الكاتبة، كلية الاداب، جامعة بغداد ١٩٨٨.
- العاني : حقي اسماعيل
اسواق العرب التجارية في شبه الجزيرة العربية قبيل الاسلام صدر الاسلام
رسالة ماجستير - مكتوبة على الآلة الكاتبة، كلية الاداب، جامعة بغداد ١٩٩٠.
- العلي : صالح احمد
التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري، ط ٢، بيروت، دار الطليعة ١٩٧٠.
الانسجة في القرنين الأول والثاني الهجريين.
- عواد : مجيد الاعظمي
الزراعة والاصلاح الزراعي في عصر صدر الاسلام والخلافة الأموية مطبعة الجامعة - بغداد، ١٩٧٨.
- كاشف : سيدة
الخليفة الوليد بن عبد الملك
- الكبيسي : حمدان عبد المجيد
الخراج، احكامه ومقاديره، دار الحكمة، الموصل ١٩٩١.
الصناعة، بحث ضمن موسوعة حضارة العراق جـ ٥، بغداد، دار الحرية ١٩٨٥.
- الكبيسي وعواد : حمدان عبد المجيد، ومجيد الاعظمي
دراسات في تاريخ الاقتصاد
- المعاضيدي : عبد القادر سلمان
واسط في العصر الأموي، دار الحرية، بغداد ١٩٧٦.
- ناجي : عبد الجبار
دراسات في تاريخ المدن العربية الاسلامية، البصرة ١٩٨٦.

٣ - المراجع الاجنبية :

- يا - تولد، تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي.

- Gibb, H. A. R. Arab Conquests in Central Asia.
- Sourdel Barid. Encyclopedia of Islam (New Edit.).
Dimask, Encyclopedia of Islam (New Edit.).

القيمة التاريخية
لمؤلفات الجاحظ عن مظاهر الحياة الاجتماعية

ا٠د٠ فاروق عمر فوزي

كلية الاداب/جامعة بغداد

مقدمة

ولد الجاحظ ، كما هو معروف، بالبصرة وفيها نشأ وتثقف، وكان من أصل متواضع من طبقة فقيرة ولكنه كان منشغلا بالعلم منذ حداثته محباً للقراءة مولعا بالعلوم فهو يقرأ كل كتاب يقع بين يديه مهم كان الكتاب، حتى انه كان يكتري دكاكين الوراقين ليبيت فيها كي يتمكن من النظر في الكتب التي عندهم ٠ وكانت أمه تموّنه " فجاءته يوماً بطبق عليه كراريس فقال : ما هذا ؟ قالت : هذا الشيء الذي تجيء به، فخرج مغتماً وجلس في الجامع ومويس بن عمران جالس فلما رآه مغتماً قال له : ما شأنك ؟ فحدّثه الحديث فأدخله المنزل وقرب اليه الطعام وأعطاه خمسين ديناراً فدخل السوق واشترى الدقيق ٠٠٠ فأنكرت الام ذلك فقالت من اين لك هذا ؟ قال : من الكراريس التي قدمتها لي "!!٠

درس الجاحظ العربية وعلومها والدين وما يتصل به من تفسير وشريعة ودرس الفلسفة والمنطق والطبيعة والرياضيات فكان من اساتذته الأصمعي وابي عبيدة والنظام وابي الهذيل العلاّف، ودرس الحديث على يد ابي يوسف القاضي بالاضافة الى يزيدبن هارون والسري بن عبدوية كما لازم ثمامة بن الاشرس في بغداد ٠

إن علم الجاحظ وثقافته الواسعة جعلته على اتصال بالخلفاء والوزراء ونال الكثير من تقديرهم وهداياهم ورغم إلحاحهم في طلبه الا انه لم يتقرب الى السلطان او يبقى في وظيفة ادارية حيث كان حب البحث والتزود من المعرفة يدفعانه بعيداً عن البلاط او الادارة٠ وهكذا كتب لنا هذه الآثار الجليلة التي بين ايدينا وهي آثار متنوعة شملت الادب والتاريخ والعلم والثقافة العامة ٠ ولاشك فإن لمجتمع البصرة دوره الكبير في صقل موهبة الجاحظ وتدفق عبقريته ٠

وسننصرف فيما يلي على بعض المظاهر الاجتماعية التي تطرق اليها الجاحظ ولاحظنا في المجتمع العباسي ولعلنا نبدز بأراء الجاحظ حول فئات المجتمع في عصره ٠

١ ـ فئات المجتمع :

أورد الجاحظ في وصية ذكرها لأحد كبار الموظفين يوصي بها حاجبه بمرعاة من يحجب له :

" إن اجتمع الاعلون والاوسطون والادنون فدعوت بواحد منهم دون من يعلوه في القدر، لآمر لابدّ من الدعاء به له، فأظهر العذر في ذلك لئلا تخبث نفس من علاه، فإن الناس يتغالب لمثل ذلك عليهم سوء الظن "[1] ٠

وهكذا قسّم الجاحظ فئات المجتمع الى الأعلون ويسميها أيضاً في مناسبة أخرى الاشراف او الطبقة العالية والاوسطون ويسميها في مكان اخر الطبقة الوسطى[2] ثم الادنون وهم العامة من الناس

أ ـ اما الفئة الاولى الاعلون فتشمل الخلفاء والاسرة العباسية والهاشميون عموماً والولاة والوزراء والقادة ومن مرتبتهم من المقربين الى الخليفة ٠

أما الخلفاء فهم على رأس هذه الفئة ويرى الجاحظ ان يكون للامة خليفة واحد يجمع شملها ويكفيها ويحميها من عدوها :

" وقضية واجبة ان الناس لا يصلحهم الا رئيس وأحد يجمع شملهم ويكفيهم ويحميهم من عدوهم قوّيهم عن ضعيفهم، وقليل لهم نظام اقوي من كثير لانظام لهم ولا رئيس عليهم "[3]

(١) كتاب الحجابة ، رسائل الجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون جـ ٢ / ٣٥ ٠

(٢) التاج (المنسوب الى الجاحظ) ص ٧

(٣) كتاب النساء ، رسائل الجاحظ ، ت / السندوبي ص ٢٧١

ولابد ان يكون الحاكم " أفقه في الدين وأقوم بالحقوق وأرد على المسلمين وعلمهم بهذا افضل من العبّاد لأن نفع ذلك لا يعدو قمم رؤوسهم ونفع هؤلاء يخص ويعم "[٤] .

وكان يحيط بالخليفة عدد كبير من صحابته ومستشاريه وخاصته ففي رواية أن خالداً بن صفوان الاهتمي، زعموا جميعاً انه كان عند ابي العباس أمير المؤمنين، وكان من سمّارة وأهل المنزلة عنده ...)[٥] .

والبعض منهم احاط نفسه بالشعراء، فكانوا يشيدون بهم، فاجزلوا لهم العطاد والجوائز : " قال ابو العباس أمير المؤمنين لأبي دلامة : سل . قال : كلبا ... قال : فلك كلب . قال : دابة . قال : ودابة . قال : وغلاماً . قال : وغلاماً . قال : وجارية . قال : وجارية ... دار . قال : ودار ... ضيعة . قال : أقطعناك مائة جريب عامرة، ومائة جريب غامرة "[٦] .

وتقام لبعضهم مجالس اللهو يحضرها شعراء ومغنين وضاربي العود واصحاب المزمار : " وكان ابو العتاهية في جماعة من الشعراء عند بعض الملوك "[٧] .

كما اشار الجاحظ الى ان زيارة الملوك تتم في أربعة حالات "وزيارة الملك على اربعة اقسام : فمنها الزيارة للعيادة، ومنها الزيارة للتعزية في المصيبة، ومنها الزيارة للتعظيم فقط "[٨] .

واشار ايضاً الى التسلي بلعبة الشطرنج بحضرتهم : "ولعب رجل قدام بعض الملوك بالشطرنج " .[٩] وقد يلهو بعضهم بالطيور والحيوانات[١٠] ومنهم من يحضر مجلسه العلماء والحكماء .[١١] ومنهم من يتناول المشروبات[١٢] ، ومنهم من يسمع الغناء : " وربما طرب للغناء فتحرك حركة بين الحركتين في القلة والكثرة "[١٣] ، وقد يغدقون على بعض المغنين أموالاً : " فأمر له بمائتي ألف درهم "[١٤] ويستعملون الطيب[١٥] ومنهم من يستقصي أحوال الرعية[١٦]

الامراء والولاة والقواد

وهؤلاء يحتلون المكانة الثانية بعد الخلفاء، وقد كان من بينهم من هو من افراد العائلة العباسية الحاكمة، وكام لنهم مكانة اجتماعية وعلمية سامية : " وجماعة من ولد العباس في عصر واحد، لم يكره لهم نضراء في أصالة الرأي وفي الكمال والجلالة، وفي العلم بقريش والدولة ، برجال الدعوة، مع البيان العجيب، والغور البعيد، والنفوس الشريفة، والاقدار الرفيعة، وكانوا فوق الخطباء، وفوق أصحاب الأخبار، وكانوا يجلّون عن هذه الأسماء إلا ان يصف الواصف بعضهم ببعض ذلك ... منهم عبد الملك بن صالح ..."[١٧]

ومنهم من تمتع بالحياة المترفة واللهو، فكان سليمان بن داود الهاشمي يتمتع بالصيد بواسطة الكلاب المدربة[١٨] ، ومنهم من

(٤) نفسه ص ٢٧٢ .
(٥) البيان والتبيين ١ / ١٣٧
(٦) الحيوان ٢ / ١٧٠ ، وانظر عن جوائز الخلفاء في البيان والتبيين ١ / ٩٥
(٧) التاج ص ٣١ ـ ٣٢ ، الحيوان ٥ / ١٣٧
(٨) التاج ص ١٥٦
(٩) البيان والتبيين ٤ / ٦
(١٠) الحيوان ٧ / ١٠٠ ، ١٣١
(١١) التاج ص ٢١ (منسوب اليه)
(١٢) نفسه ص ١٥١ ـ ١٥٣ (منسوب اليه)
(١٣) نفسه ص ٣٧ (منسوب اليه)
(١٤) نفسه ص ٤٢ (منسوب اليه)
(١٥) التاج ص ١٥١ ـ ١٥٣
(١٦) نفسه ص ١٦٧ ـ ١٧٠
(١٧) البيان والتبيين ١ / ٣٣٤
(١٨) الحيوان ٢ / ٣٠ ـ ٣١

شهد مجالس الشراب مثل محمد بم الجهم البرمكي [١٩] ، ومنهم من اعتنى بمطعمه كالفضل بن يحيى البرمكي [٢٠] .

وكان للقادة مكانة عالية عند الخلفاء فعلى اكتافهم قامت وتثبتت اركان الدولة، وكان الشعراء يحضرون مجالسهم ويشيدون بذكرهم فكانوا ينعموم عليهم بالهدايا والعطاء [٢١] .

الوزراء

كان للوزراء مكانة اجتماعية عالية لسمو مكانتهم في الدولة، وقد كان هؤلاء مترفين بالحياة، ولكنهم تعرضوا للاخطار، كما هو واضح بما فُعل بدار الوزير ابي ايوب المورياني [٢٢] ومن مظاهر ترفهم إقامة المجالس التي كان يحضرها الشعراء، الذين أشادوا بذكرهم، فأغدقوا عليهم الجوائز السنية : " سمع مدنيّا مرّ بباب الفضل بن يحيى ، وعلى بابه جماعة من الشعراء ، فقال :

ما لقينا من جود فضل ويحيي   ترك الناسَ كُلهم شعراء [٢٣]

كما وعدّد البعض المجالس العلمية في داره : " ومعنا في المجلس ابراهيم النظام، واحمد بن يوسف، وقُطرب النحوي، وفي رجال من ادباء الناس وعلمائهم " [٢٤] ومنهم كان يلهو، كولع يعقوب بن داود - وزير المهدي - بتربية الحمام [٢٥] .

ب - الاوسطون : وتشمل هذه الفئة القضاة والتجار ورؤساء الدواوين وكتّابها .

أما التجار فقد اشار اليهم الجاحظ وامتدحهم وامتدح مهنتهم في اكثر من مناسبة . وكان هؤلاء بسبب غنائهم يتمتعون بالترف والنعيم حتى ان الجاحظ ذكر بأن اتباع السلطان يتمنون حالهم :"يعترفون بفضيلة التجار ويتمنون حالهم ويحكمون لهم بسلامة وطيب الطعمة ويعلمون أنهم أروع الناس أبداً، وأهنأهم عيشاً وأمنهم سرياً لأنهم في أفنيتهم كالملوك على أسرتهم يرغب اليهم أهل الحاجات وينزع اليهم ملتمسوا البياعات لاتلحقهم الذلة في مكاسبهم ولا تستعبدهم الضرع لمعاملاتهم " [٢٦] .

واشار الجاحظ كذلك الى ان بعض التجار لم ينس نصيبه من العلم حتى ان منهم من تبوأ المكان العالي فيه : " فأي صنف من العلم لم يبلغ التجار أو يأخذ منه بنصيب أو يكونوا رؤساء أهله وعليتهم، هل كان في التابعين أعلم من سعيد بن المسيب أو أنبل وقد كان تاجراً يبيع ويشتري " [٢٧] . ومدحاً للتجارة اشار الجاحظ الى ممارسة النبي (ص) وقريش لها [٢٨] .

أما القضاة

فكان لهذه الفئة مكانة اجتماعية مرموقة، فالناس تجلّهم وتحترمهم لأنهم ينظرون في شكايات المواطنين ويعالجونها بفضل علمهم وتفقههم في الدين . وقد اورد الجاحظ عن نظرة أهل البصرة للقاضي عبيد الله بن الحسن حيث " كانوا لا يشكون انه لم يكن بالبصرة رجل أعقل من عبيد الله بن الحسن " [٢٩] .

(١٩) نفسه ٢ / ٦٦٦
(٢٠) نفسه ٦ / ٩٠ - ٩٢
(٢١) البيان والتبيين ١ / ٩٥
(٢٢) البيان والتبيين ٣ / ١٤٩
(٢٣) الحيوان ١ / ٦٧ ، ٣ / ١١٧ ، البيان والتبيين ١ / ٩٥ . ولا شك فان هذا التبذير للأموال عند البرامكة كان له نتائجه السلبية على الادارة المالية العباسية وكان سبباً في سقوطهم رغم مدح الشعراء لهم .
(٢٤) البيان والتبيين ٢ / ٣٣٠
(٢٥) الحيوان ٣ / ٢٦٦
(٢٦) رسالة في مدح التجار، رسائل الجاحظ، الاساسي ، ص ١٥٦
(٢٧) المصدر نفسه
(٢٨) المصدر نفسه
(٢٩) البيان والتبيين جـ ٣ / ١١٥

ومن القضاة من ساهم في التأليف والكتابة كأبي يوسف القاضي [30] ، ومنهم من له مجالس علمية يشهدها رجال الفكر في المجتمع، أما منزلتهم في الحياة فقد أشار اليها الجاحظ في رسالة له موجهة الى قاضي القضاة أحمد بن أبي دؤاد الأيادي : " وأنت أيها العالم معلّم الخير وطالبه والداعي اليه وحامل الناس عليه - من موضع السلطان بأرفع المكان - لأن من جعل الله اليه مظالم العباد ومصالح البلاد وجعله متصفحاً على القضاة وعتاداً على الولاة ثم جعله الله منزع العلماء، ومفزع الصفاء ومستراح الحكماء، فقد وضعه بأرفع المنازل ، وأسنى المراتب " [31] .

أما كتّاب الدواوين :

فكان هؤلاء يعملون في مختلف دواوين الدولة وادارة امورها، ومنهم من حرر كتب الخلفاء، وقد صنف الجاحظ رسالته في ذم اخلاقهم، علماً بأن منهم من كان يظهر ميله ونزعته للزندقة والشعوبية : " وكان ابراهيم شعوبياً، وكان يُتهم بالثنوية " [32] .

ومما ذكر في رسالته عن الصفات المذمومة لبعضهم : " ولعله عمر بن فرج في السفه والمباهتة، وابراهيم بن العباس في الشره والرقاعة ونجاح بن سلمة في الطيش والسخافة، واحمد بن الخصيب في اللؤم والجهالة، وآل وهب في النّهم والنذالة .. " [33] . وبنفس الوقت قد أشاد بالصفات الحسنة الايجابية للبعض الاخر منهم : "لم يبلغني انه كان في ولاة ديوان الجند ولا في كتّابهم مثل المعلى بن ايوب في نبله وارتفاع همته، وكرم صُحبته، وعفافه، وجميل مذهبه، وشدة محاماته عمن صحبه وتحرّم به ، فكان المأمون يعرف له ذلك ومن بعده من الخلفاء فثبتت وطأته، ودامت ولايته، وحُمد اثره" [34]

كما اشار الى عجرفتهم وزيهم فقال : " يتوهم الواحد منهم اذا عرّض جبّته وطول ذيله، وعقص على خده صُدغه، وتحذف الشابورتين على وجهه، انه المتبوع ليس التابع، والمليك فوق المالك [35]

كما واشار الى وجود نظرة استعلاء بعضهم على بعض، بدل مرة التعاون والتعاطف، الذي يتصف به أهل الصناعات الاخرى لتحقيق غاياتهم فقال : " لا اعلم اهل صناعة إلا وهم يجرون في ذلك الى غاية محمودة، ويأتون منه آية مذكورة الا الكتّاب فإن أحدهم يتحاذق عند نظرائه بالاستقصاء على مثله، ويسترجع رأيه اذا بلغ في نكاية رجل من أهل صناعته " [36] .

كما ذكر الجاحظ عن طائفة منهم إهتموا وعنوا باللغة العربية كثيراً وذلك بحرصهم على اخيتار الألفاظ الجيدة الجميلة، وما يجمع الجزالة والرصانة بالاسلوب : " ورأيت عامتّهم - فقد طالت مشاهدتي لهم - لا يقفون الا على الالفاظ المتخيرة والمعاني المنتخبة وعلى الالفاظ العذبة والمخارة السهلة والديباجة الكريمة وعلى الطبع المتمكن وعلى السبك الجيد وعلى كل كلام فيه ماء ورونق " [37] .

جـ العامة : تنتظم هذه الفئة شرائح اجتماعية متعددة ذكر الجاحظ منها: " حاشية وأعلاج وأكره ونزال السواحل والأجام والفيوض والجزائر من أكاد وصيّاد " [38] . ثم قال " ولم يبلغوا منزلة الخاصة منا " [39] . ولكن اثرهم السياسي وقوّهم كبيرة في

---

(٣٠) نفسه

(٣١) كتاب الفتيا - رسائل الجاحظ - تحقيق هارون ١ / ٣١٢

(٣٢) ذم اخلاق الكتاب - رسائل الجاحظ - تحقيق هارون ٢ / ٢٠٢ - ٢٠٣

(٣٣) نفسه ٢ / ١٩٧

(٣٤) نفسه ٢ / ٢٠٩

(٣٥) نفسه ٢ / ١٩١

(٣٦) ذم اخلاق الكتاب ، رسائل الجاحظ ، ٢ / ٢٠٠

(٣٧) البيان والتبيين ٤ / ٢٤

(٣٨) فخر السودان على البيضان ، رسائل الجاحظ ١ / ٢١٢

(٣٩) البيان والتبيـن ١ / ١٣٧

المجتمع ولهذا يحذّر الجاحظ منهم اذا اجتمعوا : " والعوام وان كانت مسّخرة ومدبرة فقد تمتنع لعلل تدخلها وأمور تصرفها وأسباب تنقضها ... وكذلك العامة عند نفورها وتهييجها وغلبة الهوى والسخف عليها ... لأن العامة اذا إنكفت بالخاصة وتنكرت للقادة وتشزنت على الراصنة كان البوار الذي لاحيلة له والفناء الذي لابقاء معه "[٤٠] ثم يقول " ... ولكنا كما نخافهم نرجوهم "[٤١] .

وقد نظر الجاحظ الى بعض شرائح العامة نظرة ازدراء فوصف الحاكة بالحمق، وذكر بأن فئات من العامة كالحاكة والنحاسين والقلاسيين والحجام والمسجونين تتشابه طبائعهم في كل بلد وفي كل عصر ، " إنك لا تجد بدأ في كل بلدة وفي كل عصر للحاكة فيهم على مقدار واحد وجهة واحدة من السخط والحمق والغباوة والظلم، وكذلك النخاسون على طبقاتهم من أصناف ما يبيعون وكذلك السماكون والقلاسون وكذلك أصحاب الخلقان كلهم في كل دهر وفي كل بلد على مثال واحد وعلى جهة واحدة . وكل حجّام في الارض فهو شديد الاستهتار بالنبيذ، وان اختلفوا في البلدان، والاجناس والاسنان . ولا ترى مسجوناً ولا مضروباً عند السلطان الا وهو يقول : اني مظلوم "[٤٢] . كما استقذروا مهنة التيّاس، وما كان يقوم به الكباش من بيع الكباش واتخاذها للنطاح " قالوا : كباشٍ . فانما يعنون بيع الكباش واتخاذها للنطاح والتّيوس قبيحة جداً ... "[٤٣] . كما وذكر بعض حيل وخدع الحوائيين والراقين : " تمويه الحواء والراقي ... "[٤٤] ، " والرقاء يوهم الناس اذا دخل دورهم لاستخراج الحيات أنه ... "[٤٥] ، " واذا دخل الحواء وصفق بيديه ... فلا يشك من لاعلم له أن الحية خرجت من جهة الطاعة وخوف المعصية "[٤٦] . ثم تكلم الجاحظ عن فئة الخناقين وخطرهم على حياة الناس، وبسبب تكتلهم كانوا قد يتمكنون من الاستيلاء على درب باسره : " الخناقين ... فلا يكونون في البلاد الا معاً ... فربما استولوا على درب بأسره "[٤٧] . كما يحدثنا عن فئة اللصوص، وصنف فيهم كتاب يصف حيلهم : " قرأت كتابي في تصنيف حيل لصوص النهار وفي تفصيل حيل سرّاق الليل"[٤٨] . كما تكلم عن المكدين وأساليب احتيالهم للحصول على المال، كقصة خالوية الذي انتحل اسماً عربياً : " خالد بن يزيد " وبرع في حيله واساليبه[٤٩] : " وهذا خالد بن يزيد مولى المهالبة - وهو خالوية المكدي - وكان قد بلغ في البخل والتكدية وفي كثرة المال المبالغ التي لم يبلغها احد "[٥٠] .

أهل الذمة

وتحدث الجاحظ عن أهل الذمة، النصاري واليهود بصفة خاصة: -

النصارى

كان النصارى يتمتعون بحرية، وقد توثقت صلاتهم بافراد المجتمع ويرجع ذلك لاهمية بعض الاعمال التي مارسوها : " ومما عظم في قلوب العوام وحببهم الى الطغام أن منهم كتّاب السلاطين، وفراشي الملوك وأطباء الاشراف، والعطارين، والصيارفة"[٥١] ، فكانوا يمارسون من الاعمال : الكتابة للسلاطين والطب والعطرة والصيرفة، وبيع الخمور.

(٤٠) العثمانية ٢٥١

(٤١) رسالة في نفي التشبيه ١ / ٢٨٥

(٤٢) الحيوان ٢ / ١٠٥ - ١٠٦

(٤٣) نفسه ٥ / ٤٧٣

(٤٤) نفسه ٤ / ١٩٠

(٤٥) نفسه ٤ / ١٩٠

(٤٦) نفسه ٤ / ١٩٥

(٤٧) نفسه ٢ / ٢٦٤ - ٢٦٥

(٤٨)

(٤٩)

(٥٠)

(٥١) ثلاث رسائل ص ١٧

ويدعي رئيسهم الديني بـ " الجاثليق " ، ويرون انه من الافضل ان يتصف هي : " ... تعلم أنا لا نتخذ الجاثليق إلا مديد القامة ..جهير الصوت جيد الحلق ... وافر اللحية عظيمها ... زاهداً في الرياسة ... " [٥٢] ، واما عن زيه فذكر الجاحظ : " ولابد للجاثليق من قناع ومن مظلة، ومن عكاز ومن عصا ... [٥٣] .

وقد تسمى بعض النصارى باسماء اسلامية : " وتسموا بالحسن والحسين والعباس والفضل وعلي واكتنوا بذلك اجمع" [٥٤]

واستغل النصارى الحرية الممنوحة لهم فقاموا ببث الفرقة بين المسلمين واشاعة المذاهب الفاسدة كالريصانية والمرقونية ... ، وساعدهم على ذلك ما امتازوا به من جدل، فناقشوا المسلمين في المتشابه من أي القرآن الكريم والاحاديث الضعيفة الاسناد ليبثوا الشك والريبة بين ضعاف العقول : " ان هذه الأمة لم تبتل باليهود ولا المجوس ولا الصائبين كما أبتليت بالنصارى، وذلك انهم يتتبعون المتناقض من احاديثنا، والضعيف بالاسناد من روايتنا، والمتشابه من أي كتابنا، ثم يخلون بضعفائنا ويسألون عنها عوامنا مع ما قد يعلمون من مسائل الملحدين والزنادقة الملاعين، وحتى مع ذلك ربما تبرءوا الى علمائنا وأهل الاقدار منا، ويشغبون على القوى ويلبسون على الضعيف ... وبعد، فلولا متكلموا النصارى وأطباؤهم ومنجموهم ما صار الى اغنيائنا وظرفائنا ومجاننا واحداثنا شيء من كتب المثانية والريصانية والمرقونية والفلانية ... ولكانت تلك الكتب مستورة عند أهلها، ومخلاة في ايدي ورثتها، فكل سخنه عين رأيناها في احداثنا وأغبيائنا فمن قبلهم كان أولها " [٥٥] وقال : " إن اكثر من قتل في الزندقة - ممن كان ينتحل الاسلام ويظهره - هم الذين اباؤهم وأمهاتهم نصارى، على أنك لو عددت اليوم اهل الظنة، ومواضع التهمة لم نجد اكثرهم الا كذلك " [٥٦] .

ولربما بسبب نشاط النصارى العدائي دفع الدولة في زمن المتوكل الى الدعوة لتأليف الكتب في الرد عليهم وابطال حججهم ودعواهم، ومن ذلك ان الجاحظ ألّف كتابه في الرد على النصارى اجابة لطلب الفتح خاقان وزير المتوكل، فهو يقول في كلامه للفتح بن خاقان : " اما بعد فقد قرأت كتابكم، وفهمت ما ذكرتم فيه من مسائل النصارى قبلكم، وما دخل على قلوب احداثكم وضعفائكم من اللبس، والذي خفتموه على جواباتهم من العجز ... " [٥٧] .

واشار الجاحظ بان علاقتهم مع العوام كانت افضل من اليهود والمجوس : " ... التي لها صارت النصارى احب الى العوام من المجوس، واسلم صدوراً عندهم من اليهود، وأقرب مودة وأقل غائلة واصغر كفراً وأهون عذابا " [٥٨] .

واشار ايضاً الى كثرة أموالهم وحسن صناعتهم : " ... كثرة اموال النصارى ... وان صناعتهم احسن " [٥٩] ، واتخاذهم البراذين الشهرية، والخيل العتاق، والجوقات، وضربوا بالصوالجة، ولبسوا الملحم والمطبقة واتخذوا الشاكرية : " إتخذوا البراذين الشهرية، والخيل العتاق، واتخذوا الجوقات، وضربوا بالصوالجة، وتحدقوا المديني، ولبسوا الملحم والمطبقة، واتخذوا الشاكرية " [٦٠] ، وذكر ايضا : " وترك كثير منهم عقد الزنانير ... وامتنع كثير من كبرائهم من اعطاء الجزية وأنفقوا - مع اقتدارهم - من دفعها، وسبّوا من سبهم وضربوا من ضربهم " [٦١] .

كما وصفهم بفساد القلوب وقسوتها والدليل على ذلك : " انهم اصحاب الخصاء من بين جميع الامم " [٦٢] ، ووصفهم بالرياء :

(٥٢) البيان والتبيين ١ / ١٢٥
(٥٣) نفسه ٣ / ٩٠
(٥٤) ثلاث رسائل ص ١٨
(٥٥) ثلاث رسائل ص ١٩ - ٢٠
(٥٦) نفسه ص ١٧
(٥٧) نفسه ص ١٠
(٥٨) نفسه ص١٣
(٥٩) نفسه ص ١٨
(٦٠) نفسه ص ١٨
(٦١) ثلاث رسائل ص ١٨
(٦٢) نفسه ص ٢١ ، الحيوان ١ / ١٢٤

"وللنصارى خاصة رياء عجيب من وظاهر زهد "[٦٣] ، كما اشار الى عنايتهم بنظافة ثيابهم، والى طبائعهم الشريرة وعدم سيطرتهم على شهواتهم لتهذيب انفسهم : " والنصراني وان كان انظف ثوباً واحسن صناعة وأقل مساخة فان باطنه ألأم وأقذر وأسمج، لأنه ... وهم مع شرار طبائعهم وغلبة شهواتهم " [٦٤] .

اليهود

ذكر الجاحظ بان العوام ترى اليهود هم من أقذر الناس : " فلما رأت العوام اليهود ...وأن كفرهم أقذر الكفر اذ كانوا هم أقذر الامم " [٦٥] .

ويدعى رئيسهم الديني بـ " رأس الجالوت " وقد كان له عليهم شيء من السلطان، فيستطيع ان يغرم بالمال المخطيء منهم، ويحرم على اليهود مخاطبته [٦٦] .

وكانوا يعملون على بث الفرقة بين المسلمين والتشكيك في الدين:" فقد كانوا يصنعون الاثار ويولدون الاخبار ويبثونها في الامصار ويطعنون في القرآن ويسألون عن متشابهة وعن خاصه وعامه ويضعون الكتب على اهله " [٦٧] .

وذكر عنهم بانهم أذلاء متكبرون : " والكبر في الاجناس الذليلة أرسخ واعم . ولكن الذلة والقلة ما نعتان من ظهور كبرهم، فصار لا يعرف ذلك الا اهل المعرفة، كعبيدنا من السند، وذمتنا من اليهود"[٦٨] وكانت العامة تستخف بأمر اليهود وتحقر من شأنهم فزعموا : "ان الفأرة كانت يهودية سحارة، والأرضة يهودية ايضا عندهم ولذلك سيلطخون الاجذاع بشحم الجزور [٦٩] حتى ان الصبيان كانوا "يصيحون بالفهد اذا رأوه : يايهودي " [٧٠].

واما مهنهم فكانت بسيطة ما بين صباغاً ودباغاً وقصاباً وشعاباً :" ولا تجد اليهودي إلا صباغاً أو دباغاً، أو حجاماً أو قصاباً أو شعاباً " .[٧١] وبياعاً للخمور : " وكانوا يبيعون الخمور " [٧٢].

والجاحظ يرميهم بالغي وانهم لم يتأثروا بالعرب رغم طول لبثهم بين العرب وذلك لاقتصار زواجهم بينهم : " وكيف لا تقضي عليهم بالغي والجهل ولم تسمع لهم بكلمة فاخرة أو معنى نبيه لا ممن كان في المبدأ، ولا ممن كان في المحضر، ولا من قاطني السواد، ولا من نازلي الشام، ثم انظر الى أولادهم مع طول لبثهم فينا وكونهم معنا، هل غيّر ذلك من اخلاقهم وشمائلهم وعقولهم واحلامهم وأدابهم وفطنهم ؟ فقد صلح بنا كثير امور النصارى وغيرهم، وليس النصارى كاليهود، لأن اليهود كلهم من بني اسرائيل الا القليل . وبعد فلم يضرب فيهم غيرهم، لان مناكحهم مقصورة فيهم ومحبوسة عليهم " [٧٣] ، " لأن الاسرائيلي لا يزوج الا الاسرائيلي "[٧٤] ويستمر الجاحظ يذكر عن شدة محافظتهم على حالتهم الاجتماعية وانها اقوى مما عند جميع بقية الناس : " على انهم اشبه بآبائهم منهم بأزمانهم، وكل الناس أشبه بأزمانهم منهم بآبائهم " [٧٥] .

الرقيق والخصيان

تكلم الجاحظ عن الرقيق والجواري والخصيان والقيان في "

(٦٣) كتاب حجج النبوة - رسائل الجاحظ - نشر سندوبي ص ١٣٢
(٦٤) ثلاث رسائل ص ٢١
(٦٥) ثلاث رسائل ص ١٧
(٦٦) الحيوان ٤ / ٢٧ - ٢٨
(٦٧) كتاب حجج النبوة - رسائل الجاحظ - نشر السندوبي ص ١٤٥
(٦٨) الحيوان ٦ / ٧١
(٦٩) نفسه ٦ / ٤٧٧
(٧٠) نفسه ٦ / ٤٧٦
(٧١) ثلاث رسائل ص ١٧
(٧٢) الحيوان ٢ / ٣٣٩
(٧٣) كتاب حجج النبوة - رسائل الجاحظ - نشر السندوبي ص ١٤٢
(٧٤) ثلاث رسائل ص ١٧
(٧٥) كتاب حجج النبوة - رسائل الجاحظ - نشر السندوبي ص ١٤١

كتاب مفاخرة الجواري والغلمان " و " كتاب القيان " وفي "الحيوان " و " كتاب البغال " .

واخبرنا بانه كان يتاجر بالرقيق يومئذ " ويجلب من الروم .. والجواري "[٧٦]، " من الخزر : العبيد والاماء ... "[٧٧] . وكان لهذه التجارة اصول متعارف عليها كبقية المبيعات : " وبعد فإن الرقيق تجارة من التجارات تقع عليه المساومات والمشاراة بالثمن، ويحتاج البائع والمبتاع الى ان يستشفا العلق ويتأملاه تأملاً بيناً يجب فيه خيار الرؤية المشترط في جميع البياعات[٧٨] . وإن كان لا يُعرف مبلغه بكيل ولا وزن ولا عدد ولا مساحة، فقد يُعرف بالحسن والقبح"[٧٩] ، كما وذكر : " وكذلك مكالمة القيان ومفاكهتهن ومغازلتهن ومصافحتهن للسلام، ووضع اليد عليهن للتقليب والنظر، حلال ما لم يشب ذلك ما يحرم "[٨٠] .

وكانت الجواري والقيان من مناطق متعددة فمنهن : الخرسانيات والهنديات والكوفيات والبصريات[٨١] والصقلبيات[٨٢] كما كن مختلفات ومتفاوتات بالجمال والاثمان : " وقد كان ايضا بالكوفة نتاج بين الخراسانيات والهنديات، وكن أملح وأحسن قدوداً من البغلات اللواتي بمصر[٨٣] ، وكانت ألوانهن تجيء ذهبية، لها حلاوة الهندية، وروعة الخرسانية "[٨٤] ، " وكذلك مطهمات جواري الكوفة، زرقاً تجدهنّ، إلا الواحدة بعد الواحدة، وإنما الثمينات المرتفعات، والغوالي الخطيرات بصريات ... "[٨٥] .

وكانت منهن من يتدربن حتى يجدن الغناء والشعر والمغازلة :"ثم لا تنفك من الدراسة لصناعتها منكبة عليها "[٨٦] ، حتى تصبح قدرة الحاذقة منهن : " وتروي الحاذقة منهن أربعة الاف صوت فصاعداً، يكون الصوت فيما بين البيتين الى اربعة أبيات، عدد ما يدخل في ذلك من الشعر اذا ضرب بعضه ببعض عشرةُ الاف بيت "[٨٧] .

وكان للقيان بيوت خاصة هي " بيوت الكشاخنة، يسودها مظهر الفساد الخلقي[٨٨] ، ثم يستمر الجاحظ بالكلام عن المقين وحذقه في صناعته من اجل الحصول على الاموال، وفيما يصنعه المقين مع قيانه وتسامحه عن كثير من امور تحدث بين القينات وبين الغادين والرائحين على داره[٨٩] .

اما فئة الخصيان فقد ذكر الجاحظ بأن نصارى الروم هم الذين ابتدعوا هذه الفعلة اللانسانية[٩٠] ، وكانوا يتاجرون بهم : " ويجلب من الروم ... والخصيان "[٩١] ، وهم من اجناس متعددة فمنهم : من الحبشة، ومن النوبة ومنهم الصقالبة وخراسانية، والسودان من السند[٩٢] ، وكانت صفاتهم وقدراتهم متباينة[٩٣] .

ومنهم من اشتهر بالطبخ : " لا يوجد في العبيد اطبخ م السندي هو اطبع على طيّب الطبخ كله "[٩٤] ، كما واشتغل

---

(٧٦) كتاب التبصر بالتجارة ص ٢٦
(٧٧) نفسه ص ٢٨
(٧٨) البياعات : جمع بياعة، وهي السلعة . هامش ٣ ص ١٦١
(٧٩) كتاب القيان ـ رسائل الجاحظ ـ تحقيق هارون ٢ / ١٦١
(٨٠) نفسه ٢ / ١٦٣
(٨١) كتاب القول في البغال ص ٧٠ ، كتاب البغال ـ رسائل الجاحظ ـ تحقيق هارون ٢ / ٢٨٨
(٨٢) كتاب البغال ـ رسائل الجاحظ ـ تحقيق هارون ٢ / ٢٨١
(٨٣) البغلات بمصر : هن جواري
(٨٤) (٨٥) ـ كتاب البغال ـ رسائل الجاحظ ـ تحقيق هارون ٢ / ٢٨٨
(٨٦) كتاب القيان ـ رسائل الجاحظ ـ تحقيق هارون ٢ / ١٧٦
(٨٧) نفسه ٢ / ١٧٦
(٨٨) نفسه ٢ / ١٧٥ ـ ١٧٦
(٨٩) نفسه ٢ / ١٨٧ ـ ١٧٩
(٩٠) الحيوان ١ / ١٢٤ ، ثلاث رسائل ص ٢١
(٩١) كتاب التبصرة بالتجارة ص ٢٦
(٩٢) الحيوان ١ / ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩
(٩٣) نفس المصدر ، ونفس الصفحات
(٩٤) فخر السودان على البيضان ـ رسائل الجاحظ ـ تحقيق هارون ١ / ٢٢٤

بعضهم بالصيرفة : " ومن مفاخرهم أن الصيارفة لا يولون اكسيتهم وبيوت صروفهم الا السند لأنهم وجدوهم في أمور أنفذ في أمور الصرف واحفظ وآمن ... "[٩٥] .وقد ذكر الجاحظ عن الزنج :" وهي اطبع الخلق على الرقص الموقّع الموزون، والضرب بالطبل على الايقاع الموزون، من غير تأديب ولا تعليم "[٩٦] ، ومنهم من اشتغل في الفشكرة "[٩٧] .

كما وذكر عن اخلاق وصفات الخصى منها : " ويعرض للخصى سرعة الدمعة والغضب، وذلك من اخلاق النساء والصبيان ويعرض له حب النميمة وضيق الصدر بما اودع من السر . ويعرض لهم البول في الفراش ولا سيما اذا بات احدهم ممتلئاً من النبيذ "[٩٨] ، " ويعرض للخصى العبث واللعب بالطير ... والشره عند الطعام، والبخل عليه والشح العام في كل شيء ... "[٩٩] .

٢ - الحياة اليومية والعادات

كانت دورهم تضاء ليلاً بالقناديل الزجاجية، والمسارج الخزفية والمسارج الحجرية، واستخدموا لهذا الغرض الزيوت في القناديل، والدهون في المسارج : " ستصبح في سرجه خزف ... عاتبتك في مسارج الحجارة، فاعتبتني بالخزف . أو ما علمت ان الخزف والحجارة يحسوان الدهن حسواً ؟ .. قال تتخذ قنديلاً، فان الزجاج احفظ من غيره، والزجاج لا يعرف الرشح ولا النشف .. واذا وقع شعاع النار على جوهر الزجاج، صار المصباح والقنديل مصباحاً واحداً "[١٠٠] .

واستخدموا الاشنان والصابون : " وغرمنا ثمن الاشنان والصابون "[١٠١] . اما الاواني التي استخدموها في الطعام فكانت : " الجامات، والسكرجات والطبق : " ... مرق ... وبقايا ما يفضل في الجامات والسكرجات، فجاء بطبق ... "[١٠٢] .

وكانوا يفرشون الدور بالحصر والبواري والبسط :" ..فبطنوا البواري، وبطنوا الحصر، وبطنوا البسط "[١٠٣] ، واستخدموا المرآة : " .. على وجه المرآة "[١٠٤] .

وجعلوا لدورهم الابواب التي يحكم غلقها بالاقفال والرزات :"وجذب الاقفال، تهشمت الابواب، وتقلعت الرزات "[١٠٥] .

أما من حيث ملابسهم فقد اعتنوا كثيراً بالزي . ومن مظاهر هذا الاهتمام ارتفاع اسعار الثياب : " ربما بلغ الثوب الغزلي الف دينار "[١٠٦] .

وكانوا يستعملون الحيوانات في تنقلاتهم اليومية : " وقال سليمان بن علي لخالد بن صفوان، وراه على حمار : ماهذا يا أبا صفوان ؟ قال : اصلح الله الامير، الا اخبرك عن المطايا ؟ فقال : بلى . قال : الابل للحمل والزّمل، والبغال للاسفار والاثقال، والخيل للطلب والهرب، والبراذين للجمال والوطء[١٠٧] ،واما الحمير فللدبيب والمرفق "[١٠٨] .

---

(٩٥) نفسه ١ / ٢٢٤ - ٢٢٥ .
(٩٦) فخر السودان على البيضان - رسائل الجاحظ - تحقيق هارون ١ / ٢٢٤
(٩٧) البيان والتبيين ١ / ٦٠ ، والفشكرة : هي الزراعة والفلاحة . هامش ١ ص ٦٠
(٩٨) مفاخرة الجواري والغلمان - رسائل تحقيق هارون - ٢ / ١٢٤
(٩٩) الحيوان ١ / ١٣٦
(١٠٠) البخلاء ص ١٦ - ١٧
(١٠١) نفسه ص ٥٦
(١٠٢) نفسه ص ١٠٨
(١٠٣) نفسه ص ١٠٤ ، ١٤٠
(١٠٤) نفسه ص ١٧
(١٠٥) نفسه ص ٧١
(١٠٦) كتاب التبصر بالتجارة ص ١٩
(١٠٧) الوطء : الركرب . هامش ٩ ص ٢٠
(١٠٨) كتاب القول في البغال ص ٢٠

اما الطعام فقد كان كثير ومتنوع الاصناف، وقد عمل محقق كتاب " البخلاء" الدكتور طه الحاجري عدة فهارس له، احدها بعنوان " فهرس اسماء الاطعمة " شغل من ص ٤٢٩ الى ص ٤٣٤، ضمنه (٢٥٢) مائتين واثنتا وخمسون نوعاً من اصناف الطعام والفواكه والخضر والحلوى والمشروبات مرتبة على حروف المعجم .

وكان الطعام قد يختلف من بلد لاخر ومن طبقة لاخرى : " وسئل بعضهم عن حظوظ البلدان في الطعام، وما قُسم لكل قوم منه، فقال : ذهب الروم بالحشو والحسو، وذهبت فارس بالبارد والحلو . وقال عمر : لفارس الشفارق والخموض، وقال دوسر المديني : لنا الهرائس والقلايا، ولأهل البدو اللبأ والسلاء والجراد والكمأة والخبرة في الرائب والتمر بالزبد "[١٠٩] ومن اطعمتهم البستندود والعصيدة والازرة[١١٠] والطباهج والكردناج[١١١] والشبارقات[١١٢] وداكبراه والسكباج[١١٣] . وكان من طعام العرب المحبب الى نفوسهم: الحيس والخبز وكان من عاداتهم ان يقدموا اللحم على اللبن وعلى التمر، وعندهم ليس يكون فوق عقر الابل، واطعام السنام شيء[١١٤] ومن طعامهم السمك[١١٥] ، والعصافرية : " وللعصافير طباهجات وقلايا تدعى العصافرية .. والعوام تأكلها "[١١٦] والجدي يفضله حتى الخلفاء : " وملوكنا يحمل معهم في أسفارهم البعيدة الصغايا الحوامل، المعروفات أزمان الحمل والوضع، ليكون لهم في كل منزل جداء معدة ... "[١١٧] .

ومن طعام الفقراء واهل القرى : البصل والكراث والغث والدعاع والهبيد والقُرامة والعشوم واشباه ذلك " والشعوبية تهجو العرب بأكل العلهز والغث، والدعداع والهبيد والمغافير واشباه ذلك"[١١٨] ومن الحلوى : الفالوذق[١١٩]، الفانيز[١٢٠]، الجوزينج[١٢١] ومن الخبز : الجردق[١٢٢] .

ومن مشروباتهم : الزبيب المطبوخ ونبيذ التمر[١٢٣] والنبيذ[١٢٤] وهذا الاخير ليس شراباً مألوفاً كما وأنّ للفقهاء إجتهادات حول شربه والتفريق بينه وبين الخمر .

أما العادات فمنها كانت زيارة المرضى : " فقال له رقبة ، اذا دخلت على المرضى فلا تقع اليهم الموتى، واذا خرجت من عندنا فلا تعد الينا "[١٢٥] ، وللزيارة آداب كأن لا تكون طويلة مملة : " عيادة النّوكي الجلوس فوق القدر، والمجيء في غير الوقت "[١٢٦] ، ويكره ان ينظر الزائر الى أهل بيت وضيفه[١٢٧] .

وفي المناسبات كانوا يعملون الولائم يدعون الناس اليها كما في العرس والخرس والاعذار : " الطعام ضروب .. ثم منه : العُرس والخُرس والاعذار والوكيرة والنقيعة ... "[١٢٨] .

---

(١٠٩) البخلاء ص ١٦٣
(١١٠) نفسه ص ٢٦
(١١١) نفسه ص ١٩٤
(١١٢) نفسه ص ١٨٦
(١١٣) فخر السودان على البيضان ـ رسائل الجاحظ ـ تحقيق هارون ١ / ١٨٢
(١١٤)
(١١٥ البخلاء ص ١٢٠
(١١٦) الحيوان ٥ / ٢٢٢
(١١٧) الحيوان ٥ / ٤٨٢
(١١٨) البخلاء ص ١٩٨ ، الحيوان ٥ / ٤٤٢ ـ ٤٤٣
(١١٩) البخلاء ص ١١٩ ، ١٨٦
(١٢٠) البخلاء ص ٢٦
(١٢١) رسالة الجد والهزل ـ رسائل الجاحظ ـ تحقيق هارون ١ / ٦٦
(١٢٢) البيان والتبيين ٣ / ٢٢١
(١٢٣) البخلاء ص ٢٣٠
(١٢٤) البيان والتبيين ٢ / ١٢ ، البخلاء ص ٥٦
(١٢٥) البيان والتبيين ٢ / ٢٥٣
(١٢٦) نفسه ٢ / ٢٥٣
(١٢٧) نفسه ٣ / ٣٤٧
(١٢٨) البخلاء ص ١٩٥ ، الحيوان ١ / ٩٧ ـ ٩٨
* الخرس : فالطعام الذي يتخذ صبيحة الولادة للرجال والنساء ...
والخرسة : طعام النفساء ... والاعذار : طعام الختان ...
الوكيرة : وهو طعام البناء ويسمون ما ينحرون من الابل والجزر من عرض المغنم النقيعة " البخلاء ص ١٩٥ ـ ١٩٧

ومنهم من مكان يتسلى ويلهو بالصيد، فاصطادوا حيوانات وطيور مثل : الظباء والعصافير والارانب والثعالب، [129] واستخدموا الكلاب - خاصة السلوقية - بالصيد، وكان هناك من يقوم على تدريبها للصيد [130] ، ومن وسائل تسليتهم اللعب بالنرد والشطرنج: " وعليكم بالنرد ودعوا الشطرنج لأهلها " [131] كما كانوا يقيمون مبارزات بين الحيوانات بما نسميه اليوم بالسيرك : " ... أمير المؤمنين المعتصم بالله أبرز للاسد جاموسين فغلباه، ثم ابرز له جاموسة ومعها ولدها فغلبته وحمت ولدها منه، وحضنته، ثم ابرز له جاموساً وحده، فواثبه ثم أدبر عنه ... " [132] ، " هراش الكلاب . والهراش الذي يجري بينها وهوشرّ، يكون بين جميع الاجناس المتفقة، كالبرذون والبرذون، والبعير والبعير ، والحمار والحمار، وكذلك جميع الاجناس . فاما الذي يفرط ويتم ذلك فيه، ويتمنع ناس من الناس، ويقع فيه القمار، ويتخذ لذلك، وينفق عليه، ويغالي به، فالكلب والكلب، والكبش والكبش، والديك والديك، والسُمان والسُمان " [133] .

٤ - النزعات الاجتماعية :

تطرق الجاحظ الى بعض النزعات الاجتماعية التي لاحظها في عصره ومنها المجون والزهد . فقد كانت فئة من المجتمع تعيش حياة اللهو تحدث عنها الجاحظ قائلاً " ... وأخوانهم المستمتعين بالنعمة والمؤثرين للذّة ، المتمتعين بالقيان والاخوان المعدين لوظائف الاطعمة وصنوف الاشربة والراغبين بأنفسهم عن قبول شيء من الناس، أصحاب السر والستارات والسرور والمروءات " [134] وكان من مظاهر هذا اللهو عشق القيان اللاتي لا يخلصن في عشقهن :"ومن الافة عشق القيان ... ان القينة لا تكاد تخالص في عشقها ولا تناصح في ودها لانها مكتسبة ومجبولة على نصب الحبالة والشرك للمتربصين ليقتحموا في أنشوطتها ... " [135] .

كما دخلت المجتمع انحرافات اجتماعية لم يكن يعرفها العرب قبل هذا التاريخ فيذكر الجاحظ عن العبث بالغلمان حتى أصبح لهذا الفساد شعراء خصصوا من شعرهم في مدح الغلمان دون النساء [136] ، كما وانحرف البعض مع الخصيان حيث اشار الجاحظ : " وذكرت الخصيان وحسن قدورهم ونعمة أبشارهم والتلذذ بهم، وان ذلك شيء لا تعرفه الاوائل " [137] . واشارة الجاحظ هذه تدل على ان تلك الانحرافات الاجتماعية لم تكن موجودة في مجتمعنا وانها دخلت باختلاط العرب مع العناصر الاخرى بعد الفتوحات وتأسيس الدولة الاسلامية . كما واشار الجاحظ الى وجود دور تقام فيها الفاحشة : " ثم اذا منعهن الزنى غلبه عليهن مخارج بيوت الكشاخنة ترميهن في جحور الزناة" [138] .

وهو يشير هنا الى العابثين بالجواري والقيان .

ومن هؤلاء المجّان من يقيم مجالس الغناء والرقص يتخللها الشرب : " فجلس يوماً يشرب وأمرها ان تغنيه، فكان أول صوت تغنّت به ... " [139] .

ذكرنا عند كلامنا عن المجون بأن بعض الناس كانوا يعيشون حياة اللهو والمجون، ولكن البعض الاخر من المواطنين كانوا بعيدين عن ذلك . ومن هؤلاء الاخيرين من كان يعمر قلوبهم الايمان ويحبون الخير والصلاح، يذكرون الله واليوم الاخر، يبشرون الصالحين بالنعيم، ويتوعدون العصاة بالعذاب، ومن هؤلاء الزهاد من اتجه الى وعظ حتى الخلفاء، فقد ذكر الجاحظ : " ودخل عمرو بن عبيد على

(١٢٩) الحيوان ١ / ١١٧ ، ٢ / ١١٩ ، ٥ / ٢٤٤
(١٣٠) الحيوان ٢ / ١١٨ - ١٢٠ ، ٥ / ٣٤٢
(١٣١) البخلاء ص ٢٣٠
(١٣٢) الحيوان ٧ / ١٣١
(١٣٣) نفسه ٢ / ١٦٣ - ١٦٤
(١٣٤) كتاب القيّان ، ٢ / ١٤٣
(١٣٥) نفسه ٢ / ١٧٠ - ١٧١
(١٣٦) مفاخرة الجواري والغلمان ٢ / ١٠٦ - ١١٠
(١٣٧) كتاب القّان ٢ / ١٢٣
(١٣٨) نفسه ٢ / ١٧٥
(١٣٩) مفاخرة الجواري والغلمان ٢ / ١٢٨

المنصور وهو يومئذ خليفة ... فقلت : إن الله اعطاك الدنيا بأسرها فاشتر نفسك منه ببعضها، فلو ان هذا الامر الذي صار اليك بقي في يدي من كان قبلك لم يصل اليك . وتذكر يوماً يتمخض بأهله لا ليلة بعده "[١٤٠] ، كما وعظ صالح بن عبد الجليل الخليفة المهدي : "ودخل على المهدي صالح بن عبد الجليل ... فأطلع الله على قلبك بما ينوِّرُ به القلوب، من إيثار الحق ومنابذة الاهواء، فأنك إن لم تفعل ذلك ير أثرك وأثر الله عليك فيه "[١٤١] .

وقد ذكر الجاحظ اسماء بعض النساك من الرجال والنساء : "ومن نساك البصرة وزهادهم : عامر بن عبد قيس، وبجالة بن عبدة العنبريان، وعثمان بن الأدهم ... ومن النساء : مُعادةُ العدوية، إمرأة صلة بن اشيم، ورابعة القيسية ... زهاد الكوفة : عمرو بن عتبة و ... واويس القرني "[١٤٢] ، كما ذكر بعض النساك ممن يجيد الكلام : " واسماء الصوفية من النساك ممن كان يجيد الكلام: كِلاب و ... وصالح بن عبد عبد الجليل "[١٤٣] .

وكان منهم من يقيم حلقات في المساجد للتفقه بالدين وقراءة القرآن الكريم : " وكان جعفر بن الحسن أول من اتخذ في مسجد البصرة حلقة وأقرأ القرآن في مسجد البصرة "[١٤٤] . وذكر الجاحظ ايضاً عدداً من القصاصين يتحدثون لمن يحضر حلقاتهم في المساجد[١٤٥] .

وهؤلاء النساك زاهدين في الدنيا مجتنبين ما نهى الله - سبحانه وتعالى - عنه، منفذين مأمر به، طالبين مغفرته : " وقال رجل لداود بن نُصير الطائي العابد : أوصني . قال : اجعل الدنيا كيوم صُمته، واجعل فطرك الموت، فكأن قد، والسلام . قال : زدني . قال : لا يرك الله عندما نهاك عنه ، ولا يفقدك عندما أقرك به . قال : زدني . قال : ارض باليسير مع سلامة دينك، كما رضى قوم بالكثير مع هلاك دينهم "[١٤٦] ، " عبد الله بن المبارك قال : كتب عمر بن عبد العزيز الى الجرّاح بن عبد الله الحكمي : إن استطعت ان تدع مما أحل الله لك ما يكون حاجزاً بينك وبين ما حرّم الله عليك فافعل؛ فانه من استوعب الحلال ملّه تاقت نفسه الى الحرام"[١٤٧] ، " قالوا: حضرت عمرو بن عبيد الوفاة فقال لعديله : نزل بي الموت ولم أتأهب له . اللهم إنك تعلم انه لم يسنح لي أمرانِ لك في أحدهما رضاً ولي في الآخر هوىً إلا اخترت رضاك على هواي، فاغفر لي ؛ "[١٤٨] .

خاتمــة

هذه ملاحظات أوردها الجاحظ عما شاهده او لفت نظره اثناء مطالعاته من مظاهر الحياة الاجتماعية وقد حاول الباحث قدر الامكان ان يترك الجاحظ يتكلم بنفسه عن تلك المظاهر وانتقاده او ملاحظته حولها . ولعل هذا البحث يدل على الكم الهائل والثراء الكبير من المعلومات المحفوظة في كتب الجاحظ ورسائله عن مظاهر الحياة المختلفة في المجتمع الاسلامي مما يجعل الجاحظ بحق مؤرخاً بارزاً من مؤرخي الحضارة الاسلامية في عصر إزدهارها ورقيها . وانتهز الفرصة لأدعو الباحثين في تاريخ الحضارة للاستفادة من المادة البكر التي لا تزال محفوظة في مؤلفات الجاحظ.

(١٤٠) البيان والتبيين ٤ / ٦٤ - ٦٥
(١٤١) نفسه ٢ / ٣٣٩ - ٣٤٠
(١٤٢) نفسه ٣ / ١٦٤
(١٤٣) نفسه ١ / ٣٦٦
(١٤٤) نفسه ١ / ٣٦٧ - ٣٦٩
(١٤٥) البيان والتبيين ١ / ٣٦٧ - ٣٦٩
(١٤٦) نفسه ٣ / ١٧٠ - ١٧١
(١٤٧) نفسه ٣ / ١٧٠
(١٤٨) نفسه ٣ / ١٤٢


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

حوار المفسرين والمؤرخين في قصة إرم ذات العماد

د. شاكر محمود عبد المنعم
كلية التربية / الجامعة المستنصرية

إن تفاصيل قصة "إرم ذات العماد تُصَنَّف ضمن الأخبار التي تحتمل الكذب وتحتمل الصدق، بَيْدَ أنها حقيقة لمجرد ورودها في القرآن الكريم. ولا شك أن الخلاف وقع في تفسيرها وتحديد معانيها، ولم يتطرق الشك قط الى وجودها خاصة في الدراسات العربية الاسلامية.

قال تعالى "ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد وثمود الذين جابوا الصخر بالواد"[(١)].

وإرم عاد، يُضاف ولا يُضاف، فمن أضاف لم يصرفْ إرمَ لأنه يجعله إسم أُمتهم أو اسم بلدتهم[(٢)]، ومن لم يضف جعل إرم إسمه ولم يصرفه لانه جعل عاداً اسم أبيهم وإرم اسم القبيلة، وجعله بدلاً منه.

وقال بعضهم إرم لا ينصرف للتعريف والتأنيث لأنه اسم قبيلة فعلى هذا يكون التقدير "إرم وصاحبُ ذات العماد" لأن ذات العماد مدينة كما قيل ذات العماد وصف كما تقول المدنية ذات الملك. فيكون التقدير بعاد صاحب إرم ويقرأبعاد إرم ذات العماد الجرُّ على الاضافة. ثم اختلف منها من جعلها مدينة، فمنهم من قال هي أرض كانت واندرستَ فهي لا تعرف. ومنهم من قال إنها الاسكندرية في حين ذهب البعض الى أنها دمشق والى هذا المعنى اشار شبيب بن النعمان بن بشير بقوله:

لولا التي علقتني من علائقها
لم تمس لي في إرمُ داراً ولا وطنا

وإياها أراد البحتري بقوله:

اليك رحلن العيس في أرض بابل
بحوز بما سمعت الدبور ونهتدي
فكم جزعت وهدة بعد وهدة
قطعت من فَدْ فد بعد فد فدِ
طلبناك من أم العراق نوازعاً
بنا وقصور الشام منك بمرصدِ
الى إرم ذات العماد وإنها
لموضع قصدي موجفاً وتعمُّدي[(٣)]

وذكر المفسرون أن إرم هي بلدة عاد أو أرضهم، أو ان إرم تسمية أُطلقت عليهم نسبة الى جدهم الوارد في نسب عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح كما يقال لبني هاشم هاشم[(٤)].

وقال الزمخشري "إن ذات العماد اسم المدينة وترىءُ بعاد إرم ذات العماد أي جعل الله ذات العماد رميماً بدلاً من من فعل ربك"[(٥)]. واذا كانت ذات العماد صفة للقبيلة فالمعنى أنهم كانوا بدويين أهل عُمد، وطوال الاجسام على تشبيه قدودهم بالأعمدة ومنه قولهم رجل معمد وعمدّان اذا كان طويلاً"[(٦)].

وقالوا إن ذات العماد بمعنى ذات البناء الرفيع وان كانت صفة للبلدة فالمعنى أنها ذات أساطين.

---

(١) الفجر / الاية / ٥ ـ ٩.

(٢) ياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ / معجم البلدان / مجلد ١ / دار الفكر / دار صادر بيروت ص ١٥٥ ـ ١٥٧.

(٣) ياقوت / معجم البلدان / مجلد ١ ص ١٥٥

(٤) عبد الله بن احمد بن محمود النسفي / تفسير النسفي / ج ٤ ص ٣٥٤.

(٥) ابو القاسم جار الله محمود الزمخشري (ت) ٥٣٨ هـ/الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل / (مصر/١٣٦٧ هـ/١٩٤٨م) ج ٣/ ص ٢٣٥.

(٦) الزمخشري / الكشاف / ن. م ج ٣ / ص ٢٣٥.

أين تقع إرم ذات العماد

قال النسفي[1] إن إرم تقع في بعض صحارى عدن ولم يحددها. وقال الزمخشري أنها الاسكندرية(٢) وقال غيره أنها دمشق وكما سبقت الاشارة الى ذلك. وروى آخرون أن إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد باليمن بين حضرموت وصنعاء[3]. وحددها ابن خلدون في وسط اليمن[4].

والمعروف أن عاد كانت تسكن في بلاد الاحقاف الواقعة شمال حضرموت ويحدها الربع الخالي في شمالها وتحدها عمان في الشرق واليمن في الغرب قال تعالى "واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالاحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه ألاّ تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم"[5]. ونظراً لما تقدم فانه لمن العسير أن تحدد موقع إرم ذات العماد على وجه الدقة ولكننا نرجح أنها تقع على طرف الأحقاف الواقعه شمال حضرموت موغلة في الربع الخالي كما يصطلح على تسميته، وهذا الموقع هو امتداد لصحارى عدن.

أما قوم عاد فهم الذين أرسل الله عز وجل اليهم نبيه هوداً عليه السلام قال تعالى "والى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره إن أنتم الا مفترون"[6].

وذُكر هود عليه السلام في القرآن الكريم سبع مرات في عدد من السور منها سورة الأعراف وسورة الشعراء وسورة هود وساقت المصادر نسبه كما يلي:

هود عليه السلام بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد[7] (جد قبيلة عاد) وينتهي نسبه الى سام بن نوح عليه السلام. وهذا ما ذكره الطبري رغم أن هناك بعض الخلاف في نسبه بين المؤرخين.

وأطلق القرآن الكريم تسمية "عاد الاولى" على قوم هود عليه السلام تمييزاً لهم عن "عاد الثانية" قال تعالى "وأهلك عاداً الاولى فما أبقى". وقد وصفتهم المصادر بأنهم من العمالقة الذين آمتازوا بالقوة والشدة كما أشار القرآن الكريم الى ذلك فقال عَزَ مِن قائل "فأما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة أو لم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون"[8] وكانوا يعيشون حياة مترفة ويبنون القصور الضخمة ويقيمون القلاع والحصون وتوفرت لهم العيون الجارية والبساتين النضرة قال تعالى "أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون واذا بطشتم بطشتم جبارين فاتقوا الله وأطيعون واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون أمدكم بانعام وبنين وجنات وعيون"[9].

وهكذا كانت نِعَمُ اللهِ عز وجل على قوم عاد غزيرة متعددة فاغتروا بقوتهم واستكبروا على خالقهم ولم يستجيبوا لما أمرهم به فسلط الله عليهم الريح العاتية التي وصفت بريح صرصر وهي الباردة الشديدة الصوت.

روى الأخباريون أنه كان لعاد إبنان هما شداد وشديد، وكانا قد ملكا وقهرا ثم مات شديد وخلص الامر الى شداد الذي اتسع سلطانه وتوسعت دولته ودانت له الملوك. " ولما سمع بالجنة وما أعد الله فيها لأوليائه من قصور الذهب والفضة والمساكن تجري من تحتها الأنهار والغرف من فوقها غرف قال لكبرائه إني متخذ من

(١) تفسير النسفي / ج ٤ / ص ٣٥٤.

(٢) ياقوت / معجم البلدان / مجلد ١ / ١٥٥.

(٣) ياقوت / معجم البلدان / مجلد ١ / ١٥٥

(٤) عبد الرحمن بن خلدون (ت ٨٠٨) المقدمة / مطبعة التقدم / القاهرة ١٣٢٩هـ / ص ١٥.

(٥) سورة الاحقاف / الآية ٢١.

(٦) سورة هود / الاية ٥٠.

(٧) النسفي / تفسير النسفي / ج ٤ / ٣٥٤.

(٨) سورة فصلت / الآيات / ١٥ ـ ١٦.

(٩) سورة الشعراء / الآيات / ١٢٢ ـ ١٢٥.

الأرض مدينة على صفة الجنة[1]. وتستمر الرواية فتقول انه وَكلَّ مائة رجل من وكلائه وعبيده، وكان كل واحد منهم مسؤولاً عن الف من الاعوان وأمرهم أن يطلبوا فضاءً في فلاة في أرض اليمن، ويختاروا أطيبها تربة ومكنهم من الأموال ومثل لهم كيف يعملون. وكتب الى ثلاثة من عماله وهم غانم بن عُلوان والضحاك بن عُلوان والوليد بن الرّيان يأمرهم أن يكتبوا الى عماله في آفاق بلدانهم أن يجمعوا جميع ما في أرضهم من الذهب والفضة والدرر والياقوت والمسك والعنبر والزعفران فيتوجهوا به اليه، ثم استخرج بعض المعادن، ووجه عماله الى الغواصين في البحار لاستخراج الجواهر منها[2] وهناك وصف كامل لكل المواد والاستحضارات الخاصة ببناء تلك المدينة امتزجت فيه الحقيقة بالخيال ورد في معجم البلدان[3] سنثبته بشكل ملحق في نهاية هذه الدراسة وسنورد هنا خلاصة لبيان ما قاله المفسرون والمؤرخون بشأن تلك المدينة.

فقد وصفت إرم بانها كانت مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضة وأساطينها في الزبرجد والياقوت وفيها أصناف الاشجار والانهار، ولما تم بناؤها سار اليها في ثلاثمائة ألف من حرسه وعبيده، وخلف على ملكه بحضرموت مرثَد بن شداد الذي كان مؤمناً بما جاء به هود عليه السلام. فلما قرب شداد من المدينة وصار على مرحلة منها جاءت صيحة من السماء فمات هو وأصحابه أجمعون حتى لم يبق منهم مخبر ومات جميع من كان بالمدينة من الفعلة والصناع والوكلاء والقهارمة وساخت المدينة في الأرض فلم يدخلها بعد ذلك أحد الارجل واحد في أيام معاويه[4].

وقد نقل هذه القصة جماعة من المفسرين والمؤرخين فمن المفسرين الطبري والثعالبي والزمخشري والنسفي وغيرهم ومن المؤرخين المسعودي وياقوت الحموي وابن الأثير وابن خلدون[5] وسواهم مؤكدين جودها مختلفين في ذكر التفاصيل عنها.

قال ابن خلدون "وصحارى عدن التي زعموا أنها بنيت فيها هي في وسط اليمن وما زال عمرانه متعاقباً والأدلاء تقصى طرقه من كل وجه، ولم ينقل عن هذه المدينة خبر ولا ذكرها أحد من الاخباريين ولا من الامم، ولو قالوا أنها درست فيما درس من الآثار لكان أشبه الا أن ظاهر كلامهم أنها موجودة وبعضهم يقول أنها دمشق بناءً على أن قوم عاد ملكوها وقد ينتهي الهذيان ببعضهم الى أنها غائبة وإنما يعثر عليها أهل الرياضة والسحر مزاعم كلها أشبه بالخرافات."[6] ثم يرى ابن خلدون أن الذي "حمل المفسرين على ذلك ما اقتضته صفة الاعراب في لفظه ذات العماد أنها صفة إرم وحملوا لعماد على الاساطين فتعين أن يكون بناءً، ومما ساعد على ذلك قراءة ابن الزبير عاد إرم على الاضافة من غير تنوين."[7] وخلص الى القول واصفاً تلك الحكايات بأنها أشبه بالأقاصيص الموضوعة التي هي أقرب الى الكذب المنقولة في عداد المضحكات وان العماد هي عماد الاخبية، بل الخيام. كما وصفت بأنها واهية تنزه كتاب الله عن مثلها لبعدها عن الصحة[8].

والحقيقة أن الرواية التي وردت عن مدينة إرم جاءت مليئة بالمبالغات. ويصعب قبولها، بيد أنه لا يمكن نفيها بصورة كلية لعدة أسباب..

اولاً : وجود أدلة مادية يؤيد وجودها

ويتشمل هذا الدليل المادي في أن عبد الله بن قلابة خرج من مدينة صنعاء يطلب ابلاً له ضلت فأفضى به المسير الى مدينة صفتها كما تقدم وأخذ منها شيئاً فحمل ما قدر عليه وكان مما

(١) تفسير النسفي / ج ٤/ ٣٥٤، معجم البلدان / مجلد ١/ ص ١٥٥.
(٢) معجم البلدان/ مجلد ١/ ص ١٥٥ ـ ١٥٦.
(٣) ن . م السابق / مجلد ١ / ص ١٥٥.
(٤) تفسير النسفي / ج ٤/ ص ٣٥.
الكشاف / ج ٣ / ٣٣٥.
معجم البلدان / مجلد ١ / ص ١٥٥.
(٥) المقدمة / المصدر السابق / ص ١٤.
(٦) ابن خلدون / المقدمة / ص ١٤.
(٧) ن . م السابق / ص ١٤.
(٨) ن . م السابق / ص ١٤.

أخذه المسك والكافور وشيئاً من الياقوت. وكان ذلك في خلافة معاوية وقصده الى الشام كما في رواية ياقوت[1] أو أن خبره بلغ معاوية فأرسل في طلبه كما في رواية النسفي والزمخشري[2] وأراه الجواهر وبنادق المسك، وكان قد أصفر وغيرته الازمنة فأرسل معاوية الي كعب الأحبار وسأله عن ذلك فقال "هذه أرمُ ذات العماد التي ذكرها الله عز وجل في كتابه بناها شداد بن عاد وقيل شداد بن عمليق بن عويج بن عامر بن إرم وقيل في نسبه غير ذلك ولا سبيل الى دخولها ولا يدخلها الا رجل واحد صفته كذا. ووصف صفة عبدالله بل قلابة فقال معاوية يا عبدالله أما أنت فقد أحسنت في نصحنا ولكن ما لا سبيل اليه لا حيلة فيه وأمر له بجائزة فانصرف"[3] .

وقيل أنهم عثروا على حفيرة شداد بحضرموت وهي عبارة عن بيت في الجبل منقور مائة ذراع في أربعين ذراعاً وفي صدره سريران عظيمان من ذهب علي أحدهما رجل عظيم الجسم وعند رأسه لوح فيه مكتوب

إعتبر يا أيها المعزور بالعمر المديد

أنا شداد بن عاد صاحب الحصن المشيد[4] .

ثانياً : ورود إرم ذات العماد في القرآن الكريم

إن ورود إرم ذات العماد في القرآن الكريم وفي عدة مواضع يقوم دليلاً على وجودها. والقرآن الكريم ذكرها لأخذ العبر والدروس، ولم ترد فيه تفاصيل عنها. كما أن الاعجاز القرآني لكي يكون واضحاً ومنسجماً مع المستوى الفكري للبشر لا بد أن يتضمن شيئاً ليس سهلاً، ويمكننا أن نقارن بين اقتلاع خيام وأعمدة وبين هبوط مدينة واندراسها بسبب الريح الصرصر أيهما أشد على النفس البشرية الى الاعتبار. لا شك إن تأثير مدينة عظيمة وهبوطها واندراسها هو اكثر أثراً في الاعتبار. وان الطريقة التي تناول فيها ابن خلدون تحليل الرواية كانت بسيطة جداً يصعب معها إدراك الاعجاز. قال ابن خلدون "إن الذي حمل المفسرين على ذلك ما اقتضته صفة الاعراب في لفظة ذات العماد أنها صفة إرم وحملوا العماد على الأساطين متعين أن يكون بناءً ورشح لهم ذلك قراءة ابن الزبير عاد إرم على الإضافة في غير تنوين"[5] الى أن يقول "والا فالعماد هي عماد الاخبية والخيام وإن اريد بها الاساطين فلا يدع في وصفهم بأنهم أهل بناء وأساطين على العموم بما اشتهروا من قوتهم لا أنه بناءً خاص في مدينة معينة أو غيرها"[6] .

ثالثاً: لقد تواترت الاخبار مؤيدة وجود إرم ذات العماد بصرف النظر عن التفاصيل المبالغ في ذكرها. كما ذُكر اشخاص جرى بينهم حوار بشأن هذه المدينة وهم معروفون في التاريخ مثل معاوية، وكعب الأحبار، وعبد الله بن قلابة وغيرهم.

لذلك لا نرى لقول ابن خلدون المذكور أدناه وجاهة من الناحية الواقعية العملية عندما يقول بأن ما ورد عن ذات العماد هو أقرب ما يكون الى الكذب وأنها في عداد المضحكات أو أنها حكايات واهية تنزه كتاب الله عن مثلها لبعدها عن الصحة[7] . وبهذه العمومية المطلقة.

نهاية قوم عاد

كان قوم عاد يعكفون على عبادة أوثانهم، وهم أول من عبد الاصنام بعد الطوفان. يقول ابن كثير إنهم كانوا عتاة متمردين، وقد أنذرهم هود عليه السلام وحذرهم من عذاب الله وضرب لهم المثل بقوم نوح عليه السلام وذكرهم لنعم الله عز وجل عليهم. ولكنهم قاوموا دعوته واستهانوا برأيه وحاولوا الفتك به واتهموه بالسفه والجنون وادعو ان الهتهم قد أصابته بسوء "قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي الهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين إن نقول الا اعتراك بعض الهتنا بسوء".

(١) معجم البلدان / مجلد ١ / ص ١٥٧.

(٢) تفسير النسفي / ج ٣ / ص ٣٣٥. تفسير الكشاف / ج ٣ ص ٣٣٥.

(٣) معجم البلدان / مجلد ١ / ص ١٥٧، تفسير النسفي / ج ٣ / ص ٣٣٥.

(٤) ينظر الملحق عن تكملة هذه الابيات.

(٥) مقدمة ابن خلدون / ص ١٥.

(٦) ن . م السابق / ص ١٥

(٧) مقدمة ابن خلدون / ص ١٥.

ولما لم ينفع معهم التذكير حبيس الله عنهم المطر ثلاث سنين حتى اشتد عليهم الجهد وعظم البلاء فاستغاثوا واستنجدوا فأرسل الله عليهم سحاباً كثيفاً من السماء فلما رأوا السحاب فرحوا واستبشروا وظنوا أنه مطر غزير وإن الله قد استجاب لدعائهم، فلما أظلتهم السحابة رأوها سوداء قاتمة ففزعوا ثم هبت عليهم الريح وهي الريح العقيم واستمرت سبع ليال وثمانية أيام حسوماً فأهلكهم الله وأبادهم وصارت أجسامهم كأعجاز نخل خاوية. وكان الذين هلكوا من قوم عاد قد هلكوا عن آخرهم وان الريح اتت على كل شيء فدمرته قال تعالى "وفي عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم ما تذر من شيء اتت عليه الا جعلته كالرميم".

ونجى الله نبيه هوداً عليه السلام واستقر في حضرموت بعد هلاك عاد، الى ان مات ودفن في شرقي حضرموت على بعد مرحلتين من مدينة تُريم، وروي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه مدفون في كثيب أحمر وعند رأسه شجرة في حضرموت. كما قيل انه مدفون في فلسطين وهذا زعم يصعب القطع بصحته والله اعلم.

النص الذي أورده ياقوت الحموي[1] عن إرم ذات العماد

قال شداد لكبرائه "اني متخذ من الارض مدينة على صفة الجنة فوكل بذلك مائة رجل من وكلائه وقهارمته تحت يد كل رجل منهم الف من الاعوام وامرهم أن يطلبوا قضاء فلاة من أرض اليمن ويختارون اطيبها تربة ومكنهم من الاموال ومثل لهم كيف يعملون وكتب الى عماله الثلاثة غانم بن عُلوان والضحاك بن علوان والوليد بن البرّيان يأمرهم ان يكتبوا الى عماله في آفاق بلدانهم ان يجمعوا جميع ما في ارضهم من الذهب والفضة والدرر والياقوت والمسك والعنبر والزعفران فيوجهوا به اليه ثم وجه الى جميع المعادن فاستخرج ما فيها من الذهب والفضة ثم وجه الى عماله الثلاثة الى الغواصين الى البحار فاستخرجوا الجواهر فجمعوا منها أمثال الجبال وحمل جميع ذلك الى شداد ثم وجهوا الحفارين الى معادن الياقوت والزبرجد وسائر الجواهر فاستخرجوا منها أمراً عظيماً فأمر بالذهب فضرب أمثال اللبن ثم بنى بذلك تلك المدينة. وأمر بالدر والياقوت والجزع والزبرجد والعقيق ففصص به حيطانها، وجعل لها غرفاً من فوقها غرف، فعمد جميع ذلك باساطين الزبرجد والجزع والياقوت ثم أجرى تحت المدينة وادياً ساقه اليها من تحت الارض أربعين فرسخاً كهيئة القناة العظيمة. ثم امر فاجرى من ذلك الوادي سواقي في تلك السكك والشوارع والأزقة تجري بالماء الصافي وأمر بحافتي ذلك النهر وجميع السواقي، فطليت بالذهب الاحمر وجعل حصاه أنواع الجواهر الاحمر والاصفر والاخضر فنصب على حافتي النهر والسواقي اشجاراً من الذهب مسمرة وجعل ثمرها من تلك اليواقيت والجواهر وجعل طول المدينة اثني عشر فرسخاً وعرضها مثل ذلك. وصير سورها عالياً مشرفاً وبنى فيها ثلاثمائة الف قصر مفصصاً بواطنها وظواهرها بأصناف الجواهر. ثم بنى لنفسه في وسط المدينة على شاطئ ذلك النهر قصراً منيفاً عالياً يشرف على تلك القصور كلها. وجعل بابها تشرع الى الوادي بمكان رحب واسع ونصب عليه مصراعين من ذهب مفصص بانواع اليواقيت وأمر باتخاذ بنادق من مسك وزعفران فالقيت في تلك الشوارع والطرقات وجعل إرتفاع البيوت في جميع المدينة ثلاثمائة ذراع في الهواء. وجعل السور مرتفعاً ثلاثمائة ذراع، مفصصاً خارجه وداخلة بأنواع اليواقيت وطرائق الجوهر ثم بنى خارج سور المدينة اكماً بدور ثلاثمائة الف قنطرة بلبن الذهب والفضة عالية مرتفعة في السماء محدقة بالسور ينزلها جنوه ومكث في بنائها خمسمائة عام وان الله تعالى احب ان يتخذ الحجة عليه وعلى جنوده بالرسالة والدعاء الى التوبة والانابة فانتخب لرسالته اليه هوداً عليه السلام وكان من صميم قومه واشرافهم وهو في رواية بعض اهل الامر هود بن خالد بن الخلود بن العاص بن عمليق بن عاد بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام وقال ابو المنذر هو هود بن الخلود بن عاد بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام وقيل غير ذلك ولسنا بصدده. ثم ان هوداً عليه السلام اتاه فدعاه الى الله تعالى وامره بالايمان والاقرار بربوبية الله عز وجل ووحدانيته فتمادى بالكفر والطغيان وذلك حين تم لملكه

(١) معجم البلدان / مجلد ١ / ص ١٥٥ - ١٥٧.

سبعمائة عام فأنذره هود عليه السلام بالعذاب وحذره وخوفه زوال ملكه فلم يرتدع عما كان عليه ولم يجب هوداً الى ما دعاه اليه ولم يجب هوداً الى ما دعاه اليه. ووافاه الموكلون ببناء المدينة وأخبروه بالفراغ منها فعزم على الخروج اليها في جنود فخرج في ثلاثمائة الف من حرسه وشاكريته ومواليه وسار نحوها وخلف على ملكه بحضرموت وسائر أرض العرب ابنه مرْثَد بن شداد وكان مرْثَد فيما يقال مؤمناً بهود عليه السلام فلما قرب شداد من المدينة وانتهى الى مرحلة منها جاءت صيحة من السماء فمات هود وأصحابه اجمعون حتى لم يبق منهم مخبر ومات جميع من كان بالمدينة من الفعلة والصناع والوكلاء والقهارمة وبقيت خلاءً لا أنيس بها وساخت المدينة في الارض فلم يدخلها بعد ذلك أحد الارجل واحد في أيام معاوية يقال له عبد الله بن قلابة فانه ذكر صفة طويلة تلخيصها : انه خرج من صنعاء في بغاء إبل له ضلت فأفضى به السير الى مدينة صفتها كما ذكرنا وأخذ منها شيئاً من بنادق المسك والكافور وشيئاً من الياقوت وقصد الى معاوية بالشام وأخبره بذلك وأراه الجواهر والبنادق وكان قد اصفر وغيرته الازمنة فأرسل معاوية الي كعب الاحبار وسأله عن ذلك فقال هذه إرم وذات العماد التي ذكرها الله عز وجل في كتابه بناها شداد بن عاد وقيل شداد بن عمليق بن عويج بن عامر بن ارم وقيل في نسبه غير ذلك ولا سبيل الى دخولها ولا يدخلها الارجل واحد صفته كذا ووصف صفه عبد الله بن قلابة فقال معاوية، يا عبد الله أما أنت فقد احسنت في نصحنا ولكن ما لا سبيل اليه لا حيله فيه وأمر له بجائزة فانصرف ويقال انهم وقفوا على حفيرة شداد بحضرموت فاذا بيت في الجبل منقور مائة ذراع في أربعين ذراعاً. وفي صدره سريران عظيمان من ذهب على أحدهما رجل عظيم الجسم وعند رأسه لوح مكتوب فيه:

اعتبر يا أيها المعز	رور بالعمر المديد
أنا شداد بن عاد	صاحب الحصن المشيدْ
وأخو القوة والبأس	ساء والملك الحشيد
فأتاني هود وكنا	في ضلال قيل هود
فدعانا الواجبنا	الى الامر الرشيد

أهـــم المصـــــــادر

١ ـ القرآن الكريم

٢ ـ تفسير الامامين الجليلين / المكتبة الشعبية القاهرة (بدون تاريخ) للجلالين جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي.

٣ ـ تفسير النسفي / مدارك التنزيل وحقائق التأويل / مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر (بدون تاريخ) للامام ابي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي.

٤ ـ تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل / القاهرة / ١٣٦٧هـ / ١٩٤٨م. لأبي القاسم جار الله محمود الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ)

٥ ـ مختصر تفسير ابن كثير ١ ط ٦ / دار الفكر / بيروت / ١٤٠٢ / ١٩٨١. لابي الفداء اسماعيل ابن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ).

٦ ـ مقدمة ابن خلدون / مطبعة التقدم / القاهرة / ١٣٢٩ للعلامة عبد الرحمن بن خلدون (ت ٨٠٨ هـ).

٧ ـ معجم البلدان / مجلد ١ / دار الفكر ـ دار صادر / بيروت (د . ت) لياقوت بن عبد الله الحموي (ت ٦٢٦ هـ).





"السكان العرب في اقليم كرمان خلال القرن الاول الهجري"

د٠ فائق نجم مصلح
كلية التربية / جامعة بغداد

المقدمـــــة

تناولت في هذا البحث ٠ ذكر بعض المعلومات المقتضبة عن اقليم كرمان من ناحية موقعه وحدوده واحواله المناخية ٠

كما بينت كيفية دخول العرب هذا الاقليم وتحرير اهله من الطغة الفاسدة المتعسفة التي كانت تحكم فيه، وكان هدف العرب في الدرجة الاولى نشر الدين الاسلامي فيه ٠

وقد بينت كيف فضلت بعض الجماعات العربية السكن في هذا الاقليم لا سيما في القرن الاول الهجري ٠

اقليم كرمان :

كرمان : ولاية مشهورة معمورة ذات بلاد وقرى ومدن واسعة بين فارس ومكران وسجستان وخراسان[(١)] ٠

حدودها :

واما حدود هذا الاقليم : فمن الشرق يحده مكران ومفازتها، ومن الغرب ارض فارس، ومن الشمال المفازة (الصحراء)، ومن الجنوب البحر (الخليج العربي)[(٢)] ٠ وجاء في بعض الروايات : ان حدودها من الشمال مفازة خراسان وسجستان[(٣)] ٠

مناخها :

مناخ كرمان قاري اي حار صيفاً بارد شتاءً، وقد تحدث الاصطخري عن مناخ كرمان قائلاً : وكرمان لها صرود (برودة) وجروم(حراره) ، وصرودها تقصر عن صرود فارس في البلاد، وليس في جرومها شيء من الصرود، وفي صرودها ربما عرض بعض الجروم[(٤)] ٠

اهمية هذا الاقليم، واشتقاق اسمه :

لهذا الاقليم اهمية كبيرة من الناحية الاقتصادية وهو حسب قول المقدسي : يشاكل فارس في اوصاف، ويشابه البصره في اسباب ويقارب خراسان في انواع لانه قد تاخم البحر واجتمع فيه البرد والحر والجور والنخل[(٥)] ٠

واسم كرمان مشتق ـ كما ذكر ابن كلبي ـ من كرمان بن فلوج بين لنطي بن يافث بن نوح (ع) [(٦)] ،وكرمان واسعة وهي مائة وثمانون فرسخاً في مثلها [(٧)] ٠

اقسام هذا الاقليم :

يتالف هذا الاقليم من خمس كور كبيرة اضافة الى النواحي، ولو استعرضنا هذه الكور ابتداءً من اقليم فارس فأول كورة تلاقينا هي:

برد سسير، ثم نرماسير، السيرجان، بم، جيرفت[(٨)] ٠ وتختلف هذه الكور فيما بينها من حيث المساحة وتشمل على مختلف المدن والنواحي :

فأما كورة بردسير التي تقع بجوار المفازة، فقصبتها مدينة بردسير ايضاً، ومن مدنها الاخرى : ماهان، كوغون، زرند، خبزوز،

---

(١) ياقوت : معجم البلدان مجلد ٤ ص ٤٥٤ فما بعد

(٢) الاصطخري ص ٩٧ ، المقدس ص ٤٧١ ، ص ٤٧٢

(٣) ابن حوقل ص ٢٦٦ ، الروض المعطار ص ٤٩١ ، معجم البلدان جـ ٤ ص ٤٥٤

(٤) الاصطخري ص ٩٧

(٥) المقدس : احسن التقاسيم ص ٤٥٩

(٦) ابن الفقيه بن ابي بكر احمد بن محمد الهمذاني / كتاب البلدان ط ٢ ليد ن / ١٣٠٢ هـ ص ٢٠٥ فما بعد معجم البلدان جـ ٤ ص ٤٥٤ فما بعد

(٧) ابن الفقيه ص ٢٠٥ ، معجم البلدان جـ ٤ ص ٤٥٤ فما بعد

(٨) المقدس ص ٤٥٩

كُوه بيان، قواف، أناس، زوار، خوناوب، غبيرا، كارشتان، وناحية خبيص مدنها : بنشك، كشير، كوك[٩] .

وأما نرماسير : فهي تجاور المغازة ايضاً من جهة سجستان وقصبتها على نفس الاسم ومن مدنها : باهر، كرك، ريكان، نسا[١٠].

واما السيرجان[١١] : فانها تتوسط الكور تقترب من فارس، قصبتها على نفس الاسم، ومن مدنها : بيمند، الشامات، بزورك، خور، دشت بورن[١٢] .

ويذكر ان السيرجان أو الشيرجان هي قاعدة كرمان وهي التي ينزلها الوالي، وبني سورها ايام الرشيد، ولها ثمانية ابواب، احداها باب الميدان ويخرج منه الى درب وسكك حتى ينتهي الى مصلى حاجب الى دار المرضى ثم الى الدروب المعروفة بباب بيمند، وهو باب المغرب، وخارج هذا الدرب، قصر خراب يعرف بقصر حاجب بن صالح، وقيل عن سبب بنيانه له : أنه حين قدم كرمان والياً عليها، قصد دار عبد الله بن غسان فنزلها وكان عبد الله بن غسان غائباً، فصار اليه الادهم بن ثعلبة المازني مع اثني عشر ابناً له كهولاً ومشايخ، فلما سلم عليه فاتحه بأن قال :أيها الامير أما تستحي ان تنزل بنسوة أشراف وصاحبهن غائب ؟ فأجابه حاجب وقال مغضباً : بأي شيء يأمرنا الشيخ ان ننزل ؟

قال : بالعراء، قال حاجب لجلسائه : ليس العجب من هذا الشيخ الخرف ولكن العجب من هؤلاء المشايخ الذين يمشون معه، قالوا : ايها الامير إنهم ولده، فردّه وقال : ايها الشيخ حق لك ان تزهي، نعم وكرامة، انزل بالعراء، فأمر بضرب خبائه في مصلى، وما زال نازلاً بالجبانة الى ان بنى له هذا القصر وفرغ منه ثم تحول فيه . وكان ولاة كرمان من العرب ينزلون الشيرجان[١٣] .

واما بَـمُ :

فهي تتاخم فارس ايضاً ومن مدنها : داذين، ادارك، مهركرد، راين[١٤] . وقد ذكر ياقوت مدينة بم، واشار عن سكنى العرب بها وتغنى بعض الشعراء بها حيث قال :بَمُّ: مدينة جليلة من اعيان مدن كرمان ولأهلها حذق، وثيابها مشهورة من جميع البلدان ولها بساتين واسواق، قال الطرماح عنها :

الا ايها الليل الذي طال أصبح ... ببم وما الاصباح بـ ـاروَح
بلى إن للعينين في الصبح راحة ... لطرحهما طرْفيهما،وما الاصباح بأروَح(٦)

واضاف ابن حوقل : بمدينة بمّ ثلاثة مساجد يجتمعون فيها الجمعات فمنها مسجد للخوارج في السوق، فيه بيت مالهم للصدقات[١٥] .

واما جيرفت : فإنها انره كور الاقليم تتاخم بحر الصين وهي غزيرة الانهار، حسنة الثمار ومن مدنها : جكازين، منوقان، درهفان، خوى سليمان، كوه بارجان ، قوهستان، مغون، جواون، ولاشجرد، رودكان، درفاني[١٦] .

أماالاصطخري : فقسم كرمان على هيئة مدن رئيسية منها : السيرجان، وجُيرفت، وبَمّ، هُرمُور، روبين، كشيستان، وجيروقان، ومرزقان، والسورقان، ولايشكرو، مغون[١٧] .

جبالـهـا :

ويحسن بنا ان نذكر جبال كرمان لأن كثيراً من المؤرخين والجغرافيين بينوا ان العرب سكنوا هذه الاماكن منذ امدٍ بعيد، ومن جبال كرمان الشهيرة :

---

(٩) المقدس ص ٤٥٩ ، معجم البلدان جـ ٤ ص ٤٥٤ فما بعد

(١٠) المقدس ص ٤٥٩

(١١) السيرجان يطلق عليها ايضاً الشيرجان : انظر الروض المعطار ص ٣٥٢ تحقيق احسان عباس

(١٢) المقدس ص ٤٥٩

(١٣) الريض المعطار ص ٣٥٢ فما بعد تحقيق احسان عباس

(١٤) معجم البلدان جـ ١ ص ٤٩٥

(١٥) المقدس ص ٤٦١

(١٦) المقدس ص ٤٦١

(١٧) الاصطخري ص ٩٧ ، ابن حوقل ص ٢٦٦

القُفص، وجبال البارز، وجبال معدن الفضة . وغربي جبال القفص، البلوص، ويقال انه سبعة اجبل، وبها نخيل كثير، وخصب من زرع وضرع وهي جبال منيعة ولكل جبل رئيس [١٨] .

وجاء في الرواية ان جبال القفص شمالي البحر، الغالب عليهم (الى اهالي القفص) النحافة والسمرة ويزعمون انهم عرب [١٩] .

والظاهر ان اسم جبال القفص واهاليها من العرب اصبح مدار احاديث الشعراء من ذلك قول ابي نواس

قلتُ بالقُفْص ليحيى ... ونداماي نيامُ
يا رَضيعي ثديَ أمّ ... ليس لي عنه فطامُ
إنما العَيشُ سماعٌ ... ومدامٌ ونِدامُ [٢٠]

وتحدث ابن حوقل عن الحياة الاجتماعية لاهالي جبال القفص، و البلوص حيث قال :

وهم نحو عشرة الآف رجل مستظهرين مُمتنعين، وكان للسلطان عليهم جراية يستكفهم بها، وهم من ذلك يقطعون الطريق ويخيفون السبيل في عامة كرمان، وهم رجّالة لا دواب لهم . والبلوص طائفة في سفح جبل القفص ولم يخف القفص احداً إلا من البلوص وهم اصحاب نعم وبيوت شعر . كالبادية وهم قوم ذوو سلامة ولا يتأذى بهم احد ولا يعترضون لابناء السبيل إلا بخير [٢١] .

دخول العرب الى كرمان :

ذكرنا سابقاً ان جبال كرمان كانت موطناً لطائفة من العرب وهذا ما أكدته الروايات، فقد قال الليث : القفُس جبل بكرمان يقال لهم القفُس والبلُوص [٢٢]، اما عن اصل هؤلاء، فقد قال الرُهني :

القفس جبل من جبال كرمان مما يلي البحر وسكانه من اليمانية ثم من الازد بن الغوث ثم من ولد سليمة بن مالك بن فهم، وولده لم يكونوا في جزيرة العرب على دين العرب للاعتراف بالمعاد والاقرار بالبعث ولا كانوا مع ذلك على دينهم في عبادة طواغيتهم التي كانوا يعبدونها من الاوثان والاصنام ثم انتقلوا الى عبادة النيران فلم يعبدونها ايضاً عندهم وفي قدرتهم، ثم فُتحت كرمان على عهد عثمان بن عفان (رض) فلم يظهر لأحد منهم من ذلك الزمان الى هذا الزمان ما يوجب انهم اسم نحلةٍ وعقد ولا اسم ذمة أو عهد، ولم يكن في جبالهم التي هي مأواهم بيت نار ولا قُهرٌ يهود ولا بيعة نصارى ولا مصلى مسلم إلا ما بناه في جبالهم الغزاة لهم.

قال الرهني : وولد مالك بن فهم ثمانية : فراهيد والحمام والهُناءة ونوى والحارث ومعن وسليمة وجذيمة الابرش بنو مالك بن فهم بن غنم بن دوس بن عُدثان ... بن الازد . قال : والمتمرد من ولد عمرو بن عامر بوادي سبا هو جد القفس، وذلك ان سليمة بن مالك هو قاتل ابيه مالك بني فهم وهو الفار من اخوته بولده، واهله من ساحل العرب الى ساحل العجم مما يلي مكران والقاطن بعدُ في تلك الجبال، قال الرهني : وليعلم الناس انهم مع هذه الاحوال يعظمون من بين جميع الناس عليٍّ بن ابي طالب (رض) لا لعقد ديانه ولكن لأمر غلب على فطرتهم من تعظيم قدره واستبشارهم عند وصفه [٢٣]

واضافة الى هذه الرواية التي تبين سكنى العرب في كرمان، نورد رواية اخرى تؤكد ان العرب سكنوا كرمان منذ القدم فقد ذكر: ان الملك الفارسي سابور حارب العرب واكثر فيهم الدماء واجلاهم عن ديارهم واسكن طوائف من بعض قبائل تغلب وعبد القيس وبكر بن وائل كرمان [٢٤] . والذي شجع العرب على دخول كرمان بعد ظهور الاسلام ما يذكر انه في خلافة عمر بن الخطاب (رض)، وليّ

(١٨) الاصطخري ص ٩٧ ، ٩٨ ، المقدس ص ٤٧١ ، ابن حوقل ص ٢٦٦

(١٩) المقدس ص ٤٧٠ ، ص ٤٧١

(٢٠) ابن قتيبة : عيون الاخبار مجلد ١ جـ ١ ص ٢٥٩ طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب

(٢١) ابن حوقل ص ٢٦٩

(٢٢) معجم البلدان جـ ٤ ، ص ٣٨٠

(٢٣) معجم البلدان جـ ٤ ، ص ٣٨٠ ـ ٣٨٢

(٢٤) الطبري جـ ٢ ، ص ٦١

عثمان بن ابي العاص البحرين، فعبر البحر الى ارض فارس ففتحها، ولقي مرزبان كرمان في جزيرة بَركاوان فقتله، فوهي امر اهل كرمان ونخبت قلوبهم [٢٥]. وفي سنة ١٧ هـ اوكل الخليفة عمر بن الخطاب (رض) الى القائد العربي سهيل بن عدي واعطاه لواء كرمان، ثم امده ايضاً بالقائد العربي عبد الله بن عبد الله بن عتبان[٢٦]. والظاهر ان المسيرة العربية الى كرمان قد تأخرت بضع سنين، فقد جاء رواية سيف ان عبد الله بن عبد الله لحق بسهيل بن عدي بكرمان سنة ٢١هـ[٢٧]. وفي رواية أخرى ذكرها ابن جرير ان الحملة الى كرمان كانت في سنة ٢٣ هـ[٢٨].

وعادة يقوم القائد بانتخاب قادة آخرين يعتمد عليهم في مسيرة الجيش فمثلاً جاء في رواية سيف : ان سُهيل بن عدي حينما قصد كرمان جعل على مقدمة جيشه، النُسير بن عمرو العجليّ، وقد حشد له اهل كرمان، فاقتلوا في ادنى ارضهم، فقضّهم الله، فأخذوا عليهم بالطريق، وقتل النسير مرزبانها، فدخل سهيل من قبل طريق القرى اليوم الى جيرفت[٢٩].

وجيرفت مدينة كبيرة جليلة من اعيان مدن كرمان وانزهها واوسعها، حررها القائد العربي سهيل بن عدي وانشد في حربه مع اهلها قصيدة قال فيها :

ولم تسر عيني مثل يوم رأيته بجيرفت من كرمان ، ادهى وأمقرا
أردّ على الجُلّيّ ، وإن دار دهرهم وأكرمُ منهم في اللقاء وأصبرا[٣٠]

وفضل العرب السكنى الدائمية في جيرفت والاقامة المتواصلة، قال الرّهني :

وبجيرفت ناس من الازد ثم من المهالبة منهم محمد بن هارون النسّابة، وكان اعلمَ من رأيت بنسب نزار واليمن له ابنان عبد الله وعبد العزيز، فنظر عبد العزيز في الطب [٣١].

وشارك سهيل بن عدي في دخول كرمان القائد العربي عبد الله بن عبد الله (بن عتبان) حيث دخل الى (كرمان) من مغازة شير، فاصبوا ماشاءوا من بعير أو شاء [٣٢].

ومن خلال ملاحظة مختلف الروايات التي ذكرت تحرير العرب لكرمان، يتبين لنا عدداً من القادة العرب قد سهموا في تحرير هذا الاقليم، ففي رواية المدائني قال : فتح كرمان عبد الله بن بُديل بن ورقاء الخزاعي في خلافة عمر بن الخطاب، ثم اتى الطبسين من كرمان، ثم قدم على عمر، فقال يا أمير المؤمنين، اني افتتحت الطبسين فأقطعنيهما فأراد أن يفعل، فقيل لعمر إنهما رشاقان عظيمان، فلم يقطعه إياها، وهما بابا خراسان [٣٣].

وبعد ان اصبحت كرمان في حوزة العرب في عهد عمر بن الخطاب (رض) تناوب ادارة هذا الاقليم عدة ولاة عرب فقبل ٢٩ هـ كان عليها عديّ بن سُهيل بن عديّ [٣٤].

وفي سنة ٢٩ هـ عين الخليفة عثمان بن عفان، عبد الرحمن بن غُبيس على كرمان [٣٥]، ولم يستمر هذا على كرمان اذ عزله الخليفة واعاد عديّ بن سُهيل بن عدي [٣٦].

وفي رواية انفرد فيها اليعقوبي تقول : افتتح كرمان عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس، وصالح ملكها على

(٢٥) البلاذري : فتوح البلدان ص ٣٨٣ ، ٣٨٤ تحقيق رضوان محمد رضوان ، قدامه : الخراج ص ٣٩٠ ، ٣٩١ تحقيق الزبيدي ، معجم البلدان مجلد ٤ ص ٤٥٥

(٢٦) الطبري جـ ٤ ص ٩٤ ، ابن خلدون مجلد ٢ ، قسم ٥ ص ٩٩٠ فما بعد

(٢٧) الطبري جـ ٤ ص ١٤١ حوادث سنة ٢١ هـ

(٢٨) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ٧ ص ١٤١ حوادث ٢٣ هـ منشورات مكتبة المعارف بيروت

(٢٩) الطبري جـ ٤ ص ١٨٠ ، ابن الاثير : الكامل مجلد ٢ ص ٤٤٢

(٣٠) معجم البلدان مجلد ٢ ، ص ١٩٨

(٣١) معجم البلدان مجلد ٢ ، ص ١٩٨

(٣٢) الطبري جـ ٤ ، ص ١٨٠ ، ابن الاثير مجلد ٢ ص ٤٤٢، تحقيق عبدالله القاضي ، دار الكتب العلمية ، بيروت

(٣٣) الطبري جـ ٤ ص ١٨٠

(٣٤) الطبري جـ ٤ ، ص ٢٦٥

(٣٥) الطبري جـ ٤ ص ٢٦٤ ، ص ٢٦٥ ، ابن الاثير مجلد ٢ ص ٤٩١ حوادث / ٢٩ هـ

(٣٦) الطبري جـ ٤ ص ٢٦٥ ، ابن الاثير مجلد ٢ ص ٤٩١

الفي الف درهم والفي وصيف وذلك في خلافة عثمان [٣٧] .

وفي خلافة عثمان بن عفان حدث بعض التمرد من اهالي كرمان على الحكومة، كما ان الملك الفارسي يزدجرد، لا يزال يتحين الفرص في سبيل توجيه حملة معادية ضد العرب في فارس وكرمان، لذلك اوعز الخليفة عثمان بن عفان في سنة ٣٠ هـ الى واليه على البصرة وفارس عبد الله بن عامر بتوجيه مجاشع بن مسعود السملى على رئاسة جيش الى كرمان للقضاء على جيوب المقاومة هناك، وملاحقة الملك الفارسي يزدجرد الذي هرب من فارس الى كرمان، وفعلاً توجه مجاشع الى كرمان [٣٨] .

ويذكر ان عبدالله بن عامر وليّ مجاشعاً كرمان ففتح ميمند* واستبقى اهلها واعطاهم أماناً بذلك، ثم فتح مجاشع بروفروه [٣٩] . ثم توجه مجاشع بعد ذلك الى مدينة السيرجان وعسكر هو وجنده فيها سنة ٣٠ هـ وبقي مجاشع فترة من الزمن في كرمان، حتى ان قصره الذي نزل فيه في بيمند بقي على اسمه (قصر مجاشع) وهو عى بعد خمسة فراسخ او ستة من السيرجان [٤٠] .

وتذكر الرواية ان مجاشع السلمى اتى السيرجان مدينة كرمان فتحصن اهلها منه ففتحها عنوة، وكان ابو موسى الاشعري قد وجّه الربيع بن زياد الحارثي ففتح ما حاول السيرجان، وصالح أهل بَمّ والأندغار ثم نكث اهلها فافتتحها مجاشع بن مسعود وفتح جيرفت عنوةً ، وسار في كرمان فدوّخها وآتى القفص فواقعهم وظفر عليهم فهربت جماعة من أهل كرمان فركبوا البحر ولحق بعضهم بسجستان ومكران فاقطعت العرب منازلهم وارضيهم فعمروها وأدّوا العشر فيها واحتفروا القنيّ في مواضعها [٤١] .

واستمر العرب المسلمين يتقاطرون على اقليم كرمان، ففي خلافة عثمان :

استعمل عبد الله بن عامر، قطن بن عوف الهلالي على كرمان، فاقبل جيش من المسلمين - اربعة الاف - وجرى الوادي فقطعهم عن طريقهم، وخشى قطن الفوت فقال :

من جار الوادي فله الف درهم، فحملوا انفسهم على العوم، فكان اذا جاز الرجل منهم قال قطن : اعطوه جائزته، حتى جازوا جميعاً، واعطاهم اربعة الاف الف درهم، فأبى ابن عامر ان يحسبها له، فكتب بذلك الى عثمان بن عفان، فكتب عثمان : ان احسبها له، فانه انما اعان المسلمين في سبيل الله فمن ذلك سميت الجوائز لأجازة الوادي، فقال الكناني في ذلك :

فدى للاكرمين بني هلال ... على علاّتهمْ اهلي ومالي

هموا سنّوا الجوائز في معدّ ... فعادت سنّة اخرى الليالي

رماحهمُ تزيد على ثمانٍ ... وعشرٍ قبل تركيب النصال [٤٢]

واستمر الحكام العرب يستلمون منصب الولاية في اقليم كرمان، ففي سنة ٣٩ هـ وفي خلافة علي (رض) كانت كرمان تابعة للبصرة، فوجه ابن عباس (والي البصرة) زياد (بن ابيه) الى فارس وكرمان، ووجههُ في أربعة الاف فارس [٤٣] .

وفي سنة ٥٩ هـ كان والي على كرمان شريك بن الاعور الحارثي اوكل له هذه المهمة عبيد الله بن زياد [٤٤] .

وفي سنة ٦٥ هـ كان الخوارج [٤٥] يجمعون خراج كرمان اليهم وكانوا في احسن سلاح وعدة [٤٦] .

وفي سنة ٦٥ هـ ايضاً كانت كرمان مسرحاً لمعارك شديدة دارت

---

(٣٧) اليعقوبي : كتاب البلدان ، ص ٢٨٦ ، طبعة ليدن

(٣٨) الطبري جـ ٤ ص ٢٨٦ حوادث / ٣٠ هـ

* ميمند اختلف المؤرخون في ذكر ميمند فقد ذكرها ابن الاثير وابن خلدون : هميد (ابن خلدون مجلد ٢ ص ١١٠١١ ، ابن الاثير مجلد ٣ ص ٢٢)

(٣٩) معجم البلدان جـ ٤ ص ٢٨٦ ، ص ٢٨٦ ، قدامة : الخراج ص ٣٩٠ ، ص ٣٩١ ، تحقيق د . الزبيدي

(٤٠) الطبري جـ ٤ ص ٢٨٦ ، ص ٢٨٧ حوادث / ٣٠ هـ

(٤١) معجم البلد جـ ٤ ص ٤٥٥ ، ابن الاثير مجلد ٣ ص ٢٢ حوادث / ٣١ هـ ، قدامة : الخراج ص ٢٩٠ ، ص ٣٩١ ، فما بعد

(٤٢) البلاذري : فتوح البلدان ص ٣٨٣ ، ص ٣٨٤ ، ابن كثير جـ ٧ ص ٢١٦ ، ص ٢١٧ ، الروض المعطار ص ٤٩١ ، ياقوت : معجم البلدان جـ ٢ ص ١٩٨

(٤٣) الطبري جـ٥ ص ١٣٧ حوادث سنة ٣٩ هـ ، ابن كثير : البداية والنهاية جـ ٧ ص ٣٢٢ حوادث سنة ٣٩ هـ

(٤٤) البلاذري : فتوح البلدان ص ٣٨٣ ، ص ٣٨٤ ، ابن كثير جـ ٧ ص ٩٧ ، حوادث سنة ٥٩ هـ

(٤٥) الخوارج في كرمان : عرب اقواج من قبائل عربية شتى كما تؤكد ذلك معظم كتب التاريخ

(٤٦) الطبري جـ ٥ ص ٦١٩ حوادث سنة ٦٥ هـ

بين المهلب بن ابي صفرة من جهة، وبين الخوارج من جهة اخرى، وكان الخوارج برئاسة عبدالله بن الماحوز، وقد تمكن المهلب من قتل رئيس الخوارج عبدالله بن الماحور، وانهزم الخوارج مذلولين مغلوبين، فارتفعوا الى كرمان، ولما فرغ المهلب اقام مكانة حتى قدم مصعب بن الزبير على البصرة اميراً فهنأ مصعب، المهلب على هذا النصر(٤٧).

وفي سنة ٦٨ هـ حسب قول ابي مخنف، وهب قطريّ بن الفجاءة الى ناحية كرمان فاقام بها حتى اجتمعت اليه جموع كثيرة، واكل الارض واجتبى المال وقوى(٤٨).

وفي سنة ٦٩ هـ اقام في كرمان عطية بن الاسود الحنفي وكان هذا أحد المتمردين في امارة مصعب بن الزبير، وقد سيطر على عمان في سنة ٦٩ هـ ولكنه لم يثبت عليها طويلاً، فركب في البحر واتى كرمان وخرب بها دراهم سماها العطوية واقام بكرمان، وقد حاربه المهلب بن ابي صفرة(٤٩). وقد أورد ابن اعثم الكوفي(٥٠) ذكر شخصية عطية بن الاسود، وذكر انه حينما رحل الى كرمان اندمج مع الخوارج ولكنه أنفصل عنهم فيما بعد فقتله عبد ربه الكبير(٥١).

وفي سنة ٧٢ هـ في خلافة عبد الملك بن مروان كان المهلب يحارب الازارقة (من الخوارج) وجعله عبد الملك على الخوارج (الاهواز) وسيّر اخاه عبد العزيز بن عبدالله الى قتال الخوارج وسيّر معه مقاتل بن مسمع فخرجا يطلبان الازارقة، فاتت الخوارج من ناحية كرمان الى دار ابجرد (اي ان مركز الخوارج كان في كرمان) وارسل قطري بن الفجاءة المازني (زعيم الخوارج في كرمان) مع صالح بن مخارق تسعمائة فارس فاقبل يسير بهم حتى استقبل عبد العزيز فانهزم عبد العزيز(٥٢).

وفي سنة ٧٤ هـ كان الوالي العربي على كرمان أمية بن خالد بن اسد(٥٣).

وفي ولاية الحجاج بن يوسف الثقفي على العراق، كان على كرمان الوالي الحكم بن نهيك الهجيمي(٥٤).

وفي سنة ٧٧ هـ كان الخوارج يتمتعون لوحدهم بخراج كرمان، وتوجه المهلب بن ابي صفرة لقتالهم وقاتلهم قتالاً شديداً في جيرفت المركز الرئيسي لاقليم كرمان واستمر المهلب في قتالهم مدة ثمانية عشر شهراً، لم يقصر في هذه الفترة في قتالهم، وابدى شجاعة فائقة وصبراً كثيراً على القتال، واستمر على هذه الحدة في القتال، الى ان وقع الخلاف بين الخوارج، والسبب الرئيسي للخلاف، هو مقتل احد الخوارج، قتله عامل قطري بن الفجاءة على كرمان وهو المقعطر الضبي، فتفرق الخوارج الى فرقتين جماعة تؤيد قطري بن الفجاءة، وجماعة تؤيد عبد ربه الكبير، واشتد القتال بين الخوارج انفسهم فاضطر قطري بن الفجاءة الى الرحيل الى طبرستان، وبقي عبد ربه الكبير في كرمان، فانصرف المهلب الى محاربة عبد ربه وجماعته حرباً شديدة، مدة شهر(٥٥).

اما وصف المعارك التي دارت بين المهلب بن ابي صفرة من جهة والخوارج من جهة اخرى، فيورد تفاصيلها ابن اعثم الكوفي في كتابه(٥٦)، قال : وجمع عبد ربه الكبير من بقي معه من اصحابه ثم قام فيهم خطيباً ثم قال : قد علمتم ان المهلب قد نزل بمدينة جيرفت واحتوى على غنائم إخوانكم وبني اعمامكم، وانا سائر اليه فسيروا

(٤٧) ابن الاثير : جـ ٤ ص ١٩ ، حوادث سنة ٦٥ هـ
(٤٨) الطبري جـ ٢ ص ١٢٧ ، حوادث سنة ٦٨ هـ
(٤٩) ابن الاثير مجلد ٤ ص ٢١ ، حوادث سنة ٦٩ هـ
(٥٠)
(٥١) ابن اعثم الكوفي : كتاب الفتوح جـ ٧ ، ص ٦٠. ٦٣ طبعة حيدر اباد لبركن
(٥٢) ابن الاثير جـ ٤ ص ١١٧ حوادث سنة ٧٢ هـ
(٥٣) ابن الاثير جـ ٤ ، ص ١٣٣ ، فما بعد حوادث سنة ٧٤ هـ
(٥٤) البلاذري ص ٣٨٣ ، ص ٣٨٤
(٥٥) ابن الاثير ، جـ ٤ ص ١٨١ ، ص ١٨٢ حوادث سنة ٧٧ هـ ، الطبري جـ ٦ ، ص ٣٠١ ـ ٣٠٩ ، حوادث سنة ٧٧ هـ
(٥٦) كتاب الفتوح جـ٧ ص ٦٠ ـ ٦٣

على بركة الله، قال : ثم سار وسارت الازارقة معه نحو مدينة جيرفت، وبلغ ذلك المهلب فنادى في اصحابه وأمرهم بالرحيل، ثم خرج من جيرفت كالمنهزم عنها، واقبل عبد ربه في الازارقة وقد بلغه خروج المهلب من جيرفت فظن انه قد انهزم بين يديه، فأقبل حتى دخل المدينة فنزلها في اصحابه . وعلم المهلب بذلك فرجع حتى نزل بجيرفت، واشتد الحصار على الازارقة في مدينة جيرفت حتى اكلوا جميع ما قدروا عليه، ثم أنهم خرجوا الى حرب المهلب في تعبية وجيش لجب، قال : وعبى المهلب اصحابه كراديس وجعل في كردوس رجلاً من اولاده، واشتد القتال على باب جيرفت يومهم ذلك فلم يزالوا كذلك حتى قتل من الازارقة بشرٌ كثير، قال : وولّت الازارقة منهزمين حت دخلوا مدينة جيرفت، فأقاموا يومهم، قال: فلما أصبح المهلب عبى أصحابه للحرب ودنا من باب جيرفت وبلغ ذلك عبد ربه رئيس الازارقة فقال هبوا انفسكم، فخرجت الازارقة مستميتين، ودنا القوم بعضهم من بعض، ثم اقبل رجل من الازارقة، ثم حمل على اصحاب المهلب فكباب فرسه فسقط الى الارض فأُخذ اسيراً وأُتي به الى المهلب، فقال المهلب : اضربوا عنقه فقال : ايها الامير انا ابن عم لك، انا رجل من الازد من بارق ، قال : فخلى عنه ولم يقتله، واختلط القوم فاقتتلوا قتالاً شديداً، وكثرت القتلى من الازارقة، وقتل عبد ربه وقتل معه قريب من اربعة الاف رجل، وبقي الباقون بلا نظام فولوا هاربين فمنهم من دخل مدينة جيرفت، ومنهم من استأمن الى المهلب فأمنه، ومنهم من هرب على وجهه في البلاد، ودخل المهلب مدينة جيرفت، ثم جمع المهلب غنائم الازارقة فجعل يقسمها بين اصحابه، قال : ثم دفع المهلب كل جريح من الازارقة الى عشيرته، فقال داووه فاخلطوه بانفسكم، واقام المهلب بجيرفت .

واعلم المهلب الحجاج بن يوسف بهذا النصر على الازارقة في كرمان ففرح لذلك الحجاج وارسل الحجاج بدوره رسالة الى المهلب يطلب منه المجيء الى العراق لإكرامة وان يجعل على كرمان شخصاً يثق به، فجعل عليها ابنه يزيد [٥٧] .

وفي سنة ٨٠ هـ وجه الحجاج بن يوسف الثقفي، هميان بن عدي السدوسي الى كرمان على رأس مسلحة وعصى هميان ومن معه الحجاج [٥٨] .

وفي سنة ٨١ هـ اصبحت كرمان تحت امرة عبد الرحمن بن الاشعث، ويذكر انه لما رجع بن الاشعث وجنده الى العراق لمحاربة الحجاج بن يوسف الثقفي ترك في المناطق التي كان فيها ولاة عينهم، فقد جعل على كرمان حديثة بن عمرو التميمي [٥٩] .

وفي سنة ٨١ هـ قال ابو مخنف في حديث عن فضيل بن خديج ان مكتبه كان بكرمان، وكان بها اربعة الاف فارس من اهل الكوفة والبصرة [٦٠] .

وفي سنة ثلاث وثمانين كانت كرمان ملجأً لجيوش من عرب العراق والشام فحينما هرب عبد الرحمن بن الاشعث من العراق ومعه فل قليل من الناس، فاتبعه الحجاج جيشاً كثيفاً مع عمارة بن غنم اللخمي ومعه محمد بن الحجاج، والامرة لعمارة، فساقوا وراءهم يطردونهم لعلهم يظفرون به قتلاً أو أسراً، فما زال يسوق ويخترق الاقاليم والكور والرساتيق، وهم في اثره حتى وصل الى كرمان، واتبعه الشاميون فنزلوا في قصر كان فيه اهل العراق قبلهم، فأذا فيه كتاب قد كتبه بعض اهل الكوفة من اصحاب ابن الاشعث الذين مروا معه في شعر ابي حلزة اليشكري يقول

أيا لهفاً ويا حزناً جميعاً ويا حر الفؤاد لما لقينا
تركنا الدين والدنيا جميعاً واسلمنا الحلائل والبنينا[٦١]

وفي سنة ٨٦ هـ كان على كرمان حبيب بن المهلب فعزله الحجاج عنها [٦٢] .

وفي ولاية عبد الله بن عمر بن عبد العزيز (صاحب العراق)، انتقض عليه جَديعُ بن علي الكرماني وهو ازدي، انما سمي الكرماني لانه ولد بكرمان [٦٣] .

(٥٧) ابن الاثير جـ ٤ ص ١٨١ ـ ١٨٢ ، حوادث سنة ٧٧ هـ
(٥٨) الطبري جـ ٦ ص ٣٢٩
(٥٩) ابن الاثير جـ ٤ ص ٤٩٩ حوادث سنة ٨١ هـ
(٦٠) الطبري جـ ٦ ص ٣٣٩ حوادث ٨١ هـ
(٦١) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ٩ ص ٤٨ ، حوادث سنة ٨٣ هـ
(٦٢) الطبري جـ ٦ ص ٤٢٦ ، حوادث سنة ٨٦ هـ ، تاريخ ابن خلدون مجلد ٣ قسم ١ جـ ٥ ص ٢٣٥
(٦٣) تاريخ ابن خلدون مجلداً قسم ١ جـ ٥ ص ٢٣٥

وفي سنة ١٠٢ هـ توجه آل المهلب الى كرمان برئاسة المفضّل بن المهلب بن ابي صفرة [٦٤] ، وصحبوا عوائلهم معهم ووصلوا الى جبال كرمان فنزلوا بها، واجتمع اليهم الفلُّ من كل جانب [٦٥] .

واستمر تواجد العرب باعدادٍ كبيرة في كرمان، ومن منهم الخوارج من العرب المتمردين على سلطة الدولة استمروا في كرمان ففي ١٢٩ هـ كان الخوارج في كرمان برئاسة شيبان بن عبد العزيز اليشكري [٦٦] .

وقد نبع في كرمان عدداً من الشخصيات العربية كان لهم اثر في نشر العلوم الدينية نذكر منهم مثلاً :

ابو هشام حسان بن ابراهيم الكرمانيّ العنبري ٠ يروى عن يونس بن يزيد الأيلي، وسعيد بن مسروق وروي عنه علي بن المدني واهل العراق [٦٧] .

وابو محمد حرب بن اسماعيل الحنظليّ الكرماني، يروى عن ابي يحيى احمد بن سليمان الباهليّ، وعبيدالله بن معاذ العنبري، واحمد بن حنبل [٦٨] .

وفي كرمان جماعة من آل ابي طالب، فقد ذكر ابن حزم : ولد يزيد بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن ابي طالب : خالد بن يزيد، ولده بكرمان [٦٩] .

ومن بني سعد بن الهُجَيْم بن عمرو بن تميم :

الحليم بن نهيك ولي كرمان للحجاج [٧٠] ٠ وداود بن راشد الطفاوي ابو مجر الكرماني ثم البصري، والطفاوي : نسبة الى طفاوة من قيس عيلان، روي عن صهر له يقال له مسلم بن مسلم، وعن ابي سلم البجلي، وروى عنه معتمر بن سليمان وجرير بن عبد الحميد وعبد الله بن يزيد المقري، وهو ثقة ذكر ان لهُ عند ابي داود والنسائي حديث واحد (٧١) ٠

الخـــاتمـــة :

تحدثت في هذا البحث عن اقليم كرمان من عدة جوانب ٠

وقد تبين لنا من خلال ذلك، ان العرب قد استوطنوا هذا الاقليم منذ زمن بعيد، وقد ازداد توافدهم عليه بعد ظهور الاسلام ٠

وكان غرض العرب الرئيسي من ذلك هو ديني يتركز على نشر الاسلام، والقضاء على المجوسية التي كانت منتشرة فيه قبل ظهورالاسلام ٠

وقد اجتذبت كرمان حين اصبحت تحت الحكم العربي عدد كبير من العرب، وهم في الغالب من اقارب الولاة العرب واعوانهم ٠

وثمة اسباب اقتصادية دفعت ببعض العرب الى قصد كرمان والاستيطان بها ٠

اما المتمردين على السلطة العربية المركزية واغلبهم من الخوارج العرب وغيرهم، فقد وجدوا في كرمان ملاذاً لهم من بطش الخلفاء والحكام العرب، وكان هذا الامر قد دفع بهم الى التوجه الى كرمان والاستقرار بها بصورة دائمية ٠

(٦٤) الطبري جـ ٦ ، ص ٦٠١ ، حوادث سنة ١٠٢ هـ

(٦٥) تاريخ ابن خلدون مجلد ٣ ، قسم ١ جـ ٥ ، ص ١٧١ ، ابن كثير جـ ٩ ص ٢٢١ ، حوادث ١٠٢ هـ

(٦٦) الطبري جـ ٧ ، ص ٣٥٢ ، حوادث سنة ١٢٩ هـ

(٦٧) السمعاني : الانساب، تقديم وتعليق عبد الله بن عمر البارودي جـ ٥ ص ٥٦ ، ٥٧ ، اللباب جـ ٣ ص ٣٧

(٦٨) السمعاني جـ ٥ ص ٥٨

(٦٩) ابن حزم : جمهرة انساب العرب تحقيق عبد السلام هارون ص ٦٨ ، ط ٣، سنة ١٣٩١ هـ ـ ١٩٧١ م

(٧٠) ابن حزم ص ٢١٠

(٧١) تهذيب التهذيب جـ ٣ ص ١٨٣ ، ١٨٤

المصـــــادر

١ ـ ابن الاثير : علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد المتوفى سنة ٦٣٠ هـ/ الكامل في التاريخ ، تحقيق ابي الفداء عبدالله القاضي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧م

٢ ـ ابن حجر العسقلاني/ تهذيب التهذيب ، مطبعة دائرة المعارف، الدكن

٣ ـ ابن حوقل ، ابي القاسم النصيبي/ صورة الارض ، منشورات مكتبة الحياة ، بيروت

٤ ـ ابن حزم ، علي بن احمد بن سعيد الاندلسي المتوفي سنة ٤٥٦هـ جمهرة انساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون ، دار المعارف، مصر ١٩٧١ م

٥ ـ ابن خلدون ، عبد الرحمن بن خلدون المغربي / تاريخ العلامة ابن خلدون المعروف بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ، دار الكتاب اللبناني، مكتب الدراسات

٦ ـ الاصطخري ، ابن اسحاق ابراهيم بن محمد (المعروف بالكرخي) المتوفى في النصف الاول من القرن الرابع الهجري/ المسالك والممالك ، تحقيق محمد جابر عبد العال ١٣٨١ هـ ـ ١٩٦١م

٧ ـ ابن الفقيه ، احمد بن محمد / كتاب البلدان ، مطبع في مدينة ليدن / طبع بريل ١٣٠٢ هـ

٨ ـ ابن قتيبة ، عبدالله بن مسلم المتوفى سنة ٢٧٦ هـ / عيون الاخبار، الناشر دار الكتاب العربي، بيروت ، لبنان .

٩ ـ ابن كثير، عماد الدين ابو الفداء اسماعيل بن محمد المتوفى سنة ٧٧٤ هـ / البداية والنهاية، الناشر مكتبة المعارف بيروت

١٠ ـ ابن اعثم الكوفي / كتاب الفتوح ، مطبعة حيدر اباد ، الدكن / الحميدي ، محمد عبد المنعم

١١ ـ الروض المعطار في خبر الاقطار تحقيق احسان عباس ط ٢ ١٩٨٤ مكتبة بيروت ، لبنان

١٢ ـ الطبري ، محمد بن جرير ، تاريخ الطبري ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار المعارف ، مصر

١٣ ـ السمعاني ، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي المتوفى سنة ٥٦٢ هـ / الانساب، تقديم عبدالله عُمر البارودي، دار الجنان بيروت لبنان ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م

١٤ ـ البلاذري ، الامام ابن الحسن / فتوح البلدان، مراجعة رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨ م

١٥ ـ قدامة ، ابن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي / الخراج ومناعة الكتاب ، شرح وتعليق د . محمد حسين الزبيدي ، دار الرشيد للنشر ١٩٨١ م

١٦ ـ ياقوت : شعاب الدين ابي عبدالله الحموي / معجم البلدان ، دار صار بيروت ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧ م

١٧ ـ المقدسي : محمد بن احمد المتوفى ٣٧٥ هـ / احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، طبع ليدن ، ابريل ١٩٠٦ م



الأنقسامات في البيت الأموي (١٢٥ ـ ١٣٢ هـ / ٧٤٢ ـ ٧٥٠ م) واثرها "في نهاية الخلافة الأموية في بلاد الشام"

د. عبد الامير عبد دكسن
كلية التربية / جامعة بغداد

على سبيل التقديم

لقد ارسى الخليفة الأموي الأول معاوية بن ابي سفيان (٤١ ـ ٦١١ هـ / ٦٦١ ـ ٦٨٠م) أُسس الحكم الأموي، وأعاد الخليفة عبد الملك بن مروان (٦٥ ـ ٨٦هـ / ٦٨٤ ـ ٧٠٥م) وحدة الدولة العربية، وثبّت أركانها. وقد جنى ابنه الخليفة الوليد (٨٦ ـ ٩٦ هـ / ٧٠٥ ـ ٧١٥ م) ثمار جهود والده تلك، فشهدت خلافته رخاءً واستقراراً متميزين، ووصلت حدود الدولة الى أطراف الصين في الشرق وسواحل المحيط الأطلسي في الغرب. وقام الخليفة عمر بن عبد العزيز - رغم قصر فترة خلافته (٩٩ ـ ١٠١ هـ / ٧١٧ ـ ٧١٩م) بجهود كبيرة من أجل اصلاح نظام الضرائب وانتهاج سياسة توفيقية في كافة المجالات، لكن سياسته تلك لم يُكتب لها الأستمرار، اذ توقفت بانتهاء خلافته.

أما الخليفة هشام بن عبد الملك (١٠٥ ـ ١٢٥ هـ / ٧٢٣ ـ ٧٤٣م) فكان آخر أقوى خليفة اموي ، دامت خلافته حوالي عشرين عاماً، تحققت خلالها انجازات عديدة في ميادين الحرب والسياسة والأقتصاد، اضافة الى كونه حازماً شديد الحرص على وحدة الدولة العربية وسلامة سكانها. فقد وصفه المسعودي بقوله : "السواس من بني اميّة ثلاثة: معاوية، عبد الملك وهشام، خُتمت به أبواب السياسة وحسن السيرة"[١]. وقال عنه ايضاً : ان الخليفة العباسي ابو جعفر المنصور كان قد اقتفى نهج هشام في تصريف الأمور، دائم البحث عن سيرته[٢]. ويذكر الطبري: "قال عقال، دخلت على هشام فدخلت على رجل محشو عقلاً"[٣]. وقد أولى هشامُ الدواوين اهتماماً كبيراً وبذل جهوداً كبيرة في سبيل ضبطها وتدقيقها. فيذكر الطبري كذلك ان عبد الله بن علي قال : "جمعت دواوين بني مروان فلم أرَ ديواناً أصحّ ولا أصلح للعامة والسلطان من ديوان هشام"[٤]. ولعل من خير ما وصف به قول فقيه مصر عبدالله بن عبد الحكم : "سمعت الاشياخ يقولون : سنة خمس وعشرين ومائة أذيل الشرف وذهبت المروءة وذلك عند موت هشام بن عبد الملك"[٥]. فلا غرابة اذاً ان كانت وفاته بالرصافة يوم الاربعاء، ربيع الآخر سنة (١٢٥ هـ / ٧٤٣م) ايذاناً بحدوث الأنقسام في البيت الأموي وحدوث مشاكل خطيرة ومعقدة كان لها أبعد الأثر في نهاية الخلافة الأموية في بلاد الشام.

ومع ذلك فان هشاماً رغم كل ما قيل عنه ووصف فيه من كفاءة ومقدرة وسيرة حسنة، نراه يسير سيرة من سبقوه من خلفاء بني اميّة فيما يخص ولاية العهد فيحاول ان يجعل الخلافة لابنه مسلمة من بعده[٦]، بدلاً من ولي العهد الشرعي الوليد بن يزيد بن عبد الملك[٧]. مما سبب توتراً شديداً في العلاقة بين الخليفة هشام بن عبد الملك وأتباعه ومؤيديه من جهة لا سيما أخواله محمد وابراهيم اولاد هشام بن اسماعيل، وبنو القعقاع بن خليد العبسي وغيرهم من خاصته وبين الوليد بن يزيد من جهة اخرى، مما دفع الأخير الى

(١) مروج الذهب ومعادن الجوهر، الطبعة الخامسة، مطبعة السعادة، مصر ١٩٦٤، ج ٣، ص ٢٢٣.

(٢) نفسه، ج ٣، ص ٢٢٣.

(٣) تاريخ الرسل والملوك، دار المعارف، مصر ١٩٦٤، ج ٧، ص ٢٠٢.

(٤) نفسه، ج ٧، ص ٢٠٣.

(٥) ابن عبد ربه، العقد الفريد، بيروت، ١٩٦٥، ج ٤، ص ٤٥١.

(٦) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٧، ج ٤، ص ٢٥٦.

(٧) اليعقوبي، تاريخ، دار صادر، بيروت، (لا . ت) ج ٢، ص ٣١٤.

الانتقال الى البادية والاستقرار فيها حيث كانت له هناك قصور منها: "قصر عمرة" و "قصر المشتى" وهما من اكبر مراكز الصحراء في الأردن[1]. فجمع هناك انصاره ومؤيديه، الذين كان بينهم اصدقاء سوء - كما تذكر المصادر - والذين كانوا هم المسؤولين عما الصقه به المؤرخون من تهم[2]. فعلى سبيل المثال كان من بين اصدقائه عبد الصمد بن عبد الأعلى الشيباني[3] الذي كان يُتهمُ بالزندقة، وقيل هو الذي أثّر عليه[4]. كما نُسبتْ اليه اشعار تسببت في زيادة حدة التنافر بني الوليد بن يزيد والخليفة هشام بن عبد الملك. ومما قاله بهذا الخصوص:

ألم ترَ للنجم إذ شيّعا ... يبادر في برجه المرجعا

فقلت واعجبني شأنه ... وقد لاحَ اذ لاح لي مطمعا

لعل الوليد دنا ملكه ... فامسى اليه قد استجمعا[5]

وقال أيضاً:

انّا نؤمل في ملكه ... كتأميل ذي الجدب أن يمرعا[6]

وعندما وصل هذا الشعر الى اسماع هشام لام الوليد على صحبته لعبد الصمد قائلاً: "قد اتخذت حدثاً ومحدثاً ونديماً والبفاً، وقد صحَّ عندي أنه على غير الأسلام فحقق ذلك ما يقال فيك، ولم أبرئك من سوء"[7]. وطلب من الوليد إرسال عبد الصمد هذا اليه، ففعل. فأرسله هشام هو واخيه عبد الرحمن الى يوسف ابن عمر الثقفي - واليه على العراق آنذاك - الذي حبسهما هناك. كما ضرب هشام عياض بن مسلم كاتب الوليد بن يزيد الذي كان يوافيه بالأخبار ثم حبس[8] ولم يكتفِ الخليفة هشام بكل هذا بل خطا خطوة أبعد عندما قطع عن الوليد ما كان يجري عليه من بيت المال[9]، فكان وَقعُ ذلك عظيماً عليه فقال:

رايتك تبني جاهداً في قطيعتي ... ولو كنت ذا عقل لهدّمت ما تبني

ستترك للباقين مجرى ضغينةٍ ... وويلٌ لهم ان مُتّ من شر ما تبني[10]

وبالرغم من جميع هذه الأجراءات التي اتخذها الخليفة هشام بن عبد الملك والتي زرعت العداوة والبغضاء بينه وبين الوليد بن يزيد واوصلت العلاقة بينهما الى حد القطيعة فانه لم ينجح في تحقيق هدفه بان يجعل الخلافة لأبنه من بعده ويدفعها عن الوليد، ذلك لأن ابنه مسلمة لم يكن مؤهلاً لهذا المنصب. فقد ذُكِرَ عنه أنه كان لاهياً بعيداً عن شؤون السياسة والملك[11]. وقد وصف الوليد بن يزيد سلوك مسلمة في هذا البيت من الشعر:

يا ايها السائل عن ديننا ... نحن على دين ابي شاكرِ[12]

وقد أراد بهذا الشعر الأساءة لا الى مسلمة فحسب بل الى ابيه الخليفة هشام ايضاً، الذي عندما بلغه ذلك أنّبَ ابنه - وكان يُكنى أبا شاكر - قائلاً: يعيرني الوليد بك وأنا أُرشحك للخلافة، فألزمه الأدب، واحضره الجماعة، وولاه قوافل الحج سنة ١١٩هـ/٧٣٧م[13]، فاظهر النسك واللين، ووزع الأموال في مكة والمدينة. وقد قصد هشام من وراء ذلك تقويم سلوك ابنه مسلمة من جهة وكسب رضا اهل مكة والمدينة للحصول على بيعتهم من جهة اخرى، لما لها من

(١) عبد المنعم ماجد، تاريخ الدولة العربية السياسي، مطبعة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٧ ص ٣٠٩.
(٢) مؤلف مجهول، العيون والحدائق، باعتناء دي خوية، مطبعة بريل، ليدن، ١٨٧١م، ج ٣، ص ١٢٦.
(٣) الطبري، ج ٧، ص ٢٠٩.
(٤) ابن الأثير، الكامل، ج ٤، ص ٢٥٦.
(٥) الطبري، ج ٧، ص ٢١١؛ مؤلف مجهول، غرر السير، مخطوطة مكتبة البودليان في اكسفورد برقم (٢ - ٥٤)، ورقة ١٠٨ ب.
(٦) العيون والحدائق، ج ٣، ص ١١٦.
(٧) نفسه، ج ٣، ص ١١٦.
(٨) الطبري، ج ٧، ص ٢١٤.
(٩) الطبري، ج ٧، ص ٢١٤.
(١٠) نفسه، ج ٧، ص ٢١٥.
(١١) العيون والحدائق، ج ٣، ص ١١٥.
(١٢) الطبري، ج ٧، ص ٢١٠، ابن الاثير، الكامل، ج ٤، ص ٢٥٦ - ٢٥٧.
(١٣) الطبري، ج ٧، ص ١٣٨؛ في حين يجعل صاحب العيون والحدائق، ج٣، ص ١١٥؛ ذلك سنة ١١٧هـ.

اهمية، خاصة وانهم يحملون فكرة غير جيدة عن الوليد بن يزيد الذي قاد الحج سنة ١١٦هـ/٧٣٤م[1].

هذا وكان الخليفة يزيد بن عبد الملك (١٠١ - ١٠٥هـ/٧١٩ - ٧٢٣م) قد أوصى ان تكون الخلافة لابنه الوليد بن هشام[2]. وان وصيته هذه كانت معروفة لدى الناس مما يشكل عائقاً قوياً امام محاولة هشام بنقل الخلافة الى ابنه مسلمة من بعده. فيروي لنا الطبري أن ابا الزبير رفض ما دعاه اليه هشام بهذا الخصوص قائلاً: "ان له في اعناق الناس بيعة"[3]. مما يؤكد اهمية البيعة وصعوبة تجاوزها. وعلى اية حال فقد بقي الوليد بن يزيد في البادية حتى وفاة الخليفة هشام بن عبد الملك سنة ١٢٥هـ/٧٤٢م[4].

هكذا اذاً كانت حال البيت الأموي عند وفاة الخليفة هشام من الأنقسام والخلاف، ولذلك فان اعتلاء الوليد بن يزيد الخلافة كان فاتحة لسلسلة من الأنقسامات والأنشقاقات بين افراد البيت الأموي الحاكم، انعكست آثارها الخطيرة على وضع مؤسسة الخلافة بشكل عام، وقادت بخطىً سريعة نحو نهاية الحكم الأموي. ولعل مما ساعد على ذلك بشكل كبير عدم مجيء خليفة قوي له من الكفاءة والمقدرة السياسية والحزم ما كان للخلفاء الأوائل امثال معاوية وعبد الملك، يستطيع رأب الصدع والأرتفاع فوق مستوى النزاعات الشخصية والتكتلات القبلية، فيعيد الأمور الى نصابها، فحتى آخر الخلفاء مروان بن محمد مع كل ما امتاز به من كفاءة وحزم في المجال العسكري فقد جاء متأخراً جداً اذ كانت الأمور قد اتخذت مساراً يتعذر عليه مواجهته رغم محاولاته الجادة في هذا المجال.

خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك

اعتلى الوليد بن يزيد بن عبد الملك الخلافة في دمشق سنة ١٢٥هـ/٧٤٢م بعدها عاد الى البادية[5]. التي اعتاد عليها، فقد امضى فيها ردحاً طويلاً من الزمن كما ان حبه وشغفه الكبير بالصيد[6] جعل من الصعب عليه مفارقتها. وقد جاءت البيعة للوليد من كل حدب وصوب، ووفدت عليه الوفود، وكتب اليه العمال، ومنهم مروان بن محمد الذي كتب اليه يقول "بارك الله لامير المؤمنين فيما أصاره اليه من ولاية عباده، ووراثة بلاده... فقام بما أراه الله أهلاً.. أخبر أمير المؤمنين أكرمه الله اني عندما انتهى اليّ من قيامه بولاية خلافة الله، نهضت الى منبري علىّ سيفان مستعداً بهما لأهل الغش... وقد بسطت يدي لبيعتك فجددتها ووكدتها بوثائق العهود وترداد المواثيق وتغليط الايمان، فكلهم حسنت اجابتهم وطاعتهم فأثبهم يا أمير المؤمنين بطاعتهم من مال الله الذي أتاك فانك اجودهم جوداً وأبسطهم يداً، وقد انتظروك راجين فضلك وزدهم زيادة يفضل بها من كان قبلك حتى يظهر بذلك فضلك عليهم وعلى رعيتك، ولولا ما أحاول من سد الثغر الذي انا به لخفت ان يحملني الشوق الى أمير المؤمنين.. وأقدم لمعاينة أمير المؤمنين، فانها عندي عادل نعمه وان عظمت، فان رأى أمير المؤمنين ان يأذن لي في المسير اليه لاشافهه بامور كرهتُ الكتابة بها فعل"[7].

تعكس رسالة مروان بن محمد هذه موقفه الأيجابي من خلافة الوليد بن يزيد. كما تضمنت تهنئته واستعداده للوقوف الى جانبه ضد اعدائه وحثّه على انتهاج سياسة اكثر اعتدال واتزان من خلال زيادة العطاء للتقرب الى الرعية. ولعل موقف مروان هذا كان نابعاً من حرصه الشديد على وحدة وتماسك البيت الأموي والابتعاد عن السلبيات التي قد تؤدي الى زوال حكمهم، اذ كان يشعر رغم بعده عن مسرح الأحداث بانه سيتحمل ايضاً عواقب الفرقة والخلاف.

كما ان تقلد الوليد بن يزيد الخلافة يعني بالنسبة لمروان بن محمد ان الشرعيّة قد احترمت، وان وصيّة الخليفة يزيد بن عبد

(١) نفسه، ج ٧، ص ١٣٨.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج ٤، ص ٢٥٦.

(٣) ج ٧، ص ٢١٣.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج ٤، ص ٢٥٧.

(٥) بروكلمان، كارل، تاريخ الشعوب الأسلامية، ترجمة نبيه امين فارس ومنير البعلبكي، الطبعة التاسعة، دار العلم، بيروت، ١٩٨١، ص ١٦٠؛ حتي، فليب، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين مؤسسة فرانكلين، بيروت، ١٩٥٩، ج ٢، ص ١٥٥.

(٦) ابن الأثير، الكامل، ج ٤، ص ٢٦٤.

(٧) الطبري، ج ٧، ص ٢١٦ - ٢١٧.

الملك لم تُنقض، وان محاولة الخليفة هشام في نقل الخلافة الى ابنه مسلمة لو كتب لها النجاح فان الوليد سوف لن يرضخ وسيحدث ما لا يحمد عقباه. وحاول مروان كذلك احاطة الخليفة علماً بالجو السياسي الذي كان يحيط به في دمشق، ويبّين له بعض الأمور المهمة وهي دون شك تتعلق بنوايا اهل الشام اتجاهه، وكذلك امور اخرى لم يشأ الكتابة له عنها وآثر مشافهته بها خشية وقوعها بيد خصومه. هذا ويكشف اسلوب الرسالة عن دعوة ضمنيه للخليفة لاقراره على ولايته، لكونه يسير وفق رغبته ويُعبّر عن نهجه السياسي واسلوبه في ادارة الدولة[1].

وكان السائد آنذاك ان الخليفة الذي يتخذ سياسة مغايرة لسياسة سلفه يلجأ الى عزل الولاة ويستبدلهم بغيرهم. ولذلك نرى الخليفة الوليد بن يزيد يبدأ بعزل ولاة الخليفة هشام بن عبد الملك ما عدا يوسف بن عمر الثقفي والي العراق[2]. ومروان بن محمد والي أرمينية.

وما ان تقلد الوليد بن يزيد الخلافة حتى باشر بالأنتقام من خصومه فبدأ بافراد البيت الأموي، مما كان له آثاراً سلبية عليه فيما بعد فأمر بحجز أموال هشام بن عبد الملك بالرصافة وكذلك اموال أولاده وعياله وحشمه[3]، ما عدا مسلمة بن هشام الذي كان يترفق به عند أبيه[4]. وعاقب بشدة سليمان بن هشام بان ضربه مائة سوط وحلق رأسه ولحيته ونفاه الى عمّان[5] حيث بقي محبوساً هناك حتى مقتل الخليفة الوليد بن يزيد. كما حبس الأفقم يزيد بن هشام[6]. لقد احدثت سياسة الوليد القاسية هذه اتجاه افراد البيت الأموي شروخاً عميقة في صرح وحدته وتماسكه يصعب رأبها خاصة وان لهؤلاء ثقلهم السياسي والأجتماعي ولهم من يؤيدهم[7].

ولم تقتصر سياسة الوليد القاسية هذه اتجاه خصومه من افراد البيت الأموي فحسب بل شملت كذلك مؤيديهم من الولاة السابقين وغيرهم فقد أقدم الوليد على معاقبة خالد بن عبد الله القسري والي هشام على العراق وشيخ قبائل اهل اليمن مما دفع اليمانية الى مناصبته العداء حتى تمكنت في النهاية من الأطاحة به وقتله، ذلك لأن معاقبة خالد كانت بمثابة تحدٍ لهم. هذا من جهة ومن جهة اخرى فان خالد القسري لم يكن ليستحق العقوبة نظراً لمواقفه الأيجابية من الوليد. فقد رفض البيعة لمسلمة بن هشام عندما دُعيَ لها معلناً بصراحة عدم قناعته به[8]. كما رفض ان يؤيد اولئك الذين كانوا يتآمرون على الوليد بن يزيد وذلك التزاماً منه ببيعته له[9]. وتمسكه بها.

ومع ذلك فان الوليد بن يزيد لم يغفر لخالد القسري رفضه البيعة لولديه الحكم وعثمان من بعده. وقد عبّر عن موقفه هذا بقوله: "كيف ابايع من لا اصلي خلفه، ولا أقبل شهادته"[10]. وربما ايضاً كان موقف الوليد هذا من خالد أرضاءً ليوسف بن عمر الثقفي[11] خصم خالد وخلفه على ولاية العراق[12].

(١) ابو حبيب، سعدي، مروان بن محمد، دار لسان العرب، بيروت، ١٩٧٢، ص ٢٣.

(٢) نفسه، ص ٢٣.

(٣) ابن الاثير، الكامل، ج ٤، ص ٢٥٨.

(٤) نفسه، ج ٤، ص ٢٥٨.

(٥) العيون والحدائق، ج ٣، ص ١٣١؛ غرر السير، ورقة ١١٢ ب.

(٦) ابن الاثير، الكامل، ج ٤، ص ٢٥٨.

(٧) ولها وزن، يوليوس، الدولة العربية، ترجمة عبد الهادي ابو ريدة، الطبعة الثانية، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٨، ص ٢٤٥.

(٨) الطبري، ج ٧، ص ٢١٠.

(٩) فاروق عمر، الخليفة المقاتل مروان بن محمد، الدار العربية، بغداد، ١٩٨٥، ص ٣٠.

(١٠) الطبري، ج ٧، ص ٢٣٢.

(١١) عبد المنعم ماجد، تاريخ الدولة العربية السياسي، ص ٣١٠.

(١٢) ابو عبيدة، نقائض جرير والفرزدق، ليدن، ١٩٠٨ - ١٩٠٩، ص ٩٣٩

ويورد لنا اليعقوبي[1] رواية تلقي ضوءاً على موقف الوليد من خالد القسري فتذكر انه كان قد لعب دوراً بارزاً في تقلد هشام الخلافة بدلاً من الوليد بن يزيد وذلك ان الخليفة يزيد بن عبد الملك كان قد جعل ولاية العهد من بعده لهشام ثم بدا له ان يبايع بولاية العهد لابنه الوليد، وكان هشام بالجزيرة فوجه اليه خالد بن عبد الله القسري يطلب اليه ان يخلع نفسه مقابل جعل الجزيرة له طعمة. وتذكر الرواية ان هشاماً قد قبل بهذا العرض الا أن خالداً أشار عليه بعكس ذلك قائلاً: "انما هي أيام قلائل حتى تصير الجزيرة أحد أعمالك". فاقتنع هشام بنصيحته. وعاد خالد القسري الى الخليفة يزيد بن عبد الملك ليخبره برفض هشام لهذا العرض فركن يزيد الى ما كان عليه وقد حفظ هشام لخالد هذا الموقف فولاه العراق عندما اصبح خليفة. فان صحت رواية اليعقوبي هذه فان محاسن خالد لا تشفع له عند الوليد الذي سلمه الى غريمه يوسف بن عمر الذي قتله بعد ان سامه سوء العذاب[2]. رغم انه كان شيخاً كبيراً لا يقوى على الحركة[3]، فاستغلت القبائل اليمانية هذا الحدث لتأليب الناس ضد الوليد بن يزيد، فقال بعضهم شعراً على لسان الوليد منه:

ألم تهتج فتذكر الوصالا ... وحبلاً كان متصلاً فزالا

ونحن المالكون الناس قسراً ... نسومهم المذلة والنكالا

فهذا خالد فينا أسيراً ... الا منعوه ان كانوا رجالا[4]

كما أوقع الوليد بن يزيد عقوبة قاسية ايضاً ببني القعقاع بن خليد العبسي بسبب تأييدهم لهشام بن عبد الملك حين أراد نقل الخلافة الى ابنه مسلمة بدلاً من الوليد[5]. فأرسل كلاً من الوليد بن القعقاع الذي كان والياً لهشام على قنسرين، وعبد الملك بن القعقاع والي هشام على حمص الى عمر بن هبيرة - واليه على قنسرين فعذّبهم حتى الموت اضافة الى رجلين آخرين من آل القعقاع[6]. ولذلك فلا غرابة ان يناصب آل هشام وآل القعقاع الوليدَ العداء[7]، اضافة الى اليمانية في كل من الشام والعراق[8]. هذا وكان اشد هؤلاء نقمة على الوليد عرب الشام وخاصة قبيلة كلب اليمانية ذلك لأن خالداً قضى عندهم سني حياته الأخيرة وكسب بينهم اصدقاء كثيرون[9]. كما انضمت الى معارضي الوليد قبيلة عبس القيسية بسبب معاملته لبني القعقاع. كما رماه البعض بتهم بعيدة كل البعد عن الواقع[10] بسبب سياسته هذه.

وكانت الخطوة الثانية لليمانية نحو الأطاحة بالوليد بن يزيد عندما عرضوا البيعة على يزيد بن الوليد الذي وافق عليها دون تردد وبايعه اكثر اهل دمشق سراً[11]، والتفت حوله شخصيات مهمة أمثال منصور بن جمهور الكلبي، وحميد بن نصر اللخمي، والأصبغ بن زياد بن علاقة، الذين كانوا يثيرون الناس ضده منذ بدء خلافته[12].

اما موقف رجال البيت الأموي البارزين فقد كان الحفاظ على وحدة البيت الأموي ومعارضة ما خططت له اليمانية ويزيد بن الوليد

(١) تاريخ، ج ٢، ص ٣١٤.

(٢) الدينوري، الأخبار الطوال، دار احياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦٠، ص ٣٤٨.

(٣) الطبري، ج ٧، ص ٢٦٠؛ الأمامة والسياسة (منسوب لابن قتيبة) القاهرة (لا . ت) ج ٢، ص ١١١.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج ٤، ص ٢٦٥.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج ٤، ص ٢٥٦.

(٦) الطبري، ج ٧، ص ٢٣٧.

(٧) نفسه، ج ٧، ص ٢٣٧.

(٨) ولها وزن، تاريخ الدولة العربية، ص ٣٤٥.

(٩) نفسه، ص ٣٤٥.

(١٠) نفسه، ص ٣٤٦.

(١١) الطبري، ج ٧، ص ٢٤٠؛ غرر السير، ورقة ١١١٣.

(١٢) فاروق عمر، الخليفة المقاتل، ص ٣٠.

فقد رفض العباس بن الوليد هذا الأمر وحذرهم بقوله : "يا بني مروان اني أظن الله قد أذن في هلاككم"[1]، ثم قال:

انـي أعيذكـم بالله من فتنٍ   مثل الجبال تسامى ثم تندفعُ
ان البرية قد ملّت سياستكم   فاستمسكوا بعمود الدين وارتدعوا
لاتبقرن بايديكم بطونكمُ   فثمّ لا حسرة تغني ولا جَزَعُ[2]

أما مروان بن محمد والي ارمينية آنذاك فقد بعث حال سماعه بهذا الأمر برسالة أكدت حرصه الشديد على وحدة وتماسك البيت الأموي وسلامته من التصدع والأنشقاق[3]. وقد وجه الرسالة الى سعيد بن عبد الملك[4] الذي وصفه بكونه أحد عقلاء بني أمية: "وأنت بحمد ربك ركن من أركان اهل بيتك"[5] من اجل ان يتدارك هذا الأمر الخطير الذي سيجر الى المزيد من اراقة الدماء ناعتاً القائمين به بالسفهاء "وقد بلغني ان قوماً من سفهاء اهل بيتك قد استنو أمراً ان نمت لهم رويتهم فيه على ما اجمعوا عليه من نقض بيعتهم استفتحوا باباً لم يغلقه الله عنهم حتى تسفك دماء كثيرة منهم"[6]. وطلب منه معالجة هذا الأمر بسرعة طالما انه في بدايته ولمّا يستفحل بعد، وشجعه بان ذكّره ان الدولة وحدودها بخير والناس بأمان "مفاجل الأمر، وحبل الألفة مشدود والناس سكون"[7].

ومع ذلك فلم يتمكن سعيد بن عبد الملك والعباس بن الوليد من ايقاف يزيد بن الوليد ومؤيديه من اليمانية من تنفيذ مآربهم فساروا الى الخليفة الوليد وهو في قصره بالأغدف[8] وهاجموه. وقد حاول الوليد ان يتفاهم معهم فأحضر يزيد بن خالد بن عبد الله القسري من سجنه وطلب اليه التدخل لرد اليمانية لكنه هرب وانضم الى المهاجمين[9] وقد عرض عليهم الوليد خَلْعْ نفسه ولكن دون جدوى[10]. عندئذٍ أخرج راية مروان في الجابية وقاتلهم بمن معه من مضر فهزموه[11]. فدخل الى القصر وأخذ مصحفاً فنشره وأخذ يقرأ فيه وقال: "يوم كيوم عثمان"[12]. فهجموا عليه وقتل وذلك في جمادى الآخرة سنة ١٢٦هـ/٧٤٣م[13]. ودفن بالنجراء ثم حمل سراً الى دمشق حيث دفن في المقبرة التي عند باب الفراديس[14] وكانت فترة خلافته سنة وثلاثة اشهر[15].

لقد أثار مقتل الخليفة الوليد بن يزيد على هذا النحو مروان بن محمد والي أرمينية الذي استنكر هذه الجريمة لا سيما وانه كان قد حذّر منها قبل وقوعها وعزم على الثأر للوليد، وكتب رسالة الى الغمر بن يزيد شقيق الخليفة الوليد يحثه فيها على التحرك للمطالبة بدم أخيه. ومما جاء في الرسالة: "... وقد نكثوا أمر الله، وحاولوا نكث العهود، وقام بذلك من اشعل ظرامها وان كانت القلوب عنه نافرة، والمطلوبون بدم الخليفة ولاية من بني امية فان دمه غير ضائع، وان سكنت بهم الفتنة، والتأمت الأمور فأمر ارادة الله لا مردّ له"[16]. وبعد عودته من الصائغة التي اشترك فيها - ولم يكن

---

(١) الطبري، ج ٧، ص ٢٣٨.
(٢) نفسه، ج ٧، ص ٢٣٨.
(٣) وكان والياً على فلسطين آنذاك، ابن الاثير، الكامل، ج ٤، ص ٢٧١.
(٤) راجع نص الرسالة في الطبري، ج ٧، ص ٢٣٨.
(٥) الطبري، ج ٧، ص ٢٣٨.
(٦) نفسه، ج ٧، ص ٢٣٨.
(٧)
(٨) ابو الفدا، المختصر في اخبار البشر، الطبعة الأولى، المطبعة الحسينية، مصر (لا . ت) ج ١، ص ٢٠٦.
(٩) ابن الاثير، الكامل، ج ٤، ص ٢٦٨، الامامة والسياسة، ج ٢، ص ١١٢.
(١٠) عبد المنعم ماجد، تاريخ الدولة العربية السياسي، ص ١١٣.
(١١) الطبري، ج ٧، ص ٢٤٦.
(١٢) الطبري، ج ٧، ص ٢٤٦؛ ابن الاثير، الكامل، ج ٤، ص ٢٥٩.
(١٣) العيون والحدائق، ج ٣، ص ١٤٥؛ وقيل في العشرين من ذي الحجة؛ اليافعي، مراة الجنان، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت ١٩٧٠، ج ١، ص ٢٦٤.
(١٤) العيون والحدائق، ج ٣، ص ١٤٥.
(١٥) ابن الاثير، الكامل، ج ٤، ص ٢٦٨؛ ابو الفدا، المختصر، ج١، ص ٢٠٦؛ وقيل ثمانية اشهر، العيون والحدائق ج ٣
(١٦) الطبري، ج ٧، ص ٢٨١.

قائدها ـ خرج عبد الملك بن مروان بن محمد بالجزيرة على واليها عبدة بن رياح الغساني وطرده الى بلاد الشام ووضع المراقبين على الطريق[1]. وكتب بعد ذلك الى ابيه مروان بما فعل. ثم سار مروان من أرمينية الى الجزيرة مطالباً بدم الوليد[2]، بعد ان استخلف على أرمينية عاصم بن عبد الله الهلالي وعلى باب الأبواب اسحق بن مسلم العقيلي زعيم القيسية، وثابت بن نعيم الجذامي مع كتيبة يمانية[3]. ولكن هذا الأخير استغل مسير مروان الى الشام وكان قد تركه على ابواب القوقاز ليصد هجمات الترك[4]. وبعد ان فاوضهم مروان بن محمد انقادوا اليه ومكنوه من ثابت بن نعيم واولاده الأربعة[5]. وبعد ذلك بقي مروان في حرّان حيث وجد ان من الحكمة ان يبايع يزيد بن الوليد خاصة وان هذا الأخير كان قد كاتبه على ان يوليه جميع البلاد التي كان ابوه محمد بن مروان يتولاها أيام الخليفة عبد الملك بن مروان فولاه الجزيرة وارمينية والموصل واذربيجان[6]. وهكذا فقد تضاعفت سلطة مروان بن محمد واصبح له نفوذ كبير لا يمكن التغاضي عنه او تجاوزه باي شكل من الأشكال.

ويبدو ان موقف مروان هذا كان من خلال ادراكه لصعوبة التحرك في هذه الظروف حيث الأستبشار بعهد الخليفة الجديد (يزيد بن الوليد)[7]. لذلك تطلب الأمر مزيداً من الصبر والدبلوماسية الهادئة حتى يحين الوقت الملائم لأقصاء يزيد بن الوليد والأنتقام منه ومن مؤيديه والثأر للوليد وارجاع الأمور الى نصابها. اي ان بيعته ليزيد بن الوليد لم تكن الا اجراءً آنياً أراد به تحقيق اهدافه الخاصة، ولا تمثل موقفه الحقيقي.

خلافة يزيد بن الوليد

وهكذا تولى يزيد بن الوليد بن عبد الملك الخلافة سن ١٢٦هـ / ٧٤٣م ولكنه لم يستمر فيها اكثر من ستة أشهر[8]، قرّب خلالها اليمانية الذين بايعوه ونصروه على الوليد بن يزيد، وكان قد بايع قبل وفاته لأخيه ابراهيم بن الوليد ومن بعده لعبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك[9]. وقد انتفض عليه اهل حمص[10]. واهل فلسطين احتجاجاً على قتل الوليد بن يزيد، وكانت وفاته في ذي الحجة من السنة التي تولى فيها الخلافة[11].

خلافة ابراهيم بن الوليد

وفي ذي الحجة من سنة ١٢٦ هـ / ٧٤٣ تولى الخلافة ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك بن مروان، "وكان عاجزاً ضعيف الرأي"[12] لذلك لم تترسخ سلطته ولم تنل تأييداً كبيراً، فكان يُسلّم عليه جمعة بالخلافة وجمعة بالأمارة، وجمعة لا يسلمون عليه لا بالخلافة ولا بالأمارة[13]، كما لم يبايعه اهل جنوب الشام[14]، واستمر على هذه

(١) نفسه، ج ٧، ص ٢٨٤؛ فاروق عمر، الخليفة المقاتل، ص ٤٢.

(٢) الطبري، ج ٧، ص ٢٩٥؛ اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص ٣٣٦.

(٣) الطبري، ج ٧، ص ٢٩٧.

(٤) ولها وزن، الدولة العربية، ص ٣٥٩.

(٥) ولها وزن، الدولة العربية، ص ٣٦٠.

(٦) الطبري، ج ٧، ٢٩٨؛ ولها وزن، الدولة العربية، ص ٣٦٠.

(٧) العيون والحدائق، ج ٣، ص ١٥٠.

(٨) الطبري، ج ٧، ص ٢٩٨ ـ ٢٩٩.

(٩) الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٣٤٩؛ الطبري، ج ٧، ص ٢٩٥.

(١٠) البلاذري، انساب الأشراف، مخطوطة كاملة عن الاصل الموجود في المكتبة السليمانية، استانبول، الرقم (٥٩٨)، ورقة ٣٤٢ أب؛ ابن الأثير، الكامل، ج ٤، ص ٢٧٠ ـ ٢٧١.

(١١) الطبري، ج ٧، ص ٩٨؛ ابن الأثير، الكامل، ج ٤، ص ٢٧٨.

(١٢) العيون والحدائق، ج ٣، ص ١٥٤.

(١٣) الطبري، ج ٧، ص ٩٩، العيون والحدائق، ج ٣، ص ١٥٤.

(١٤) ولها وزن، الدولة العربية، ص ٣٩٠.

الحال أربعة أشهر[١]، وقيل سبعين يوماً[٢]، وقيل شهراً واحداً[٣]، وهي فترة خلافته حتى قدم مروان بن محمد فخلعه وقتل عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك الذي كان مرشحاً للخلافة بعد ابراهيم بن الوليد.

هذا وقد سبق خلع ابراهيم من الخلافة جملة احداث مهمة وخطيرة، حدثت عندما سار مروان من أرمينية بعد أن سمع بموت الخليفة يزيد بن الوليد قاصداً الجزيرة حيث اكمل فيها استعداداته للمسير الى ابراهيم بن الوليد وذلك بالتنسيق مع قبائل قيس[٤]، التي كانت مستعدة لمساعدته لأنه لزم جانبها ضد اليمانية فعبأ العناصر الموالية له هناك من قيس وربيعة. فشكل القوة الاولى من ستة وعشرين ألفاً من قيس عليهم اسحق بن مسلم العقيلي، كما شكل قوة ثانية من ربيعة قوامها سبعة آلاف عليهم المساور بن عقبة ووزع عليهم اعطياتهم[٥]، وجعل أمامه عبد العزيز بن محمد بن مروان وابنه عبد الملك في الرقة في أربعين الفاً[٦]، كقوة احتياطية، وقد أمدته قيس بأربعة آلاف رجل آخرين، كما انضم اليه أبرز وجوه هذه القبيلة أمثال الوثيق بن الهزيل بن زفر، ويزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري، وابو الورد بن هذيل بن زفر، وعاصم بن عبد الله بن يزيد الهلالي[٧]، وساروا معه الى حلب[٨]، وبها مسرور بن الوليد بن عبد الملك واخوه بشر - والي قسرين حينذاك[٩] - اللذين أرسلهما الخليفة ابراهيم بن الوليد لايقاف زحف مروان والتصدي له فاسرهما الأخير دون قتال[١٠]، ثم وصل حمص فدعا اهلها للسير معه ومبايعة الحكم وعثمان ولدي الوليد بن يزيد وهما محبوسين في دمشق عند ابراهيم بن الوليد فبايعوا وخرجوا معه[١١]، وقيل ان مروان بمسيره هذا كان قد دعا لنفسه وقد بايعه اهل الجزيرة[١٢]. ويبدو ان مسألة من سيكون الخليفة هو أم ولدي الوليد لم تكن لها الأولوية عند مروان عندما عزم على المسير الى دمشق، بقدر ما كانت حاجة الخلافة اليه لا لاصلاح اوضاعها التي اصبحت فوضى بسبب هذه الأنشقاقات في البيت الأموي الحاكم وتصدع وحدته وضياع القيادة القوية القادرة على تمشية امور البلاد بالشكل الصحيح.

استمر مروان في تقدمه نحو دمشق فوصل منطقة عين الجر والتقى هناك بجيش سليمان بن هشام الذي أرسله ابراهيم بن الوليد لايقاف زحف مروان وكان ذلك في صفر من سنة ١٢٧هـ/٧٤٤م[١٣]. وكان مع مروان ثمانون ألف مقاتل من اهل الجزيرة وحمص وقسرين في حين كان جيش سليمان مائة وعشرون الف مقاتل[١٤]. وقبل ان يقاتلهم عرض عليهم مروان اطلاق سراح الحكم وعثمان مقابل الصفح عنهم وعدم محاسبتهم عن قتل الوليد بن يزيد[١٥]. ويبدو ان مروان كان يدرك سلفاً انهم سوف لن يوافقوا

(١) ابن الأثير، الكامل، ج ٤، ص ٢٧٨.
(٢) نفسه، ج ٤، ص ٢٧٨.
(٣) خليفة بن خياط، تاريخ، مطبعة الآداب، النجف، ١٩٦٧، ج ٢، ص ٢٩٣.
(٤) نفسه، تاريخ، ج ٢، ص ٣٩١.
(٥) نفسه، تاريخ، ج ٢، ص ٣٩١.
(٦) الطبري، ج ٧، ص ٣٠٠.
(٧) خليفة بن خياط، تاريخ، ج ٢، ص ٣٩١.
(٨) ابن العديم، زبدة الحلب في تاريخ حلب، المطبعة الكاثوليكية، دمشق، ١٩٥١، ج ١، ص ٥٠.
(٩) الطبري، ج ٧، ص ٣٠٠، العصامي، سمط النجوم العوالي، المطبعة السلفية (لا.ت) ج ٣، ص ٢٢٣.
(١٠) خليفة بن خياط، تاريخ، ج ٢، ص ٣٩٢؛ الطبري، ج ٧، ص ٣٠٠، ابن الأثير، الكامل، ج ٤، ص ٢٨٢.
(١١) خليفة بن خياط، تاريخ، ج ٢، ص ٢٩٣؛ العيون والحدائق، ج ٣، ص ١٥٥.
(١٢) الامامة والسياسة، ج ٢، ص ١١٣؛ المسعودي، مروج الذهب، ج ٣، ص ٢٤٧.
(١٣) اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص ٣٣٧.
(١٤) اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص ٣٣٧؛ الطبري، ج ٧، ص ٣٠١؛ العيون والحدائق، ج ٣، ص ١٥٥.
(١٥) الطبري، ج ٧، ص ٣٠١؛ ابن الأثير، الكامل، ج ٤، ص ٢٨٣.

على عرضه لكنه أراد ان ينتزع حجج خصومه التي من المحتمل ان تُقام عليه فيما بعد، وليدلل من جهة اخرى على جنوحه الى حل المشكلات دون قتال وحقن الدماء كما يدلل كذلك على ثقته العالية بنفسه بالرغم من التفاوت العددي بين الطرفين ثم دارت معركة شديدة بينهم سقط فيها اعداد كبيرة من الطرفين، استطاع فيها مروان فيما بعد من الحاق الهزيمة بسليمان بن هشام وجيشه، كما أرسل قوة قوامها ثلاثة الاف فارس قامت بالهجوم على عسكر سليمان من الخلف فباغتهم واوقعت بهم الهزيمة مما يوضح الخبرة العسكرية العالية التي كان يتمتع بها مروان بن محمد[1]. وقتل سبعة عشر الفاً من عسكر سليمان وأسر مثلهم. ورغم ما قد يبدو من مبالغة واضحة على هذا الرقم فانه يشير دون شك الى كثرة من قتل واسر منهم. هذا وقد أطلق مروان سراح الأسرى بعد ان أخذ منهم البيعة للحكم وعثمان، ولكنه قتل اثنين منهم فقط هما يزيد بن العقار والوليد بن مصاد، وذلك لضلوعهم في قتل الوليد بن يزيد[2]. أما سليمان بن هشام فقد لاذ بالفرار الى دمشق حيث عقد هناك اجتماعاً مهماً ضمَ الخليفة ابراهيم ابن الوليد وعبد العزيز بن الحجاج وابا علاقه السكسكي ويزيد بن خالد بن عبدالله القسري والأصبغ بن ذؤالة فضلاً عن سليمان بن هشام[3]. وبعد مناقشة الوضع الذي اصبحوا فيه قرروا الهرب من دمشق وقتل ابني الوليد بن يزيد، الحكم ،عثمان، وذلك لأن الخلافة اذا اصبحت للحكم فانه سينتقم منهما لأنهم قتلة ابيه[4]. هذا ومما يلفت النظر ان مصادرنا لا تذكر اية اشارة مهما كانت تفيد بان مروان حاول انقاذ ولدي الخليفة الوليد بن يزيد رغم كونه هو المنتصر وبيده قوة كبيرة. ومع ذلك فلم يكن باستطاعته اتخاذ اجراءاتٍ من شأنها ضمان سلامة الحكم وعثمان. فقد سبقه خصومه المهزومون في عين الجر الى دمشق وقتلوهما وقد اتموا ذلك بشكل سريع فوّت الفرصة على مروان للقيام باية محاولة في هذا المجال.

وقد هيأت الأحداث المتلاحقة الظروف المناسبة لوصول مروان ابن محمد الى الخلافة فقد تخلص من ولدي الخليفة الوليد بطريقة لا ذنب له فيها من ناحية، في حين تفاقم الذنب على قتلتهم الحقيقيين من ناحية اخرى، وبذلك عزز مروان الأسباب التي دعته للتوجه نحو دمشق.

هذا وقد اوكلت مهمة قتل ابني الوليد الى يزيد بن خالد الذي أرسل بدوره احد رجاله وكنيته ابو الأسد فنفذ ذلك. كما قتل يوسف بن عمر ايضاً ولم ينج منهم الاّ ابو محمد السفياني[5]. الذي فرَّ من مكان لأخر داخل السجن واغلق عليه الباب بصورة محكمة فأرادوا احراقه ولكن وصول خيل مروان الى دمشق حال دون ذلك[6].

وهرب ابراهيم بن الوليد[7]. واختفى، ونهب سليمان بن هشام ما كان في بيت المال وقسمه على اصحابه وخرج من دمشق[8]. أما عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك فقد قتله موالي الوليد بن يزيد ونهبوا داره[9]. ثم دخل مروان بن محمد دمشق وجيء بالحكم

(١) الطبري، ج ٧، ص ٣٠١؛ ابن الأثير، الكامل، ج٤ ، ص ٥٨٣ ، العيون والحدائق، ج٣، ص ١٥٥.

(٢) الطبري، ج ٧، ص ٣٠١.

(٣) الطبري، ج ٧، ص ٣٠١، العيون والحدائق، ج ٣، ص ١٥٥.

(٤) الطبري، ج٧ ، ص ٣٠١ ، العيون والحدائق، ج٣ ، ص ١٥٥ .

(٥) هو ابو محمد زياد بن عبد الله بن يزيد بن معاوية بن ابي سفيان من وجوه حمص البارزين. التقدمة على يزيد بن الوليد بعد مقتل الوليد بن يزيد واشترك في هذه الانتفاضة مع مروان بن عبد الله بن عبد الملك عامل الوليد على حمص ولكن الخلاف دبَّ بين الزعيمين فقتل رجال السفياني مروان بن عبد الله وبايع اهل حمص للسفياني فأرسل يزيد بن الوليد جيشاً بقيادة سليمان بن هشام الذي تمكن من القضاء على هذه الانتفاضة واسر السفياني الذي سجنه الخليفة يزيد بن الوليد في دمشق. انظر: انساب الأشراف، ورقة ١٣٤٢ ـ ب.

(٦) ابن الأثير، الكامل، ج ٤، ص ٨٣؛ العيون والحدائق. ج ٣، ص ١٥٦.

(٧) ابن الأثير، الكامل، ج ٤، ص ٢٨٣؛ العيون والحدائق، ج ٣، ص ١٥٦.

(٨) ابن الأثير، الكامل، ج ٤، ص ٢٨٣؛ العيون والحدائق، ج ٣، ص ١٥٦.

(٩) ابن كثير، البداية والنهاية، الطبعة الخامسة، منشورات مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٨٣، ج ١٠، ص ٢.

وعثمان مقتولين ومعهم يوسف بن عمر[1]. فدفنهم وكان ذلك اول عمل ما قام به بعد دخوله دمشق.

خلافة مروان بن محمد بن مروان

١٢٧هـ - ١٣٢ هـ / ٧٤٤ - ٧٥٠م

بويع مروان بن محمد بالخلافة يوم الأثنين ٢٦ صفر من عام ١٢٧هـ/كانون الأول سنة ٧٤٤م في دمشق[2]، حيث كان ابو محمد السفياني اول من بايعه. وذلك عندما أُخرج من سجن دمشق مقيداً فسلّمَ على مروان بالخلافة وقال: انهما (اي (الحكم وعثمان)) جعلاها لك بعدهما وأنشد شعراً قاله الحكم بن الوليد بن يزيد في السجن:

الا مبلغ مروان عني	وعمي الغمر طال بذا حنينا
باني قد ظُلمتُ وصار قومي	على قتل الوليد متابعينا
ومروان بارض بني نزار	كليث الغاب مفترش عرينا
أتنكث بيعتي من اجل أمي	فقد بايعتمُ قبلي هجينا
فان أهلك أنا وولي عهدي	فمروان أمير المؤمنينا[3]

وبعد ذلك بايعه وجوه الشام من دمشق وحمص[4]، فأمرهم ان يختاروا من يرتضون لولاية اجنادهم. وبهذه الطريقة اظهر مروان نفسه، وكأنه فوق التعصب القبلي[5]. وبناءً على ذلك اختار اهل دمشق زامل بن عمر الحبراني من كلب[6]، واهل حمص عبد الله بن شجرة الكندي، واهل الأردن الوليد بن معاوية بن مروان، واهل فلسطين ثابت بن نعيم الجذامي[7]. وما ان استقر له الأمر رجع الى منزله بحران[8]، التي اصبحت مقره الدائم طوال فترة خلافته التي دامت خمس سنوات.

ان اهم ما ميّز خلافة مروان بن محمد هو تقريبه للقيسية استمراراً للسياسة التي كان قد انتهجها خلفاء بني اميّة لا سيما المتأخرين منهم في الأعتماد على هذا الفريق القبلي او ذاك، وكذلك بسبب موقفهم منه وتأييدهم له لأسباب خاصة بهم. كما شهدت خلافته ايضاً عدم استقرار سياسي عمّ الدولة بشكل عام، حتى كانت معظم ايام خلافته حروباً حيث ناهضته حركات كثيرة شغلته وكلفته الكثير من الرجال والأموال مما ان تخمد حركة حتى تقوم اخرى في وجهه في مكان آخر. وكانت هذه الحركات من القوة والعنف بحيث لم يتمكن من القضاء عليها بشكل نهائي على الرغم من كونه من "احزم بني اميّة وأبلغهم"[9].

ففي العراق خرج عليه عبد الله بن معاوية بن جعفر بن ابي طالب متزعماً حركة علوية. وفي خراسان كانت الدعوة العباسية قد خطت خطوات سريعة وناجحة مستغلة الأضطرابات التي شُغل بها مروان والتناحر القبلي والأنشقاق في البيت الأموي.

أما في بلاد الشام فبالأضافة الى حركة ابن عمه سليمان بن هشام كانت مدنها قد انتفضت عليه الواحدة تلو الأخرى.

وفي الجزيرة العربية تحرك الخوارج الأباضية واحتلوا الحجاز[10]، كما تحرك الخوارج الصفرية بقيادة الضحاك بن قيس في الجزيرة الفراتية، واخيراً فان الوضع السياسي في مصر والمغرب لم يكن مستقراً هو الآخر.

وهكذا يتضح بشكل لا لبس فيه ان الخروج على الشرعية وما رافقه من انشقاق وتصدع في الأسرة الأموية الحاكمة قد جرّ معه الويلات وخلق مشاكل عديدة وخطيرة انتهت بانتهاء الحكم الأموي ومجيء الأسرة العباسية الى سدة الخلافة.

(١) ابن الأثير، الكامل، ج ٤، ص ٢٨٣.

(٢) اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص ٣٣٧؛ فاروق عمر، الخليفة المقاتل، ص ٥١.

(٣) الطبري، ج ٧، ص ٣١١ - ٣١٢؛ العيون والحدائق، ج ٣، ص ١٥٦ - ١٥٧.

(٤) Dennet, Daniel, Marwan Ibn Muhammed, the passing of Umayyad Cauphate, Unpuhhshed Ph. D. thesis, Harvard University, 1939, P. 235

(٥) Ibed, P. 235.

(٦) الطبري، ج ٧، ص ٣١٢.

(٧) نفسه، ج ٧، ص ٣١٢.

(٨) الطبري، ج ٧، ص ٣١٢؛ ابن الأثير، الكامل، ج ٤، ص ٨٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٠، ص ٢٣؛ وهناك رواية للمسعودي واخرى لصاحب العيون والحدائق، تذكر ان مروان قتل ابراهيم ولم يعطه الامان. انظر: مروج الذهب، ج ٣، ص ٣٩؛ العيون والحدائق، ج ٣، ص ١٩٠.

(٩) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج ٤، ص ٤٦٨.

(١٠) عوض خليفات، نشاة الحركة الاباضية، منشورات اتحاد المؤرخين العرب، عمان، ١٩٧٨، ص ١٢٢.

قائمة المصادر والمراجع

اولاً : المصادر الأساسية:

أ ـ المصادر الخطيّة:

١ ـ البلاذري، ابو العباس، احمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م): انساب الأشراف، مخطوطة كاملة عن الأصل الموجود في المكتبة السليمانية في استانبول برقم (٥٩٨).

٢ ـ مؤلف مجهول، غرر السير، مخطوطة كاملة عن الأصل الموجود في مكتبة البودليان باوكسفورد، برقم (٥٤ ـ ٢).

ب ـ المصادر المطبوعة:

١ ـ ابن الأثير، عز الدين، ابو الحسن بن محمد (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٧م.

٢ ـ ابن عبد ربه، ابو عمر أحمد بن محمد (ت ٣٢٨هـ/٩٤٠م):، العقد الفريد، بيروت، ١٩٦٥م.

٣ ـ ابن العديم، ابو القاسم، عمر بن احمد (ت ٦٦٠هـ/١٢٦٢م): زبدة الحلب من تأريخ حلب، المطبعة الكاثوليكية، دمشق، ١٩٥١م

٤ ـ الأمامة والسياسة: (منسوب لابن قتيبة، مطابع سجل العرب، مصر، (لا ٠ ت).

٥ ـ ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء، اسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م): البداية والنهاية، الطبعة الخامسة، منشورات مكتبة المعارف، بيروت،١٩٨٣م.

٦ ـ أبو عبيدة، معمر بن المثنى (ت ٢٠٩هـ/٨٢٤ ـ ٨٢٥م): نقائض جرير والفرزدق، ليدن، ١٩٠٨م ـ ١٩٠٩م.

٧ ـ ابو الفداء، عماد الدين، اسماعيل بن علي (ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م): المختصر في اخبار البشر، الطبعة الاولى، المطبعة الحسينية، مصر، (لا٠ ت)

٨ ـ خليفة بن خياط، العصفري (ت ٢٤٠ هـ/٨٥٤م): تاريخ خليفة بن خياط، مطبعة الآداب، النجف، ١٩٦٧م.

٩ ـ الدينوري، ابو حنيفة، احمد بن داود (ت ٢٨٢ هـ/٨٩٥م): الأخبار الطوال، دار احياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦٠م.

١٠ ـ مؤلف مجهول، العيون والحدائق في اخبار الحقائق، باعتناء دي خويه، مطبعة بريل، ليدن، ١٨٧١م.

١١ ـ الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م): تاريخ المرسل والملوك، دار المعارف، مصر، ١٩٦٤م.

١٢ ـ العصامي، عبد الملك بن حسين (ت ١١١١ هـ/ ١٦٩٩م): سمط النجوم العوالي في انباء الأوائل والتوالي، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٩٦٠م.

١٣ ـ المسعودي، ابو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م): مروج الذهب ومعادن الجوهر، الطبعة الخامسة، مطبعة السعادة، مصر، ١٩٦٤م.

١٤ ـ اليافعي، عفيف الدين، ابو محمد عبدالله بن اسعد (ت ٧٦٨هـ/ ١٣٦٦م): مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٧٠م.

١٥ ـ اليعقوبي، احمد بن ابي يعقوب بن جعفر (ت ٢٨٤ هـ/٨٩٧م): تأريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، (لا ٠ ت).

ثانياً : المراجع العربية:

١ ـ أبو حبيب، القاضي سعدي ابو حبيب، مروان بن محمد، دار لسان العرب، بيروت، ١٩٧٢م.

٢ ـ حتي، فليب: تاريخ سوريا ولبنان،مؤسسة فرانكلين، بيروت، ١٩٥٩م.

٣ ـ خليفات، عوض خليفات: نشأة الحركة الأباضية، منشورات اتحاد المؤرخين العرب، بغداد، ١٩٧٨م.

٤ ـ ماجد، عبد المنعم: تأريخ الدولة العربية السياسي، مطبعة الأنكلو المصرية، القاهرة ١٩٥٧.

ثالثاً : المراجع الأجنبية:

أ ـ المترجمة :

١ ـ بروكلمان، كارل، تاريخ الشعوب الأسلامية، ترجمة نبيه أمين فارس ومنير بعلبكي، الطبعة التاسعة، دار العلم، بيروت، ١٩٨١م.

٢ ـ ولها وزن، يوليوس: الدولة العربية، ترجمة عبد الهادي ابو ريدة، الطبعة الثانية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة،١٩٦٨م.

ب ـ غير المترجمة :

1 - Dennet, Daniel, C., Marwan ibn Muhammed, The Passing of Umayyad Caliphate, Unpublished Ph. D. Thesis, Harvard University, 1939.



التطورات السياسية للدولة العربية الاسلامية خلال المرحلة الانتقالية من عهد الراشدين والى عهد الامويين

د . خليل شاكر حسين
كلية التربية / الجامعة المستنصرية

مقدمـــــة

ان الاحداث التي جرت في معركة صفين ٣٧ هـ وما لحقها من نتائج سياسية سلبية إزاء مؤسسة الخلافة الراشدية تعد منعطفاً خطيراً في حياة الدولة العربية الاسلامية في تلك الفترة الحرجة . فقد جردت وثيقة التحكيم الخليفة علي بن ابي طالب - رض - من لقبه كأمير للمؤمنين وجعلته شخصاً مساوياً لخصمه السياسي والي الشام معاوية بن ابي سفيان . ونتج عن التحكيم اختلاف في المواقف والآراء ثم تبعه انقسام في جبهة الخليفة عليّ الأمر الذي ادّى الى ظهور حزب سياسي جديد وهم الخوارج . وجاء اجتماع الحكمين وهما عمرو بن العاص السهمي ممثلاً لجانب معاوية وابو موسى الاشعري الذي مثّل جانب الخليفة علي لكي يزيد الاوضاع السياسية سوأً . فقد كانت نتيجة التحكيم مُخيّبة للآمال المرجوة في حَلّ النزاع السياسي القائم بين مؤسسة الخلافة ووالي الشام. ذلك لأن عمرو بن العاص تمكن بدهائه السياسي ان ينتزع من ابي موسى الاشعري اعترافاً صرّح به امام المجتمعين علانية بعزل الخليفة علي من منصبه وارجاع الأمر شورى في حين ثبّت عمرو بن العاص معاويةً ليس كوالٍ حسب وانما كخليفةٍ بديل للخليفة علي[١] ان هذا التطور الخطير قد اضرّ عملياً بالهيبة السياسية لنظام الخلافة الراشدية ولا سيما بشخص الخليفة . واعقب ذلك تطورات مهمة جعلت نجم معاوية يعلو في الافق السياسي محققاً مكاسباً سياسية واقليمية على حساب مؤسسة الخلافة . امّا في جبهة الخليفة علي فقد دَبّ الخلاف الشديد بين صفوف انصاره وطغت عليهم حالة من التقاعس والفتور الامر الذي جعل اقاليم الخلافة عرضة سهلة لمخططات معاوية العسكرية . وبدت الخلافة عاجزةً عن الوقوف امام الحملات العسكرية الشامية وبدأت هيبتها تضعف امام اعين المسلمين . وجاءت مواجهة الخليفة علي مع الخوارج في معركة النهروان لتزيد الاوضاع سوأً وذلك بتعميق فجوة الانقسام في صفوف انصار الخليفة علي ولكي تكون هذه المعركة الفصل الأخير المرير الذي مَزّق وحدة جبهة الخليفة الراشدي . ورغم وجود شعور الاحباط لدى الخليفة علي إلاّ انه تمكن من حشد جيش جديد لمواجهة معاوية الذي لم يتردد في اعلان نفسه خليفةً عام ٤٠ هـ في بيت المقدس متحدياً الخليفة علي[٢] . وفي غمرة الاستحضارات العسكرية في الكوفة تعرض الخليفة علي لعملية إغتيال متقنة التدبير أودت بحياته في رمضان من عام ٤٠ هـ دون ان يعيّن مرشحاً لتولي مقاليد الامور من بعده[٣]

أولاً : ظروف تسلم الحسن بن علي لسدة الحكم

كانت الظروف السياسية التي تمّ مبايعة الحسن بن علي من خلالها صعبة ودقيقة للغاية، سيما وان الاوضاع السياسية والرعية لم يتغيّروا وان الذي تبدّل هو شخص الخليفة فقط . فالحسن بن علي لا يتمتع بنفس مواصفات ابيه القيادية إضافةً الى كونه لا يحملُ نفس القناعات تجاه حالة الصراع القائم بين مؤسسة الخلافة ووالي الشام معاوية .

وبغية اعطاء الخليفة الجديد حقه ولكي لا يُظلم بالتقويم السياسي يُحسن بنا ان نتعرض لموقفه بشأن الصراع واطرافه . فمما تجدر اليه الاشارة ان الحسن ينتمي الى الجيل الاسلامي الذي نشأ وترعرع في بيئة واجواء مدينة الرسول محمد - ص - . كما انه تابع عن كثب المنجزات العظيمة للدولة العربية الاسلامية في عهد الخلفاء الراشدين - رض - . وكان محاطاً برعاية الخلفاء والصحابة وحبهم . وكان الحسن معروفاً بالذكاء وسعة الاطلاع

وحسن التصرف واللباقة[٤]. وعندما عصفت الفتنة في أواخر عهد الخليفة عثمان بن عفان - رض - وحوصر الخليفة في داره كان الحسن بن علي احد ابناء الصحابة المدافعين عنه . وتدحرج بسبب دفاعه عن الخليفة المحاصر . وكان كارهاً لوجود ابيه في المدينة وكان من رأيه ان يغادرها ولا يشهد مصرع الراشدي الثالث ولم يكن الحسن راضياً لقبول ابيه بمنصب الخلافة وذلك لإختلاف المسلمين وفرقتهم وكان يود ان يتريث أبوه لحين إنجلاء الموقف إذ لا بديل للمسلمين عنه وانهم لا محالة سيلوذون بشخص علي - رض -[٥] . والحال هذا فأنّ الحسن كان ينطلق من تحليل للاوضاع السياسية خاصة وانه يمثل جيل ابناء الصحابة الذين واكبوا التطورات السياسية و الاقتصادية والاجتماعية بكون وجودهم في حاضرة الدولة الاسلامية المدينة ولقربهم من مركز اتخاذ القرارات المهمة . وبناءاً على ذلك فأن الحسن لم يكن بعيداً عن فهم اسباب الاحداث ونتائجها بعقلية الشاب المسلم الواعي لتطور المجتمع العربي الاسلامي . كان الحسن بن علي يوازن ما بين مبادىء الاسلام ومتطلبات الحياة الدنيوية والسياسية التي تستدعي الابتعاد عن الحدّية والتطرف . وكان الحسن يعرف في أبيه مبدئيته وتشدده في الحق والتزام حدود الدين الحنيف لذا فقد كان يستقرأ صفحات المستقبل لما يترتب على سياسة ابيه من نتائج خطرة لو تولى فيما بعد الخلافة . ولم يكتم الحسن مخاوفة بل انه افصح عنها وصارح اباه بلغةِ الأبن البار الحاني . وكان حوارهما بمحضرٍ من انصارهما يمثل وجهتي نظر مختلفة تعبر عن اختلاف جيلين بالنظرة للمستقبل . والحق ان الحوار يعكس ذلك المستوى الرفيع الذي نشأ عليه الحسن تفكيراً وتصرفاً[٦] .

لقد كره الحسن بن علي منذ البدء الاختلاف الذي يؤدي الى شق وحدة صف المسلمين . وتابع في سني حياته المبكرة الاحداث التي تلت وفاة جده العظيم صلى الله عليه وسلم وشاهد عن قرب تلكم الجهود الجبارة التي بذلها صحابة النبي - ص - تحت قيادة خليفتيهِ ابو بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضى الله عنهم في سبيل اعادة وحدةِ الدولة العربية الاسلامية وتوجيه كافة الطاقات نحو التحرير والفتح . كان الحسن ينظر بعين الاكبار والاحترام الى اولئك النفر من الصحابة وهم يقدمون التضحيات الجسام من اجل الحفاظ على الدين الاسلامي وتوسيع رقعة الدولة العربية الاسلامية. وكان يرقب جهود ابيه وهو يعاضد الخلفاء الراشدين الثلاثة ويقدم لهم منخول رأيه في النصح والمشورة، وبمقابلة كان يلمس مقدار تقدير وحب الصحابة -رض - له ولابيه وأخيه . وكان يتحسس يومياً تلكم الرعاية اتي يُحاط بها من لدن الصحابة الكرام رضى الله عنهم[٧] . لذلك فلا غرابة ان نجد الحسن كارهاً للفتنة واراقة الدماء لأن الخاسر الاعظم فيها هم المسلمون ووحدة صفهم وانجازاتهم العظيمة التي تحققت في عصر الرسالة المحمدية الخالدة وفي عهد خلفاء رسول اللّه - ص -[٨] .

كان الحسن يشفق بأبيه الشيخ المهيب ان ينغمس في احداث الفتنة وهو الذي لم يكن له يد فيها . وكان يود لو اعتزل ابوه الناس وان لا يتعقب الصحابة طلحة والزبير وام المؤمنين عائشة لكي يجنب نفسه نتائج ما يحدث جزاء خروجهم للبصرة . بيد ان اباه كان يرى خلاف ذلك ويجد من الضروري ان لا يبقى ساكناً وتلك مسؤوليته امام اللّه . وكان الحسن يود لو مكث ابوه في دار الهجرة وان لا يعرض نفسه للمخاطر حيث لا ناصر ولا بعين على حد تعبيره[٩] . وكان الحسن يتحسر آسى على ما جرى للصحابة من فرقة واقتتال وظلت نفسه عازفة للصراع ناكراً له ولائماً اطرافه حتى لو ان الأمر يخص اباه الخليفة . ظل الحسن حافظاً لذكر الصحابة وكان يحن لأيام الخلفاء الراشدين ويذكرهم بخير حتى ان لسانه لم ينقطع عن ذكر استشهاد عثمان حتى قال له ابوه ذات يوم " لقد طال اللّه حزنك على عثمان "[١٠] . وعلى الرغم من حبه للصحابة وبالاخص للشهيد عثمان إلا أنه رأى ان مكانه هو بالوقوف الى جانب ابيه الخليفة في تلك الظروف الصعبة التي أُقحم فيها رغماً عنه . وحضر الحسن كل المشاهد المؤلمة مع ابيه الخليفة وشعور المرارة يأكل فؤاده . وكان يتحرق شوقاً لإنهاء هذه الحرب الدامية التي لم تخلّف سوى الدمار والندم والفرقة القاتلة . ورأى الحسن حادثة استشهاد ابيه في فجر يومٍ من شهر رمضان المبارك من عام ٤٠ هـ ، وقد عدّ الحسن استشهاد ابيه حلقة في مسلسل دامي لا ينتهي طالما بقى اطرافه متشبثين بإصرار في مواقف العداء التي لا تلين[١١] .

لم يولِّ الخليفة علي أحداً من بعده للخلافة بل انه قال لإنصاره عندما الحّوا عليه بتسمية مرشح لتولي أمور المسلمين : " اتركككم كما تركككم رسول الله " [١٢] .

وقع اختيار المسلمين على الحسن بن علي لتولي امورهم وذلك لوجود عدة اعتبارات اهمها ان الحسن هو كبير ولد الخليفة علي - يضاف الى ذلك ان وجود الحسن في منصب الخلافة يمثل استمراراً للخط الذي سار عليه الخليفة علي حسب اعتقاد المتشددين من اهل العراق [١٣] .

ثانياً : المراسلات وتبادل الآراء

تسلم الحسن بن علي مقاليد الامور السياسية في الكوفة بيد ان مسؤوليته كانت كبيرة ذلك أن الاوضاع السياسية لم تتبدل بل زادت سوءاً بوفاة ابيه الخليفة علي . وعلى الرغم من تحفظاته الشخصية ازاء ما تركه قبوله بمنصب الخلافة من عبءٍ ثقيل على كاهله ومن تبعات جسمه إلاّ انه وجد نفسه امام الأمر الواقع بكونه الخليفة الجديد للمسلمين وعليه ان يتصرف بحكم هذه المسؤولية . وابتداءً ارتأى الحسن ان يبادر بمراسلة والي الشام معاوية ويحيطه علماً بما آلت اليه الامور بعد استشهاد الخليفة علي وتولّيه الخلافة من بعده . كتب الحسن رسالة مسهبة تتضمن مجمل افكاره وارسلها بيد جندب بن عبدالله الازدي[١٤] . وكانت رسالة الحسن لمعاوية تعذيرية بقوله : " وانما حملني على الكتاب اليك الاعذار فيما بيني وبين الله عز وجل في أمرك " [١٥] . وعلى أيّة حال فأن الحسن استهل رسالته بالتأكيد على منزلة اهل بيت النبوة لقرابتهم من رسول الله - ص - ومكانتهم في قلوب المسلمين . ثمّ عرّج الحسن الى مسألة الخلافة وحتى اهل بيته فيها وقارن بينه وبين معاوية ودعاه الى الدخول في طاعته وترك النزاع وحقن الدماء بقوله :" فدع التمادي في الباطل وادخل فيما دخل فيه الناس من بيعتي فانك تعلم اني احق بهذا الامر منك " [١٦] . وعرض الحسن على معاوية ان بايعه " الحظ الجسيم والصلاح للمسلمين " [١٧] . وان رفض معاوية عرض الحسن فإنه سيضطره الى الاستعداد العسكري لحسم الموضوع بقوله : " وان ابيت إلاّ التمادي في غيك سرتُ اليك بالمسلمين فحاكمتك حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين " [١٨]. والحال هذا فيمكننا الاستنتاج بأن الحسن اراد ان يبرهن على صلابة موقفه السياسي في لهجة لا تقبل التسويف والمساومة .

اما عن معاوية، فهو من جهة لم يكن جاهلاً ما يحدث في العراق من تطورات سياسية في ظل حكم الحسن بن علي اذ ان عيونه واعوانه يبعثون اليه بالاخبار . ولم يكتفوا بذلك وانما يدلون معاوية عن عورات الوضع السياسي في العراق ويقترحون عليه الاجراءات المناسبة . وبالفعل فأن معاوية قد فهم مُراد وهدف الحسن في سطور رسالته التي يريد بها إظهار تماسك الجبهة الداخلية وقوة الاستعداد العسكري كرادع اذا ما فكر معاوية في التحرش بنظام الخلافة في الكوفة . كانت زمرة من اشراف العراق يراسلون معاوية ويمنون انفسهم بالمناصب والهدايا . ومن جهة كان الحسن يتسلم مكاتبات بعض رجالات اهل الشام الذين يؤيدون موقفه ولكنه لم يكن ليفصح عن هويتهم مخافة ان يتعرضوا لبطش معاوية [١٩] .

المهم في الأمر ان معاوية ابتع اسلوباً ليناً مع الحسن بن علي . فلم يكن معاوية راغباً في استفزازه ولا معارضته كما كان يفعل مع الخليفة علي . ذلك لأنه يعرف جيداً ان إلصاق تهمة ممالأة قتلة الخليفة عثمان لا تجدي مع الحسن الذي جُرح جراء دفاعه عن الشهيد عثمان . يُضاف الى ذلك ان مكانة الحسن بن علي في قلوب المسلمين على حدّ سواء هي رفيعة وغالية . إذن فمعاوية كان مضطراً الى تبديل اسلوب مراسلته وتصرفه مع الحسن وتلك من الاساليب الذكية في ميدان السياسة في تلك الفترة الحرجة من تاريخ الدولة العربية الاسلامية [٢٠].

على الرغم من وجود رواية في احد مصادرنا والتي تؤكد ان معاوية كان مستفززاً للحسن عندما كتب عندما كتب اليه : " من عبدالله معاوية امير المؤمنين الى الحسن بن علي ... " [٢١]. إلاّ اننا نميل الى الرواية التاريخية الاخرى التي تتسق ومنطق الاشياء والحوادث والتي تؤكد على ان معاوية قدّم اسم الحسن على اسمه

وكان يقظاً في اختيار كلماته . بل انه كان رفيقاً في اسلوبه مع الحسن بل ويراه جديراً بمنصب الخلافة ويجده خليقاً بها، إلاّ ان معاوية يرى بأنه اكثر حزماً في ضبط الامور وفي سياسية المسلمين وادارة الاقاليم بفضل تجربتهِ وطول مراسه في شؤون الحكم . وتعهد للحسن ان يحفظ له قدره وحقوقه كما كانت محفوظة عند الخلفاء الراشدين - رض - . كما احاطه علماً بأنه اكبر سناً منه واكيدٌ في مجابهة الاعداء واكثر جدارة في جمع الاموال [٢٢]. ومن المؤكد ان مثل هذا الاسلوب ومثل هذه الكلمات قد تركت اثرها الايجابي الذي سيفعل فعله في مستقبل الايام القريبة .

وبُغية التثبت من يقظة الحسن وعماله، ارسل معاوية اثنين من عيونه الى العراق لكي يبعثا الاخبار ويتصلا بانصاره من داخل البصرة والكوفة . ولربما ارسل معاوية مَنْ يبعث له بالاخبار من مُدنٍ واقاليم اخرى كانت خاضعة لسلطة الحسن بيد ان الروايات تركز على الكوفة والبصرة بإعتبارهما يمثلان الثقل السياسي والاقتصادي والسكاني للمشرق العربي الاسلامي . المهم بعث معاوية رجلاً من حمير الى الكوفة وآخر من بنى القين الى البصرة واوصاهما بالاستخفاء عند انصاره ليكتبا اليه بما استجَدّ من تطورات ويعملا على تهيئة الاجواء لصالح قضيته . وقد اكتشف الحسن امرهما ومكان اختبائهما وتم القاء القبض عليهما . ويهدف اطلاع معاوية بفشل محاولته، بعث الحسن برسالة اليه يحيطه علماً باكتشاف امر الرجلين اللذين دسّهما وجذره من تحيَّن الفرص وانه متيقّظ لما يخطط له ويكيد [٢٣].

وهذا ويورد لنا احد المصادر نص كتابين قد تبادلهما الحسن ومعاوية . ويبدو أن المبادر هو معاوية لكي يحذّر الحسن من غفلتهِ وان نهايته قد تكون على يد مَنْ لا يقيم له وزناً وبالتالي يكون دمه هدراً ومقتله ضياعاً، وهو نفس الرأي الذي ابداه الحسن لابيه علي وقد نجح معاوية في التأكيد على هذه النقطة الحساسة التي يحسب لها الحسن الف حساب وهو الشخص الذي لم يكن مقتنعاً اساساً بالنزاع القائم . يقول معاوية للحسن : " فأحذر ان تكون منيتك على يدي رعاع من الناس (...) وان انت اعرضت عما انت فيه وبايعتني وفيّت لك بما وعدت واجريت لك ما شرطت (...) ثم الخلافة لك من بعدي فأنت اولى الناس بها والسلام " [٢٤]. وبناءً على ذلك فأن معاوية يجعل الحسن امام خيارين وطريقين لا ثالث لهما : اما أن يسلك الحسن طريقاً شاقاً كثير الصعوبات والمخاوف لا تُعرف نتيجته ونهايته . وطريق ثانٍ يضمن للحسن العافية والأمان والمستقبل وهو الأمر الذي ينسجم مع طبيعة الحسن ونفسيته الوادعة المسالمة التي تانف من العنف - فلا غرابة ان نجد جواب الحسن يؤكد على حبه وميله للسلم والعافية بقوله لمعاوية: "اما بعد فقد وصل اليَّ كتابك تذكر فيه ما ذكرت وتركت جوابك خشية البغي عليك وبالله اعوذ من ذلك فاتبع الحق تَعلم اني من اهله وعلى إثم ان اقول فأكذب والسلام " [٢٥]. وبهذا الكتاب فأن الحسن يعلن صراحة كرهه ان يكون البادىء بالقتال وانه ملتزم بحالة السلم الأمر الذي جعل معاوية يطمع فيه إضافة الى ما وصله من اعوانه وانصاره في العراق بأن الوقت مناسب لتحرك معاوية العسكري . بقي أن نقول ان مدة المراسلات قد استغرقت حوالي الاربعة أشهر من خلافة الحسن قبل وقوع المواجهة الحاسمة بين طرفي النزاع وهو الذي يدفعنا للشك في صحة الرواية التي ذكرها اليعقوبي بأن معاوية قد تحرك بعد استشهاد علي بثمانية عشر يوماً مع مبلغ علمنا باصابته في حادثة اغتياله التي جرت في دمشق، وهي تلك الاصابة التي استغرق علاجها اسابيعاً ولم يبرأ منها إلا بعد فترة [٢٦].

ثالثاً : اطراف الصراع والمواجهة السياسية والعسكرية

ان ما يجدر اليه القول ان الخليفة علي بن ابي طالب - رض - كان ماسكاً لزمام الامور السياسية . وكان وجوده يمثل صمام الآمان للتناقضات التي كانت تعتمل تحت السطح وفي الخفاء والتي وجدت في غيابه عن مسرح الاحداث المتنفس في الظهور والتحرك. فقد كان الخليفة علي بمواصفاته يمثل ذلك الدرع الواقي بسابقته في الاسلام وسنه وتجربته وعلمه لجبهة كانت متصدعة آيلة للسقوط . فلما استشهد علي - رض - انفرط عقد تلك الجبهة ذلك لأن الفراغ الذي تركه الخليفة علي كقائدٍ يصعب على مَنْ يخلفه ان يسدده مهما أُوتي من مقومات الشخصية . وكان هذا قدر خليفته

وولده الاكبر الحسن، فمهمته كانت صعبة ودوره كان كبيراً وهو امر لا يحسد عليه ابداً [٢٧].

ثمة اسباب سياسية واجتماعية واقتصادية جعلت من التركيبة الاجتماعية لقبائل العراق وخاصة في الكوفة والبصرة قائمة على اسسٍ قلقة وغير ثابتة منذ ان تم تمصيرهما في عهد الخليفة عمر بن الخطاب - رض - . ولطالما عانى هذا الخليفة الراشدي من استياء وتذمر اهل الكوفة والبصرة من ولاة الدولة العربية ورغبتهم في عزلهم والاتيان بغيرهم . وعليه فاننا نجد ان هذين المصرين كانا من المبادرين في رفع راية المعارضة ضد حكم الخليفة عثمان بن عفان - رض - ، بل وساهم زعماء منهما في احداث استشهاد هذا الخليفة [٢٨].

ان قبائل العراق لم تعرف الاستقرار السياسي والطاعة للحكام كما أَلِفَ أهلُ الشام ذلك منذ زمن التسلط البيزنطي . لقد استقرت القبائل العربية في الكوفة والبصرة إلاّ انها جلبت معها رواسبها القبلية وقلقها الاجتماعي والفكري وسطحية ايمانها الديني [٢٩].

وهناك أمر آخر نضعه في الحسبان هو حداثة نشأة هذه المدن/ المعسكرات على اساسٍ عسكري وأمني بهدف تثبيت الوجود العربي الاسلامي وبكونها مراكز انطلاق لعمليات التحرير والفتح نحو الشرق . لذلك فأن سياسة توجيه طاقات هذه القبائل نحو التحرير كانت ناجحة جداً من لدن الخليفتين ابو بكر وعمر رضيَ اللّه عنهما حيث تمكنا من توظيف واستثمار هذه الطاقات القتالية نحو خدمة الدولة العربية الاسلامية الفتية . وكانت لدى الخلفاء الراشدين وقادة الجيوش قناعة ثابتة ان بقاء هذه القبائل بدون تجييش وبعث نحو الثغور ما سوف يجعلها تنغمس في الخلافات السياسية والتمزق الداخلي . فلا عجب ان نراها تخوض في الفتنة وتبدد طاقاتها وتمزّق وحدتها السياسية والاجتماعية والتي حرص على بنائها وتمتينها رسول اللّه - ص - وخلفاؤه الراشدون - رض - [٣٠].

والحالُ هذا فأن الخليفة علي - رض - لم يقف على أرضٍ صلبةٍ في العراق عندما نقل مركز الخلافة من الحجاز إعتقاداً منه ان في العراق الامكانات المادية والبشرية التي تمكنه من مجابهة تحدي والي الشام معاوية . فقد إستند الخليفة علي على مجتمع قبلي لم يكن منسجماً في ميوله ولم يكن متماسكاً في الموقف السياسي لوجود الفورة العاطفية وازدواجية الرأي والموقف وهما امران كانا يتحكمان بقوةٍ في نفسية اهل العراق . وقد اوقعت هذه الظاهرة الكثير من الولاة والثائرين في العراق في احابيلها وافخاخها [٣١].

وكمحصلةٍ لما جرى من اقتتال وخلاف مستمر بسبب احداث الجمل وصفين وما تبعها من نتائجٍ مأسوية انكفأت معظم القبائل داخل امصارها طالبةً العافية وناشدةً السكينة بعد ذلك الصراع الدامي الذي لم يحسم شيئاً بل زاد الاوضاع سوءاً . لقد تضاءل ذلك الاندفاع القتالي وضعف التحفّز نحو استمرار الحرب الاهلية وذلك لوجود القناعة والشعور بانه صراع عقيم وحرب لا نتيجة منها سوى الفرقة واراقة الدماء . وظهر للعيان تيار قوي عند اهل العراق سِمتَهُ التقاعس والفتور وحب العافية الأمر الذي تأكد منه الخليفة علي - رض - بخذلان هذه القبائل له بل وحتى تقاعسهم عن إداء دورهم الدفاعي تجاه تحرشات خصمهم العنيد في الشام . وتيقن الخليفة علي بأن التطورات كانت تجري وتسير لصالح معاوية . وقد صرح الخليفة علانية عن قناعته هذه امام زعماء واشراف اعراق كنتيجة لتواكلهم وخذلانهم له . وعبّر عن خيبة امله فيهم بمرارة في مناسباتٍ عديدةٍ خلال اعوام ٣٨ هـ - ٤٠ هـ . وتعج مصادرنا بشكوى الخليفة علي - رض - من موقف اهل العراق السلبي [٣٢].

لم يكن الحسن بن علي غائباً عن هذه الصورة المؤلمة . فقد لمس جيداً تصاعد قدرات معاوية بعد قرار التحكيم الهزيل وشهد استيلاء معاوية على مصر وشنّه الغارات على مدن واقاليم الخلافة امام دعوات ابيه الخليفة الذي ما انفك يحث اهل العراق للوقوف امام قوة معاوية السياسية والعسكرية المتصاعدة [٣٣].

كان مجتمع العراق يتألف من شرائح وانماط من الناس فرزتهم الاحداث، فهناك انصار الخلافة الذين ربطوا مصيرهم بها وكانت نسبتهم ضئيلة امام الصعيد الاعظم الذي قلَّ الصراع واحبَّ العافية والسلم . وتورد لنا الاخبار ذكر شريحة من الناس اطلق عليهم لفظ النفعيين الذين لا هدف لهم ولا رأي لهم سوى المنافع

الخاصة بهم. ويرد اسم الشكاكين الذين يبثون الاشاعات المغرضة والاخبار الكاذبة . ويشار الى وجود طبقة وهي الحمراء وهم من ابناء سبايا الفارسيات ومن عبيد ولم يكن وجودهم في الكوفة مصدر استقرار لها . وتستثني مصادرنا قبائل همدان وربيعة من التذبذب ويُعدان من الأطراف المخلصة لمؤسسة الخلافة في العراق. وبالمقابل كانت هناك شريحة تتمثل بالاشراف الذين كانوا يكاتبون معاوية وكان يراسلهم ويمنّيهم ويبعث اليهم بالهدايا . وكان الحسن يعلم بهم منذ ان كان ابوه حياً [٣٤].

هذا وقد اختلفت الروايات حول توقيت تحرك معاوية العسكري نحو العراق بعد ان اطمأن الى متانة موقفه السياسي وهشاشة الموقف العسكري والسياسي في العراق عبر عيونه .فثمة خبر يؤكد ان رسول الحسن وهو جندب قد حذر الحسن عند عودته من سفارته لدى معاوية من استعداد الأخير العسكري ومن قرب تحركه بجيوشه نحو العراق . ويذكر خبر ثانٍ ان الحسن تسلّم رسالة من عبدالله بن عباس المقيم في مكة يحذره من الغفلة وبضرورة اخذ الحيطة والتأهب العسكري لملاقاة معاوية . والمؤكد ان الحسن لم يكن راغباً في ان يكون المبادر في استئناف القتال واراقة الدماء وهذا ما ذكره لمعاوية في مراسلاتهما، بيد انه أُضطر الى اعلان التعبئة العسكرية عندما بلغه ان معاوية قد دخل أرض العراق بجيوشه . عند ذاك ارسل احد ثقاته ومن رجالات العراق وهو حجر بن عدي الكندي لحشد المقاتلين من الكور والنواحي التابعة لحكمه في العراق - وحجر بن عدي هذا قد حلّ محل الاشعث بن قيس في المكانة المقربة والاثيرة لدى الخلافة في العراق بعده ان كشف الاشعث موقفه الصريح الموالِ للصلح وعزوفه عن القتال ناهيك عن الاتهام الذي وُجه اليه حول دوره الخفي في حادثة استشهاد الخليفة علي - رض - [٣٥].

ان استعدادات معاوية العسكرية واستنفاره لانصاره في نواحي بلاد الشام ومصر لم تكن بعيدة عن مسامع الحسن ولكنه اراد ان يمنح السلام فرصة قبل المواجهة التي لم يكن راغباً في وقوعها وعلى يديه، على الرغم من انتقادات الشريحة المتشددة في العراق والمطالبة بالجسم العسكري [٣٦].

ان حجم القوات الشامية كانت اكبر واكثر من القوات العراقية وان تماسكها العسكري واندفاعها احسن واكثر انضباطاً لصالح موقف معاوية وهو الامر الذي تفتقر اليه قوات الحسن بن علي . ان وجود عمرو بن العاص وابنه عبدالله في جيش معاوية الداخل للعراق يعني بشكل قاطع اسهام جند مصر وخاصة الموالين لقضية معاوية في الصراع مع الخلافة وهو امر جديد إذ ان مصر كانت من الاقاليم المعارضة لسلطة الخليفة عثمان والتواقة للاصلاح والتغيير، وكانت تعد من الاقاليم الموالية للخليفة علي الذي كان مقدراً بشكل جيد لقدرات مصر الاقتصادية والبشرية وان استيلاء معاوية عليها يعني خسران الخلافة لاقليم قوي بثقله المادي والبشري وستكون لذلك انعكاسات سلبية ازاء ميزان الصراع [٣٧].

والحال هذا يحسن بنا ان نكون حذرين عند تعاملنا مع الارقام الواردة حول حجم القوات الداخلة في المواجهة العسكرية، ذلك لأن احسن حشدٍ تمكن الطرفان من تحقيقه هو في معركة صفين . وبالتاكيد فأن مقدار الحشد العسكري قد تناقص بعد سلسلة الانكسارات العسكرية والسياسية في قبول التحكيم وما تبعه من نتائج في جبهة العراق . وهذا ما يفسر انخفاض التحفز في العراق وارتفاعه في جبهة معاوية، وقد عبّر عن تلك الاوضاع الخليفة علي وهو يتمنى لو بادل عشرة من اهل العراق بواحد من اهل الشام[٣٨]. وبناءً عليه فأمامنا روايتان إحداهما ان زياد بن ابيه اكّد وجود تسعين الف مقاتل تحت تصرف الحسن [٣٩]. وتذكر الرواية الاخرى أن سليمان بن صرد الخزاعي قد ذكر رقم مائة الف مقاتل في معرض نقاشه مع الحسن بشأن تنازله لصالح معاوية [٤٠]. ونعتقد ان ذكر هذه الارقام من جانب الموالين لسلطة الحسن هو من باب المبالغة والتفخيم ذلك لأن الخليفة علي قد عجز في حشد قوةٍ عسكرية تمكنه من الوقوف امام غارات معاوية المتصاعدة في اعوامه الاخيرة، وبعد جهودٍ مضنية تمكن من تكوين قوة يبلغ تعدادها اربعين الف مقاتل على ما أُتي به من قدرات وقابليات قيادية . فلا نحسب والحال هذا ان ينجح الحسن فيما عجز ابوه الخليفة علي خاصة وان التطورات السياسية كانت تجري لصالح معاوية الذي تمكن من حشد جيش يبلغ مقداره ستين الف مقاتل[٤١].

ومهما يكن من حجم قوات الحسن الكبيرة التي لا يربطها موقف موحّد ولا تستند على وحدة الكلمة، فأن الحسن بن علي كان يقود جموعاً متنافرة الاهواء السياسية والمواقف الفكرية والمصالح الدنيوية بخلاف خصمه السياسي معاوية بن ابي سفيان الذي كان مطمئناً من موقف جنده، واثقاً من اخلاصهم نحو قضيته .. وهذا هو سر نجاح معاوية في صراعه مع الخليفة علي وابنه الحسن .

ونجد من الضروري ان نشير الى تلك الشريحة المخلصة في موقفها تجاه نظام الخلافة في عهد علي وابنه الحسن غير ان نسبتها ضئيلة تجاه الغالبية التي كانت تنشد الموادعة والصلح والسلم [٤٢].

وصفوة القول ان معاوية كان ينطلق من ارضية قوية متماسكة في حين ان الحسن بن علي كان موقفه ضعيفاً لوقوفه على ارضية قلقة وهشّة فهي كالبركان الساكن الذي يحمل في مكامنه الدمار والانفجار [٤٣].

وكرجل صدقٍ، اراد الحسن يضع هذه الشرائح الاجتماعية التي هي في وضع غير متجانس امام الأختيار والامتحان . وجاءت ساعة الاختيار بالمواجهة العسكرية فكان النكوص والتواكل وهو الموقف وهو الموقف الذي كان يتحسسه الحسن ويدفع به نحو الصلح المرتقب [٤٤].

رابعاً : تبلور فكرة الصلح وعوامل قيامها :

يحسن بنا ان نلم بالظروف والاجواء التي ادّت الى خلق فكرة الصلح في مرحلتها الجنينية والاسباب التي ساعدت في تغذيتها ورعايتها الى ان خرجت للوجود وهي صلبة العود وقوية التكوين، ذلك لأن اي قائدٍ في التاريخ تتحكم فيه ظروف معينة داخلية وخارجية تؤثر في قراراته السياسية والعسكرية . والحسن بن علي لا يخرج من هذه القاعدة فقد كان يصارع تياراً قوياً لا بد وان تكون الغلبة له .

فثمة عوامل سياسية واخرى عسكرية ساهمت في إظهار فكرة الصلح على الاحداث وفرضها كبديل على كل الخيارات المطروحة وعلى رأسها الخيار العسكري الذي كان يعد عامل الحسم لكلّ خلاف . فقد برهنت الاحداث التي وقعت في عهد الخليفة علي - رض - ان لغة القوة لم تعد مجدية لحلّ الخلاف المستعصي مع والي الشام المتشبث بمنصبه وبالمكاسب التي جهد على تحقيقها طيلة عشرين عاماً . وكان من محصلة الصراع ان تصدعت جبهة الخليفة علي ودب الخلاف بين رعيّته . وقد اجمعت مصادرنا التاريخية على وصف حالة اهل العراق بالتواكل والتقاعس والتثاقل. ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل ظهر تيار تجرأ على كشف تعاطفه وحتى تعاونه مع الخصم في الشام .واستشهد الخليفة وهو يتمنى لو قام بجهدٍ عسكري اخير ضد معاوية . وجاء الحسن لدست الحكم ولم يكن الحال احسن مما سبق . فقد بدت المواقف جلية والميول واضحة الأمر الذي جعل الحسن يظهر التردد والتشكك من صدق واخلاص اهل العراق باستثناء شريحة ظلت مؤمنة بالحل العسكري لحسم الصراع . والواقع ان هناك شعور طاغٍ في العراق بقصد انهاء حالة الصراع بزقل التكاليف وبأحسن التضحيات ولو على حساب المبادىء ولم يكن ذلك الامر غائباً عن بال وحسابات الحسن بن علي . فقد كان الحسن يؤثر تأجيل المواجهة التي هي بإعتقاده ستكشف عن ثغرات خطيرة في جبهة الخلافة وكان معاوية على اطلاع بذلك وعليه فلم يتوان عن استغلال الموقف لصالحه سياسياً وعسكرياً [٤٥].

وكرجل تربى في جو المبادىء الاسلامية وصدق النوايا الخيّرة، حاول الحسن بن علي ايجاد حلٍّ سلمي للخروج من هذه الحرب الدامية وذلك بمكاتبة معاوية في سبيل حقن الدماء بيد ان معاوية كان مصمماً اكثر من اي وقتٍ مضى في حسم الامور عسكرياً خاصة وان الاوضاع كانت تجري لصالحه . وقد عبّر الحسن عن موقفه السلمي هذا بقوله : " ... خشيتُ ان تأتي يوم القيامة سبعون الفاً او ثمانون الفاً تشخب اوداجهم كلها يستعدي اللّه فيم اهريق دمه . " [٤٦]. وبهذا فأن الحسن يخشى ان تقع مسؤولية ما يحيق ويلحق بالمسلمين من اذى وضرر على عاتقه وعليه فإنه يخاف ان يحاسبه اللّه عن اراقة دماء المسلمين لمآرب دنيوية .

وثمة حديث للرسول محمد - ص - يؤكد على دور مستقبلي للحسن في اطفاء فتنة تستشري بين فئتين من المسلمين . يضاف الى ذلك ان تكوين الحسن النفسي وطباعه لم تكن تميل للعنف فقد

كان معروفاً لدى المسلمين بالحلم والعفو ، ولم يُسمع منه كلمة جارحة او كلام خشن . وقد وصفه مروان بن الحكم بأن حلمه يزن الجبال . وكان معاوية شديد الاعجاب بشخص الحسن وكان يقول انه ما احب شخصاً اذا ما تكلم وان لا يسكت مثل الحسن بن علي[٤٧].

هذا وموقف الحسن من الفتنة معروفاً إذ كان كارهاً لها . وكان يراقب احداثها وانغماس اطرافها في وقائعها ولمس ذلك الانكسار المعنوي الذي حدث في جبهة ابيه الخليفة . وبلغ الحال بأبيه ان عصاه جنده وتمردوا عليه فأصبحوا على حد قول معاوية من اخبث الجند في حين كان هو في اطوع جند واكثر حفظاً للأسرار [٤٨]. لقد خاطب الخليفة علي اهل العراق ذات يوم قائلاً : " فيا عجباً والله يميتُ القلبَ ويجلبُ الهمَّ من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم فقبحاً لكم وترحاً ... " [٤٩]. ويعاتبهم في موضع آخر : " ايها الناس المجتمعة ابدانهم، المختلفة اهواؤهُم . كلامكُمْ يُوهي الصُمَّ الصلاب وفعلكم يطمع فيكم الاعداء ... "[٥٠]. وقوله كذلك في خطبة أخرى : " أُفٍ لكم لقد سئمت عتابكم . أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة عوضاً . وبالذل من العز خلفاً . اذا دعوتكم الى جهاد عدوكم دارت أعينكم كأنكمَ من الموت في غمرةٍ" [٥١].

وقد سمع الحسن من أبيه ما يؤكد ان الامور ستؤول لمعاوية وقد صرّح بذلك امام اهل الكوفة . وهناك حديث ورد على لسان الخليفة علي عن النبي - ص - ان هناك اوصاف لشخص سيلي امور المسلمين وانها تنطبق على معاوية . وقد اعلن الحسن امام ابيه عن قناعته الشخصية بأن معاوية سينال الخلافة بموجب قوله تعالى : "ومَنْ قُتل مظلوماً فقد جعلنا لوليّه سلطاناً فلا يسرف في القتل انه كان منصوراً " [٥٢]. فلا عجب والحال هذا ان نرى الحسن وهو يرشح لمنصب الخلافة يشترط في بيعته ان يحاربوا من يحارب ويسالموا مَنْ يريد مسالمته . وقد ارتاب الناس في عزمه للقتال وخاصة المتشددين الذين قصدوا الحسين بن علي عارضين عليه بيعتهم، بيد ان الحسين رفض عرضهم احتراماً للحسن بكونه كبير وُلْدِ علي بن ابي طالب اضافة الى ثقته بأخيه وتحاشياً للخلاف[٥٣].

وبعد البيعة، بقي الحسن بن علي بضعة أشهرٍ لا يحرّك ساكناً بانْتصار نتائج سفارته لمعاوية . وجاءه رسوله جندب الازدي وهو خال الوفاض بل احاطه علماً باستعدادات معاوية العسكرية للتوجه نحو العراق . ولم يكن الحسن يخشى المجابهة خوفاً على شخصه أو فرقاً من القتال فقد اجمعت الاخبار على رباطة جأشه بدفاعه عن الخليفة عثمان وحضوره كل المشاهد مع ابيه . ولقد لفت انتباه معاوية الى هذه النقطة حتى لا تساور معاوية الظنون ان الحسن يتحاشى الحرب طمعاً في الحياة وحباً في متاعها على حساب المبادىء بقوله : " ... فأنك تعلم اني احق بهذا الامر منك وعند الله وعند كل أوّاب حفيظ ومن له قلب منيب واتق الله ودع البغي واحقن دماء المسلمين فو الله مالك خير في ان تلقى الله من دمائهم باكثر مما انت لاقيه به وادخل في السلم ولا تنازع الامر اهله ومن هو احق به منك ليطفيء الله النائرة بذلك ويجمع الكلمة ويصلح ذات البين وان انت ابيت الا التمادي في غيك سرتُ اليك بالمسلمين فحاكمتك حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين . " [٥٤]. وقد شك في عزمه نحو الحرب المتشددون في العراق والمحكمة وهم الخوارج الذين كان يريدون محاربة معاوية وليس حباً في الحسن وكان هؤلاء يروجون مع زمرة المتشككين الذين كانوا يثبطون هم الناس بأن الحسن ليس بجادٍ لملاقاة معاوية واهل الشام . الواقع ان جو الكوفة خاصة والعراق عامة كان مشحوناً باشاعات مغرضة واخبار ملفقة كان هدفها تفتيت وحدة وتماسك جبهة الحسن . ولم يقف الحال هذا عند العراق وحده بل تعداه الى بقية الاقاليم وبالاخص الحجاز حيث بلغ عبدالله بن عباس المقيم في مكة ان الحسن ليس بصاحب حرب ولا يريد المجابهة العسكرية فكتب اليه من مكة يحرضه على التأهب العسكري وينصحه باتباع الاسلوب الامثل في التعامل مع اهل العراق بقوله : " اما بعد فأن المسلمين ولّوك امرهم بعد علي عليه السلام فشمر للحرب وجاهد عدوك وقارب واشتر من الظنين دينه بما لا يثلم لك دنياه ووالِ اهل البيوتات والشرف وتستصلح به عشائرهم حتى يكون الناس جماعة

فأن بعض ما يكره الناس ما لم يتعد الحق وكانت عواقبه تؤدي الى ظهور العدل وعز الدين خير " (٥٥). والثابت في الاخبار ان الحسن عندما تولى الخلافة قد حرص على تقريب رؤساء العشائر واهل البيوتات وزاد من عطاء الناس مائة مائة واحبه الناس اكثر من حبهم لأبيه على حد قول قول احد المصادر (٥٦).

وعندما لم يكن من الحرب بُدّ بورود الانباء بمسير معاوية ودخوله ارض العراق اخذ الحسن يستعد بجدٍّ للحرب. فدعا الناس للانخراط في الجيش لمواجهة الخطر الشامي الداهم. بيد انه وجد تثاقلاً ملموساً وتجاوباً ضعيفاً باستثناء ما أبداه بعض الزعماء الذين يوالون قضية الخلافة. وكان على رأس الساخطين من هذا الموقف السلبي هو عدي بن حاتم الطائي الذي ساءه خذلان اهل العراق لخليفتهم وهو يدعوهم للوقوف امام جيش الشام القادم نحوهم حيث وبّخ الحاضرين بقوله: " انا عدي بن حاتم ما اقبح هذا المقام. الا تجيبون امامكم وابن بنت نبيكم؟ اين خطباء المصر الذين السنتهم كالمخاريق في الدعة؟ فإذا جدّ الجدُّ، راغوا كالثعالب. اما تخافون مقت الله ولا عيبها وعارها. " (٥٧). ويعكس كلام عدي بن حاتم القاسي الحالة المأساوية التي وصلت اليها الاوضاع السياسية والعسكرية في جبهة الخلافة المتضعضعة.

كان اول المبادرين في اللحاق في معسكر النخيلة الواقع خارج الكوفة هو عدي بن حاتم مع الفٍ من فرسان قبيلته. وحتى لا يعذر الحسن المتشككين والمترددين ببقائه في الكوفة فإنه غادرها بإتجاه معسكر النخيلة وترك ابن عمه الميرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ليحث الناس لموافاته في معسكر النخيلة. ولم يكتفي الحسن بذلك بل ارسل احد وجوه العراق وهو حجر بن عدي الكندي لكي يحشر المقاتلين من الكور والقرى خارج الكوفة (٥٨). لقد امضى الحسن عشرة ايام في معسكر النخيلة ولم يحضر هناك إلا أربعة آلاف مقاتل الآمر الذي اضطره الى الرجوع للكوفة لكي يستقر الناس. والقى بهم خطبة مريرة وصريحة قائلاً: " قد غررتموني كما غررتم من كان قبلي. " (٥٩). ويقصد الحسن بذلك خذلان الناس لابيه ومن ثم له.

هذا وقد تجمع للحسن قوات تمكن ان يُرسل منها اثنا عشر الف كمقدمة لايقاف تقدم القوات الشامية الزاحفة داخل ارض العراق. ووقع اختيار الحسن على قريبه عبيد الله بن عباس كقائد للمقدمة وعيّن قيس بن سعد بن عبادة الانصاري وسعيد بن قيس زعيم قبيلة همدان كمعاونين لعبيد الله وشدد على الأخير ان يأخذ برأيهما وان لا يستبد برأي بدونهما. ان اختيار الحسن لعبيد الله كان منطلقاً من مبدأ الثقة والاخلاص المفترض توفرهما في شخص عبيد الله لصالح قضية الحسن. ان استبعاد قيس بن سعد عن قيادة المقدمة يبرر بكونه في شريحة المتشددين الذين يؤمنون بالحسم العسكري خاصة وان الاخبار ذكرت قَسَم قيس بأن السيف والرمح هو الحكم بينه وبين معاوية (٦٠). وهنا يجدر بنا ان نذكر قول احد المستشرقين بأن قائد المقدمة هو عبد الله بن عباس وليس عبيد الله وان مؤرخي العصر العباسي الأول قد وضعوا عن قصد إسم عبيد الله محل اسم اخيه عبد الله بهدف استبعاد وصمة التخلي عن جد العباسيين وخذلانه للحسن وهو في اشد اللحظات حاجة له. ويبدو ان هذا الرأي مبالغ فيه ذلك لان عبد الله بن عباس كان مقيماً في مكة ولم يكن حاضراً في العراق ابّان عهد الحسن فهو قد ترك عمله كوالٍ للبصرة في أواخر عهد الخليفة علي واستقر في اقليم الحجاز (٦١). المهم ان المقدمة قد انطلقت من الكوفة وعسكرت في مسكن بين دجيل وبلد. وقد حاول معاوية ان يكسب قيس بن سعد إلاّ إنه اصطدم برفضه الشديد. وقد سبق لمعاوية وان حاول كسب قيس بن سعد عندما كان والياً لمصر في عهد الخليفة علي. وبعد ان يئس معاوية من قيس لجأ الى اسلوب الكيد الذي تمكّن به من ازاحة قيس من ولاية مصر. المعروف عن معاوية انه لا يعرف اليأس وخاصة اذا ما نجح في الوصول الى غاياته بدون تضحيات عن طريق المال والمناصب. وعلى هذا الاساس فإن معاوية اتصل بعبيد الله. لم يكن رده رافضاً لعرض معاوية خاصة وان معاوية قد وفّق في ايهام عبيد الله بأن الحسن عازم على الصلح زيادةً على ذلك فإن معاوية قد عرض المكانة المرموقة لعبيدالله اضافة الى مبلغ كبير من المال (٦٢). ثمة خبر يؤكد ان عبيد الله بدأ بإتصاله بمعاوية عند جاءته الاخبار ان الحسن قد وافق على إمضاء الصلح. ولدينا رواية تذكر ان معاوية حاول

اقتحام مقدمة الحسن بجيشه ففشل عندها لجأ الى كسب القادة في المقدمة بالاساليب السلمية [٦٣].

ونجد من الضروري ان نذكر روايتين علماً باننا لا ندري ما هو مقدار صحتها غير اننا نوردهما من باب الامانة التاريخية . تذكر الرواية الأولى ان الحسن بعث قائداً من كنده، دون ان يُذكر اسمه، على رأس قوة قوامها اربعة الاف مقاتل لكي تقف في جهات الانبار كخط دفاعي متقدم إلاّ ان هذا القائد سرعان ما تخلّى عن الحسن وانضم لمعاوية عندما اتصل به الاخير عارضاً عليه الجاه والمال[٦٤]. ونجد نفس التفاصيل في الرواية الثانية حينما ارسل الحسن قائداً أخر من قبيلة مراد وعلى رأس اربعة الآف مقاتل ليقف سداً امام زحف القوات الشامية من جهة الانبار . والغريب ان هذا القائد ينضم هو الآخر الى جانب معاوية متخلياً عن الحسن ومصره [٦٥]. ولعل الحسن اراد يقي الكوفة والبصرة من اقتحام القوات الشامية بتكوين حزام امني يبدأ من مسكن وحتى الانبار حيث تقع الطرق السالكة لداخل العراق .

لقد فعلت الحرب النفسية فعلها المؤثر في تفكيك تماسك جبهة الحسن لصالح معاوية ولمس الحسن التثاقل وعدم الاكتراث من لدن رعيته فعاتبهم قائلاً : " انتم اكرهتم ابي على الحرب وكرهتموه على التحكيم ثم اختلفتم عليه وخذلتموه . وهؤلاء وجوهكم واشرافكم يغدون على معاوية او يكتبون اليه مبايعين . فلا تغروني عن ديني. " [٦٦]. وهنا بدأت المكاشفة بين الحسن ورعيته بأسلوب المصارخة والتعرية حتى لا يكون مسؤولاً امام اصحاب المباديء من انصاره وامام اللّه بأنه قد توانى عن الحرب .

المهم قد تم حشر الناس في العراق بمختلف ميولهم واهوائهم للمواجهة وانطلق بهم الحسن الى ساباط حيث اتخذها مكاناً لقواته . وثمة خبر يذكر ان قيادته كانت تقيم في المدائن وطبعاً نحن لا نميل الى هذا الخبر ذلك لأن الحسن اختار مكاناً قريباً من مقدمته التي اوصى قائدها عبيد اللّه ان يوافيه بالاخبار يوماً بيوم [٦٧].

وبغية تثبيط عزائم وهمم المقاتلين في جيش الحسن، اتبع معاوية اساليباً نفسية أثرت على معنويات جند الحسن . فهو قد اشاع مرةً وفي جيش الحسن ان قيس بن سعد قد قتل وتشتت جند المقدمة [٦٨]. وعندما جاءت الاخبار بزيف وكذب هذا الخبر، بث انصار معاوية المتواجدين في جيش الحسن ان قيس بن سعد قد صالح معاوية وانضم اليه [٦٩]. ولا شك ان هذه الاخبار الملفقة قد زعزعت الثقة عند اصحاب النفوس الضعيفة والمحشورين في الجيش بلا قناعة . ومن اجل وضع الامور في نصابها الصحيح بادر الحسن في طرح فكرة الصلح علناً بدلاً من تداولها في السر والخفاء، ولكي يكشف العناصر الموالية للصلح عن تلكم الرافضة له أو العناصر التي تتلوّن بين الموقفين . فقد بلغ مسامع الحسن اقاويل الناس وتواكلهم عن القتال فخطبهم قائلاً : " ايها الناس اني قد اصبحت غير محتمل على مسلم ضغينةٍ واني ناظرلكم كنظري لنفسي، وارى رأياً فلا تردُوا علي رأي ان الذي تكرهون من الجماعة افضل مما تحبون من الفرقة، وارى اكثركم قد نكل عن الحرب وفشل عن القتال ولستُ ارى ان احملكم على ما تكرهون " [٧٠]. بهذه الكلمات قد افصح الحسن عن مكنون مواقفهم بجرأة وفي احرج المواقف . بيد اننا نتساءل عن توقيت هذه الخطبة التي تعد بداية الطريق نحو اعلان الصلح . فمن جهةجاءت الانباء المؤكدة عن انضمام عبيد اللّه بن عباس الى جانب معاوية متخلياً عن الحسن ولهذا الموقف الضعيف قصة سنذكرها ومن جهة اخرى ان الحسن استقبل وفداً من لدن معاوية يرغبه بالصلح في رواية او يضعه امام حقيقة الامور التي لم تكن في صالحه وخروج الوفد وهو يبث خبر موافقة الحسن على الصلح وقصة هذا الوفد سنعرض عليها لاحقاً [٧١].

فيما يخص بتخلي عبيد اللّه بن عباس يُفسر بالنحو التالي : إن اراد الحسن بن علي الحرب فإختياره لقريبه غير موفّق وليس في محله لأن عبيد اللّه امريء غير ثابت الجنان وليس برجل المجابهة فقد هرب من اليمن وهو عامل الخليفة علي امام حملة معاوية بقيادة يسرين ابي ارطأة الغزاري [٧٢]. يضاف الى ان اخاه عبد الله بن عباس قد تخلى عن الخليفة علي وهو في احلك الظروف وبأمس الحاجة اليه، ولربما يقال ان المرء ليس مسؤولاً عن سقطات غيره إلاّ ان اسرة العباس بن عبد المطلب كانت على الدوام تقيس الامور

بمقياس الربح والخسارة وضمن المقاييس الدنيوية إنطلاقاً من بيئة مكة التجارية التي نشأوا فيها . هذا واصبح الناس فلم يجدوا اميرهم فنادي عليهم منادٍ من معسكر معاوية بوجود عبيد الله مع ثمانية مقاتل فعمّ الاضطراب المقدمة فخطبهم قيس وثبّت موقفهم [٧٣]. تخلى عبيد الله بن عباس عن الحسن بن علي وعرف معاوية كيف يغازل احاسيسه الدنيوية بالمال والجاه . نرجع ونقول ان اختيار هذا الرجل لمثل الموقف الدقيق لم يكن صحيحاً من جانب الحسن إن اراد المواجهة . امّا اذا اراد السلم والصلح فذلك أمر آخر ولا نعتقد بالحسن يلجأ لمثل هذا الاسلوب الملتوي الذي يوهم به المسلمين ويخدع به رعيته وهو المعروف بصراحته حينما يقول لأهل العراق : " وكنتم في مسيركم الى صفين ودينكم امام دنياكم . واصبحتم اليوم ودنياكم امام دينكم . وانتم بين قتيلين : قتيل بصفين تبكون عليه وقتيل بالنهر وان تطلبون بثأره . فأما الباقي فخاذل واما الباكي فثائر " [٧٤]. ان اجدر رجل لإحتلال موقع القيادة كان قيس بن سعد رجل الحرب والمواقف الصلبة الذي لا يعرف المهادنة حتى آخر لحظة حيث ظل في موقفه المبدئي الذي لا يلين ومعه اربعة آلاف مقاتل اصروا على القتال ورفض الصلح وما اشبه موقف قيس بن سعد بموقف القائد العربي الاندلسي موسى بن ابي الغسان الذي رفض قبول تسليم غرناطة للاسبان وخرج مع سلاحه من غرناطة رافضاً ذلّ الهزيمة والاستسلام في عناد وشمم [٧٥]. وكان معاوية يقدر جيداً الرجال وكان يعرف هذا الاصرار المبدئي عند قيس بن سعد فكتب اليه بعد إمضاء الصلح مع الحسن ان يضع ما يشاء من شروط في صحيفة يوجد اسفلها توقيع معاوية . فلم يطلب قيس بن سعد سوى الامان له ولجنده ولم يشترط جاهاً ولا مالاً ولم يبايع معاوية وانما مدّ معاوية له يده فكانت البيعة [٧٦].

اما بصدد الوفد الشامي الذي قدم امام عسكر الحسن وعقد اجتماعاً مغلقاً معه في خيمته فقد كان يضم الداهية المغيرة بن شعبة الثقفي من بين اعضاء الوفد . وقد استعرض الوفد مكامن الضعف في جبهة الحسن وكشفوا له عن اشراف العراق وهم يراسلون معاوية ناهيك عن الذين انضموا اليه واكدّوا على تماسك وقوة جبهة معاوية واشاروا الى مسألة الصلح . لم يظهر لهم الحسن عن ضعفٍ في موقفه واشار اليهم ان من بين اشراف الشام مَنْ هو يناحره في قضيته ويكاتبه ولم يعدهم بالصلح، غير ان اعضاء الوفد عند خروجهم من فسطاط الحسن كانوا يتحدثون فيما بينهم وبصوت عالٍ كمن اراد ان يسمع ما يقوله الى أذان الجند المتلهفة الى تلقف اخبار هذا النصر والغرض من مجيئه والمحادثات التي اجراها مع الحسن . وقد نجح الوفد بزعامة المغيرة بن شعبة في بث خبر موافقة الحسن للصلح بقولهم : " ان الله قد حقن بابن رسول الله الدماء وسكن الفتنة واجاب الى الصلح " [٧٧]. وكانت الارضية معدة لإنصار الصلح والموالين لمعاوية فسرعان ما اشاعوا بين عسكر الحسن خبر قبوله بالصلح وبدون تثبت او إعطاء فرصة للحسن لشرح موقفه ثارت ثائرة الجند وفيهم اخلاط من خوارج ومتشككين حتى تجرأ بعضهم بالقول : " كفر الحسن كما كفر ابوه من قبله " [٧٨]. قبل ان نمضي مع نهاية مأساة هذه الحادثة وقعت بعد خطبة الحسن التي اعلن فيها عن ميله للصلح بعد تخلي عبيد الله بن عباس عنه وما نتج عن ذلك من آثار سلبية على موقفه العسكري والسياسي اذ كانت الناس تقول ابن عمه قد خانه فما الذي تبقى له [٧٩]. ورواية اخرى تقول ان الشغب حدث بعد ان اذاع وفد الشام خبر الصلح بين جند الحسن . المهم ان الناس كانت تريد ذريعة لكي تظهر ما تبطنه من مواقف معادية [٨٠].

والحال هذا فقد تعرض الحسن لتجاوزات جعلته ينفر من اهل العراق ولولا وجود قبيلتي ربيعة وهمدان اللتان حميتاه من اعتداء الخوارج والنفعيين وانصار معاوية لكان حال الحسن في وضع يرثى له . فقد وصلت الجرأة والوقاحة بهؤلاء الجند ان ينهبوا مصلاه وثيابه الموجوده في فسطاطه وحتى ردائه من عاتقه [٨١]. وعندما غادر المعسكر محاطاً بقبيلتي ربيعة وهمدان كمن له رجل من الخوارج ولربما من اهل الشام فطعنه في فخذه، فحمله انصاره الى قصر المدائن الابيض حيث عوجلت جراحاته عند سعد بن مسعود الثقفي عامل المدائن [٨٢].

هذا ويجد المرء غموضاً في الاحداث نتيجة لتزاحمها وميل الرواة الى التلفيق والزيادة لحساب هذا الطرف وذاك . ومهما يكن

من امر فأن معاوية قد استغل حادثة الشغب التي تعرض لها الحسن واصابته فأحتل الانبار وحاصر قوات قيس بن سعد . وحاصر عبد الله بن عامر الكرزي المدائن وكان قائد مقدمة معاوية. وانخذل الجند وطلب الناس العافية والسلم [٨٣]. وجد الحسن ان الاوضاع العسكرية قد اصبحت في صالح كفة معاوية وان اي تصرف يعد انتحاراً يضاف الى ذلك ان نفس الحسن بن علي قد نفرت كلياً من اهل العراق حيث عبّر عن ذلك صراحةً : " يا أهل العراق، إنه سخى بنفسي عنكم ثلاث : قتلكم أبي، وطعنكم ايّايّ، وانتهابكم متاعي " [٨٤].

اصبح الحسن بن علي امام واقع حالٍ لا مفر منه هو الرضوخ امام الحال الجديد المفروض بالقوة ولكي يبد له لا بد من القوة واراقة الدماء وهو عود على بدّ وتلك دوامة لا انتهاء منها إلا بحل جذري حاسم مغاير وهو الصلح .

خامساً : الصلح ... الوثائق ... النتائج :

ان ضغط الاحداث المتلاحقة والمأساوية قد يجعل من القائد صاحب ايّة قضية يفكر في لحظات الأزمة والشدة بمراجعة نفسه وباتخاذ مواقف لينة مغايرة لمواقفه الصلبة السابقة امام تطورات مستجدة ليست في صالحه وهذا ما حدث للحسن بن علي . ان اتساق مجرى الاحداث المنطقي يدفعنا الى ترجيح الرواية التي تنص على ان معاوية هو المبادر في الاتصال بالحسن مستغلاً الاوضاع السياسية والعسكرية التي تصب في مصلحته . فضلاً عن ذلك ان حالة الحسن النفسية كانت في وضعٍ لا يُحسد عليه . فرغم الشكوك التي كانت تساوره لم يكن يتصور بلوغ الامور الى مثل الدرك الى الحد الذي يُنتهب فيه متاعه واشياؤه الخاصه وحتى طعنه، ولولا أخذه الحيطة لنفسه لكانت نهايته محتومة على يد مَنْ لا يعرف قدره . اصبح من اليقين عند الحسن ان الاستمرار مع رعية يمثل هذه الشاكلة هو ضرب من المستحيل . وبناءاً عليه اتخذ قراره في تسليم الحكم لمعاوية لأنه رجل المرحلة واعرف بسياستهم وتصريف امورهم [٨٥]. لقد كان معاوية من الذكاء بحيث انه اراد استغلال الحالة النفسية التي يمر بها الحسن، كما انه لم يشأ ان يجرح مشاعر الحسن وهو في اضعف لحظات حكمه بالتضييق عليه مخافة ردود الفعل المعاكسة التي قد تنشأ من الضغط وضروب الذل والمهانة السياسية . حرض معاوية ان يشعر الحسن بقدره وهو في هزيمته العسكرية والسياسية . ارسل معاوية عبد الله بن عامر وعبد الرحمن بن سمره الى الحسن عارضين عليه الصلح شريطة ان تكوين الخلافة للحسن بعد معاوية إن قَبِلَ بالصلح وان لا يسعى له بخيانة او غائلةٍ يكرهها او يدبر ضده أمراً يخشى منه . وبهذا التعهد فإن معاوية يضمن للحسن وآل بيته حياتهم وحمايتهم من اي تدبير انتقامي وهو موضوع مهم بالنسبة للحسن والحسين . يضاف الى ذلك، أن معاوية ضمن للحسن مرتباً قدره الف الف درهم يجري له من بيت المال مع ايرادات خراج كورتي بسا ودار ابجرد حيث يقوم عمال الحسن باستصفاء الخراج منهما [٨٦]. بيد ان هذه الضمانات تخص الحسن وحده من الناحية السياسية والمالية ولا تعم جميع انصاره الذين وقفوا معه في صراعه مع معاوية . وهذا هو الكتاب الاول الذي ارسله معاوية للحسن . وشهد في الكتاب كضمانةٍ عبد الله بن عامر وعمرو بن سلمة الهمذاني وعبد الرحمن بن سمرة ومحمد بن الاشعث الكندي وتمّ كتابة الكتاب الوثيقة في شهر ربيع الأول سنة احدى واربعين للهجرة [٨٧]. المعروف ان الشهود الاربعة الذين وردت اسماؤهم في الكتاب الاول وهم من اصحاب معاوية ولا يشكلون من جهةٍ محايدة عادلة ضامنة لبقاء فاعلية هذه البنود إذ سنرى ان معاوية سرعان ما سوف يتخلى عن اهم بنودها ان لم تكن معظمها . وقد برع معاوية في مكاتبته للحسن اذ كان يقدم اسم الحسن على اسمه بقصد استمالته للوصول الى هدفه الذي طالما ناضل من اجله وهو الاستحواذ على الحكم بسياسة الدهاء والنفس الطويل [٨٨].

عندما تسلم الحسن كتاب الصلح الأول راجع نفسه فوجد أن ثمّة أمورٍ قد فاتته ولا بُدّ من تلافيها وذلك بإعادة الاتصال بمعاوية طالباً منه شروطاً أخرى كضمانةٍ للناس على اموالهم وانفسهم حتى لا يُنظر للحسن بمنظار المرء الذي يفكر بمصلحته الذاتية دون الصالح العام . وتأسيساً على ذلك، بعث بقريبه عبد اللّه بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب الى معاوية . ومما

يُجدر بالاشارة ان أمّ هذا الرسول هي اخت معاوية ولذلك فان إرسال هذا الرجل لم يكن دون اهمية في الاعتبارات الشخصية [٨٩]. كانت مطاليب الحسن هو أخذ الامان لرعيته الذين وقفوا موقفاً معادياً من معاوية واهل الشام، اضافة الى تاكيده على السياسة التي يفترض ان يتبعها معاوية مستقبلاً ومصير الحكم للدولة العربية الاسلامية بعد وفاة معاوية . من جانبه اراد معاوية ان يجاري الحسن في رغباته ومطاليبه وصولاً الى هدفه المنشود وهو الحكم لذلك نجده يبعث بكتابٍ ثانٍ خالٍ إلا من توقيعه وموصياً رسول الحسن ان يكتب الحسن ما شاء له من شروط ومطاليب يراها مرضية له [٩٠]. لقد كانت تلك البادرة من لدن معاوية قد قطعت الطريق امام الأخذ والرد والمجادلات التي لا يحتملها الظرف العصيب . وقد وجد الحسن في الوثيقة الثانية استدراكاً لما فاته فارتاحت نفسه واطمأنت والواقع ان معاوية اظهر بعد نظر كبير في ذلك . المهم ان الحسن قد دوّن وادرج مطاليبه وهي ان يعمل معاوية وفق كتاب الله وسنة رسوله الكريم - ص - وان يحكم الرعية بسيرة الخلفاء الراشدين - رض - وكذلك عليه ان يجعل الأمر شورى بين المسلمين لاختيار خليفتهم وليس من حقه تعيين مرشح دون رضى المسلمين . ويجب ان يكون الناس آمنون على انفسهم واموالهم وان لا يُلاحق احد على ذنب اقترفه في سابق الايام . وشهد على الكتاب الثاني عبد الله بن الحارث وعمرو بن سلمة وهما شخصان من اصحاب الحسن يفسر وجود هذا العدد الضئيل من الشهود هو حراجة الموقف وتصميم الحسن في الانتهاء من الصلح دون حضور رؤوساء العراق الموالين له والمتشددين في محاربة اهل الشام . ومن المؤكد ان غيابهم قد سهّل عملية اتمام الصلح إذ ان وجودهم كان سيعرقل هذه العملية كما اتضح من معارضتهم للحسن ومحاججتهم وملاسنتهم له بعد تسليم الامر لمعاوية [٩١].

ونجد من المناسب ان نعرج الى موضوع الشروط التي اضافتها بعض المصادر في وثائق الصلح التي ابرمت بين الحسن ومعاوية . تقع الشروط المضافة في الأمور الآتية : ان تكون الخلافة للحسين بن علي ان حدث بالحسين حادثٌ، وأن لا يذكر الخليفة علي بسوء . وان لا يكون ما في بيت مال الكوفة للحسن وان يخصص للحسين راتب قدره الفي درهم سنوياً . واشترط الحسن كذلك تفضيل بني هاشم في مسألة العطاء والصلات على غيرهم [٩٢]. وفيما نعتقده ان تفضيل بني هاشم في العطاء قد نَصٌ عليه نظام الخليفة عمر بن الخطاب - رض - بسبب قرابتهم من رسول الله - ص - فلا حاجة لتاكيد ذلك خاصة وان معاوية ما كان ليخالف توزيع الخليفة عمر لإعطيات بني هاشم بل انه زاد في ذلك تأليفاً للقلوب وتهدئةً للنفوس

ولا بد لنا من تسليط الضوء على موقف معاوية ازاء وثائق الصلح حول صلاحية ومفعول وثيقتي الصلح التي تبادلها الحسن مع شخصه . فمن جهته يرى الحسن ان كلا الكتابين ملزمان لإتمام الصلح ولا بد من العمل بهما وانهما مكملان لبعضهما البعض . والحالُ لا يمكن الفصل بينهما . بينما يجد معاوية انه ملزم بالكتاب الثاني الذي نسخ الكتاب الاول . وعليه نلم فأن الكتاب الاول يعد لا غياً لأنه قد تَمَّ التوقيع والاتفاق على الكتاب الثاني [٩٣]. وهنا احتدم الخلاف ذلك لأن الحسن يجد نفسه خاسراً اذا ما تملص معاوية من التزامه بالكتاب الأول لأن فيه شروطاً مهمة لا بد من العمل فيها . والحالُ هذا فأن معاوية قد أخلّ بالاتفاق حتى لا يربط نفسه بالتزامات الكتاب الأول . المهم ان الصلح قد تَمَّ واصبح ساري المفعول وان هذا الخلاف في وجهات النظر لم يبدل من الأمر شيئاً سيما وان معاوية اصبح سيّد الموقف فعلياً وسيصبح خليفة بعد بيعة الحسن له وأهل العراق في الكوفة بشكلٍ رسمي [٩٤].

هذا وقد وصل معاوية بجيشه الى معسكر النخيلة حيث استقبله الحسن واشراف العراق . تقول رواية ان القى خطبة في النخيلة حيث اعلن انه غير ملزم بإحترام الشروط التي اتفق مع الحسن حولها [٩٥]. وثمة رواية أخرى ان خطب اهل العراق من على منبر الكوفة حيث اعلن عن تخليه عن شروط معاهدتي الصلح [٩٦]. ومهما يكن من امر فإنه لمن المحتمل ان يكون معاوية قد القى خطبتين واحدةً في معسكر النخيلة والاخرى عند دخوله اكوفة حيث يستدعي الأمر ان يعلن معاوية عن مواقفه بإعتباره

الخليفة الجديد بعد تنازل الحسن وامام اهل العراق وفي عاصمة الخلافة السياسية .

اما عن دوافع معاوية في تحرير نفسه من كل التزام بصدد شروط الصلح فذلك يُفسر بطبيعة العلاقات التي تربط معاوية بأهل العراق الذين حاربوه على مدى سنين وصبره على عدائهم الى أن نال الخلافة على غير ما يشتهي المتشددون منهم . فمن هذا المنطلق اراد معاوية ان يقول لاهل العراق انه لم يأخذ الحكم برضاهم ولكن بالقوة بعد ان عجز اهل العراق بفرقتهم من الصمود امامه . لذلك فهو يقول من باب الاعتداء وبالنفس وبقوته : " كل شرط شرطته مع الحسن فهو تحت قدمي هاتين " [٩٧]. وكان معاوية يأمل ويتمنى ان يقف في الكوفة موقف الغالب المنتصر ويأخذ البيعة من اهل العراق رغماً عنهم وقد حصل ذلك رغم محاولات قيس بن سعد في مقاومته إلا ان موقفه قد ضاع وسط معمعة الاحداث وضجيجها [٩٨]. وحاول فريق من اهل العراق ان يغتالوا معاوية وهو في الكوفة غير ان هذه المحاولة لم يكتب لها النجاح بفضل اجراءات المراقبة المشددة والحراسة من قبل انصاره في العراق والشام [٩٩]. وتحرك الخوارج ضد معاوية فطلب من اهل العراق التصدي لهم وقيل انه طلب ذلك من الحسن فقال الحسن ساعتها : " سبحان اللّه ! تركت قتالك وهو لي حلال لصلاح الأمة والفتهم . أفتراني اقاتل معك " [١٠٠].

المهم دخل معاوية الكوفة وبايعه الحسن واهل بيته واشراف العراق واصبح معاوية خليفة المسلمين بصورةٍ رسمية واطلق على هذا العام بعام الجماعة لإجتماع كافة المسلمين رسمياً على خليفة واحد وبهذا انتهت الحرب الاهلية الأولى بيد ان الخلاف السياسي والاجتهادي لم ينتبه بل انه أستمر وانعكس في تلكم الحركات التي قامت بها المعارضة في العراق واقاليم اخرى [١٠١].

بقي ان نتناول مسألة معارضة الحسن ومَنْ مثّل موقفه من زعماء العراق المتشددين امثال سليمان بن صرد الخزاعي والمسيب بن نخبة ومعقل بن قيس الرياحي وقيس بن سعد والاحنف بن قيس التميمي وحجر بن عدي الكندي وغيرهم كثير . فقد انتقد هؤلاء الزعماء الحسن على تسليم الخلافة لمعاوية رغم وجود الامكانات البشرية والاقتصادية في الوقوف امام معاوية . وقد قسى بعضهم عندما وصف الحسن بمذل العرب او المؤمنين [١٠٢]. بيد ان الحسن عرض وجهة نظره وقناعاته بأنه لم يصالح معاوية إلاّ بعد ان لمس جيداً تواكل وتقاعس اهل العراق وتحاشياً لحرب ابادة قد يتعرض لها انصاره في مجابهة غير متكافئة وبالتالي سيكون امام ربه عن اراقة دماء المسلمين في حرب خاسرة . واوصاهم بالصبر والكف عن المعارضة طالما انهم يثقون به أسواء كان في الحكم ام خارجه طبقاً لما قاله رسول الله ـ ص ـ : " لا ان ابنايَ هذا سيدان قاما ام قعدا " [١٠٣]. وهو يقصد بذلك شخصه واخيه الحسين .

ورغم ما لقيه الحسن من احتجاجات إلا انه مضى في عزيمته بإتمام الصلح وتجهيز نفسه لترك الكوفة نحو مسقط رأسه الحجاز حيث عاش هو واخوه وابوه وامه وجده المصطفى صلى الله عليه وسلم ليمضي بقية ايامه هناك وقد صدق عندما خاطب اهل الشام والعراق من على منبر الكوفة كآخر كلمات له وبمسمع من معاوية وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وعبد الله عامر وغيرهم : " ايها الناس ان اللّه هداكم باولّنا وحقن دماءكم بآخرنا، وقد سالمتُ معاوية، وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين " [١٠٤].

وبهذا اختتم عهد في عمر الدولة العربية الاسلامية ابتدأ من عام ١١ هـ وانتهى عام ٤١ هـ أطلق عليه عهد الخلفاء الراشدين الذي كان من اهم سماته الشورى والانتخاب ومشاركة الجماهير من المسلمين في صنع الاحداث ورضاهم عن صُنع القرارات . وجاء عهد جديد اختلفت في صيغته واسلوب حكمه فهو وراثي اسروي قائم على العصبية وان كانت صبغته اسلامية [١٠٥].

الاستنتاجات

اختلف الناس قديماً وحديثاً في المواقف والآراء والتحليلات ازاء تلك الفتنة التي اصطلى المسلمون بها ابتداءاً من استشهاد الخليفة عثمان وانتهاءً بصلح الحسن بن علي وتسليمه الأمر لمعاوية بن ابي سفيان . فكلُّ فريقٍ قدّم حججه وتعليلاته ازاء ما حدث . فهنالك المعذر للمعارضة وما اقترفت بحق الخليفة عثمان بسبب مآخذ سياسية واقتصادية وادارية . وهناك المحتج المنكر لما وقع وعدَّ ذلك

من المحارم التي توجب الاقتصاص من مرتكبيها . وحركت هذا الفريق نوازع دينية واخرى سياسية دنيوية . وثمة فريق ثالث اعتزل الفتنة وراقب الاحداث ولم ينغمس فيها بيد ان نسبتهم كانت قليلة .

وبناءً عليه فأن اطلاق الحكم والادلاء بالرأي تجاه هذه المسألة يتطلب وضوحاً وجرأة مخافة الوقوع في مزالق المواقف والاراء المتباينة . اساساً ان التعدي على شخص الخليفة بحضور اصحاب الحل والعقد من مهاجرين وانصار هو تجاوز وجريمة لأنها طالت شخص اكبر مسؤول في الدولة العربية الاسلامية ومهما تكن الاسباب . ان الطامة الكبرى تكمن في ان هذه الجريمة قد استغلتها سياسياً اطراف هي في واقع الامر مسؤولة عمّا حدث . جاءت معالجة نتائج مقتل الخليفة عثمان بشكل خاطيء ومصلحي دون ان يُعطى الخليفة الجديد فرصة لإحقاق الحق بكونه المسؤول الاول وصاحب الصلاحيات السياسية والتشريعية للبت في امر خطير كهذا . لقد رفعت هذه الاطراف شعار " المطالبة بدم عثمان " وهو شعار صبغته اسلامية لكن هدفه شخصي ذاتي بحت . وانجرف تحت صيحته صحابة اجلاء كانوا سبباً في اراقة الدماء وكأن المسلمين رجعوا في اقتتالهم ذلك الى جهاليتهم الجهلاء .

وبرز دور معاوية كأقوى الاطراف وذلك بتجريد الخليفة علي من اهم صلاحياته بكونه السلطة الاسلامية العليا من الناحية الاعتبارية والدينية والسياسية . وتحقق ذلك بتحويل اشكالية مقتل الخليفة عثمان من طابعها الاسلامي الصرف الى طابعٍ قبلي بجعل نفسه ولي دم الخليفة المقتول والمطالب بالاقتصاص من قاتليه واعتبر الخليفة علي ممالئاً لهم بل ومتواطئاً معهم . ونجح معاوية في بعث الدور الماضي للعصبية القبلية الذي تمكن الاسلام ان يصهره في بوتقه الامة والايمان وحنت القبائل العربية الى ممارسة دورها فتراجعت بذلك الاعتبارات الاسلامية الى الخلف تاركة للروح القبلية الدور القيادي في الاحداث .

ورغم المواصفات القيادية والعقلية والتشريعية للخليفة علي إلا انه عجز عن تأكيد سلطة الخلافة الراشدة وبدأت هيبة الحكم تزعزع بإخفاق برنامجه في سبيل إصلاح الاوضاع التي كانت تسير في تيار معاكس لتصوراته . وبالفعل كان الخليفة علي يطمح ان يحكم المسلمين بسياسة رسول الله - ص - غير ان تطور المجتمع اكّد صعوبة ذلك .

ان العامل الاقتصادي قد لعب دوراً مهماً في التطورات السياسية منذ عهد ابي بكر الصديق وعمر بن الخطاب - رض - وكان الخليفة ابو بكر يحذر من انغماس المسلمين في مغريات الدنيا حتى لا يفقدوا قوة إيمانهم . وكان الخليفة عمر يحجر الصحابة في المدينة ولا يدعهم يختلطون بالمسلمين في الامصار خشية افتتانهم بالدنيا ومغرياتها وافتتان الناس بهم وكان يشبه نفسه كحاجز لتهافت قريش في المهالك . وجاء عثمان للحكم فكان سمحاً ليناً يحب اقاربه وبهذا فهو لا يحمل مواصفات اسلافه من الخلفاء في القيادة والصراحة المبدئية . وحكم اثنا عشر عاماً كانت كافية في ظهور التيار الدنيوي والمفاهيم النفعية على حساب المباديء الاسلامية ولم يرغب الخليفة عثمان ان تصل الامور الى حد انفجار الصراع بين تيار الدنيا المغلف بالللبوس الاسلامي وتيار المباديء الاسلامية الذي يصر بالرجوع الى سيرة الشيخين . وراح الخليفة عثمان ضحية هذا الصراع الذي سيبرع المستفيدون منه في تحريك احداثه لصالحهم . وتولى الخليفة علي الحكم بعقلية المسلم المتشدد في المباديء فاصطدم بمعارضة التيار النفعي الذي حشد كل طاقاته لإفشال تجربة هذا الخليفة الصارم . فكانت النكسات الواحدة تلو الاخرى ... وكان التصدع والاختلاف في جبهة . وسقط هو الاخر شهيداً لمباديء الاسلام . وجاء دور الحسن بن علي الذي كان يمثل جيل الصحابة الكرام وهو الشخص الذي كان قريباً من دائرة صنع القرار السياسي في المدينة والكوفة . وهو بانحداره الاسري يمثل عقلية متنورة بما اتيح لها من ظروف مناسبة . كان الحسن متابعاً للتطورات السياسية والاجتماعية والاقتصادية . فمنذ فجر الازمة - الفتنة كان معارضاً لأسلوب ابيه في النظر للأحداث . وكان يرى ان كل مَنْ يغمس نفسه في اتونها هو ضائع لا محالة . وكان عند الحسن يقين ان كفة الصراع هي في صالح معاوية ذلك لأن الظروف واهواء الناس كانت بجانبه . ومع ذلك فأن الحسن اراد ان يمضي مع دعوة

الحرب الى ابعد شوط لكي يبرهن للمتشددين ودعاة الحسم العسكري عن عقم هذه الدعوى بسبب تجاوز الاحداث لها . قاد الحسن جموعاً مختلفة الاهواء متباينة المشارب ولمّا حانت ساعة الجد وجد التثاقل والنكوص ... ساعتها لم ينخدع الحسن بل زاد يقيناً من صدق قناعاته وحساباته بأن يتخلى عن قيادة الأمة ويسلم الحكم لمعاوية لانه رجل المرحلة . وكان يمكن للحسن ان يستمر في الحكم ولكن ما هي ضمانة استمراره مع تقلبات رعيته وخاصة اشرافهم الذين تخلوا عن قضيته . والحالُ هذا فإن كان لا يريد المغامرة بارواح المسلمين كحساب مآربٍ دنيوية امام قدرات معاوية التي اصبحت هي الراجحة في الميزان السياسي والعسكري .



الهوامــــش

(١) ابو حنيفة الدينوري (ت : ٢٨٢ هـ) ، الاخبار الطوال ، تحقيق : عبد المنعم عامر ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ، دار احياء الكتب العربية ، ط١ ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، ص ٢٠١ .

(٢) الطبري (ت : ٣١٠ هـ) ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ٥ ، تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٤ ، ١٩٧٩ ، ص ١٦١ .

(٣) الطبري ، المصدر السابق ، جـ٥ ، ص ١٤٣ .

(٤) اليعقوبي (ت : ٢٩٢ هـ) ، كتاب التاريخ ، جـ٢ ، دار صادر ، بيروت ، ص ٢٢٧ .

(٥) الطبري ، المصدر السابق ، جـ٥ ص ٤٥٦ .

(٦) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة .

(٧) المسعودي (ت : ٣٤٦ هـ) ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، جـ٢، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة دار السعادة، القاهرة، ١٩٦٤ ، ص ٤٣٤ .

(٨) الطبري ، المصدر السابق ، جـ٤ ، ص ٤٥٦ .

(٩) نفس المصدر ونفس الصفحة .

(١٠) محمد بن يحي ابن ابي بكر المالقي (ت : ٧٤١ هـ) ، التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان ، تحقيق : محمد يوسف زايد، دار الثقافة الدوحة ، ١٩٨٥ ، ص ٢٣٢ .

(١١) المسعودي ، المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ٤ .

(١٢) الطبري ، المصدر السابق ، جـ٥ ، ص ١٤٧ .

(١٣) الامامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة الدينوري ، ت : ٢٧٦ هـ ، جـ١ ، تحقيق : طـه محمد الزيني ، دار المعرفة ، بيروت ، بلا . ت، ص ١٤١ .

(١٤) ابن ابي الحديد المعتزلي ، شرح نهج البلاغة ، م٤ ، دار الاندلس ، بيروت ، ١٩٨٣ ، ص ١٢ .

(١٥) ابن ابي الحديد المعتزلي ، المصدر السابق ، م٤ ، ص ١٢ .

(١٦) نفس المصدر ونفس الصفحة .

(١٧) نفسه .

(١٨) نفس المصدر السابق ، م٤ ، ص ١٣ .

(١٩) المسعودي ، المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٤٣٠ .

(٢٠) ابن ابي الحديد ، المصدر السابق ، م٤ ، ص ١٢ .

(٢١) ابن ابي الحديد ، المصدر السابق ، م٤ ، ص ١٣ .

(٢٢) نفس المصدر ونفس الصفحة .

(٢٣) ابن ابي الحديد ، المصدر السابق ، م٤ ، ص ١٢ .

(٢٤) نفس المصدر السابق ، م٤ ، ص ١٣ .

(٢٥) نفس المصدر والصفحة .

(٢٦) اليعقوبي ، المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٢١٤ .

(٢٧) ابراهيم بيضون ، ملامح التيارات السياسية في القرن الأول الهجري ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٩ ، ص ١٣٦ وما يليها .

(٢٨) المسعودي ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٣٣٧ .

(٢٩) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، جـ٣ ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٥ ، ص ١٣٨ .

(٣٠) الطبري ، المصدر السابق ، جـ٤ ، ص ٤٨٢ .

(٣١) الطبري ، المصدر السابق ، جـ٥ ، ص ٥٥١ وما يليها ، ينظر كذلك عبد الامير دكسن ، الخلافة الاموية ، بيروت ، ١٩٧٩ .

(٣٢) نهج البلاغة ، شرح محمد عبده ، مكتبة النهضة ، بغداد ، ١٩٨٤ ، ص ٦٣ / ٨٥ .

(٣٣) الطبري ، المصدر السابق ، جـ٥ ، ص ١٣٣ وما يليها .

(٣٤) المسعودي ، المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٤٣٠ .

(٣٥) محمد عبد الحي شعبان ، صدر الاسلام والدولة الاموية ، الاهلية للنشر ، بروت ، ١٩٨٣ ، ص ٨٨ .

(٣٦) الامامة والسياسة ، جـ١ ، ص ١٤١ .

(٣٧) الطبري ، المصدر السابق ، جـ٥ ، ص ١٠٧ .

(٣٨) نهج البلاغة ، شرح محمد عبده ، جـ ، ص .

(٣٩) ابو حنيفة الدنيوي ، المصدر السابق ، ص ٢١٩ .

(٤٠) الامامة والسياسة ، ج١ ، ص ١٤١ .

(٤١) ابن ابي الحديد ، المصدر السابق ، م٤ ، ص ١٠ .

(٤٢) الامامة والسياسة ، المصدر السابق ، جـ١ ، ص ١٤١

(٤٣) ابن ابي الحديد ، المصدر السابق ، م٤ ، ص ١٠ .

(٤٤) ابو حنيفة الدنيوي ، المصدر السابق ، ص ٢١٦ .

(٤٥) الامامة والسياسة ، المصدر السابق ، جـ١ ، ص ١٤١ .

(٤٦) ابن ابي الحديد ، المصدر السابق ، م٤ ، ص ١٣ .

(٤٧) اليعقوبي ، المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٢٢٧ .

(٤٨) الطبري ، المصدر السابق ، جـ٥ ، ص ٦٧ .

(٤٩) نهج البلاغة ، شرح محمد عبده ، جـ١ ، ص ٦٩ .

(٥٠) نفس المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٧٣ .

(٥١) نفس المصدر ، جـ١ ، ص ٨٢ .

(٥٢) سورة الاسراء ، اية ٣٣ .

(٥٣) الامامة والسياسة ، المصدر السابق ، جـ١ ، ص ١٤٠ .

(٥٤) ابن ابي الحديد ، المصدر السابق ، م٤ ، ص ١٢ .

(٥٥) نفس المصدر السابق، م٤ ص٩

(٥٦) نفس المصدر ، م٤ ، ص ١٢

(٥٧) نفس المصدر م٤ ، ص ١٤ .

(٥٨) ابو حنيفة الدنيوي ، المصدر السابق ، ص ٢٢٤ .

(٥٩) ابن ابي الحديد ، المصدر السابق ، م٤ ، ص ٨ .

(٦٠) اليعقوبي ، المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٢١٦ .

(٦١) الطبري ، المصدر السابق ، جـ٥ ، ص ١٤١ ، يوليوس نلهوزن، تاريخ الدولة العربية ، ت : ابو زيد ص ١٠٤ .

(٦٢) نفس المصدر السابق ، جـ٥ ، ص ١٥٩ .

(٦٣) بن ابي الحديد ، المصدر السابق ، م٤ ، ص ١١ / ١٢ .

(٦٤) نفس المصدر ، م٤ ، ص ١١ .

(٦٥) نفسه .

(٦٦) نفسه ، ص ٨ .

(٦٧) ابو حنيفة الدينوري ، المصدر السابق ، ص ٢١٧

(٦٨) الطبري ، المصدر السابق ، جـ٥ ، ص ١٥٩ .

(٦٩) اليعقوبي ، المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٢١٤ .

(٧٠) ابو حنيفة الدينوري، المصدر السابق ، ص ٢١٧ .

(٧١) اليعقوبي ، المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٢١٥ .

(٧٢) الطبري ، المصدر السابق ، جـ٥ ، ص ١٣٩ / ١٤٠ .

(٧٣) نفس المصدر السابق ، جـ٥ ، ص ١٥٨ .

(٧٤) ابن ابي الحديد ، المصدر السابق ، م٤ ، ص ١٠ .

(٧٥) محمد عبد الله عنان ، نهاية الاندلس ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط٤ ، ١٩٨٧ ، ص ٢٥٤ .

(٧٦) الطبري ، المصدر السابق ، جـ٥ ، ص ١٦٠ . اليعقوبي ، المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ١٦ .

(٧٧) اليعقوبي ، المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٢١٥ .

(٧٨) ابو حنيفة الدينوري ، المصدر السابق ، ص ٢١٧ .

(٧٩) ابو فرج الاصفهاني ، مقاتل الطالبين ، المكتبة الحيدرية ، النجف ، ١٩٦٥ ، ص .

(٨٠) اليعقوبي ، المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٢١٥ .

(٨١) ابو حنيفة الدينوري ، المصدر السابق ، ص ٢١٧ .

(٨٢) نفس المصدر والصفحة .

(٨٣) نفسه .

(٨٤) الطبري ، المصدر السابق ، جـ٥ ، ص ١٥٩ .

(٨٥) ابو حنيفة الدينوري ، المصدر السابق ، ص ٢١٧ .

(٨٦) الطبري ، المصدر السابق ، جـ٥ ، ص ١٦٠ .

(٨٧) نفس المصدر و الصفحة .

(٨٨) طه حسين ، الفتنة الكبرى ، جـ٢ ، علي وبنوه ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٥٦ ، ص ٢٠٠ .

(٨٩) طه حسين ، المرجع السابق ، جـ٢ ، ص ٢٠٠ .

(٩٠) الطبري ، المصدر السابق ، جـ٥ ، ص ١٦٠ / ١٦٢ .

(٩١) نفس المصدر السابق ، جـ٥ ، ص ١٦٠ .

(٩٢) نفس المصدر ص ١٦٢ / ١٦٣ .

(٩٣) نفسه ص ١٦٣ .

(٩٤) الامامة والسياسة ، المصدر السابق ، جـ١ ، ص ١٤٠ .

(٩٥) الطبري ، المصدر السابق ، جـ٥ ، ص ١٦٥ .

(٩٦) نفس المصدر ، جـ٥ ، ص ١٦٢ .

(٩٧) ابن ابي الحديد ، المصدر السابق ، م٤ ، ص ١٤ / ١٥ .

(٩٨) اليعقوبي ، المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٢١٦ .

(٩٩) الطبري ، المصدر السابق ، جـ٥ ، ص ١٦٦

(١٠٠) ابن ابي الحديد ، المصدر السابق ، م٤ ، ص ٦ .

(١٠١) الطبري ، المصدر السابق ، جـ٥ ، ص ١٦٤ .

(١٠٢) نفس المصدر ص ١٦٥ . ابو حنيفة الدينوري ، المصدر السابق ، ص ٢٢١ .

(١٠٣) المسعودي ، المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ٨ .

(١٠٤) المسعودي ، المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ٩ .

(١٠٥) نفس المصدر ، جـ٣ ، ص ٧ .

الخيل في التراث
واهتمام ملوك اليمن (آل رسول) بها

د. رمزية محمد الاطرقجي
مركز احياء التراث العلمي العربي
جامعة بغداد

ان المخلفات الاثرية في منطقة وادي الرافدين لم تعطينا اي دليل على وجود الحصان واستخدامه في الاغراض اليومية خلال الفترة التي سبقت الالف الثالث ق.م، ولكن مهما كانت الادلة غامضة فهناك ظواهر معينة تجعلنا نعتقد وجود الحصان في بلاد وادي الرافدين منذ الالف الثالث ق.م بصورة نادرة وغير مدجن، ويعتقد بعض الباحثين بان الحصان قد دخل العراق في الجزء الاخير من الالف الرابع ق. م عبر المنطقة الشمالية[1].

واعتقد بعض الباحثين انه في فترة العصر الاكدي حوالي (٢٣٠٠ ق.م) وذلك لانهم عثروا على اثر نحاسي من العصر المذكور عليه تمثال صغير للحصان[2]. وقدمت الخيول كهدايا عند الاشوريين، ففي حدود سنة ١٣٦٢ ـ ١٣٢٧ ق.م قدمت مركبه اشورية مع اربعة افراس من ذوات اللون الابيض الى فرعون مصر، كما يتضح من منحوتاتهم ونقوشهم في استخدام الخيل في جر العربات الحربية، وفي تشكيلات الجيوش[3] وقد سبق الحشيون الاشوريين في ذلك فاستخدموا الحصان لجر العربات في (كبد وكبا) للحروب ثم مارسها الاشوريون بعدهم بفترة قصيرة[4] للحرب والصيد ثم حولت الى عربات لنقل الاحمال والمؤن[5]، وفي اواخر العصر الاشوري الحديث ظهرت الفروسية[6].

ولكن لم اعثر على مصادر تذكر نصوصا واضحة على ان العرب المسلمين استخدموا الخيول لجر العربات في الحروب او في النقل.

واذكر طرفة تؤكد اهتمام سكان وادي الرافدين بالخيل ووجودها منذ العصر السومري، وهذه الطرفة هي، مناظره من المناظرات التي كانت تقام في العصر السومري يتكلم بها كل جانب عن مزاياه وفوائده ويعود ما لدى الجانب الاخر من المثالب والنواقص.

والمناظرة بين ثور وحصان، تبدأ بمقدمة تشرح كيف ان الثور والحصان صارا صديقين وامتلأت بطنيهما من حشائش المرعى الغني واثناء وقت راحتهما دخلا في خصام.

الثور: هل انك قوي لوحدك... انا اصنع اهم اجزاء العربه وبجلدي تغطى سهام المحارب.

الحصان: انك تنزعج في طريق الجبال لا تصبر في مهمتك: ان علفك النخاله وفراشك الارض فكيف يمكنك منافستي، ويظهر ان الحصان قد عطف على الثور وقال له: اخيراً (انت والحمار تتحملان العمل الشاق) واستطرد يتحدث عن نفسه (انا اطيء الارض المبلطة ويقع مكاني على مقربه[7]. من الملك ومستشاره وخدمي يهيئون لي النباتات وحشائش الارض ويهتمون بحمل شربي ويقطعون الحشيش القصير لي ولا يؤكل لحمي[8].

(١) النفط والتنمية : مقالة (وسائل النقل المائية والبرية في العراق القديم للدكتور فوزي رشيد ١١٤ ـ ١١٥) في مجلة تعني بشؤون النفط في الوطن العربي والعالم، السنة السادسة نيسان ـ مارس ١٩٨١م.

(٢) النفط والتنمية : ١١٦

(٣) الموسوعة الذهبية : لفيف من المؤلفين ٤٣٨/٣

(٤) النفط والتنمية ١١٧.

(٥) نفس المصدر ١١٩.

(٦) نفس المصدر.

(٧) من اسماء الخيل المقربه او المقربات هذا ما ذكره الغساني في كتابه المغنى في البيطرة في الباب الثاني منه ص ٢٩ والاجهاني في جريدة العصر ٤٦١.

(٨) سامي الاحمدي : المدخل الى تاريخ العالم القديم القسم الاول، العراق القديم ٤٤٢/٢

هذه المناظرة تبين لنا كيف ان الخيل كانت مفضله ومقربه على باقي الحيوانات وانها تستخدم من قبل الملوك وتقدم لها الخدمه.

ان العرب وهم ورثة الحضارات والثقافات القديمة التي نشأت وازدهرت في ربوع الشرق القديم، وقد ظهرت على مسرح تلك الربوع امم مختلفة في اجناسها ولغاتها وادابها وتقاليدها حتى جاء الاسلام وقضى على تلك الامم واقام نظام على اسس حضارية انسانية وطيدة الاركان، وكانت جيوش العرب عامة تتألف من الفرسان[٩].

وقد كانت الخيل بالنسبة للعرب حصونهم المشيدة وكنوزهم المخلدة فلذلك وقفوا من احوالها واوصافها المحمودة والمذمومة ما لم يقف عليه غيرهم حتى بلغ في ذلك صبيهم ووليدهم ما لم يبلغه شيوخ قوم اخرين والشواهد على ذلك كثيرة استوعبتها كتبهم المؤلفة في الخيل[١٠].

فالخيل اشرف الحيوانات بما فضلها الله تعالى به من القوة والعزّ وأيدّ بها الدين واعز بها الاسلام والمجاهدين وجعلها زينة مرتبطة مقوّمة اذ قال الله تعالى فيها: "زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطر المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسوّمة"[١١]. وقال تعالى: "والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة"[١٢].

وقد كان للخيل مكانتها المتميزة عند العرب منذ قديم الزمان، وعُرف العرب بحبهم الشديد للخيل، واهتموا بتربيتها والعناية بها، وللخيل قصصا عديدة تعبر عن مكانتها عند العربي، فلم تكن العرب تصون شيئا من املاكها ولا تكرمه كصيانتها واكرامها الخيل، قال ابو عبيدة: "كان للعرب الرغبة في اتخاذ الخيل وصيانتها والصبر على مقاساة مؤنتها مع جذوبة بلادهم لما كان لها من العز والجمال والمنعه"[١٣]. حتى كان الرجل من العرب ليبيت طاويا ويشبع فرسه ويؤثره على نفسه واهله وولده[١٤]. حتى ان بعضهم كان يعبدها ايام الجاهلية فصنعوا لها اصناما وسموها بتسميات متعددة منها يعوت ويعبوب[١٥].

وقيل كان النبي (ص) يوصي الناس بالخيل فيقول لا تقودوا الخيل بنواصيها فتذلوها، وقال: عليكم بأناث الخيل، فان بطونها كنز وظهورها حرز وكان عليه الصلاة والسلام يمسح وجه فرسه وعينيه ومنخريه بكم قميصه[١٦].

وقيل ايضا ان الرسول (ص) اول من فرض للفرس سهمين في سبيل الا ان يكون هجينا فله سهم واحدة[١٧].

ومن حرص العرب على الخيل كانوا يصنعون لها النعال لتقى حوافرها من الصخور والارض الصلبة*.

وقد دل على حرص العرب للخيل ما قالته الشعراء: يقول مالك بن نويره في فرسه ذو الخمار عند تفضيلها حتى على عياله[١٨].

---

(٩) سالم الالوسي: (ميادين الفروسية في سامراء) مقالة العثيث في الندوة القطرية الرابعة الجزء الثاني ١٢٧ في مركز احياء التراث العلمي العربي ١٩٩٠م

(١٠) الالوسي: بلوغ الارب ٣/٨٤

(١١) الاية: آل عمران ٦٨ والمسوّمة التي لها سمة اي علامة (المخصص /١٦٥) وسوم فلان فرسه اذا اعلم بحريرة او بشيء يعرف به (اي منظور: لسان العرب م ٢ / ٢٤٥)

(١٢) سورة النحل: اية ٨.

(١٣) كتاب الخيل ٢ ـ ٣.

(١٤) ابن اخي حزام: الفروسية (او الخيل والبيطرة) ورقة (٥) والصاحب تاج الدين مخطوطة.

(١٥) البيطرة ١ / ورقة ٥٥

الارضرملي: الخيل العراب ١٢

(١٦) مخطوطة البيطرة ٤٥ و ٥٠.

(١٧) مخطوطة الفروسية (الخيل والبيطرة) ورقة ٤.

* ابن الاعرابي: (اسماء خيل العرب وفرسانها ٢٥٤) مجلة المجمع العلمي تحقيق نوري القيسي وحاتم الضامن ١٩٨٥، وانظر الغساني: (المغنى في البيطرة) تحقيقنا، الفصل الخمسون ص ١٢٥.

(١٨) الفترجاني: اسماء خيل العرب ٢٤٩.

جزائي دوائي ذو الخمار وصنعتي

اذا نام اطواءً بني الاصاغر

ويقول خالد بن كلاب في فرسه حذفه[١٩].

اريغوني اراغتكم فاني

وحذفة كالشجا تحت الوريد

اسويها بجاري او بجزء

والحفها ردائي في الجليد

وقد جاء ذكر الخيل في عدد من سور القرآن الكريم فقد جاء ذكرها في سورة آل عمران[٢٠]، والنحل[٢١]، والانفال[٢٢]، والاسراء[٢٣]، والحشر[٢٤]، والعاديات[٢٥].

ويكفي من شرف الخيل أن الله تعالى أقسم بها في كتابه الكريم فقال "والعاديات ضبحا فالموريات قدحا، فالمغيرات صبحا، فأثرن به نقعا فوسطن به جمعا"[٢٦]. وهي خيل الغزو تعدو فتصبح أي تصوت باجوافها.

وإن من فخر الحصان اعتراف الانسان بنفعه له وذلك باتخاذ قدرته وحدة لقدرة الطاقات جميعاً، إن جيمس وط المخترع الاسكتلندي المعروف بتنشئته الآلة البخارية جعل قدرة الحصان لرفع الثقل وهي (٣٣) قدما في الدقيقة الواحدة التي تقاس بها القدرة[٢٧].

واهتم العرب بالفروسية والسبق قبل الاسلام وبعده وكانت الخاصة والعامة يتسابقون بخيولهم فيتفاخرون، وكان النبي سليمان عليه السلام يراهن بين الخيل ويجريها[٢٨].

وكثيرا ما انتشبت الحرب بين القبائل من اجل السباق، فكانوا يرسلون خيولهم الى الحلبة وهي - ميدان السباق - عشرة وعندهم لكل منهم اسم باعتبار تقدمها في السبق بعضها على بعض[٢٩].

وللامهات العربيات فضل كبير في تنشئة اولادهن على الفروسية والشجاعة في تلك البيئة الوعره، فهذه (منفوسه) ابنة زيد الخيل ترقص ولدها من دريد بن الصمة فتدعوه التشبه بأبيه او اخيها في الفروسية والبطولة فكانت ترقصه وتقول له[٣٠]:

أشبه أخي او اشبهن اباكا أما أبي فلن تنال ذاكا

تقصر عن مناله يداكا

وقد اقر الاسلام مسابقة الخيل، غير ان الفقهاء اشترطوا في هذه الرياضة التي اباحوها الا تلعب طلبا للمال، ويحكى عن النبي (ص) انه سابق بني الخيل، ويروى عنه عليه السلام في روايات كثيرة انه قال : لا يحضر الملائكة من اللهو شيئا الا ثلاثة: لهو الرجل مع امرأته، واجراء الخيل، والنضال[٣١]. وعن الرسول (ص) ايضا انه فاضل بين الخيلُ في سباقها، فقال: لو جمعت خيول العرب في صعيد واحد ثم ارسلت لكان سابقها اشقر، فقيل ان النبي (ص) كان بطريق تبوك وقد قل الماء فبعث الخيل في كل وجه يطلبون الماء فكان اول من طلع بالماء صاحب فرس اشقر، والثاني

---

(١٩) ابن اخي حزام : مخطوطة الفروسيه ورقة ٦ وابن الكلبي: انساب الخيل ٦٦.

(٢٠) اية ١٤.

(٢١) اية ٨.

(٢٢) اية ٦٠.

(٢٣) اية ٦٤.

(٢٤) اية ٦.

(٢٥) سورة العاديات (١ - ٥).

(٢٦) نفس الآية.

(٢٧) احمد زكي: في سبيل موسوعة علمية ٢٢٤.

(٢٨) مخطوطة البيطرة ورقة ٤٥.

(٢٩) حياة الحيوان الكبرى ٣١٢/١ وجرجي زيدان: تاريخ التمدن الاسلامي ٦٩٧/٣.

(٣٠) عمر الدسوقي : الفتوه عند العرب ٣٩.

(٣١) ادم متز : الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ٢٥٩/٢.

صاحب اشقر وكذلك الثالث، فقال رسول الله (ص) اللهم بارك في الاشقر[٣٢].

وقال (ص) لا سبق الا في حافرا ونصل[١٣٣]، وقال ايضا في الخيل والسبق: الخيل ثلاثة فرس للرحمن وفرس للانسان وفرس للشيطان، فاما فرس الرحمن فما اتخذ في سبيل الله تعالى وقوتل عليه اعداؤه، وفرس الانسان ما استطرق عليه، وفرس الشيطان ما روهن عليه[٣٣ب].

فالفروسية وسبق الخيل من الامور المحبذه والمفضلة عند العرب على ان لا يتخذ منها للقمار، فقال رسول الله (ص): من ادخل فرسا بين فرسين ولا يأمن ان يسبق فليس بقمار، ومن ادخل فرسا بين فرسين وقد أمن ان يسبق فهو قمار[٣٤].

وكان للخلفاء الامويين حلبه للسباق منهم؛ معاويه وهشام بن عبد الملك الذي اجتمع عنده ٤٠٠٠ فرس ولم يسبقه احد من العرب الى ذلك[٣٥].

وكان سباق الخيل من ابرز انواع التسليه عند الخلفاء والامراء وكبار رجال الدوله في العصر العباسي الاول، وقد اباح الفقهاء هذا اللون من الرياضة واشترطوا على الا تكون وسيله للحصول على المال[٣٦]. والخيول التي كانت تجرى في الحلبات هي جياد اصيله وتستخدم للركوب والصيد[٣٧] وكان العرب يستحبون اناث الخيل في الغارات والبيات وما خفي من امر الحرب، ويستحبون فحول الخيل في الصفوف والحصون والسير في العسكر وما ظهر من امر الحرب[٣٨].

وقد ألف عدد كبير من الكتب من قبل مؤرخين عرب عن الخيل وبيطرتها وفروسيتها منذ القرن الثاني للهجره حتى القرن الرابع عشر ذكرها الدكتور حسين محفوظ في ندوة اقامها مركز احياء التراث العلمي العربي سنة ١٩٨٩ وهي (دراسة في الخيل وبيطرتها عند العرب) ذكر فيها سبعة وثلاثين من المصادر والمراجع خصصت للخيل، او تعرضت[٣٩] لها في بحثه الموسوم، (الخيل وبيطرتها في مكتبة التراث العربي وهي:

- نسب الخيل / ابن الكبي.
- الخيل / ابو عبيدة.
- الخيل / الاصمعي.
- اسماء خيل العرب وفرسانها / ابن الاعرابي.
- كتاب الحيوان / الجاحظ.
- عيون الاخبار / ابن قتيبة.
- المعاني الكبير / ابن قتيبه.
- العقد الفريد / ابن عبد ربه.
- كتاب النوادر / ابو علي القالي.
- التلخيص في معرفة اسماء الأشياء / ابو هلال العسكري.
- ديوان المعاني / ابو هلال العسكري.
- مبادىء اللغة / الاسكافي.
- فقه اللغة / الثعالبي.
- اسماء خيل العرب وانسابها وذكر فرسانها / الفندجاني.
- المخصص / ابن سيده.
- كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ / ابن الاجدابي.
- نظام الغريب / الربيعي.
- محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء / الراغب الاجهاني.
- ربيع الابرار / الزمخشري.

(٣٢) ابن عبد ربه: العقد الفريد ١/١٥٢، وعبد الله بن ميمون: مخطوطة (الافادة والتبصير لكل رام مبتدىء او مهير ١٩٧، والدمياطي : فضل الخيل ٤٢.

(١٣٣) مخطوطة الفروسية ورقة (٣).

(٣٣ ب) الدميري : حياة الحيوان الكبرى ١/٣١١.

(٣٤) المصدر السابق ١/٣١٥.

(٣٥) التمدن الاسلامي ٣/٦٩٧.

(٣٦) كتابنا : الحياة الاجتماعية في بغداد منذ نشاتها حتى نهاية العصر العباسي الاول ٢٨٤.

(٣٧) الدميري : حياة الحيوان الكبرى ٢/١٠٨ والموسوعة الذهبية : لفيف من المؤلفين ٣/٤٣٨.

(٣٨) مخطوطة الفروسية ورقة (٣).

(٣٩) دراسة في الخيل وبيطرتها عند العرب ١١.

- الارجوزة الجامعة الشافية / عبد الله بن حمزه بن سليمان.
- شرح الارجوزة الشافية / احمد بن عبد الله بن حمزه.
- اداب الحرب والشجاعة / فخر المدير.
- الفروسية والمناصب الحربية / الرماح الاحدب.
- المغنى في البيطرة / الملك الاشرف.
- الحلبة في اسماء الخيل المشهوره في الجاهلية والاسلام / الصاحبي التاجي.
- فضل الخيل / الدمياطي.
- كتاب البيطرة / الصاحب تاج الدين ابو عبد الله محمد بن محمد بن علي.
- نهاية الارب / النويري.
- الخيل وصفاتها وانواعها وبيطرتها / الملك المجاهد.
- حليه الفرسان وشعار الشجعان / ابن هذيل.
- حياة الحيوان / الدميري.
- رشحات المداد / محمد البخش الحلبي.
- النفحات المسكيه في صناعة الفروسية / السيد احمد بن محمد الحموي.
- المكتبة الحديثة في الخليل.
- الافصاح / حسين يوسف موسى وعبد الفتاح الصعيدي.
- تاريخ تربية الخيول العربية في مصر / د. عبد الحليم عشوب.
- الخيل العراب وفضلها على الانسال العالميه / قدري الارضرروملي.

ولكي يطلع الباحثون على محتويات كل كتاب من هذه الكتب فقد الدكتور حسين محفوظ محتويات كل كتاب منها في كتبه المشار اليه آنفا.

ثم اضاف الدكتور حاتم الضامن في بحثه الذي قدمه الى نفس الندوة المذكورة سابقا ـ (دراسة في الخيل وبيطرتها عند العرب).

وبحثه هو (الخيل في المؤلفات العربيه)[40] اضافة الى قائمة المؤلفات التي قدمها الدكتور حسين محفوظ وهي:

- فوائد النسل بفضائل الخيل / الطبري المكي علي بن عبد القادر.
- اسبال الذيل في ذكر جياد الخيل / نجم الدين الرملي.
- زهر الاداب / الحصري القرواني.
- الاقتضاب / ابن السيد البطليوسي.
- تهذيب الكمال في اسماء الرجال / المربي.
- المستطرف في كل من مستظرف / الابشيهي.
- تحرير الراويه في تقرير الكفاية / محمد بن الطيب الفاسي.
- جواب السائل عن الخيل الاصائل / الملك عبد الله بن الحسين.

فاصبح مجموع ما كتب عن الخيل في المؤلفات العربية يزيد عن ٤٥ مؤلفاً.

ومن بين الكتب المؤلفة عن الخيل والتي جاء ذكرها آنفاً كتاب "المغنى في البيطرة" للملك الاشرف الغساني، والذي قمت بتحقيقه، اما ما الذي دعاني الى ذلك؟ فلقد كان دائما يستهوني منظر الفرس ويثير الاعجاب بي، فالفرس احسن الحيوانات شكلاً بعد الانسان وارتد الدواب عدداً وذكاءً وله خصال حميده[41].

ومع مرور الزمن ازددت تشوقاً وحباً للاطلاع على كل ما يتعلق بالخيل، وكلنا يعلم ان الكلام عن الخيل من اقوم أداب التراث العربي وفنونه، فدعاني فضولي بعدم الاكتفاء بمتعة ما اقرأه عن الخيل بل أخذت ابحث عن مخطوطات تفصل القول فيها الى ان عثرت على مخطوطه (المغني في البيطرة) لاحد ملوك اليمن وهو الملك الاشرف ابو الفتح عمر بن المظفر يوسف بن المنصور عمر بن علي بن رسول الغساني الخفي ملك اليمن تولى صفاء سنة ٦٩٤هـ، ويتصل نسبه بيعرب، توفي سنه ٦٩٦هـ.

نشأ الاشرف في بيئة فيها العلم والعلماء، وكان كثيرا ما يصده معلمه الفقيه سعيد بن ابي اسعد الحراري عن امور لا يرضها له، ثم درس الفقه والحديث واهتم بالفلك والانساب والطب، وعندما طلب الملك المظفر الى الظاهر بيبرس في مصر ان يوفد اليه بعض

(٤٠) انظر دراسة في الخيل وبيطرتها عند العرب ٦٣ ندوة مركز احياء التراث العلمي العربي لسنة ١٩٨٩.

(٤١) القزويني : عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ٢/١٩٠ ـ ١٩١.

الاطباء قال[٤٢]: "ولا يظن المقام العالي إنا نريد الطب لأنفسنا، فأنا نعرف بحمد الله من الطب ما لا يعرفه غيرنا.

وقد اشتغلنا فيه من ايام الشبيبة... وولدنا عمر الاشرف من العلماء بالطب، وله كتاب الجامع ليس لأحد مثله...".

وللاشرف عمر عدد من المصنفات ذكرها مترجموها اهمها:

١ - كتاب طرفة الاصحاب في معرفة الانساب.

٢ - التبصرة في علم النجوم.

٣ - جواهر التيجان.

٤ - كتاب شفاء العليل في الطب.

٥ - المفتي في البيطرة.

٦ - والف كتابا في الاسطرلاب بعد ان زاول عمله واتقنه.

٧ - ونسبت اليه مؤلفات اخرى منها المعتمد في مفردات الطب، وكتاب تحفه الاداب في التواريخ والانساب، وكتاب الجامع في الطب.

وكان ابو الملك الاشرف، الملك المظفر الغساني اشهر من اهتم بالخيول. وهو من ملوك اليمن من آل الرسول[٤٣]، وهو يوسف بن عمر المتوفى سنة (٦٩٤هـ) كان يقتني الخيول للسبق[٤٤]، وفرسه المشهور الكامل.

ومن ملوك آل رسول من كان ينتخب من الخيل الجياد العتاق منها وهو الملك الواثق ابراهيم بن يوسف المتوفى سنة ٦٧١هـ[٤٥].

ومن الخيول من كانت تركب في الاعياد والافراح، ومنها ما كانت لزينة لما فيها من النشاط والخيلاء وحسن الخلق، وهي خيول الملك المظفر حسن بن داؤد بن يوسف المتوفي سنة ٧١٢هـ[٤٦].

ومن الخيول ما كانت تستخدم للحرب، وفي الوقائع المشهورة بين الملك المنصور عمر بن علي وبين اهل مصر، وغلبته على ملك اليمن بعد وفاة الملك المسعود بن ايوب[٤٧].

ومن اشهر من الف كتباً عن الخيل من ملوك ال رسول بعد الملك الاشرف عمر بن يوسف، هو الملك المجاهد على بن داؤد يوسف بن علي بن رسول الذي تولى الملك بعد وفاة والدة الملك المؤيد داؤد سنة ٧٢١هـ وعمره اذ ذاك خمسة عشر سنة[٤٨] وكان قد ورث حب العلم عن ابيه فهو شاعراً فصيحاً وقيل انه اعلم بني رسول[٤٩]، قام باعمال عمرانيه في اليمن، وله من الاثار الدينيه مدرسة في مكة المشرفه ملاصقه للحرم، وبنى مدرسة في مدينة كفر[٥٠].

اما ما قاله الملك المجاهد في الخيل: "ان نشتري الحصان اذا كملت اوصافه وصلح لركوب الملوك بهذا الثمن وباكثر (الثمن اثني عشر الفاً) ولم تكن خيولنا المذكور لركوبنا باهون مما قيل في هذا، وكذلك كان الاباء - رحمهم الله - وبهذا وامثاله تميزت على من سواهم من الملوك وهبة ما كثر ثمنه وعظم في العيون والصدور

(٤٢) القلقشندي : صبح الاعشى ٣١/٥، وابو مخرمة : ثغر عدن ١٨١/١، واحمد عطيه الله : القاموس الاسلامي ١١٥/١ ، والحبشي، مصادر الفكر العربي الاسلامي في اليمن ٥٥٥.

(٤٣) نسبة الى نور الدين عمر بن علي رسول مؤسس الدولة الرسولية، بدأ حكمه سنة ٦٢٦هـ (الخزرجي: العقود اللؤلؤيه في تاريخ الدولة الرسولية ٤٤/١ - ٨٨. والربيع: بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، والقلقشندي صبح الاعشى ٣١/٥)، ان عمر بن علي رسول، تغلب على اليمن وخرج عن طاعة بني ايوب ملوك مصر واستقل بملك اليمن وتطلب بالملك المنصور، ولكي يضف على حكمه الصبغة الشرعية حصل على تفويض من الخليفه العباسي لحكم اليمن، ارسل وفدا الى بغداد وعاد يحمل المرسوم بذلك، ولقب بالرسول لانه كان رسول الخليفة العباسي المعاصر له وهو المستعصم الى الملوك بدون رسائل او بما يعرف اليوم رسائل شفويه (محمد يحيى : تاريخ اليمن ٢٥٣ - ٢٥٤ - ٢٥٧.

(٤٤) انظر مجلة المورد العدد ٤ لسنة ١٩٨٣ م موضوع (نصوص من الموروث الحربي) الخيول اليمنيه في المملكة الرسولية) تاليف الملك اليمني المجاهد على بن داؤد الرسولي المتوفي سنة ٧٦٤هـ، فقد ذكر ما اشتهر من خيول في المملكه الرسولية حيث يقول: اذكر خيولي وخيول ابائي. تحقيق الاستاذ هلال ناجي .

(٤٥) المصدر السابق.

(٤٦) المصدر السابق

(٤٧) مجلة المورد العدد ٣ لسنة ١٩٨٤م.

(٤٨) مصادر الفكر ٥٧١.

(٤٩) الزركلي : الاعلام ٩٧/٥، وكحاله : معجم المؤلفين ٩٠/٧ - ٩١.

(٥٠) مصادر الفكر ٥٧١.

جـلالتـه اشـهى الى نفـس الملـك الكريم العـربي المحض من اقتنائه لنفسه[٥١].

وللمجاهد مصنفات كثيرة في الخيل منها[٥٢].

١ ـ كتاب في الخيل وصفاتها وانواعها وبيطرتها . (مخطوط)

٢ ـ الاقوال الكافية في الفصول الشافية . (مخطوط)

٣ ـ ديوان شعر .

لم اتمكن من الاطلاع على كتاب (الملك المجاهد على بن داود ـ الخيول اليمنية في المملكة الرسولية) ولكني اطلعت على محتواها من خلال وصف الإستـاذ هلال ناجي لهـا في مجلة الورد والتي ذكـرتهـا سـابقـاً تحت عنوان نصـوص من الموروث الحـربي ـ عن الخيول اليمنية في المملكة الرسولية حيث قـال : ان هذا الكتاب الوحيد في الدنيا وضعه ملك شاعر احب الخيل حباً ملك عليه عقله وقلبه فاتقن كل ما تعلق بالخيل اتقان رؤية العين ومباشرة بالنفس واحاط بصفاتها واخبارها وبيطرتها احاطة شاملة . واضاف في تصانيفه الى ما ألفه السلف في هذا الباب علماً جديداً . واخبار لم تحوها كل كتب الخيل المطبوعة المعروفة .

وقد اشار الملك المجاهد ان التبابعة من ملوك حمير باليمن لم يتصل به تسمية خيولهم وانما جاء في تواريخهم واخبارهم كثرة الخيل . وذكـر ان عمـرو بن عـامـر المعروف بمزيقيـاء ـ وهو احد التبابعة باليمن ـ لما احس بخراب السد والغرق، واراد الارتحال من اليمن اختار من خيله البلق خاصـة وترك مـا سواها، واحصيت البلق فكانت تسعين الفا (٠٠٠ / ٩٠) ثم ذكر ما اشتهر من الخيول في المملكة الرسولية والمشهور من خيل الخليفة الملك المظفر يوسف بن عمـر بن علي التي اشتـهـرت وشـاعت اخبـارها واوصـافـهـا والمشهور من خيل الملك الاشرف عمر بن يوسف، وقيل الملوك الذين جاؤا بعده ايضاً .

ويضيف الاستـاذ ناجي عن الكتاب قوله : ان هـذا الكتاب الذي سماه مـختصـراً هـو اوسع كتاب في الخيل تعرفه المكتبة العربية حتى اليوم، عدة مـخطوطته ٩٨ ورقـة، تضم كل ورقـة صحـيـفـتين ومعدل سطور الصحيفة الواحدة ٢٥ سطرا كتبت بخط دقيق، وقد قسم كتابه الى ستة ابواب .

اود ان ابين واوضح **اولاً**، ان كتاب (الخيول اليمنية في المملكة الرسولية تصنيف ملك اليمن المجاهد علي بن داود الرسولي المتوفي سنة ٧٦٤ هـ لم يكن الكتـاب الوحـيد في الدنيـا صنفـه ملك احب الخيل فاتقن كل ما تعلق بها " ، فقد سبقه في ذلك عمر بن يوسف الرسولي المتوفي سنة ٦٩٦ والذي عاش قبل المجاهد علي بن داود بـ ٦٨ سنة وكتب كتابه (المغني في البيطرة) فهذا الكتاب اذاً اقدم من كتاب (الخيول اليمنية في المملكة الرسولية) تناول فيه مؤلفه نفس المواضيع تقريباً التي جاءت في كتاب (الخيول اليمنية ...) .

وثانياً : وضع كتاب (المغنى في البيطرة) الملك الاشرف عمر بن يوسف وهو ملك احب الخيل وولع بهـا وعرف الشيء الكثيـر عن بيطرتها .

ثالثاً : قال الملك الاشرف عن كتابه كما قـال المجاهد علي بن داود عن كتابه فقد قال في مقدمة كتابه : هذا الكتاب مختصر جمعناه فيما جربناه وجربه اهل الخبرة من حكماء الخيل من اهل اليمن في امراض الخيل، ومـا يعرض لهـا من سـائر الامـراض، انواعها، اسبابها، وعلاماتها، وعلاجها، فخير الكلام ما قل ودل وما امل .

وقال الملك الاشرف في كتابه (المغنى في البيطرة) : اقتصرنا على مـا ذكرناه مما لا يستغنى عنه من ذكر الوانها وصفة خلقها، ومـا يستحسن منها ويستقبح اذا كانت اشرف الحيوانات بما فضلهـا الله تعالى به من القوة والعز وايد بهـا الدين واعز بهـا الاسلام والمجاهدين، وجعلها زينة مرتبطة، اذ قـال فيـهـا : " زين للناس حب الشهـوات من النسـاء والبنين والقناطر المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة "[٥٣].

وهذا الكتاب الذي اسماه مختصراً هو اوسع من كتاب (الخيول اليمنية في المملكة الرسولية) فهو يحوي على تسعين بابا ويقول : جعلته تسعين بابا ليقرب تناولها على الطالب [٥٤].

---

(٥١) نصوص من الموروث الحربي (الخيول اليمنيه) مجلة المورد العدد ٤ لسنة ١٩٨٣ ص ١٠١.

(٥٢) الاعلام ٥ / ٩٧ ومعظم المؤلفين ٧ / ٩٠ ـ ٩١

(٥٣) الاية ٦٨ آل عمران ، جاء ذكر الآية في مقدمة البحث ايضاً.

(٥٤) راجع كتاب المغنى في البيطرة .

وكما سبق وذكرنا ان ابواب الكتاب لم تقتصر على الخيل فقط، انما جعل الكلام عنها في مقدمة كتابه لما فضلها الله على بقية الحيوانات .

واهتم بعلاجها وجرب علاجها بنفسه دون الاعتماد على ما جربه من سبقه من اهل الخبرة فقط من حكماء الخيل من اهل اليمن في امراض الخيل، وما يعرض لها من سائر الامراض واسبابها، وعلاماتها، وعلاجها .

وسأذكر في بحثي هذا ملخص لابواب كتاب (المغني في البيطرة) فقد قمت بتحقيق هذا المخطوط وصدر ضمن اصدارات مركز احياء التراث العلمي العربي لسنة ١٩٨٩ وللمزيد من المعلومات يمكن للقارئ الكريم الاطلاع على هذا الكتاب .

ففي الباب الاول، ذكر الملك الاشرف الوان الخيل وصفاتها واجناسها وهي (الادهم، والعرب تختار للحرب كل ادهم تزعم انه اصلب واشد حوافر مما عليه الاوضاح) (٥٥). والاخضر (الديزج) والاحوى، والكميت، والاصفر، والورد، وقد سمى كثير من العرب اسماء خيولهم الورد (٥٦). والاشهب ٠) .

وقد اوضح الاشرف الغساني كل هذه الالوان وما يخالط اللون الاصلي للفرس من الوان مغايرة للون شعر الفرس او بالنسبة للون المنخري او الاذان او السرة او اقرب الفرس او العرف او القذال الى غير ذلك، ولكني لم اجد من بين كل الالوان التي ذكرها الاشرف الغساني في كتابه هذا وصفاً للفرس الابيض، وقد ذكر (الشرش) وقال هو اي الفرس الذي يكون له لون ابيض يضرب الى الصفرة .

وفي الباب الثاني : ذكر الاشرف الغساني في كتابه (المغنى) اسماء الخيل وصفاتها المحمودة منها والمذمومة .

ومن اسماء الخيل هي الخيل، وسميت الخيل خيل لاختيالها في المشيه، (والصدافق) مفردها صافن وهو القائم على ثلاث قوائم وكذلك فسر قوله عز وجل " اذا عرض عليهما العشر الصافنات" (٥٧). والصواهل جمع صاهل ، والمقربة - كما ذكرنا سابقاً - فيقرب مربطها ومعلقها (٥٨). والجرد ، اذا سمن الفرس قصرت شعرته فقال اجرد واذا هزل طال شقرته و (الارجية)، منسوبة الى خيل كرام منعوته بالكرم والسبق .

وذُكر في المغنى من اسماء الخيل (الشواهم) ، وهي التي ضمرت وتغيرت الوانها من طول الفر والتعب، واتخذت لهذا الغرض لقوتها ونشاطها وسرعتها ومن اسماء الخيل (المذاكي القزح) قال الشاعر فيها (٥٩) :

حين طابت شرائع الموت فيهم ومراراً يكون عذب الحياض
باللواتي لم يتركن عقاقاً والمذاكي ينهض اي انتهاض

وذكر الاشرف في كتابه المغني اسم الخيل فقط دون ذكر او وصف هذه الخيل فقد ذكر من اسماء الخيل ايضاً : السبق، ولاحق، وداحس، وذو العقال (٦٠). ومذهب والوجيه (٦١) ، والشذب المضمرة (٦٢) قال الشاعر

خيل كأمثال السعالي شذبا تعدوا تبيض من الكريهة سوس

ويقال فرس كريم، وفرس جواد كريم، وطموح سريع الوثب .

(٥٥) المخصص ٢ / ١٥٢ والمنجد ٢٢٧ والارخرومِلي : الخيل العراب ٥٣

(٥٦) انظر ابن قتيبة : ادب الكاتب ١٤٣ وابو عبيدة : كتاب الخيل ١٠٥ والاصمعي : كتاب الخيل ٢١ ، والمخصص : ٢ / ١٥٠ والمحيط ١ / ١٦٢ ، ومن كتاب انساب الخيل ٢٠ ولسان العرب ٢ / ٦٢

(٥٧) الاية ص ٣١

(٥٨) الاجهاني : جريدة القصر ٤٦١ وابن سيده : المخصص ٢ / ١٣٥

(٥٩) القريني : جمهرة اشعار العرب ١٩٣ ، وفي مجمع الامثال للميداني ١ / ١٥٨ ان المذاكي هي الخيل التي ألت عليها بعد قروحها سنة وسنتان وكذلك وذلك في جريدة القصر م٢ / ٢٣٣

(٦٠) وهي من اسماء افراس النبي (ص) حياة الحيوان الكبرى ٢ / ٢١٩

(٦١) الوجيه : الذي تخرج يداه معاً عند النتاج وبه سمي المفحل المعروف الوجيه (المخصص ٢ / ٣٦)

(٦٢) شذب الفرس تذب طويل وليس بكثير اللحم (لسان العرب م٢ / ٢٨٦ والمجلد ٣٧٩ استعير من الجذع المشذب (تاج العروس ٣ / ١٠٩) .

وسابح الذي يسبح في جريه [٦٣]. يقول المتنبي :

اعز مكان في الدنا ظهر سابح   وخير جليس في الزمان كتاب

والسابح هنا الفرس التي تسير بك فكانما تجري لك لسلالتها في الماء[٦٤] والنهد الطويل، ونهد المراكل[٦٥] .

ومن اسماء الخيل (العتيق) لم يذكر الملك الاشرف عنها شيئاً فالعتيق من الخيل ما كان ابواه عربيان سمي بذلك لعتقه من العيوب وسلامته من الطعن فيه بالامور المنقصة[٦٦].

وقال الدميري : قال الزمخشري في تفسير سورة الانفال "ان الشيطان لا يقرب صاحبه فرس عتيق ولا دار فيها فرس عتيق[٦٧] .

والعتيق من الخيل هو الاصيل اي الجياد الممتازة النقية السلالة، ويرجع فيها الى الجياد العربية[٦٨] .

والعتاق الكريمة المنسوبة الى جياد الخيل[٦٩]، وتأتي ايضا بمعنى فرس رائع[٧٠] .

ومن سيماء العتق ودليل النجابة، الكفل المزحلق، والجلد الناعم فهما دليل العتق والجوده، والجوف الاخرق اي الواسع البطن.

كما لم يذكر الملك الاشرف في كتابه (المغنى) عن الخيل العراب، اما الدميري فقد ذكر في كتابه حياة الحيوان ان الخيل سميت بالعراب لان اول من ركبها اسماعيل عليه السلام، ولذلك سميت بالعراب، وكانت قبل ذلك وحشية كسائر الوحوش[٧١].

وقال القريشي : ان خيل عراب اي كرائم سالمه من الهجنة[٧٢].

والخيل العراب اي عربية منسوبة الى العرب اذا سمع صهيله من له خيل عراب عرف انه عربي[٧٣].

وفي الباب الثاني من الكتاب ايضا، ذكر الاشرف الغساني عن (التحجيل) فقال: التحجيل هو بياض يبلغ نصف الوظيف (ما بين[٧٤] العرقوب الى الرسغ[٧٥].وما بين الركبة إلى الرسغ[٧٦] وهي مستدق الذراع او الساق من الخيل والابل وغيرها[٧٧]. والحجل، ان تكون قوائمه الاربع بيضاء، يبلغ البياض منها الى ثلث الوظيف او نصفه او ثلثيه بعد ان يجاوز الارساغ.

وذكر الدميري[٧٨] عن التحجيل الا تكون الحجلة في الرجل، وقال ايضا عن ابن دريد هو ان يكون محجلاً في شق واحد في يده ورجله فان كان مخالفا مثل شكال مخالف، وقيل الشكال بياض اليدين، وقيل بياض الرجلين.

وقال ابن قتيبة[٧٩]. الشكال ان تكون ثلاث قوائم محجلة والواحدة مطلقة وعكسه ايضا، وهذا ما ذكره الدمياطي في فضل

---

(٦٣) المحيط ١ / ٢٢٦

(٦٤) في سبيل موسوعة علميه.

(٦٥) وفرس نهد المراكل اي واسع الجوف عظيم المراكل والمراخل: حيث تصيب رجلك من الدابة اذا ركبتها ركلتها (المنجد ٢٧٧، ومعجم الرافد ١٧١).

(٦٦) حياة الحيوان الكبرى ٢/٢١٠.

(٦٧) المصدر السابق.

(٦٨) البيطره : ورقة ٥٠.

(٦٩) هذا ما ذكره الملك الاشرف في كتابه المغنى.

(٧٠) المنجد ٤٨٦.

(٧١) مخطوطة الفروسية ورقة ٤، وحياة الحيوان الكبرى ٣٠٩/١.

(٧٢) جمهرة اشعار العرب ١٧.

(٧٣) لسان العرب م ٢ / ٧٢٤.

(٧٤) العرقوب: ما ضم ملتقى الوظيفين والساقين من مأخذهما، من العصب والعظم (كتاب الخيل ٣٧) وفي تاج العروس ٢٥٧/٣ ان العرقوب : عصب فوق عقب الاسنان وفي الدابه في رجلها بمنزلة الركبة وفي يدها وهو الكرسوع والعقب، وقيل هو كل عظمين اجتمعا في مفصل نحو المنكبين وبه تسمى الكردوس من الخيل لانضمام بعضها الى بعض (ابن دريد : جمهرة اللغة ٢١٣/٣).

(٧٥) الرسغ : الموضع المستدق بين الحافر وموصل الوظيف من اليد والرجل (المنجد مادة رسوم).

(٧٦)

(٧٧)

٧٨)حياة الحيوان الكبرى ٣٠٩/١.

٧٩) عيون الاخبار ١٥٣/٢.

الخيل حيث قال: ان الشكال بياض الرجل اليمنى واليد اليمنى، وقال: بياض الرجل اليسرى واليد اليسرى او بياض الرجلين ويد واحده[٨٠].

وعن ابي هريرة (رض) قال: كان النبي (ص) يكره الشكال من الخيل[٨١] وجاء رجل الى الرسول (ص) فقال اني اريد ان ابتاع فرساً فقال: عليك به افرح[٨٢] ارثم محجل ثلث طليق اليمنى[٨٣].

ويروى عن النبي (ص) انه قال: ارتبطوا محجل الرامحثين مطلق السابحتين[٨٤].

وقد ذكر الغساني في مؤلفه ان الفرس اذا كان محجل الرجل وحدها فهو عيب الا ان يكون به غره[٨٥] فحينئذ ليس بعيب وقد مدح الارجل، وما كان افرح قال الشاعر[٨٦]:

اسيل نبل ليس فيه معابه كميت كلون الصرف اقرح

وللفرس اسماء متعددة بحسب البياض الذي يقع في جسمه فهد اشيم، اصبغ، اكند، اشجر، انبط، اخرج، ابلف اقمح، اوقع الى غير ذلك[٨٧].

وسمى الغساني الفرس باسماء كثيرة حسب الغره التي في وجهه منها ارخم، لطيم، اسعف، اصبغ، واسطح، ادراء، اغر ابرص اخفق، العنواد، جليل، معمم، ادراء.

وكل بياض في الوجه يشبه لونه لون (الذئب) فهو اطلس وهذان اللونان شر الالوان وانكرها[٨٨] كما ان للغرة ذاتها اسماء متعددة منها: المبرقعة، ممصرة، والسائلة، المبصرة، اليعسوب[٨٩]، والشادقه[٩٠].

وفي الفصل الثاني ايضا ذكر المؤلف في كتابه (المغنى) العلامات المحمودة والمذمومة لحكماء الهند وغيرهم، فقد كانت تجارة الخيول بين العرب والهنود رائجة، وكانت تستورد من الساحل العربي الى الهند، ويذكر بعض الباحثين ان سعر الحصان الواحد بلغ ٢٢٠ دينارا ذهبا، وربح منها راجات الهند مبالغ طائلة، وقد قسم احد سلاطين دهلي الحصان الى ثلاث مراتب، طبقه لتربيته ونوعه، كما حدد اسعار الخيول التي لا تصلح للخدمة العسكرية، والتي تستخدم في النقل وغير ذلك، واسعارها اقل من اسعار خيول الحرب، وكانت الخيول تستخدم في الهند اساساً في الحروب، بالاضافة الى امتطائها نظراً لما في ركوبها من جمال وهيبة، لذلك سارع امراء الهند في استيرادها ، كما ان هذه الكثرة في استيراد الخيول ترجع الى عدم ملائمة الهند للخيول فكان يفقد اغلبها*.

وعليه فقد اهتم امراء الهند باستيراد الخيل خاصة لركوبها ولذا عرفوا الصفات المحمودة منها والمذمومة، وهذا ما ذكره الغساني في كتابه المغنى.

(٨٠) ص ٦٤.

(٨١) عيون الاخبار ١٥٣/٢ والدمياطي : فضل الخيل ٦٤، وعن التحجيل انظر المخصص ١٥٦/٢ ووديع التكريتي: مبادى الفروسيه الحديثه ٦٣ وعبد الجبار الراشد: مواصفات الجواد العربي الاصيل ٦٣.

(٨٢) اقرح : بياض في جبهة الفرس تسمى قرحه (المخصص ١٥٤/٢).

(٨٣) مخطوطة البيطرة ٥٠.

(٨٤) المفتي في البيطرة ٣٦.

(٨٥) المصدر السابق ٣٨.

(٨٦) المخصص ٦٥٤/٢.

(٨٧) المفتي ٣٢ ـ ٣٤.

(٨٨) المصدر السابق ٣٣.

(٨٩) اسم فرس النبي (ص) واسم فرس الزبير بن العوام (لسان العرب ٧٧٢ والبخي : رشحات المداد ١٢٥.

(٩٠) والشادخة قال فيها مسكين الدرامي.

غـرتنا بالجـد شـادخـه للناظرين كـأنهـا البـدر

(الارضروملي : الخيل العراب ٥٦)

* شوقي عمان : تجارة المحيط الهندي ٢٣٢ ـ ٢٣٣.

فالصفات المحمودة هي، ان يكون الفرس مقبب الحوافر، رحب المناضر قليل لحم الوجه، صدور الكفل[٩١] خارج الصدر، صدره كصدر الباز، وفيه اتساع خارج الكونين فوق الصدر عذاريتان[٩٢]، وتدويرة الخاصرة، والتدويره التي فوق الاذنين، محجل الثلث وطلق اليمين، سائل الغره، قصير الظهر، عريض الجنب طويل الذيل (يقال فرس ذيال) قوي العصب، ممسوح الركب، سالم العيوب في العراقيب، مليح العينين، سالم الوجه، قصير الاذنين، معتدل الرقبه، عالي الركاب، طويل البطن هذه هي علامات الفرس الجواد.

العلامات المذمومة في الخيل لحكماء الهند وسواهم حسبما عددها الغساني في كتابه المغنى منها، الفرس الاصفر فهو كثير الحس قليل النشاط، واختلاف الاسنان واللسان، وان يكون في حاركه[٩٣] نخله وهي مذمومة عند اهل الهند خاصة وخروج احد الكفلين عن الاخر، وان يكون في رجل الفرس الواحدة بياض، والطبطبه، وهو يرخي جحفلته السفلى حتى لو شاء يحركها لحركها وطبطب لها كالبعير، وقصر اللسان لانه اذا قصر قل الريق فيسرع الحصان الى العطش، ومنها الاهم الاذان، ومنها القود، وهو شيء في العنق ويكون عنق الفرس ممتد لا يقدر يردها يمينا ولا يسارا، ولا يرفع راسه اذا قسى وهو عيب كبير.

ومنها (القرسطون)، وهو شعر يكون في الصدر من خارج مستدير بطول الاصبع، ولم يكوهه الا الهنود ولا غير، فانهم يتشاءمون به.

ومنها (الافرق) وهو ان ترى ركبتا يديه مفتوحتين كالقوس الى داخل، وهو خلقة يولد بها المهر وينصح الغساني بعدم التقرب منه اي شراءه ومنها (المقوس اليدين) وهو عيب شديد شبيه بالافرق، وينصح الغساني ايضا بعدم التقرب منه اي شراءه.

وهناك عيوب كثيرة ذكر الغساني في الباب الثاني من كتابه المغنى وهناك علامات يتساءم منها ويبتعد الهنود من شراءها وهي دائرة (المحيا) وهي لاصقة باسفل السره.

والهقعة وتكون في عرض زور الفرس يتسأم منها ودائرة القادم، وهي التي تكون في المنسج من شعر الدابه، وهي مذمومة جدا ومن اكبر العيوب.

والنخله التي تكون تحت الابط، وهذه لا يركبه الملك بل يمشي بين الخيل اما الفرس النطيح وهو الذي في وسط جبهته دائرة اللطاة اذا كانت واحدة لا تكره، فان كانت به دائرتان، تسميه الهنود الحور اذا رأوه لم يشتروه حتى لو وهب لهم لم يقبلوه.

وهناك دوائر اخرى منها اللهزمه، والمقود والسمامه والنافذ وهناك دوائر اخرى ذكرها ابن سيده في المخصص[٩٤] يتفاءل بها في الحرب والطالع، وقيل اذا كان بمنخر الدابه دائرة او دائرتين نجا صاحبها النكبان والدائرة القريبه من الجحفله يدل على نمو المال وكثرة الخير، وان كان بصدرها اربع دوائر اثنتان في اليمين واثنتان عن الشمال رزق صاحبها كثيرا، والدائرة ببطن الفرس تدل على طول العمر وسلامة صاحبها[٩٥].

وفي الباب الثالث فسر اسنان الخيل وعلاماتها وعلاجها.

فذكر ان ثنايا المهر تنبت بعد ان تضعه امه لخمسة ايام بينما جاء في كتاب الطب العدلي البيطري والسموم، ان الثنايا تظهر في المهر وقت الولادة، او بعد مرور عشرة ايام[٩٦].

والرباعيتان تظهر بعد شهرين وهذا ما جاء في كتاب الخيل[٩٧] ايضا اما القوارح فتظهر بعد ثمانية اشهر الى تسعة، اما في

(٩١) وهو يلي القطاة من جسم الفرس وفيه مفرز الفرس، ويسمى العجز او الردف (المنجد ٦٩١).

(٩٢) العذر : الخصائل التي تلي القفا هي معرفته، واذا حلقت الناصيه فابقيت منها شيئاً فما بقي يسمى العذره، والعذرة : الشعر من كاهل الفرس (الناصيه) (للمنجد ماده عذره).

(٩٣) الحارك: ما شخص مذق فروع كتفيه من اصل العنق الى مستوى الظهر (ابو عبده ٢٥).

(٩٤) المخصص ١٤٧/٢.

(٩٥) انظر الزردقه في الخيل وامراضها وما يتعلق بها ٤ ـ ٥.

(٩٦) طالب عبد الامير مكاوي : الطب العدلي ١١١.

(٩٧) ابي عبيده : كتاب الخيل ٢٢.

كتاب الخيل فقد جاء ظهور القوارح بعد مرور ٦ - ١٠ اشهر بعد الولادة[٩٨].

وان لكل مهر اثنى عشر سنا ستة من فوق وستة من اسفل. وان الحصان البالغ يملك ٤٠ سنا، والفرس ٣٦ سنا لان الانياب لا تظهر عند (الانثى) ولكن تظهر في الخيول (الذكور) بعد مرور ٤ سنوات من عمر الحيوان [٩٩] ويكتمل نموها في السنة الخامسة وهذا ما لم يذكره الغساني في كتابه[١٠٠].

وتكلم المؤلف عن لسان الخيل كلاما موجزا، حيث قال: ان من الخيل ما إذا لجم ولى لسانه وأرخه ولا يكاد يستعيده وذلك من اردىء الخيل وألد داب وادناه، ومن الخيل ما يكون اذا لجم تولع بتحريك اللجام وهذا محمود فيها. وكان كلام المؤلف عن كل من اسنان الخيل ولسانه كلاماً موجزاً، واضيف الى ما ذكره عن اسنان الخيل بان يعرض لها عرض مخالف لما يعرض لسائر الحيوانات، فان نعلم ان جميع الحيوانات اذا طعنت في السن اسودت اسنانها، اما الفرس فيكون ابيض الاسنان اذا كبر هذا ما جاء في (طباع الحيوان لارسطو ص ٦٥).

وفي الباب الرابع من كتاب (المفتي) تكلم المؤلف عن كيفية تأديب الفرس وترويضها فيقول عن لسان جماعة من اهل البصرة واهل الخبرة عن رياضتها وتقويمها، ان الدابه تتأدب وتعرف اللجم في سنة كاملة وكان يلجم الفرس بلجام بلخي (نسبة الى بلخ جنوب نهر خيجون وكانت بيد العرب حتى سنة ٦٥٣هـ)[١٠١].

وبعد ترويضه يقدم الى من يركبه سواء للملك او الرئيس الذي قد ادب له الفرس ويكون عليما بالفروسية فكلما اراد من الفرس وجده من غير ان يشغل يده به.

يقول الغساني في هذا الباب، ان من واجبات الفارس نحو فرسه هو ان يملىء قلبه حب الخيل والعناية بتقويمها وتأديبها بالرفق والمدارة ويتعاهدها بنفسه ولا يتركها.

وفي الباب الخامس من الكتاب تكلم عن انعال الخيل، فقد ذكرنا في بداية بحثنا هذا، ان من حرص العرب على الخيل كانوا يضعون لها النعال لتقي حوافرها من الصخور والارض الصلبة. كي لا يصيب الحافر ما يسمى (الرهصة او الرهسة)[١٠٢]. فيعمل له نعلاً انتاكياً[١٠٣].

فمن اهتمام العرب بالخيل نرى انهم يستوردون ما يحتاجه الفرس من ادوات من بلاد مختلفة فمثلا وكما مر قبلا ان اللجام من بلخ والنعل من انتاكيا وربما اشياء اخرى من اماكن مختلفه لم يذكرها المؤلف.

وينشف الحافر، وهو ان يتقلم الحافر بالمنجل الحاد فينشف نشفاً متوسطا ويترك على الحافر قشرة او قشرتين، فقد ذكروا (ان قشره في الحافر خير من الف بيطار) لان القشرة التي تروح من فوق الحافرين جراء المشي لا يقدر على اعادتها.

ومن الباب السادس من الكتاب وحتى الباب السادس والسبعين فكلم المؤلف عن الامراض التي تصيب الخيل واسبابها وعلاقتها وعلاجها وهذه الامراض هي (حسبما ذكرها في كتابه):

١ - الجرد البقري.
٢ - الجرد العظمي.
٣ - خنان المفاصل.
٤ - امراض الخنان الرطب واليابس.
٥ - مرض زقى الهر.
٦ - مرض فقر الدم.
٧ - حمى الحسبك.

---

(٩٨) المصدر السابق

(٩٩) المصدر السابق.

(١٠٠) جاء في الباب السابع والاربعين من كتاب المغنى ان الدوال وهو ان يطول (فرس) الفرس على سائر الافراس وهذا يضر بالفرس او الحصان ويمنعه من الاكل فيؤلم الدابه كلما اكلت. وقد اعطى لها المؤلف العلاج وهو ان يكسر الفرس بالمقلم ويطرق بالمطرقه الخفيفه ضربه او ضربتين فانها تتكسر سريعا ويستريح ثم يبس بالملح والثوم حتى يبرأ (المفتي ١٢١).

(١٠١) الموسوعة العربية الميسره ٣٩٦.

(١٠٢) جمهرة اللغة ٢/٣٦٠، والمخصص ٢/١٤٦، والمنجد ٢٨٣.

(١٠٣) نسبه الى انتاكيا او انطاكية، وهي مدينة في محافظة الاسكندرون.

٨ ـ حبوب تطلع في الفرس.

٩ ـ امراض الحمى.

١٠ ـ مرض الخنازير.

١١ ـ مرض السرطان.

١٢ ـ مرض الانتشار.

١٣ ـ مرض الخلد الطيار (الجذام).

١٤ ـ مرض الترك والخلع والعرج والعسف في الرجل.

١٥ ـ انحلال كفل الفرس وعراجه.

١٦ ـ ضيق حافر الفرس.

١٧ ـ مرض التكبد.

١٨ ـ مرض الجرزون.

١٩ ـ قوة راس الفرس.

٢٠ ـ مرض الكزاز.

٢١ ـ مرض القعر.

٢٢ ـ مرض النفاخ ورياح التقطيع.

٢٣ ـ مرض الرهصة.

٢٤ ـ حبوب تطلع في وجه الفرس.

٢٥ ـ مرض القولنج.

٢٦ ـ مرض الشظاة في يد الفرس.

٢٧ ـ مرض الظفرة في العين او البياض بها.

٢٨ ـ البرص والبياض والاكله في عين الفرس.

٢٩ ـ مرض الماء الاسود في العين.

٣٠ ـ مرض الزياد.

٣١ ـ مرض الشرى.

٣٢ ـ مرض المخاص.

٣٣ ـ مرض التخشب.

٣٤ ـ مرض بيت السبق.

٣٥ ـ مرض النسا.

٣٦ ـ مرض السلع وورم الركب.

٣٧ ـ مرض السقاوات.

٣٨ ـ مرض السعال واصنافه.

٣٩ ـ المثاليل في الفرس.

٤٠ ـ التابوث والروال في الفرس.

٤١ ـ مرض الخرزتين والساقين.

٤٢ ـ مرض صهيل الفرس وانقطاع صوته.

٤٣ ـ مداوغه الاضف من الخيل، والاصدف، والافقد.

٤٤ ـ مرض الذئبه.

٤٥ ـ مرض الثوثة.

٤٦ ـ حبوب تطلع تحت عين الفرس.

٤٧ ـ زمن الفرس.

٤٨ ـ علاج الدابه اذا كانت تلهث من غير عله ولا خسره.

٤٩ ـ هزال الدابه.

٥٠ ـ الورم والعقر.

٥١ ـ السعوط للخيل:

٥٢ ـ توقيح الحوافر اذا كان فيها الرود والشقاق.

٥٣ ـ ما يسمن الدواب ويهزلها.

٥٤ ـ التبسم والتخم في الفرس.

٥٥ ـ مرض الحناك.

٥٦ ـ الحافر اذا انقلب وارتخى العصب.

٥٧ ـ التشمير في الفرس.

٥٨ ـ تطيب الحجر للحمل وذكر القفاز والنتاج.

٥٩ ـ الحجر اذا مات ولدها في بطنها.

٦٠ ـ علاج لسعة الحنش والحيه والعقرب.

٦١ ـ علاج الجفول.

٦٢ ـ ما ينبت الشعر للدابه اذا انحلق من نفسه او من لزقه او من كي.

٦٣ ـ ما يستعمل لصحة الدواب في سائر الاوقات ويحفظها من الاهوية.

٦٤ ـ الحجر الخنوق.

٦٥ ـ اخراج العلق من فم الدابة.

وقد إطلعت على كتاب (الخيل والبيطره) لابن اخي حِزام الختلي او

اتجيلي الخطائي - يقول الاستاذ هلال ناجي: "لقد لحق التحريف اسمه ولقبه في بعض المخطوطات[١٠٤].

والكتاب اقدم مخطوطه في بيطرة الخيل، وقمنا بمقارنتها مع كتاب "المفتي في البيطره". وقد كُتبت مخطوطه (الخيل والبيطره) سنة ٢٤٧هـ تقريبا لان ابن اخي حزام ألفه للخليفه المتوكل الذي قتل سنة ٢٤٧هـ[١٠٥] وقيل، انه كان رئيساً لاصطبلات المعتصم المتوفى سنة ٢٢٧هـ وثم قسائداً لانبار سنة ٢٥١هـ، وانه تولى رئاسة اصطبلات الخليفة المعتضد الذي تولى الخلافه عام ٢٧٩هـ[١٠٦].

ويؤكد المؤرخون العرب والاجانب ان الكتاب صنف قبل عام ٢٤٧هـ

لانه صنف للمتوكل العباسي[١٠٧]، والنسخه التي قارنتها مع كتاب المغنى في البيطره هي نسخة جستير بيتي، ومكتوب عليها في الصفحة الاولى من المخطوطة (كتاب الفروسية)، وفي الصفحه الاخيره منها يذكر المؤلف عبارة (ينتهي كتاب الخيل والبيطره... الخ).

ان الاشرف الغساني صاحب كتاب (المغنى في البيطره) ذكر اسباب الامراض التي تصيب الخيل وعلاماتها وعلاجها، اما ابن اخي حزام فقد ذكر علاجاتها فقط. ولكنه اي ابن اخي حزام ذكر بعض الامراض التي لم يذكرها غيره ممن كتب في بيطرة الخيل كمرض الربو والهيضه والسل، وهي أمراض ما زالت معروفه حتى يومنا هذا. الا ان الباحثين لم يتمكنوا من التعرف على علاماتها في ذلك الوقت وهل كان العرب لنفس الاسباب أم هي تسميات لامراض مختلفة.

ونجد ان ابن اخي حزام لم يتحدث سوى عن ذكر اسماء الامراض وعلاجاتها فقط، ومعظمها كانت تسميات لا تدل على حالة المرض وعلاقته او اسبابه فقد اكتفى بذكر وصف العلاج بعد ذكر اسم المرض وكيفية اعطاء العلاج اللازم له دون معرفة الاسباب، وان هناك كثير من الامراض تتشابه اعراضها ولكن تختلف علاجاتها.

اما الغساني فقد ذكر في كتابه (المغنى) المرض واسبابه وعلاجاته ثم عالجه.

وعدد ابن اخي حزام الامراض فكانت (١٨٧) مرضا الا ان بعضها في الواقع ليس بالمرض وقد تنجم عن رضوض او اسباب ميكانيكية وخلقية وغيرها من اسباب.

اما الامراض التي ذكرها الغساني في كتابه (المغنى) فهي (٦٥) مرضا وعالجها بالاعشاب النباتية او الزيت واكثر علاجاته كانت (بالكي) كما استخدم في علاج الجرد البقري وخصي الفرس[١٠٨] الكبير (خيط الحرير) وهذه اول اشارة لاستخدام خيوط الحرير في العمليات الجراحية البيطرية فلم نجد من خلال المصادر المتوفرة لدينا ما يشير الى استخدام خيوط الحرير لهذا الغرض.

هذان مؤلفان للكتابين عن بيطرة الخيل فقد عاشا المؤلفان في فترتين متباعدتين جدا بينهما ما يزيد على اربعة قرون اشرفا على علاج الخيل بانفسهما على الرغم من اختلاف في المكانة الاجتماعية لكل منهما. وقدما النصيحة لاصحاب الخيل لتجنب الوقوع في اخطاء عند علاج خيولهم فمثلا يقول ابن اخي حزام: "احذر ان يعالج دابتك الا بيطار حاذق ناصح...".

(١٠٤) بروكلمان : تاريخ الادب العربي ٣٢٨/٤، وهلال ناجي بيطرة الخيل عند العرب من خلال اقدم مخطوطاتها. في سلسلة محاضرات مركز احياء التراث العلمي العربي (ص ١).

(١٠٥) ابن الكازروني : مختصر التاريخ ١٤٥.

(١٠٦) بروكلمان : تاريخ الادب العربي ٣٢٨/٤.

(١٠٧) بيطرة الخيل عند العرب من خلال اقدم مخطوطاتها.

(١٠٨) نهى الرسول (ص) عن ان تخص ذكور الخيل وكذلك الابل والبقر والغنم ويقول فيها نشأة الخلق، ولا تصلح الاناث الا بالذكور، وان عمر (رضي) كان ينهى عن خصاء البهائم ويقول: هل الانماء الا في الذكور ومنهم من اجاز اخصاء الخيل والدواب وقيل كان احب الخيل الى سلف المسلمين، وفي عهد عمر وعثمان ومعاويه (رضي الله عنهم) الخصيان فانها اخفى للكمين والطلائع، وابقى على الجهد (الجاحظ، الحيوان ١٣١/١ـ١٣٢، ١٧٧).

كما سبق وذكرنا ما قاله الغساني في المحافظة على القشرة التي فوق الحافر حيث قال: "قشرة في حافر خير من الف بيطار".

وعليه فان الاستخدامات التطبيقيه لبيطرة الخيل عند العرب زاخرة بمضامنيها غنية بعلميتها وتطبيقاتها والتي كان استخدامها ليس محض الصدفه انما هو الاعتماد على التجربه بانفسهم بالاضافة الى ما تعلموه وسمعوه من الحكماء واهل الخبرة في الخيل.

نعود الى الغساني وكتابه المغنى، فبعد ان انتهى من علاج امراض الخيل، ذكر في الباب السادس والسبعين عدد عروق الفرس وكم يقصد منها.

لم تقتصر ابواب الكتاب على الخيل فقط، وانما جعل الكلام عنها في مقدمة كتابه لما فضلها الله على بقية الحيوانات وايد بها الدين واعز بها الاسلام والمجاهدين.

وينتقل **في الباب السابع والسبعين** عن الكلام على البغال والوانها وصفاتها والجيد منها والرديء وعلاج امراضها.

وفي الباب الثاني والثمانين يذكر الامراض التي تصيب الحمير وسببها وعلاماتها وعلاجها وفي الباب الثالث والثمانين الى الباب السابع والثمانين يتكلم المؤلف عن اسماء واصناف الابل والجيد منها والرديء، ثم ذكر اسنانها وامراضها وعلاماتها، ووجدنا ان بعض من هذه الامراض التي تصيب الابل تختلف في التسمية والعلامات مثل مرض (المفطار) وهو جراح يظهر في نحر البعير او بجانبي ضرع الناقه.

و (الجزاز) وهو ان يطلع في جسد الناقه حبه صغيرة فتتفتح وتنتشر في الجلد وتتصلب وتنشف الشعر من موضعها.

ثم يذكر علوفات الابل وما يصلح لاطعامها.

وفي البابين السابع والثمانين والثامن والثمانين يتكلم عن البقر.

وفي الباب التاسع والثمانين يذكر امراض الضأن وعلاجها.

وفي الباب التسعين وهو تمام الكتاب يذكر امراض المعز.

ويختتم كتابه.

فيقول الناسخ بحمد الله وعونه وحسن توفيقه، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله واصحابه وازواجه وذرياته اجمعين.

كتاب كتبه ملك ابن ملك جرب علاج الخيل بنفسه ولم يعتمد على ما عالج به الاولون.

المــراجع

- القران الكريم : ابن اخي حزام: كان حياً (٢٤٧ هـ) محمد بن يعقوب بن اسحق مخطوطة (الخيل والبيطرة).
- ابن الاعرابي : (٢٣١ هـ) محمد بن زياد كتاب اسماء خيل العرب وفرسانها.
- ابن دريد (٣٢١ هـ) ابو بكر محمد بن الحسن الازدي البصري.
- ابن سيده : (٤٥٨ هـ) ابو الحسن علي بن اسماعيل النحوي اللغوي الاندلسي المخصص الجزء الثاني - بيروت.
- ابن عبد ربه : (٣٢٤ هـ) احمد بن عبد ربه الاندلسي العقد الفريد، القاهرة ١٩٤٨م.
- ابن قتيبه : (٢٧٦ هـ) عبد الله بن مسلم الدينوري

١ - ادب الكاتب - بيروت ١٩٦٧ م.

٢ - عيون الاخبار - بيروت ١٩٢٥م، اعادت طبعه مصور عن دار الكتب المصرية.
- ابن الكازروني : (٦٩٧ هـ) علي بن محمد البغدادي.

مختصر التاريخ - بغداد ١٩٦٩ م.
- ابن الكلبي : (٢٠٤ هـ) هشام بن بشير بن السائب انساب الخيل في الجاهلية والاسلام واخبارها تحقيق احمد زكي - القاهرة ١٩٤٦م.
- ابن منظور : (٧١١ هـ) جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري لسان العرب دار صادر - بيروت ١٩٥٥م.
- ابن عبيده : (٢٠٩ هـ) معمر بن المثنى التميمي، كتاب الخيل، حيدر اباد الدكن ١٣٥٨ هـ.
- ابو مخرمه : (٩٤٧ هـ) عبد الله الطيب بن عبد الله بن احمد ثغر عدن - الجزء الثاني، طبع باليدن ١٩٢٦م.
- الاحمد : سامي، المدخل الى تاريخ العالم القديم، القسم الاول - العراق القديم.
- الارضروملي : قدري، الخيل العراب، وفضلها على الانسال العالمية بغداد ١٩٧١م.
- الاصبهاني : (٥٩٧ هـ) العماد الاصفهاني الكاتب، جريدة القصر وجريدة العصر، تحقيق محمد المرزقي واخرين ١٩٦٦ تونس.
- الاصمعي : (٢١٦ هـ) ابو سعيد الملك بن قريب بن الملك بن علي بن أصمع.

كتاب الخيل، المكتبه الشرقية العراقية للأباء المرسلين الكرميلين بغداد ١٩١٠ م.
- الاطرقجي : رمزية، الحياة الاجتماعير في بغداد منذ نشأتها حتى نهاية العصر العباسي الاول.
- الالوسي : سالم، مقالة : ميادين الفروسية في سامراء، القيت في الندوة القطرية الرابعة في مركز احياء التراث العلمي العربي سنة ١٩٩٠.
- ارسطو طاليس: (طبائع الحيوان) ترجمة يوحنا البطريق، تحقيق عبد الرحمن بدوي الكويت ١٩٧٧م.
- النجشي : (١٠٩٨) محمد النخشي الحلبي، رشحات المداد فيما يتعلق بالصافنات الجياد، الطبعة الاولى.
- بروكلمان : كارل، تاريخ الادب العربي - دار المعارف بمصر ١٩٧٥.
- التكريتي : وديع، مبادىء الفروسية الحديثة.
- الجاحظ : (٢٥٥ هـ) محمد بحر، الحيوان الجزء الاول، الطبعة الثانية - مصر ١٩٥٠م.
- الحبشي : عبد الرحمن محمد، مصادر الفكر العربي الاسلامي في اليمن - مركز الدراسات اليمنية.
- الخزرجي : (٨١٢ هـ) علي بن الحسن، العقود اللؤلوية في تاريخ الدولة الرسولية - القاهرة ١٩١١ هـ - ١٩١٤ م.
- الربيع : (٩٤٤ هـ) عبد الرحمن بن محمد بن عمر، بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، تحقيق عبد الله الحبشي، مركز الدراسات اليمنيـة - صنعاء ١٩٧٩م.

- الدسوقي : عمر، الفتوة عند العرب.
- الدمياطي : (٧١٥ هـ) شرف الدين عبد المؤمن الدمياطي المصري فضل الخيل، الطبعة الاولى حلب ١٩٣٠م.
- الاميري : (٧١٨ هـ) كمال الدين، حياة الحيوان الكبرى - القاهرة.
- الراشد : عبد الجبار، مواصفات الجواد العربي الاصيل.
- الزبيدي : محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس - بيروت ١٣٠٦هـ.
- زكي : احمد، في سبيل موسوعه علميه.
- الصاحب تاج الدين (٧٠٧هـ) ابو عبدالله محمد بن علي، مخطوطة كتاب البيطرة.
- عطية الله : احمد، القاموس الاسلامي - المجلد الثاني - القاهرة ١٩٧٠.
- عثمان : شوقي، تجارة المحيط الهندي في العصور الاسلامية - الكويت ١٩٩٠.
- غربال : محمد شفيق، الموسوعه العربية الميسره ١٩٥٩م.
- الفندجاني : كان حيا (٤٣٠هـ) ابو محمد الاعرابي الملقب بالاسود اسماء خيل العرب وانسابها وذكر فرسانها - تحقيق محمد علي سلطاني - بيروت.
- الفيروز ابادي : محمد بن يعقوب، القاموس المحيط - بيروت ١٩٧٨م.
- القريشي : (٢٥٤ هـ) محمد بن ابي الخطاب، جمهرة اشعار العرب - الطبعة الاولى - مطبعة بولاق ١٣٠٨ هـ.
- القزوين : (٨٦٢ هـ) زكريا بن محمد بن محمود.
- القلقشندي : (٨٢١ هـ) ابو العباس احمد بن علي، صبح الاعشى، نسخة مصورة عن الطبعة الاميرية ومذيله.
- متر : ادم، الحضارة في القرن الرابع الهجري او عصر النهضة في الاسلام الناشر مكتبه الخاشمي القاهرة - ودار الكتاب العربي - بيروت.
- معلوف : ١٩٤٦ م الاب لويس. المنجد في اللغة العربية، الطبعة الثالثة والعشرون ١٩٧٣م.
- مكاوي : طالب عبد الامير، الطب العدلي البيطري والسموم - بغداد ١٩٨٠.
- ميمون : عبد الله، مخطوطة (الافاده والتبصير لكل رام مبتدىء او مهير).
- ناجي : هلال، بيطرة الخيل عند العرب من خلال اقدم مخطوطاتها، سلسلة محاضرات مركز احياء التراث العلمي العربي.
- ناصر الدين : الامير امين ناصر الدين، معجم الرافد، ضبطه على الاصل الامير نديم ال ناصر الدين الطبعة الاولى ١٩٧١م، والطبعة الثانية ١٩٨١ م - لبنان.
- مجلة المجمع العلمي، كتاب اسماء خيل العرب وفرسانها، تحقيق نوري القيسي وحاتم الضامن ١٩٨٥ م.
- مجلة المورد العدد ٤ السنة ١٩٨٣، نصوص من الموروث الحربي، الخيول اليمنية في المملكة الرسولية.
- مجلة النفط والتنمية مقالة (وسائل النفط المائية والبرية في العراق القديم للدكتور فوزي رشيد، مجلة تعنى بشؤون النفط في الوطن العربي والعالم السنة السادسة نيسان - مايس ١٩٨١ م.
- الموسوعة الذهبية : المجلد الثالث طبعة فريدة منقحه، لفيف من المؤلفين، الناس مؤسسة سجل العرب ١٩٧٣ م - القاهرة.





بحوث التاريخ القديم والآثار



في معنى
الاسطورة والملحمة والخُرافة

د. فاضل عبد الواحد على
كلية الاداب - جامعة بغداد

عند الكلام على التـأليف الادبيـة ذات الطابع القـصـصي "Marrative" عند السومريين والبابليين وغيرهم من الشعوب الاخرى، يميز المختصون بدراسة الاداب القديمة بين نتاجات ادبية رئيسية ثلاثة : الاسطورة "Myth" والملحمة "Epiu" والخرافة "begend". ولا ندري ان كان مثل هذا التمييز، الذي يأخذ بنظر الاعتبار في المقام الاول طبيعة الشخوص والمضمون، وكان ماثلا ايضاً في اذهان الادباء السومريين والبابليين. لقد ميز القدامى بطبيعة الحال بين الآلهة والانسان واقاموا حدوداً فاصلة بين عالم الآلهة وعالم الانسان، لكنهم، من جهة اخرى، اضفوا على آلهتهم، في كل ما نسجوا من اساطير وملاحم، جميع صفات البشر وطبائعهم باستثناء خلود الآلهة وموت الانسان. وعلى اية حال، فبقدر تعلق الامر بتسمية المؤلفات الادبية اي تصنيفها، ان صح استعمال التعبير هنا، فقد اتبع السومريون والبابليون طريقة تتسم بكثير من البساطة. اذ انهم سموا كل تأليف ادبي بفاتحته اي بالسطر الاول منه. فنجدهم مثلاً يسمون اسطورة الخليقة البابلية بـ "عندما في العُلى" وهو البيت الاول من تلك الاسطورة الشعرية، ويسمون ملحمة جلجامش بـ "هو الذي رأى كل شيء" اي نسبة إلى بيتها الاول. ولا يخفى ان هذه الطريقة في تسميته القصائد تشبه الى حد كبير ما نهج عليه الشعراء العرب في تسمية قصائدهم او الاشارة اليها. لكن المسألة تبدو أكثر تعقيداً عندما يتعلق الامر بالترانيم والتراثيل والاناشيد الدينية، وكلها قصائد شعرية نظمت في مديح الآلهة والملوك. هنا نجد ان الناسخ كان حريصاً على تثبيت صنف القصيدة في نهايتها وفقاً لطبيعة محتواها او تبعاً للآلة الموسيقية التي على انغامها تنشد القصيدة. فهناك في السومرية مثلاً "Sir _ namursaga" "انشودة البطولة" و "Sir _ Mamgala" انشودة كهنوتية الكالا "Sir _ giolala," "الانشودة الطويلة"... وتوجد الى جانب الترانيم من صنف Sir ترانيم اخرى من صنف Adal و Bal- Tigi bale وغيرها...[1]

من المعروف ان الشعراء والكتاب الرافدينيين ولجوا ابواب الأدب من بابه الواسعة وانهم اسهموا في خلق ضروب شعرية ونثرية عديدة لعل الاسطورة كانت من ابرزها واكثرها شيوعاً بين ذلك النتاج الثري. ولا يخفى كيف أصبحت الاسطورة واحدة من العالم البارزة في النتاج الادبي عند السومريين والبابليين وعند الكنعانيين والمصريين وغيرهم من الشعوب كالاغريق والهنود والجرمانيين.. والاسطورة قصيدة شعرية نظمت باسلوب رفيع وهي تحكي منجزات الآلهة ومآثرهم ومنجزاتهم دون التقيد بالطبع بحواجز الزمان والمكان. ولا عجب فالاسطورة عالم الآلهة التي خلقت الكون والانسان وكل مظاهر الحياة الاخرى والتي اضطرت في الدهور الاولى الى خوض حروب ضارية مع بعضها البعض من أجل نصرة قوى الخير على قوى الشر... وقد حظيت الاسطورة في القرن الحالي باهتمام كبير ومتزايد باستمرار من المختصين بالانثروبولوجيا وعلم الاجتماع وعلم النفس وتاريخ الحضارات، كما استلهم الادباء والشعراء وكتاب المسرح والفنانون التشكيليون والنحاتون كثيراً من الرموز والمضامين الاسطورية في كثير من نتاجاتهم الادبية والفنية[2].

قيلت آراء كثيرة في شأن الاسطورة وهي في مجملها تجسد الاهمية الكبيرة التي حظيت بها الاسطورة باعتبارها ظاهرة فكرية - اجتماعية تستحق الدرس. ولا يتسع المجال للخوض في تفاصيل تلك الآراء ويكفي ان نقتبس هنا مجمل الآراء التي لخصها الاستاذ فراس السواح بتركيز بارع يدل على اطلاع واسع يستحق الثناء والاعجاب. فالاسطورة يمكن ان تكون فناً ادبياً وحكمة ويمكن ان تكون انعكاساً للظواهر الطبيعية. وهي في نظر فريق آخر محاولة

لتفسير الاسباب الكامنة وراء كثير من الظواهر وهو ما يعبر عنه بمصطلح "دراسة الاسباب" "Aetiology" وهناك من يعتبر الاسطورة تاريخاً لانها تعرض احداثاً وقعت في ازمان سحيقة سابقة للتاريخ المكتوب. ويعتقد السيد جيمس فريزر Frager صاحب "الغصن الذهبي" ان الاسطورة تعبير عن طقوس كانت تمارسها اجيال سابقة ولكن فقدان الاتصال مع تلك الاجيال جعل الطقس خالياً من السبب والغاية. وهنا تظهر الحاجة للاسطورة لتبرير ذلك الطقس القديم. ويعتقد عالم الانتربولوجيا مالينوفسكي Malaunwfski ان الاسطورة تنتمي الى دنيا الواقع وتهدف إلى تحقيق نهاية عملية، فهي تُروى لترسيخ عادات قبلية او لتدعيم سيرة عشيرة او نظام معين. اما العالم الشهير فرويد Fraud فيفسر الاسطورة على انها انعكاسات لرغبات مكبوتة. ففي الاسطورة، كما في الحلم، نجد الاحداث تقع حرة خارج حدود الزمان والمكان. وهو يرى ان الاسطورة ملأى بالرموز التي إن فُسرت زودتنا بفهم عميق لنفس الانسان الخافية ولرغباته المكبوتة... وهناك بين الباحثين مَنْ يخالف فرويد في الرأي معتقداً ان الاسطورة "حكايات تشرح بلغة الرمز حشداً من الافكار الدينية والفلسفية والاخلاقية وانه ما علينا الا ان نفهم مفردات تلك اللغة لينفتح امامنا عالم مليء بمعارف غنية ثرة" ولغة الرمز هذه، في رأي اريك فروم Erialh Fromm هي اللغة التي تنطق عن الخبرات والمشاعر والافكار الباطنة، كما تنطق لغتنا المحكية عن خبرات الواقع... اما الاستاذ السواح فهو من القائلين بأن الاسطورة مغامرة جريئة للعقل البشري وانها حكاية مقدسة تهدف اساساً الى فهم وشرح اسرار الكون(٣).

ومهما يكن من شأن تفسير الاسطورة، فمن المهم ذكره ان هناك فرقاً بينها وبين الملحمة وبينها وبين الخُرافة. فشخوص الاسطورة، كما سبق وان ذكرناه يكونون عادة من الآلهة وتدور احداثها في الغالب حول دور الخليقة والكون وصراع قوى الخير والشر والمعتقدات الدينية... اما الملحمة فهي تدور حول فرد من البشر وتهتم بمنجزاته ومآثره وبطولاته، ولكن علينا ان ننوه هنا بان مثل هذا التمييز بين الاسطورة والملحمة امر شكلي وان الحدود قد لا تُراعى في كثير من الاحيان بحيث تصبح الاسطورة ملحمة والملحمة اسطورة. والسبب في ذلك يرجع بشكل رئيسي الى ان كثيراً من الاساطير التي قلنا ان ابطالها من الالهة، يقومون بمنجزات ومغامرات واعمال بطولية مما يحمل الباحث على تجاوز الحدود الشكلية المتعارف عليها فيسمي مثل هذه الاساطير بالملاحم. فالباحثة دللي "S. Datley" على سبيل المثال تسمي اسطورة الخليقة البابلية بـ "ملحمة الخليقة" رغم انها اشارة الى عدم دقة التسمية. فهذه الاسطورة كما قالت الاستاذة دللي "قد سميت ملحمة بمعنى يختلف تماماً عن معنى ملحمة جلجامش. ففي اسطورة الخليقة لا يوجد صراع ضد القدر ولا يوجد ابطال من البشر وليس هناك تشوق الى معرفة نتائج الاحداث. فنجاح الاله البطل مردفع (في النسخة البابلية واشور في النسخة الاشورثية) استنتاج معروف مسبقاً. وليس هناك بين الآلهة من جُرح او قُتل كما لم تُذرف دمعةٌ واحدةٌ..."(٤). وما قلناه عن اسطورة الخليقة ينطبق على اسطورة انزو "Anzu" التي اعتبرتها الاستاذة دللي ملحمة ايضاً. وعلى هذه المسألة بالذات، اي التمييز بين الاسطورة والملحمة، يعلق الاستاذ الدكتور زاكس "Saggs" قائلاً: "ان التمييز لا يمكن الالتزام به بشكل ثابت في ادب بلاد وادي الرافدين، ذلك بطلاً مثل جلجامش او دموزي (تموز) قد يعامل باعتباره إلهاً في سياقات عديدة، في حين انه يمثل في الاصل شخصية تاريخية حقيقية..."(٥).

ترتبط نشأة الملاحم عند السومريين وعند شعوب البلدان القديمة الاخرى كالاغريق والهنود والجرمانيين بما يُعرف بين المؤرخين بعصر البطولة "Heraic Age" الذي يعتبر ظاهرة اجتماعية حقيقية مهمة في تاريخ الحضارات القديمة وليس مجرد تصور او محظ خيال(٦) فعصر البطولة عند الاغريق يقع في نهاية الألف الثاني قبل الميلاد وفي الهند يقع بعد قرنين. أما عصر البطولة عند الاقوام الجرمانية فانه امتد من القرن الرابع وحتى القرن السادس الميلادي. ويذكر الاستاذ الدكتور كريمر "Kramar" في هذا الصدد ان عصور البطولة الثلاثة هذه تُظهر نقاط تشابه واضحة في التركيبة الاجتماعية ونظام الحكم والمعتقدات الدينية والتعابير الجمالية وانها من الواضح مدينة في اصلها ووجودها الى عوامل متشابهة نفسياً وسياسياً واجتماعياً.

وبقدر ما يتعلق الامر بوادي الرافدين، فقد ازدهر العصر البطولي السومري في الربع الاول من الالف الثالث قبل الميلاد، اي

في الحقبة الزمنية الواقعة بين ٣٠٠٠ و ٢٧٥٠ قبل الميلاد. وبتعبير آخر يكون السومريون قد مروا في زمن مبكر من تاريخهم وقبل غيرهم من شعوب الدنيا بعصر بطولي كشف عن روحه ومزاجه في معرفتهم الملحمية التقليدية. هنا حكم ملوك ابطال رُفعوا الى مضاف الالهة، كانت لهم قوى خارقة واجسام عملاقة ومغامرات شهيرة وبطولات فذة من امثال انميركار "Enmerkar" ولوكال بندا "Lugql banda" و دموزي "Dumuzi" وجلجامش "Gilgamesh"، الذي يوجد منهم عدد غير قليل من الملاحم السومرية التي لم تُدون الا بعد خمسة او ستة قرون من انتهاء العصر البطولي اي في حدود ٢٠٠٠ قبل الميلاد[٧] .

اما لماذا لم تدون تلك الملاحم الشعرية ، خلال العصر البطولي السومري نفسه، فان ذلك يرجع الى سببين رئيسيين. اولهما ان الكتابة نفسها لم تكن بعد اداة واسعة الانتشار اي انها بقيت في مراحلها الاولى محدودة الاستعمال في نطاق تسجيل الارقام والاشياء التي تدخل الى المعبد او تخرج منه. وبتعبير آخر انها لم تصبح بعد اداة متعارف عليها للتعبير عن افكار ومعانٍ وصور ادبية مما يتطلبه الادب في شتى انواعه. وثانيهما ان تدوين تلك القصائد والاغاني الملحمية لم يحظ باهتمام اولئك المنشدين والمداحين الاميريين الاوائل الذين كانوا في اغلب الظن يجهلون فنون الكتابة المسمارية. ولا شك في ان ما دون من قصائد ملحمية بعد عدة قرون من انقضاء عصر البطولة السومري قد شهد تغييرات كبيرة على يد الكهان والنساخ. والراجح ان هذا الضرب من ضروب الادب السومري قد نشأ نتيجة لرغبة الملوك والامراء الاوائل في تحقيق المزيد من المجد والشهرة، وهو ما يتميز به عصر البطولة بصورة عامة، فألحقوا المنشدين والمداحين بالقصر ليرتجلوا القصائد والاغاني التي تمجد بطولاتهم ومنجزاتهم.

ومثلما بين الاستاذ الدكتور كريمر في دراسته لقصيدة الملحمة السومرية والهندية ـ الاوربية فان هذا النوع من القصائد يدور حول فرد معين ذلك لأن اهتمام "الشاعر" ينصب اولاً عى اعمال ومآثر بطل وليس على مصير او مجد الدولة او المجتمع. والملاحظة الثانية التي يقدمها الاستاذ كريمر في هذا الصدد هي انه في حين يوجد قليل من الشك في ان بعضاً من المغامرات التي تمجدها القصائد الملحمية لها اساس تاريخي، فان "الشاعر" لا يترد عن تقديم افكار واعراف غير تاريخية اي غير متفقة مع الحقائق المعروفة. مثل الافكار المبالغ فيها عن قوة البطل الخارقة والاحلام المنذرة بالشؤوم ووجود شخوص الهية لها دور فاعل في سير احداث الملحمة، اما ملاحظته الثالثة فتتعلق باسلوب قصيدة الملحمة نفسها. فهي تزخر بنعوت جامدة غير متغيرة، واعادات مطولة، وصيغ متكررة، كما انها تميل لان تكون تفصيلية بشكل غيراعتيادي، وتشغل فيها الخُطب والكلمات مساحات واسعة[٨] .

وفي كل هذه المظاهر المميزة، في رأي الاستاذ كريمر، يتشابه نموذج الشعر البطولي السومري مع نموذج الملحمة الشعرية البطولية عند الاغريق والهنود والجرمانيين. ولذلك فان تساؤل الاستاذ كريمر عن مقدار الاثر الذي تركه السومريون على الشعوب الاخرى القديمة في مجال قصيدة البطولة يأتي في محله المناسب وهو بذلك يضيف بعداً جديداً الى الاسهامات الكثيرة التي قدمها السومريون الى شعوب العالم القديم والتي وصلت آثارها الى بلدان دانية وقاصية. فهو يقول: .. ولانه من غير المحتمل جداً ان ضرباً من ضروب الادب متميز وقائم بذاته من حيث الاسلوب والطريقة مثل الشعر القصصي يمكن ان ينشأ ويتطور بصورة مستقلة وفي فترات زمنية مختلفة في كل من سومر وبلاد الاغريق والهند وشمال اوروبا. ولان الشعر القصصي عند السومريين هو الاقدم، فيبدو من المعقول جداً ان تستنتج بأن اصل الشعر الملحمي كان في سومر[٩] .

وعلى اية حال فهناك الآن ما يزيد على تسع ملاحم سومرية تسجل مآثر وبطولات ملوك سومريين عاشوا في العصر البطولي الذي نحن في صدده. وهذه القصائد الملحمية تتباين في الطول فبعضها يربو على مئة بيت (سطر) وبعضها يتجاوز ستة مئة بيتاً. ومن اولئك الملوك انميركار "Enmerkar" ولوكال بندا "Lugalbanda" واجا "Aga" وجلجامش "Gilgamesh" ورفيقه انكيد "Enkidu" وفضلاً عن ذلك، هناك ملحمتان اخريان الاولى تتمثل في النسخة البابلية من ملحمة جلجامش التي تتكون من اثنى عشر لوحاً والثانية في الملحمة الاشورية الخاصة بالملك الاشوري توكلتي تورثا الاول (١٢٤٤ـ١٢٠٨ق.م).

واذا ما انتقلنا من الاساطير والملاحم الى الكلام على الخُرافات "Fegend" يمكن القول ان الخرافة (بضم الخاء) عبارة عن حكاية فيها كثير من الخيال والمبالغات والخوارق. ومع ذلك فان الشخصية الرئيسية التي تنسج حولها الخرافة تكون حقيقية اي تاريخية. ولكن يجب ان نتذكر ان مثل هذه الخرافات لم يدون في أزمان اصحابها الحقيقيين، اي في زمن الملوك الذين تدور حولهم الاحداث، وانما دونت في عصور لاحقة لهم وإنْ جاءت مكتوبة بصيغة الشخص المتكلم "انا" احيانا. ومن الامثلة الشهيرة على هذا النوع من التآليف القصة الخاصة بمولد سرجون (٢٣٧١ - ٢٣١٦ ق.م) مؤسس الامبرطورية الاكدية التي نقتبس منها المقاطع الآتية:

"انا سرجون الملك العظيم، ملك بلاد اكد

كات امي كاهنة عظمى "enetu" وانا لا اعرف ابي

كان شقيق ابي يحب التلال

ومدينتي أزوبيرانو "Azupirznu"

التي تقع على الفرات

لقد حملتني امي وولدتني سراً

ووضعتني في سلة من البردي ختمت غطاءها بالقير

ومن ثم رمتني في النهر الذي لم يغمرني

فحملني النهر واخذني الى الغواف آكي "Akki"

فاتخذني الغراف ابناً له

وجعلني الغراف آكي بستانياً عنده

وعندما كنت بستانياً منحتني عشتار حبها

فاضطلعت بمهمة الملوكية اربعاً وخمسين عاماً..."[١٠]

وهناك ايضاً قصة خرافيه متأخرة نسبياً تبحث حول نرام - سين (٢٢٩١ - ٢٢٥٥ ق.م) حفيد سرجون الاكدي فبعد ان يقدم نرام سني نفسه على انه ملك صالح يأتي على ذكر الاخطار والكوارث التي وقعت في عصره والتي كان سببها ظهور اقوام جبلية متوحشة اكتسحت مناطق واسعة من الشرق الادنى القديم ابتداءً من بلاد الأناضول وانتهاءً ببلاد عيلام ومناطق الخليج العربي. ولقد كانت طبيعياً ان يعم الرعب والفزع في البلاد وان يتهيب الملك الأكدي من اولئك الغزاة الذين لم يكن احد يعرف على وجه التاكيد هل كانوا من البشر ام من الجن. فارسل نرام - سين احد قواده ليقف على حقيقة امرهم. وبعد ان رجع القائد من مهمته اخبر ملكه نرام - سين بأنه وخز اجسامهم بالرماح فتدفقت منها الدماء. وعلى هذا النحو تيقن نرام - سين انهم بشر فأستشار الآلهة عن طريق الفأل لمهاجمتهم وانه جرد ضدهم ثلاث حملات عسكرية في ثلاث سنوات متوالية قوام كل منها ١٢٠ الف رجل و ٩٠ الف رجل و ٦٠ الف رجل. وتذكر القصة الخرافية موضوعة البحث انه حل في البلاد مزيد من الكوارث بسبب الجفاف والمجاعة والوباء والطوفان وانه في السنة الرابعة تدخل اله الحكمة ايا (انكي) لصالح نرام - سين وانه استطاع بفضل ذلك على ما يظهر (النص مخروم في هذا الموضع) من القضاء عليهم واسر عددهم منهم .

وفي الختام يكون من المفيد الاشارة هنا إلى ان التمييز بين هذه الاشكال من القصص واضح تمام الوضوح عند العرب المسلمين. اذ يرد ذكر الاسطورة في القرآن الكريم مرادفاً لمعنى الاباطيل: "وقالوا اساطير الأولين اكتتبها فهي تُملى عليه بكرة واصيلاً" (الفرقان الآية ٥). ويذكر شهاب الدين احمد في "شفاء العليل" تحت كلمة "خُرافة): "قال ابن المعافى عن عائشة رضى الله عنها قالت حدث رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة نساءه حديثاً فقالت امرأة منهن يا رسول الله هذا حديث خرافة. قال اتدرين ما خرافة؟ ان خرافة من عذرة اسرته الجن فمكث فيهم دهراً ثم ردوه الى الانس فكان يحدث الناس بما رأى فيهم من الاعاجيب فقال الناس احاديث خرافة". وعوام الناس يرون ان قول القائل هذا خرافة انما معناه انه حديث لا حقيقة له وانما هو مما يجري في السحر وينتظم في الاعاجيب وطرف الاخبار..."[١٢]

مـراجـع

١ ـ حول انواع هذه الاناشيد والقصائد انظر:

Von Soden and Falhenstein, Sumerisere and Ahsfsadisahe Hymner und Gebete (1953) pp. 20 pf

٢ ـ من الصعب علينا هنا اعطاء قائمة بالمراجع المختارة من الاسطورة والفكر الاسطوري لان ذلك سيأخذ مساحة واسعة بالتاكيد. ولكن وبقدر تعلق الامر بوادي الرافدين والشرق الادنى القديم، فان المراجع الاتية تعتبر بحث من الكتب المتميزة خاصة وان مؤلفيها من الاساتذة الجامعيين الذين عرفوا على الصعيد العالمي بدراساتهم الاكاديمية الموثقة عن الاسطورة وكلهم ايضاًمن المختصين باللغات القديمة التي كتبت بها تلك الساطير:

Kramer, Sumerian Mgthaloyy (Harper Torchboon) 1961, Frankfort and Other, Befpre Plutorophy, (Peuguis Beohs) 1949. Kramer (Editor) Mythologies of Arcient World (Anchor Books) 1961.

٣ ـ فراس السواح : مغامرة العقل الاولى (دار الكلمة ط ٤، ١٩٨٥) ص ١٠ ـ ١٨.

4 - Stephanie Dalley, Myths From Mesopotomia (1989), p. 226.

5 - Sayys, The Greatnes that Was Babglon (1962), p. 427.

6 - Kramer, History Begins at 8 uner (Thames and Hudson 1958) p. 261.

7- Kramer, Ibid, p. 261.

8 - Kramer, Ibid, p. 264.

9 - Kramer, Ibid, p. 264.

١٠ ـ فاضل عبد الواحد علي، من الواح سومر الى التوراة (١٩٨٩)، ص ٢٠٠.

11 - Sayys, op. eit. 428

١٢ ـ شهاب الدين احمد، شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل (تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي)، ص ١١٥.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

تقويم الحيازة الاقطاعية لنمط الانتاج الاسيوي كما توضحها اوضاع شمال العراق في العصور القديمة

د . عماد الجواهري
جامعة القادسية

تقديم وفرضية اولية

الاقطاع من النظم القديمة التي عرفتها امم كثيرة في عصور مختلفة [١]. ان هذا النظام ولاعتبارات موضوعية اقتصادية واجتماعية يظهر ابعاداً سلبية في مسألة استثمار الارض وعلاقات الانتاج . في حين ان ابعاده الايجابية يمكن ملاحظتها في كونه يعبر عن جهود فكرية انسانية لايجاد صيغة مناسبة للعمران موافقة لظروف المرحلة التاريخية . وهذا يعني اننا سنكون مخطئين، بلا ريب، اذا افترضنا ان العيوب المتوارثة في النظام الاقطاعي هي مظاهر اساسية لحقيقته الاولى [٢].

وثمة فرضية ترى ان الجذور التاريخية وتطور الاوضاع الاقطاعية في شمال العراق تعبر عن نمط الانتاج الاسيوي . فالاوضاع الاقطاعية تعكس في أوجه عديدة العلاقة العضوية بين الانسان والارض والدولة [٣]. ومن اخص ما يرد في هذه الفرضية هو ان قساوة البيئة الجأت الانسان الى الدولة وان جسامة الالتزامات المفروضة على الدولة اوجدت صيغة خاصة لمسؤولية الانسان من خلال الارتباط بالدولة، الامر الذي قرر ومنذ فجر التاريخ تكوّن فئة مستفيدة من ريع الارض ومندمجة مع الدولة .

ومن المناسب ان يستنتج طبعاً ان هذه الفئة المندمجة مع الدولة استخدمت في وقت لاحقٍ العمل الاستغلالي لتحقيق ريع يفوق اضعافاً مضاعفةً ذلك الريع الذي يمكن ان يحققه الاستثمار التقليدي بوساطة الفلاحين . ولا شك ايضاً تبعاً لذلك ان هذه الفئة المندمجة مع الدولة ستكون قادرة على استخدام الدولة لتحقيق الهيمنة كطبقة متميزة طالما كانت مزارعها الكبرى تجهز بمعين لا ينضب من العمل الاستغلالي . وعلى العكس من ذلك فان عهود السلم والاستقرار السياسي يمكن ان تخلق ظروفاً مناسبة لمقاومة اذابة التملك الحر واستقرار الفلاحين طالما كان مثل هذا التجاوز ممكن الوقوع في ظل ظروف المرحلة التاريخية .

تقويم للنموذج الاول (النموذج الاشوري)

ان النموذج الذي تطرحه الدولة الاشورية وهي من اقدم الكيانات السياسية التي قامت في شمال العراق يفرض على البحث دليلاً تاريخياً لاختبار هذه الفرضية . لقد اشار ياكوبون الى ان ظروف المنطقة وبخاصة تعرضها الدائم للاجتياح العسكري والاحتلال المؤقت والدائم ادى الى تدهور التملك الحر للارض الذي ظهر في بداية الاستقرار [٤] ، في حين اكد دياكونوف على بروز ظاهرة انقسام سكان الريف الى طبقات وتكوين مجتمعات الرق [٥]. ويلاحظ في تحليل هذين الباحثين اتجاه واضح لربط هذه التطورات الاجتماعية بظواهر اقتصادية يحكمها الطابع الاستغلالي من قبيل قيام المستوطنات الزراعية ذات الميزة الاقطاعية الكبيرة وتطور التجارة ذات الطابع الربوي [٦].

والسياق العام لاختبار النموذج الاشوري حافل بالامثلة مع الاقرار المبدئي بأن الادلة التاريخية لا يمكن ان تعد حقائق مطلقة . وهكذا يمكن تقويم اثنين من اكبر المشاريع الاروائية في شمال العراق في العهد الاشوري وهما مشروع ري اربيل ومشروع ري نينوى بوصفهما من المشاريع التي انجزت على اسس مادية اقتصادية ذات طابع استغلالي [٧]. وبعبارة اخرى انهما يمثلان مرحلة متقدمة من خطط الدولة القديمة لاقامة قاعدة اقتصادية لتحقيق الاستثمار وتراكم الريع بشكل منظم في عصور كان السلام فيها محصلة لعهود سابقة حافلة بالحروب الخارجية .

وتوكيداً على الملاحظات السابقة نسب الى بعض الوثائق الاشورية ان الملك الاشوري شيلمنصر الاول قد اجتاح مملكة ميتاني واستولى على (١٤٤٠٠) اسيراً اضحوا عبيداً للملك استخدمهم للعمل في مزارعه . وتشير وثيقة اخرى الى ان الحاجة المتزايدة الى العمل الزراعي دفع الملوك الاشوريين في وقت لاحق الى اجبار الاف الفلاحين من البلاد المجاورة على الانتقال هم وعوائلهم الى « بلاد آشور» للعمل في المزارع العائدة للملك وكبار القادة بوصفهم مستوطنين بدلاً من بيعهم او استرقاقهم [٨]. غير ان المثير للتأمل هو ان المصادر التي اعتمدت لنقل الفرضية مدار البحث تؤكد على انه لا توجد ادلة قاطعة تشير الى ان الملوك الاشوريين كانوا يستطيعون تقديم هدايا من الاراضي المأهولة بالاشوريين الاحرار الى افراد حاشيتهم باستثناء بعض الوثائق التي نسب اليها انها تضمنت تقديم عدد من الناس الى المعبد وهو ما يستفاد مثلاً من وثيقة يعود تاريخها الى عهد سخاريب تسجل تقديم (٤١) نفساً من اربيل وهي مدينة اشورية اصلية الى معبد (زبابا) . وهكذا تبدو امامنا بعض المعالم لواقع العلاقات الاقطاعية في تلك الحقبة المبكرة من تاريخ المنطقة حيث تظهر تلك العلاقات كما تؤكدها الفرضية مندمجة بالنمط الاستغلالي من الاستثمار وهو نمط اعتمد على الآسرى والموطنين فضلاً عن عمال السخرة والعبيد [٩].

والنموذج الاقطاعي الاشوري الذي يظهر لنا معتمداً على العمل الاستغلالي كما هو ملحوظ في المثال السابق يظهر ايضاً صورة (الطبقة - الدولة) التي هي من خصائص نمط الانتاج الاسيوي أيضاً . وبدون الحاجة الى الرجوع الى مصادر الفرضية فإن (هاري ساكز) يقدم لنا نصاً جديراً بالدراسة . يقول (ساكز) : «ان جميع اراضي البلاد - آشور - كان نظرياً والى درجة ما عملياً من ممتلكات الملك . وكان جزء كبير منها يقطع الى المحاربين القدماء في الجيش والى بعض اعضاء الخدمة المدنية اما مكافأة لخدماتهم المخلصة او مقابل قيامهم بتقديم خدمات ذات مواصفات معينة» [١٠]. كما ان هناك وثائق عديدة عدتها المصادر السابقة قرائن مفيدة حول هذا التقويم منها مثلاً : تلك التي دونت لنا «امتلاك (اماني ادد) وهو موظف يحمل لقب (موكيل اباني دانو) مساحة من الارض تعادل مساحتها (٤٠٠) هكتار فضلاً عن عشرات الرجال والآلاف من اشجار الفاكهة وحقول الخضار والمنازل والنقود . » ويستنتج ايضاً من وثيقة ثانية ان شخصاً آخر يدعى (شمايا) قد ورث التصرف في ارض مساحتها حوالي (٥٠٠-٦٠٠) هكتار وان هذا الشخص بصدد تسديد الضرائب المتأخرة البالغة (الف كيلو) من القمح . وثمة وثائق اخرى نسب اليها قيام (آمر كتيبة للحرس الملكي) بشراء اراض وبساتين وبيوت في نينوى فضلاً عن رهن اراضي اخرى وشراء رقيق من الرجال والنساء [١١]. وجاء في وثائق اخرى ما يفيد بشان تلك الاراضي التي كانت تحت تصرف وكلاء الملك في الاقاليم وتلك التي تحت تصرف النبلاء . فقد اظهرت اعمال رجال تلك الضياع ان ساكنيها كانوا مرتبطين بها ويعدون جزءاً منها . ويناظر هذه السمات الاقطاعية للمجتمع الاشوري سمة اخرى يمكن ملاحظتها في ضوء الوثائق التي اشارت الى انتقال وظائف مراقبة الارض واستيفاء الضرائب بطريقة الوراثة والتي قررها في الاعم الاغلب قبول الملك أو ولي عهده . وللملك وحده ان يصدر في بعض المناسبات اعفاءات من الضرائب او غيرها من الخدمات شبه الاقطاعية ويفرض على وكلائه في الاقاليم الالتزام بمضمونها . ومرة اخرى ينقل (هاري ساكز) الوثيقة الآتية :

« انا، آشور بانيبال الملك العظيم، الملك القوي، ملك العالم المتمدن، ملك بلاد آشور، ملك الجهات الاربعة، الراعي المخلص، فاعل الخير، ملك العدالة، محب الحق، الذي يجعل شعبه مرفهاً، الذي يجازي بالفضل الموظفين الذين يقفون امامه ويحسنون خدمته باحترامهم وتنفيذ اوامره الملكية ... حسب تفكيري الخاص ومشورتي الخاصة، اعتبرت ... واعلنت اعفاء الحقول والبساتين (و) الناس الذين حصل عليهم تحت حمايتي ... وقد كتبت وضمنت (هذا الميثاق) بختمي الملكي وسلمته الى (بلتا) رئيس الموظفين وسوف لن يجبي من تلك الحقول والبساتين حبوباً ولا يجبي تبناً ولا يطالب بزيادة ماشيتها او

او اغنامـــهـــا ولن تـكون (الاراضــي ومـلاكــهـــا) مســؤولة عن التجـنيد وسخـرة العبـيد او خـدمة الميليشـــيـا وهم مـعـفـوون من ضـريبـة الميناء والمعبر . . . » [١٢].

تقويم التطور في نموذجين لاحقين (الاخميني والساساني)

تبدو دراسة العهود التالية للعهد الاشوري اكثر يسراً من متابعة مظاهر العلاقات الاقطاعية غير ان النمط الاسيوي يبدو اكثر تعقيداً. ففي العهد الاخميني اخبار متواترة حول سياسة الحكام الاخمينيين ونوابهم القائمة على فرض الضرائب الثقيلة على الاهالي وكذلك اغتصابهم الاراضي والاموال . فقد ذكر مثلاً ان المرازبة والضباط في هذا العهد صاروا يمتلكون المروج والقطاعات في مختلف الانحاء ومنها جهات تقع ضمن حدود الاقليم الذي كان يشكل القاعدة الرئيسة للدولة الاشورية (نينوى - آشور - اربيل)[١٣]. وذكر ايضاً اعتماداً على وثائق (ارشام)، وهو احد الامراء الاخمينيين ممن تملكوا ضياعاً واسعة في اقاليم مختلفة من الامبراطورية الاخمينيةمن بينها ضياع واسعة في اربيل، ان مظاهر العلاقات الاقطاعية عمت الامبراطورية المذكورة وبخاصة ممتلكاتها في العراق ومصر. لقد جاء في (وثائق ارشام) ان المرازبة كانوا يؤسسون محاكمهم الخاصة بهم وكذلك هيئات من الموظفين والمدراء والحرس الخاص بهم فضلاً عن الصناع والفنانين [١٤]. وتشير الوثائق المذكورة الى أن اولئك الامراء كانوا يشكلون في الواقع ملاكاً غائبين كانت محال اقامتهم الدائمة في مركز الدولة الاخمينية في بابل المحتلة او سوسة، وان املاكهم كانت تدار بوساطة وكلائهم في المقاطعات وربما كانت لهم في السنة جولة واحدة او جولتان. وقد ظهرت في هذا العهد اهمية العمل التجاري الذي كانت تؤديه بعض البيوت المالية. فقد ذكر ان الامراء والملكات وسيدات البلاط المعفوين من الضرائب كانوا غالباً ما يؤجرون بيوتهم وحدائقهم الى (بيت موراشو) والى اشخاص آخرين[١٥].

ولوحظ ان العهد الاخميني قد شهد ظهور نظام لزمة الاراضي الى المحاربين مقابل ادائهم الخدمة حيث كانت قطع الاراضي تسلم الى المحاربين بصورة جماعية يؤدون في مقابلها الخدمة العسكرية [١٦]، فضلاً عن دفع الضرائب نقداً او عيناً للدولة [١٧]. ولما كان نموذج اقطاع اللزمة وارداً ايضاً مقابل شرط الخدمة لصغار موظفي الدولة، امكن الافتراض ان اقطاع اللزمة المشترط بالخدمة العسكرية يمثل اعماماً لنمط اقطاعي جديد اكتشفت الدولة «فوائده ومزاياه» حين طبقته اولاً على موظفي الدولة شرط الخدمة. وبطبيعة الحال فإن اعمام هذا النمط لا يوفر للدولة الخدمات الادارية والعسكرية حسب، بل يوفر لها ايضاً معيناً دائمياً من الاموال على شكل ضرائب.

ان ظهور اقطاع اللزمة قد اوجب ظهور ضريبة بدل الارواء [١٨] بوصفها ضريبة مستقلة عن ايجار الارض وهي الضريبة التي كانت تفرض على الفلاحين الاصليين حيثما كان الارواء السيحي او بالواسطة ضرورياً وطالما كان اعباء مشاريع الري الكبيرة، التي يعجز الافراد عن القيام بها، جزء من مسؤولية الدولة في عموم بلاد المشرق. ومن نافلة القول ان نشير الى عدداً من الباحثين [١٩]. يرون ان الدولة الآسيوية قد حازت سلطتها الاستبدادية على الارض والانسان بحكم التزاماتها القديمة تجاه عملية الارواء. وقد رسخ هذا الوضع نمط انتـــــاج اقطاعي اعطى لرأس الدولة (الملك) وحاشيته واعوانه امتيازات اقتصادية عبرت عن نفسها في الواقع بصيغة امتلاك الارض وما عليها . وخلاف ذلك فان اي شكل من اشكال التملك الحر الذي يمكن ان يتم بمعرفة الدولة يتوجب على صاحبه دفع ضريبة بدل الارض وضريبة بدل الماء . وبذلك يبدو مفهوماً ان المحنة الضريبية للانسان في شمال العراق كانت اخف وطأة من قريبه الذي استوطن الجنوب دون ان يؤدي ذلك الى فقدان المسوغات الاكثر الحاحاً لنمو النظام الاقطاعي في شمال العراق.

وهكذا يمكن الاستظهار ان نظام لزمة الارض الذي عرفته المنطقة بشكل واضح في عهد الاخمينيين مثل نقطة انعطاف حادة باتجاه ترسيخ دور الدولة في اعادة تنظيم التصرف الاقطاعي الامر الذي أوجد اوضاعاً سلبية طغت تماماً على ابعاد الاستثمار المنظم التي طرحها تاريخياً الاقطاع فكرة ونظاماً . ان اقطاع اللزمة للمحاربين من شأنه اعاقة حصول تراكم الريع نظراً لان اضطلاع المحاربين بمهمات الانتفـاع من الارض مرهون بحالة السلام الامر الذي يدفعهم الى استغلال الوقت لتحقيق اقصى ما يمكن تحقيقه من

ايرادات . وينطبق هذا الوصف ايضاً على اقطاع اللزمة لموظفي الادارة الحكومية فهم، مثلهم مثل اقرانهم المحاربين ينظرون الى مدة اضطلاعهم بشؤون الادارة بوصفها فرصة ينبغي ان تستغل اقصى استغلال تحقيقاً لمنافعهم الذاتية .

ومن المفيد ان نذكر هنا اننا لا نستطيع ان نجزم على وجه التأكيد فيما اذا كان اقطاع اللزمة قد استحدث بناءً على تطورات تتعلق بقوة الدولة او ضعفها، واذا اخذنا بنظر الاعتبار ان اقطاع اللزمة نظير الخدمات العسكرية لم يكن بدعة اخمينية فهناك ما يشير الى تطبيقات مشابهة في العهد البابلي القديم فهو ما أشارت اليه «شريعة حمورابي» [٢٠] وتطبيقات مماثلة في آسيا الصغرى وهو ما اثبتته بعض المصادر في ضوء ما نسب الى قانون الحثي [٢١]، عند ذلك ادركنا انه ليس بوسعنا ان نفترض ان اقطاع اللزمة يمكن ان يعد مظهراً لفقدان الرقابة والمتابعة المركزية . وازاء ذلك لا بد ان يكون اقطاع اللزمة ممارسة سياسية من شأنها ان تجسد في الغالب القدرة على استخدام السلطة واختبارها . ولاجل ذلك فإن اسباب استرداد اقطاع اللزمة في بعض الظروف ينبغي ان تكون مفهومة ضمن هذا السياق [٢٢] . على ان من غير المنطقي ان نتصور اعمام اقطاع الزمة يعني اختياراً للسلطة في كافة الاحوال . فكثيراً ما يصبح هذا النوع من الاقطاع امراً مفروضاً على السلطة اكثر منه اختباراً لقوتها . وتوكيداً لملاحظاتنا هذه يمكن الاشارة الى ما ذكره (كرستنسن) وهو ان الساسانيين الذين ورثوا النظام الاقطاعي من اسلافهم لم يجدوا بداً من القبول بالواقع الاقطاعي السابق على عهدهم . وعلى الرغم من ان النظم القديمة قد عدلت وفقاً للاوضاع ومقتضيات الاحوال في نظام الدولة الساسانية الحربي حيث ادمجت طوائف الجند التي كانت تتبع صاحب الاقطاع في الجيش المنظم في اول عهد الدولة الساسانية [٢٣] ، فقد لوحظ في وقت لاحق ان النبلاء من اصحاب الاقطاع كانوا يخرجون للحرب على رأس جمع من رعاياهم (الحراثين) في وضعية يغلب عليها الاضطراب وعدم الكفاءة [٢٤] . ولوحظ ايضاً ان عظماء اصحاب الاقطاع كانوا على استعداد دائم لشق عصا الطاعة في مختلف انحاء الاقليم الجبلي الممتد من شرق البحر الاسود حتى المجرى الاوسط لنهر دجلة كلما كانت هناك فرصة للتدخل الروماني [٢٥] . ومن نافلة القول ان نشير الى ان اسلوب استخدام اسرى الحروب في اقامة مستوطنات زراعية كان امراً وارداً ايضاً [٢٦] . ولا شك في ان من الفرضيات المقبولة ان تكون السياسة الاقطاعية الساسانية ملحوظة في عموم الاقاليم التي خضعت للسيطرة الساسانية ومنها العراق . كما ان اصداء هذه السياسة في شمال العراق ليست مسألة غير محتملة على الاطلاق اذا اخذنا بنظر الاعتبار أن الحضر وسنجار دخلتا في حوزة الساسانيين [٢٧]، كما ان المعلومات المنسوبة الى كتاب «تاريخ اربيل» قد استعرضت المجهود الحربي للساسانيين في اخضاع الاقوام الجبلية من بحر قزوين حتى بلاد (ميديا) [٢٨] .

ان الفرضيات حول السياسة الاقطاعية الساسانية وجدت سبيلها الذي ارتقت به الى الحقائق التاريخية منذ ان اصبح الاحتكام الى النتائج التي اسفرعنها الفتح الاسلامي لسواد العراق والجزيرة والجبل اداة عملية للمقارنة التاريخية [٢٩] . وهكذا لا مندوحة من الموافقة على ان ظاهرة الاستغلال الاقطاعي على يد الحكام الساسانيين ونوابهم من المزاربة ووكلائهم من الدهاقين ظلت بمثابة ظاهرة من الظواهر السلبية في حياة سكان العراق شماله وجنوبه على الرغم من كل ما يذكر حول التحسن النسبي في احوال الريف وهو التحسن المرتبط بتطور احوال ادارة اقاليم الامبراطورية الساسانية [٣٠] .

خاتمة واستنتاجات

تمثل هذه الدراسة حلقة جديدة في سلسلة الابحاث التي قدمها كاتب هذه السطور لموضوع الاقطاع . ان الافتراض بقبول نظرية لها دلالاتها على الواقع الاقتصادي الاجتماعي السياسي من شأنه أن يحقق للمعنيين بدراسة التطور التاريخي للمجتمعات القديمة تقديم اجابة جاهزة على التساؤلات التي يبدو ان الادلة التاريخية غير كافية لتقديم الاجوبة عنها . ومن هنا كانت مهمة هذا البحث اقتراح نظرية «نمط الانتاج الاسيوي» ومن ثم تنسيق الادلة التاريخية المتوفرة عن الاوضاع في شمال العراق في اطار السياق النظري المقترح وصولاً الى الحصول على النتائج الآتية :

١ - ان ظروف البيئة في شمال العراق تتقاطع مع السياق العام لنظرية «نمط الانتاج الاسيوي» الأمر الذي لا يساعد على قيام الملكية العامة لوسيلة الانتاج ٠

٢ - صعوبة تحقيق تركز في تراكم الريع الامر الذي يفسر تأخر نشأة الدولة في شمال العراق على الرغم من ان اولى القرى الزراعية نشأت فيه ٠

٣ - ان الاستنتاج الذي قدم في الفقرة (٢) يساعد على تفسير اسباب التأخر النسبي لقيام الامبراطورية في شمال العراق في العصور القديمة حيث حكمت ذلك مقاومة التملك الحر الجهود بناء القاعدة المادية على اساس الملكية العامة بوصفه المنحى الذي اتجهت له الدولة في مرحلة لاحقة اكثر رسوخاً من اجل تحقيق التطور المادي السياسي الضروري لمواجهة العصر القديم ٠

٤ - ان سد حاجة القاعدة المادية للدولة من قوى العمل باسلوب توطين جماعات غفيرة من الاسرى رجالاً ونساءً والمجلوبين من المناطق الجبلية المجاورة يقدم لنا تفسيراً منطقياً لمسألتين في غاية الاهمية اولاهما : عزم الدولة على تجاوز عقبة التملك الحر من خلال بديل ثابت لبناء القاعدة المادية للدولة ٠ وثانيهما تحديد الحقبة التاريخية لظهور أسلاف الاكراد من الاقوام الجبلية في المناطق السهلية بوصفهم جماعات فلاحية مستقرة وبخاصة في جهات اربيل ونينوى حيث انجز الاشوريون اثنين من المشاريع الاروائية الكبرى في شمال العراق والتي اقيمت عليها اكبر المستوطنات الزراعية العائدة للدولة ٠

٥ - على ضوء ما سبق من فقرات فإن ظروف جنوب ووسط العراق التي تبدو تبعاً للمقومات النظرية لنمط الانتاج الاسيوي نموذجاً متقدماً يمكن ان تقدم اجابة لمسألة ابعاد التفاوت في التطور بين الجنوب والشمال دون ان يعني ذلك التقليل في اهمية ما تحقق في الشمال في العهود التالية لقيام مؤسسة الدولة ٠

ولا شك في ان السياق المنطقي لهذه الاستنتاجات يخدم الفكرة التي بدت ملحوظة في هذا البحث وهي ان تركز الاقطاع يمثل حالة دالة على زيادة نفوذ الدولة الامر الذي هيأ الارضية للتطورات السياسية التي نقلت الدولة من حالة السيادة على الاقليم الى السيادة على الاقاليم المجاورة ٠ ان المضمون المادي لهذا الاستنتاج يتمثل في تراكم الريع لدى الطبقة السياسية او (الطبقة - الدولة)، في حين ادى تراجع الاستثمارات في الاقليم الى حالة من الضعف العام اعاقت امكانية استرداده لسيادته على مدى قرون طويلة ٠ ويستثنى من ذلك الاقاليم التي عرفت تجربة معتبرة من ممارسة (الطبقة - الدولة) لعملية الاشراف على الاستثمار الاقتصادي الاقطاعي، ففي هذه الحالة تصبح التبعية السياسية في اطار كيان امبراطوري حالة مؤقتة ما لم تعمل الطبقة السياسية في الدولة الامبراطورية على اتخاذ حاضرة الاقليم مركزاً سياسياً رئيساً للدولة الامبراطورية ٠

وأخيراً لا بد من القول انه بالرغم مما اظهرته دراسة الحجج التي سيقت لاعتماد الفرضية التي قدمت لهذه الدراسة فإن هناك نقاط ضعف عديدة يمكن من خلالها فتح حوار طويل حول (الاسس الايديولوجية للنمط الاقتصادي الاسيوي) لعل من اهمها :

١ - ان وجود التملك الحر جنباً الى جنب مع الحيازة الاقطاعية العامة يوضح جدلية العلاقة بين الانسان والارض اكثر من جدلية العلاقة بين الافراد والدولة ٠

٢ - ان وضع اساس مادي لظاهرة الاستبداد الشرقي ممثلاً باضطلاع الدولة بالمهمات الاقتصادية الكبرى لا يرقى الى دلالات واقع الحياة الروحية والتي تظهر تقدم سلطة الآلهة والنفوذ المطلق القابل للتحقق من خلالها ٠

الهوامش والمصادر

(١) انظر وقارن : صلاح الدين الناهي، مقدمة في الاقطاع ونظام الاراضي في العراق، (بغداد ١٩٥٥) ص ص ٥ ـ ٧ .

(٢) انظر للمؤلف : الاوضاع الاقطاعية في فلسطين في العصر الحديث، (بغداد ١٩٨٢) المقدسة ص ٦ .

(٣) انظر الموضوعات الرئيسة لنمط الانتاج الذي يظن انه ساد في مناطق الارواء التي عرفتها مواطن الحضارات القديمة في آسيا وافريقيا. جورج طرابيشي (المترجم) ، نمط الانتاج الاسيوي، تأليف مجموعة من الباحثين، منشورات دار الحقيقة (بيروت ـ) .

(٤) ئي . أي . ياكوبسون، التركيب الاجتماعي للامبراطورية الاشورية، فصل من كتاب : العراق القديم دراسة تحليلية للأحوال الاقتصادية والاجتماعية بقلم جماعة من علماء الآثار السوفييت ، ترجمة سليم طه التكريتي ، دار الحرية (بغداد ١٩٧٦) ، ص ض ٤٢٣ ـ ٤٥١ ولاغراض البحث انظر ص ٤٣٧ .

(٥) دياكونوف ، الاوضاع الزراعية في العصر الاشوري الوسيط ، المصدر السابق ، ص ص ٣١١ ـ ٣٥٧ ولاغراض البحث انظر ص ص ٣٣٨ ـ ٣٣٩ .

(٦) دياكونوف ، المصدر السابق ، ص ٣٣٨ ، ياكوبسون ، المصدر السابق ، ص ص ٤٤٢ ـ ٤٤٣ . وحول اهمية التجارة في السياسة الاشورية والدور التجاري للاشوريين انظر : سامي سعيد الاحمد ، المستعمرة الاشورية في آسيا الصغرى ، مجلة سومر ، المجلد (٣٣) السنة ١٩٧٧ ص ص ٧٩ وما يليها .

(٧) حول هذين المشروعين انظر : طالب منعم حبيب ، سنحاريب سيرته ومنجزاته ٧٠٤ ـ ٦٨١ ق . م ، رسالة ماجستير في الآثار جامعة بغداد (١٩٨٦) ص ص ١٥٤ ـ ١٦٤ .

(٨) دياكونوف ، المصدر السابق ، ص ص ٣٣٩ ـ ٣٤٠ ، ياكوبسون ، المصدر السابق ، ص ص ٤٤٢ ـ ٤٤٣ . وقارن بـ : جورج رو ، العراق القديم ، ترجمة حسين علوان حسين ، دار الحرية ، (بغداد ١٩٨٤) ، ص ٤١١ . وفيه تأكيد على الابعاد السياسية لتلك الاجراءات الاشورية .

(٩) ياكوبسون ، المصدر السابق ، ص ص ٤٤٢ ، ٤٥٠ ـ ٤٥١ .

(١٠) هاري ساكز ، عظمة بابل : موجز حضارة بلاد وادي الرافدين القديمة ، ترجمة عامر سليمان ابراهيم ، (فرنسا ١٩٧٩) ، ص ٢٩٧ .

(١١) ياكوبسون ، المصدر السابق ، ص ص ٤٢٧ وما يليها . وانظر وصفاً للبساتين والحقول ومنتجاتها من الاشجار والثمار والخضار والحبوب في : جورج كونتينو ، الحياة اليومية في بابل وآشور ، ترجمة سليم طه التكريتي وبرهان عبد التكريتي ، دار الحرية (بغداد ١٩٧٩) ص ص ٩٠ ـ ٩١ ، ١٤٠ .

(١٢) هاري ساكز ، المصدر السابق ، ص ٢٩٨ . ويفهم من " خلافة المليشيا " خدمات السخرة المجانية . وجدير بالملاحظة ان سياسة آشور بانيبال يمكن تقويمها على ضوء نتائج السياسات السابقة التي ادت الى الثورة الداخلية سنة (٨٢٧) ق . م . التي يرى فيها بعض الباحثين انها تمثل " انتفاضة النبلاء القرويين والاشوريين الاحرار ضد بارونات المملكة الكبار . " انظر : جورج رو ، العراق القديم ، ص ٤٠٢ .

(١٣) محمد دند ماييف ، بلاد بابل في العهد الاخميني ، فصل في كتاب العراق القديم لجماعة من العلماء السوفييت ، ص ص ٤٥٣ ـ ٤٧٥ ولاغراض البحث انظر ص ص ٤٦١ ـ ٤٦٢ .

(١٤) المصدر نفسه ، ص ٤٦٤ ٠

(١٥) المصدر نفسه ، ص ص ٤٦٣ ـ ٤٦٤ ٠ وجدير بالذكر ان الايجارة الاقطاعية تعكس تدخل رأس المال التجاري لاغراض الاستثمار الزراعي الامر الذي يحقق مزيداً من الابتزاز الاقطاعي٠ انظر حول الدور الذي كان يقوم به " بيت موراشو " اليهودي جورج كونتينو ، المصدر السابق ، ص ص ١٥٦ ـ ١٥٧ ٠

(١٦) دند مايبف ، المصدر السابق ، ص ٤٦٥ ٠

(١٧) يمكن دفع الضرائب عيناً في صفة حبوب اوزيوت او اكثر من مادة عينية واحدة انظر : المصدر السابق ، ص ٤٦٦ ٠

(١٨) انظر الوثيقة التي اشار اليها دند مايبف ، المصدر السابق ، ص ٤٧٠ ٠

(١٩) انظر مثلاً : ديفيتسيو غلو ، النموذج الاقتصادي لاسيا الصغرى والامبراطورية العثمانية ، فصل مترجم عن الفرنسية بوساطة : محمد عيتاني ،مجلة الطريق اللبنانية ، العدد (أيلول ١٩٦٩) ص ص ٦٤ ـ ٧٩ ولاغراض البحث انظر ص ص ٧٤ ـ ٧٦ ٠

(٢٠) انظر : عامر سليمان ، القانون في العراق القديم ، (الموصل ١٩٧٧) ج١ ص ص ٢٣٢ ـ ٢٣٣ ؛ فوزي رشيد ، الشرائع العراقية القديمة، (بغداد ١٩٧٩) ، ص ص ١٢٣ ـ ١٢٦ ؛ وقارن بـ : جورج كونتينو ، المصدر السابق ، ص ٢٤٢ ، الذي يعد ظهور نظام الالتزام سابقاً على ظهور النظام الاقطاعي ٠

(٢١) الناهي ، المصدر السابق ، ص ٨ ٠

(٢٢) كما ورد في الملاحظات الخطية التي قدمها الدكتور الناهي للمؤلف وانظر بشكل خاص : Lembton (A . K . S .) , Land lord and Peasant in Persia , 1953 , PP . 10 - 11 .

(٢٣) أرثر كريستنسن ، ايران في عهد الساسانيين ، ترجمة يحيى الخشاب ، دار النهضة العربية (بيروت ـ د ٠ ت) ص ١٩٦ ٠

(٢٤) كريستنسن ، المصدر نفسه ، ص ٢٤٦ ٠

(٢٥) المصدر نفسه ، ص ٢٠٨ ٠

(٢٦) المصدر نفسه ، ص ٢٠٣ ٠

(٢٧) طه باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، ط٢ (بغداد ١٩٥٦) ج٢ ص ٤٩٩ ؛ كريستنسن ، المصدر السابق ، ص ٢٠٨ ٠

(٢٨) كريستنسن ، المصدر السابق ، ص ٢٠٩ ٠ وحول كتاب " تاريخ اربيل " المشار اليه في متن البحث ينظر معلومات اخرى عنه في هامش رقم (١) من ص (٢٠٩) نفسها وكذلك قائمة المراجع في ص ٥٥٩ من المصدر نفسه ٠

(٢٩) انظر للمؤلف : تطور الحياة الاقطاعية عبر العصور ، كتاب تحت الطبع يؤمل صدوره قريباً ٠

(٣٠) طه باقر ، المصدر السابق ، ص ص ٥١٢ ـ ٥١٣ ٠

أهم المساجد في بغداد وتاريخها المعماري والتراثي والحضاري

د . موسى نباي العليلي
كلية نقابة المعلمين

قبلَ ان نبحث أهم المساجد في بغداد، لا بدَّ لنا من أن نعرضَ لدراسةٍ موجزةٍ عن عمارةِ المساجد في العراق، لأنَّ المساجد في الكوفة، والبصرة، والموصل، وواسط وغيرها من المدن العراقية، سبقت عمارة المساجد في بغداد بمدة طويلة، فتكون مساجدُ بغداد إمتداداً لما بداهُ العراقيونَ من عمارةِ المساجد وتطويرها .

إنَّ تاريخ عمارة المسجد في الاسلام بدأت بصورة بسيطة لا تحتاجُ إلى فنِّ العمارة المعهود عند المسلمين في منتصف القرن الأول، ومطلع القرن الثاني للهجرة، حيثُ كان المسجدُ في بداية تكوينه يتكونُ تخطيطُ بنائهِ من اربعة حيطان مبنية باللبن، وتُعمل سقيفةٌ فيه من سعفِ النخيل لتغطيةِ قسمٍ من مساحته، وهذا ما يُلاحَظُ في بناء مسجد قُبا، ومسجد المدينة المنورة في أوّل بنائه، وفي المساجد الأولى في الأمصار المفتوحة . واصلاح المسجد في تلك الفترة لا يتعدى الترميمات البسيطة التي تتناول السقفَ، والأعمدةَ والحيطانَ .

عندما دخلَ العربُ المسلمونَ إلى العراق بعدَ الفتح الاسلامي واستقرُوا فيه، كانَ اهتمامهم الأوّل يتركزُ في بناء المدن الجديدة وبناء المساجد فيها . كي تكونَ نقطةَ انطلاقٍ لفتح الاقطار الأخرى وكانتْ أوّلُ تجربة للبناء، هي بناء مدينة البصرة سنة (١٦ هـ) على يد مؤسسها عتبةُ بن غزوان، فقد بنى المسجدَ، ودارَ الامارة، وبيت المال في وسط المدينة، وجعل جميع الطرق تؤدي إلى المسجد؛ لكي يصل إليه المصلي بسهولة، وكانَ المسجدُ خالياً من كلِّ بناءٍ، حيثُ كانَ يشتملُ على ساحةٍ مكشوفةٍ، ومسورة بسياج من القصب . ثم أمرَ أبو موسى الأشعري ببنائهِ باللبن، وجعل لَهُ سقيفةً من القصبِ يحتمي بها المصلونَ من حرارة الشمسِ .

ثم بنى سعدُ بن أبي وقاص مدينةَ الكوفة سنة (١٧ هـ)، وجعل المسجدَ في وسطها، وإلى جنوبهِ دار الامارة، وبيت مالِ المسلمينَ، وجعلَ طرقَ المدينة جميعها تؤدي إلى المسجدَ لسهولةِ وصولِ المصلينَ إليه . وكانَ صحنُ المسجد مكشوفاً يحيطُ به خندقٌ، ولَهُ سقيفةٌ يستظلُ بها السلمون، ثُمَّ سورهُ من اللبن .

ثم بنى عتبةُ بن فرقد[٣]. مسجدَ الموصل سنة (٢٠ هـ)، وقد وضعَ إلى جنوبهِ دارَ الامارة، وبيت المال . وكذلكَ جميعُ الأقطار التي فُتحتْ في زمن الخلفاء الراشدين، كانَ بناءُ المسجد فيها يتكونُ من سياجٍ يحيطُ بساحته، ومظلةٍ في جهة القبلة يستظلُ بها المصلونَ اقتداءً بالمسجد الذي بناهُ رسولُ الله صلَّى اللّهُ عليه وآلهِ وسلَّم في المدينة المنورة .

أمَّا في زمن الدولة الأموية، فقد تطورتْ عمارةُ المسجدِ في عهدهم تطوراً واضحاً، متأثرين في ذلك بما خلَّفهُ الرومان من فنِّ العمارة في بلاد الشام، فاستبدلوا لموادَ البناءِ السابقة بالحجارة[٤]. والاساطين التي تُجلَبُ من الجبال، وتُنقَرُ، ثم تُثقَبُ وتُحشى بالرصاص، وسفافيد الحديد، واستعملوا في البناء خشبَ الساج . وهذه الموادَ استُعملتْ في اعادة بناء مسجد البصرة، ومسجد الكوفة[٥]. ومسجد الموصل، وغيرها[٦].

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٢١ ، معجم البلدان ١ / ٤٣٢ .

(٢) تاريخ الطبري ٤ / ٤٦ ، ٤٧ ، معجم البلدان ٤ / ٤٩١ .

(٣) الكامل لابن الأثير ٢ / ٥٢٤ ، تاريخ فن العمارة العراقية ص ٢٥٩ .

(٤) معجم البلدان ٤ / ٤٩١ .

(٥) معجم البلدان ٤ / ٤٩١ .

(٦) ينظر تاريخ اليعقوبي ٣ / ٢٧ ، معجم البلدان ٥ / ٣٤٩ .

ثم ظهرت المآذن والمحاريب المزخرفة والاروقة التي تحيط بصحن الجامع، ورُفعتْ فوقها الأقواسُ والعقودُ المتنوعة، والزخارف الهندسية . وقد علت السقوف فوق أعمدة الرخام، وظهرت القباب، مثل القُبَّة التي بنيت في الجامع [1] الأموي، ثم بُنيت على طرازهِ عدة مساجد في البلاد الاسلامية .

سقطت الدولة الاموية سنة (١٣٢ هـ)، وقامت مقامها الدولةُ العباسيةُ، ونقلتْ مقر الخلافة الاسلامية من الشام الى العراق، وقد اتخذت الأنبار مقراً لها أوّلاً، وسميت بالهاشمية [2]. ثم ألغيت، واختيرت بغداد لافضليتها في الموقع في زمن الخليفة أبي جعفر المنصور، وكانَ ابتداء [3]. العمل فيها سنة (١٤٥ هـ)، وانتهاؤهُ فيها سنة (١٤٩ هـ)، وقد اشتغلَ فيها أمهرُ المهندسين، والمعماريين، وأصبحت مدينةُ بغداد في عهدهِ آيةً في الفن المعماري [4] الاسلامي، وبنى في وسطها المسجدِ الجامع ملاصقاً لدار الامارة، متابعة لطريقة المسلمين في بناء مسجد الكوفة والبصرة من حيثُ الترتيب .

لقد كانت العمارة العباسية للمساجد في العراق متأثرةً بالاساليب المعمارية الموروثة عن البابليين والآشوريين والبارتيين الذين سكنوا العراق قديماً، ويظهرُ هذا التأثر في بناء جامع الخليفة في سامراء، وجامع أبي دلف، حيث توجدُ ملويةٌ في كلٍّ من الجامعين، وهذهِ الملويةُ تشبهُ الزقورة التي وُجدت في البنايات العراقية القديمة، كما أن العمارة متأثرة بالاساليب المعمارية البيزنطية والساسانية في بعض سماتها .

وعمومُ فن العمارة عند العباسيين يختلفُ عن فن العمارة الأموية؛ لاستعمال الآجر عند العباسيين بدلاً من الحجر والآجر، أقدم مادة للبناء عُرفت [5] في تاريخ العراق القديم، ومنها استعمال الدعامات الخشبية والأكتاف بدلاً من الأعمدة الرخامية . وقد اتخذوا مادة الجص والآجر في الزخرفة والزينة في داخل المباني وخارجها، واستعملوا الآجر المزجج في زخرفة المآذن التي لا تزال قائمة إلى الوقت الحاضر، وفي القباب المخروطية التي تُسمَّى بالميل، مثل قبة زمرد خاتون في الكرخ، وقبة الشيخ عمر السهروردي في الرصافة .

لقد تميزت عمارة المساجد في بغداد في زمن العهد الجلائري سنة (٧٣٨ هـ) بنوع من الفن المعماري المسمى بالدور الذي يتكون البناء فيهِ من التقاء طابقين في سقف العمارة، ويُربَطُ بينهما بعقاد واحد، ويتمثل هذا النوع من العمارة في جامع مرجان في الرصافة .

جامع المنصور

إنّ جامع المنصور أوّلُ جامع بني في بغداد، فقد بُنيَ مع بناء مدينة المنصورة المدورة . وعند بناء المدينة عهد أبو جعفر المنصور إلى الحجاج بن ارطاة [6] بانشاء المسجد الجامع في قلب المدينة المدورة، وملاصقاً للضلع الجنوبي من قصرهِ . وقد أشارَ الخطيبُ البغدادي إلى نوعية مواد البناء المستعملة بقوله [7] : إنَّ انشاء الجامع في قلب المدينة، تمّ باللبن والطين، وجعلَ لأروقتهِ أساطين من الخشب، وكانت كلُّ اسطوانة منها مكونةً من قطعتين معقبتين بالعتب والغراء، وضبّات الحديد، وقد بنى في الجامع مقصورة لكي يصلي فيها الخليفة .

كانتْ مساحةُ الجامع مائتي ذراع في مائتي ذراع، وكانَ محرابهُ متحرفاً عن القبلة [8] قليلاً، لبنائهِ بعد بناء القصر، فكانَ

(١) تاريخ اليعقوبي ٣ / ٢٨ .

(٢) تاريخ اليعقوبي ٣ / ١٠٩ ، تاريخ الطبري ٧ / ٦١٤ .

(٣) تاريخ الطبري ٧ / ٦١٤ .

(٤) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١ / ١١٩ .

(٥) تاريخ فن العمارة في العراق ص ٢٣ .

(٦) تاريخ الطبري ٧ / ٦٥٢ .

(٧) تاريخ بغداد ١ / ١٠٧ .

(٨) تاريخ الطبري ٧ / ٦٥٢ .

الإنحراف؛ لكي يكونَ وضعهُ متناسباً مع وضع القصر، وكانَ سقفهُ قائماً على أساطين من الخشب، ولكلِّ اصطوانة تاجٌ مدورٌ مصنوعٌ من قطعة خشبية واحدةٍ، وموضوعة فوقَ أعلى الاصطوانة .

وقد أعادَ بناءَهُ الخليفةُ هارونُ الرشيدُ سنة (١٩٢ هـ)، بالآجر والجص، وكتبَ عليهِ اسمَهُ [١] ، وأسماءَ البنائين، وتاريخ البناء . وقد أُضيفتْ إليهِ الدارُ المجاورةُ لَهُ المعروفة بدار القطان التي كانت قديماً ديواناً للخليفة المنصور . وقد أضافَ إليهِ الخليفة المعتضد [٢] باللهِ الصحن الأوّل الذي اقتطعه من قصر باب الذهب سنة (٢٨٠ هـ)، وأمرَ بتجديد المنبر، والمحراب، والمقصورة وتجميلها، وكانت صلاة الجمعة تُقامُ في هذا الجامع مدة طويلة من الحكم العباسي، وقد بقى الجامع قائماً إلى سنة (٧٢٧ هـ) حيثُ زاره الرحالة المشهور ابن بطوطة ووصفه بقولهِ : [٣] (ومن هذه المحلات محلة باب البصرة، وبها جامع الخليفة المنصور)، وبعد ذلك لم يُشرْ اليه أحدٌ، فقد اختفت آثارهُ مع اختفاء آثار مدينة المنصورة المدورة .

إنَّما ذكرناهُ في هذا البحث مع اختفاء أثره، لأنَّهُ أهم جامع، وأول جامع بني في بغداد عند بناء المدينة .

جامع قُمْرية

يُعد جامع قُمْرية ومنارته من النماذج الحية التي تعكسُ لنا طراز عمارة المساجد التي بُنيتْ في الفترة الأخيرة من العهد العباسي . والجامعُ مشهورٌ بقدمهِ، وسعة عمارته، ومكانه الكائن في الجانب الغربي من نهر دجلة، مقابل بناية أمانة العاصمة في الوقت الحاضر .

قبلَ أن نتحدَّثَ عن عمارة الجامع وتاريخه التراثي والحضاري لا بدّ لنا من معرفة (اسم قُمْرية)، هل هو اسم امرأة خليفة، أو جارية، أو امرأة محسنة، أو مكان ؟ ويخبرنا عن ذلك ابن الجوزي في حوادث سنة (٥٥٢ هـ) عندما يتكلم عن الاشتباكات التي وقعت بين الخليفة المقتفى لأمر اللّه، والسلطان السلجوقي محمد بن محمود ملكشاه، حيث يقولُ : [٤](إنّ شباب بغداد كانوا يعبرون إلى جند ذلكَ السلطان بالمقاليع، وزرافات النار، فيردّونَ العسكرَ الكثير، ويتلقون النشابَ بميازر صوف، وكان القتال تحتَ قُمْرية وقصر عيسى . وقالَ أيضاً : إنّ علي كوجك من أصحاب السلطان - المذكور آنفاً - نفّذَ جماعةً، فوقفوا علي قمرية يصيحون إلى منكو يرسي الشحنة من أصحاب المقتضي لامر اللّهِ : نفّذْ رسولاً، ونودعه رسالةً إلى امير المؤمنين) .

وقد ذكرَ عمادُ الدين الاصفهاني الموضع بقولهِ [٥]. (وكانوا - يعني عسكر السلطان محمد - قد نصبوا من الجانب الذي من دجلة على مناة دار العميد، وبقرب من قمرية منجنيقين) . ومما تقدّم يتضحُ لنا بأنَّ قُمْرية اسم مكان، وليسَ اسم جارية كما ذكرَ العلامة [٦] محمود شكري الآلوسي .

بناء الجامع

إنّ الكتابات التي على جدران الجامع لا تذكرُ لنا مؤسسهُ، وإنّما تذكر لنا اسماء الذين قاموا بتعميره، ولو لا ما ذكرهُ ابن الفوطي، لكنا نجهلُ الشخصَ الذي بناهُ، فقد ذكر لنا الذي بناهُ وأثّثهُ، والذين درّسُوا فيه، والمواد التي كانت تُدرّس ، وما سببتهُ لَهُ حوادث الفيضان من التخريب، وذكرَ الذين عمّروه في العصر العباسي، وفي العصر المغولي .

قالَ ابن الفوطي المستجد في حوادث سنة (٦٢٦ هـ) : [٧] (وفي شعبان تكاملَ بناء المسجد المستجد المعروف بقُمرية بالجانب الغربي على شاطىء دجلة المقابل للرباط البسطامي، ونقُلَ إليهِ الفرشُ والآلاتُ

(١) تاريخ بغداد ١ / ١٠٨ .

(٢) نفس المصدر ١ / ١٠٨ .

(٣) رحلة ابن بطوطة ١ / ١٤١ .

(٤) المنتظم لابن الجوزي ١٠ / ١٦٩ ، ١٧١ .

(٥) مجلة سومر الجزء الاول من المجلد الثالث لسنة ١٩٤٧ م

(٦) تاريخ مساجد بغداد وآثارها ص ١١٤ .

(٧) الحوادث الجامعة ص ٤ .

وقناديلُ الذهبِ والفضةِ والشموعُ، وغيرُ ذلك، وفُتِحَ في شهر رمضان، ورتبَ فيه مصلياً الشيخُ عبدُ الصمد بن أحمد بن أبي الجيش، وأُثبتَ في ثلاثون صبيباً يتلقنُون القران الكريم عليه . ورُتبَ فيه معيد يحفظهم التلاقين، ورتّب ايضاً فيه الشيخ حسن بن الزبيدي محدثاً يُقرأُ عليه الحديث النبوي في كلِّ يوم اثنين وخميس. ورتّبَ أيضاً قارىء للحديث وجعل المسجد خزانة للكتب، وحُمِلَ إليها كُتب كثيرةٌ) .

إنّ ما ذكرهُ ابن الفوطي يوضح لنا بأنّ جامع قُمْرية بناهُ الخليفةُ المستنصر باللّهِ العباسي سنة (٦٢٦ هـ ـ ١٢٢٨م) وكان اهتمامهُ به كثيراً حيثُ جهزهُ بالفرشِ الجيدةِ، وقناديل الذهب والفضة، وجعلَ فيه مدرسة يُدرّسُ فيها القرآن الكريم والحديث الشريف، ،اهتم به الخلفاء من بعدهِ .

هذا البناء الشامخ على شاطيء دجلة، اثّرتْ فيه الفياضانات، ففي سنة (٦٥٤هـ) زاد نهر دجلة زيادة عظيمة، مما تسبب في سقوط نصف [1]. مسناة مسجد قمرية، فعُمل لهُ سكر من خشب وطرفاء، ولم تزل هذه المسناة إلى سنة (٦٦٧ هـ) حيث أمر علا الدين عطا[2] ملك الجويني والي العراق في أيّام سلطنة ياقسابن هولاكو بعمارة المسناة . وقد عمّرهُ دلي حسين باشا [3] والي بغداد سنة (١٠٥٤ هـ)، وعمّرته عائشة بنت أحمد باشا والي بغداد سنة (١١٦٣ هـ) .

ثم اختلّ بناء مسجد قُمرية، ومالَ الى الانهدام سنة (١٢٣٠ هـ)، فأعاد عمارته والي بغداد سعيد باشا [4]. إلى أحسن مما كانت عليه سابقاً، وكتب تاريخ العمارة على محراب المصلى .

وقد جُدّد بناء المسجد [5]. سنة (١٣٥٩ هـ ـ ١٩٤١م)، وطُليت بعضُ جدرهِ الداخلية بالجص وبعض المواد المقوية، وشمل هذا التجديد شرفة المئذنة أيضاً . وقد وصفه العلامة محمود شكري الآلوسي في زمن الدولة العثمانية بقوله [6] : (هو من المساجد القديمة في جانب الكرخ على ساحل دجلة تجاه دار الحكومة التي في الجانب الشرقي، وهو أصح مساجد بغداد قبلة . وفيه مصلى واسع تظله قبةٌ رفيعة السمك، فيه منافذ من جهة القبلة على حديقةٍ من أوقاف المسجد، وحول القبة مئذنة بيضاء مبنية بالآجر والجصى، قديمة العهد رصينة البناء . وهذا المسجد اليوم تُقامُ فيه الجمع والأعياد وسائر الصلوات، وفيه خطيبٌ وإمامُ وجملة من الخدم) .

إنّ البناء القديم الذي بناهُ المستنصر بالله العباسي سنة (٦٢٦ هـ) لم يبق منه إلاّ المنارةُ القائمة في الوقت الحاضر؛ لأنّ أعلاها من حوضها فصاعداً حتى قمتها، دقيق بالنسبة إلى الحوض والقاعدة، وهذا عندي ـ كما يقول[7] الدكتور مصطفى جواد ـ أضحى لبقائها زمناً أكثر ـ لأن ضآلة الاعلى تُخفّفُ من الضغط على القاعدة .

يحتلُ جامع قُمرية رقعةً من الارض مستطيلة الشكل، قياسها [8] (٣١ * ٣١٧,٥) ، ويتوسط حرم الجامع دعامتان ثخنُ كلٌ منهما (٢,٨ * ٣٢,٤) ، تحملُ كلُّ دعامةٍ منهما عقوداً قليلة التدبب، تنتهي من الاعلى بقباب دائرية صغيرة، غير بارزةٍ كثيراً إلى جهة السطح، بحث لا يمكن رؤيتها من الخارج .

يوجد في الجامع زيادة أُلحقت بهِ، بامتداد الركن الجنوبي الغربي، وتسمى في الوقت الحاضر بمصلى الشافعية، وقد خصص أخيراً لصلاة النساء، ومن المحتمل أن تكون هذه الزيادة هي المدرسة التي بناها عمر[1]باشا سنة (١٠٨٨ هـ) والتي كانت

(١) الحوادث الجامعة ص ٣١٩ .

(٢) نفس المصدر ص ٣١٩ .

(٣) تاريخ المساجد واثارها ص ١١٤ .

(٤) دليل خارطة بغداد المفضل ص ١٩٠ .

(٥) مجلة سومر الجزء الثاني من المجلد الثامن والعشرين لسنة ١٩٧٢ ص ١٩١

(٦) تاريخ مساجد بغداد وآثارها ص ١١٤ .

(٧) مجلة سومر الجزء الاول من المجلد الثالث لسنة ١٩٤٧م ص ٥٢ .

(٨) ينظر بحث الدكتور كاظم الجنابي في مجلة سومر المجلد الثامن والعشرين لسنة ١٩٧٢م ص ١٩١ .

تسمى بالمدرسة القمرية، ولها الآن باب واسع يتصل بحرم الجامع الكبير من جهة الشرق .

تقع مئذنة جامع قمرية الأثرية في الجنوب الشرقي من الجامع، وتقومُ على قاعدةٍ أقرب إلى الشكلِ المستطيلِ ينحرفُ ركناها بمقدار (٣٠سم) إلى الداخل .

وترتفع القاعدة عن مستوى الأرض بمقدار (٣٣,٥)، ثم تنحسر من الأعلى بهيئة مضلعات، يقوم عليها بدنٌ اسطواني ارتفاعه (٣٨,٧)، ويكون طول بدن المئذنة من القاعدة إلى نهاية الشرفة (١١,٧٠م)، ومن وسط هذه الشرفة ينحسرُ البدن، وينتهي بقمة المئذنة، وقطر هذا البدن (٤م) وبعده عن الشرفة (٥٠سم)، وارتفاعه (٦,٥م) تقريباً . وقمة المئذنة تحتوي على كسر مختلفة من الآجر المزجج . وتعتبرُ هذه المئذنة من المنائر القديمة التي حافظت على عمارة بنائها الأولى .

نظراً لأهمية جامع قمرية، فقد قامت وزارة الأوقاف بمشروع تجديده، ورصدت له الاموال، واستدعت له المنهدسينَ من المغرب الشقيق اضافة إلى المهندسين العراقيين، وتظافرت الجهود لتغليف بناية الجامع القديمة بطريقة فنية، وقد شمل التغليف جدران الجامع الداخلية والخارجية، والركائز والسقوف الداخلية والخارجية، وزخرفت جميع جدران الجامع والسقوف بالزخرفة المغربية المتطورة، وقد برز فيها فنُ العمارة الاسلامية المغربية العراقية المتطور. واصبحت عمارة جامع قمرية من نوادر فن العمارة في بغداد، بفضل الجهود المتظافرة والاموال المبذولة . وقد بدأ العمل فيه سنة ١٩٨١م، وانتهى سنة ١٩٨٦ .

مسجد زمرد خاتون (زبيدة)

زمرد خاتون

هي زوجة الخليفة المستضيء[٢]. بأمر اللهِ العباسي، وأمُّ الخليفة الناصر لدينِ اللهِ، كانت امرأةً زاهدةً عابدةً كثيرة البرّ والاحسان، عاشت في زمن خلافة ولدها أربعةً وعشرين عاماً، وكانت في تلك الفترة نافذة الكلمة، مطاعة الأمر، حجّتْ مرةً، فانفقت ثلاثمائة ألف دينار، وكانَ معها نحو ألفي جمل، وقد تصدقت على أهل الحرمين، وحفرت الآبار والبرك؛ لتسهيل الطريق على حجاج بيت اللهِ الحرام . وقامت بأعمال خيرية في بغداد، فبنت مسجد الحظائر، ورباط المامونية، ورباط مشهد عبيد الله، وبنت تربتها في حياتها، وقبل وفاتها بأكثر من أحدَ عشرَ عاماً . وقد أنشأت مدرسة مجاورة لتربتها، وعينت فيها المدرسين الذين يدرسون فيها الفقه والتفسير والوعظ والارشاد، وجهزتها بمكتبة وضعت فيها كثيراً من الكتب التي تفيد الاستاذ والطالب .

توخيت بنفشة [٣].زوجة المستضي، وهي ضرتها، فدفنتها في تربتها سنة (٥٩٨ هـ) . وتوفيت السيدة زمرد خاتون سنة ٥٩٩ ، فدفنت في تربتها . ولمّا توفي ولي العهد علي بن الناصر لدين اللهِ. حزن الخليفة عليه حزناً عظيماً، وكذلك الخاصة والعامة لكثرة صدقاته واحسانه إلى الناس حتى قيل إنّه لم يبق [٤] بيتٌ ببغداد إلاّ حزنوا عليه، وكانَ يوم جنازته يوماً مشهوداً، وناحَ أهلُ البلد عليه ليلاً ونهاراً، ودُفِنَ عند جدته سنة (٦١٢ هـ) .

بقي جامع زمرد خاتون عامراً، وفيه القبة التي تعلو المرقد والمدرسة والمكتبة إلى سنة [٥](١١٩٥ هـ)، حيث بدأ يندرس بمرور الزمن عليه، وتواتر نكبات الفيضان على مدينةِ بغداد . ولمّا بنى والي بغداد سليمان باشا، سور الجانب الغربي لمدينة بغداد استعمل انقاض جامع زمرد خاتون لبناء السور، ولم يبق من الجامع إلاّ القبّة المشهورة بـ (الميل)، والموجودة في الوقت الحاضر، ووجودُ هذه القبة يدل على عمارة الجامع وأهميتهِ في زمن الخليفة الناصر لدين اللهِ، ومكانة والدته عند أهل بغداد في تلك الحقبة من الزمن، ويبدو لنا أنّ هذا البناء كان خاصاً بالكبراء والائمة في العهد الأخير من الدولة العباسية، وقد كانت فوق مرقد الامام أبي

(١) دليل خارطة بغداد المفصل ص ١٩٠ .

(٢) ترجمتها في البداية والنهاية ١٣ / ٣٦ اعلام النساء لرضا كحالة ٢ / ٣٩ ، دليل خارطة بغداد المفصل ص ٣٠٢ .

(٣) مجلة سومر الجزء الاول من المجلد الثالث لسنة ١٩٤٧ ص ٤٢ .

(٤) البداية لابن كثير ١٣ / ٦٩ .

(٥) تاريخ مساجد بغداد وآثارها ص ١٢٥ .

حنيفة رضي الله عنه قبة مثلها، وكانت بيضاء، وصفها الرحالة ابن جبير سنة (٥٨ هـ) [1] بقوله : (في تلك المحلة مشهد حفيل البنيان، لهُ قبةٌ بيضاء سامية في الهواء، فيه قبر الامام أبي حنيفة رضي الله عنهُ . وكانت القبة التي فوق مرقد الشيخ عبد القادر مثلها، فقد جاءَ [2]:(ولَما مات دُفنَ بمدرسته في بغداد، وبنى على قبرهِ (ميل) ، ولما جاءَ السلطان سليمان إلى بغداد هدم الميل، وبنى عليه قبة شاهقة . وقبة الشيخ عمرو السهروردي أيضاً من نوع قبة زمرد خاتون، وهي لا تزال قائمة على مرقده في الرصافة، لكنّها أقلُّ زخرفة من قبة زمرد خاتون .

يقع مسجد زمردْ خاتون في الوقت الحاضر بجانب الكرخ الى الجنوب الشرقي من جامع الشيخ معروف الكرخي، ويشرف على مخازن السكة الحديدية، وتحيط بهِ القبورُ .

مرقد زمرد خاتون يقعُ في وسط قبتها المعروفة بقبة زبيدة، عليه صندوق صغير من الخشب، وأمام الصندوق محرابٌ وبجنب المحراب قطعة مكتوب فيها السيدة زبيدة . والقبةُ مرتكزةٌ على قاعدة ثمانية الاضلاع، ويبدو لنا أنَّ كثرة الاضلاع يساعدُ على تحمل ثقل القبة المخروطية الشكل، ويُصعَدُ إلى أعلى هذه القاعدة عن طريق سلم يقع إلى شمال الداخل إلى المسجد، ويعلو هذه القاعدة قبةٌ مخروطية الشكل تعرف باسم (الميل)، لكونها ذات رأس مدبب كالحربة .

يبلغ ارتفاع هذه القبة ثلاثة عشرَ متراً، وتتكون عمارتها من مقرنصات مرتبة بشكل صفوف بعضها فوقَ بعض، ويتناقصُ عددها كلّما ارتفعت إلى القمة حتى تصبحَ بشكل رأس مئذنة كالفانوس، ونجمة من الداخل، وهي من الخارج جميلة التغضين الجانبي مما يجعلها تشبه الجنبذة قبلَ أن تتفتحَ .

جامع الخلفاء

يقعُ جامع الخلفاء في الوقت الحاضر في الجانب الشرقي من نهر دجلة بعد سوق الشورجة بخمسمائة متر تقريباً، على الجانب الأيسر من شارع الخلفاء، (شارع الجمهورية) سابقاً .

يعدُّ هذا الجامع من الجوامع القديمة في مدينة بغداد، ولَهُ أثرٌ في تاريخها الحضاري والسياسي . وقد اختلفت الآراءُ حولَ الذي بناهُ، وتاريخ بنائه، وأرجح الآراء أنَّهُ بني إلى جنب القصر الحسني الذي بناه الحسن بن سهل للخليفة المأمون، بعدما تزوج المأمون بوران بنته، وأصبح القصرُ داراً للخلافة، واستمرَ الخلفاءُ بعدهُ .

وقد أشارَ إلى ذلكَ الخطيب البغدادي بقوله [3]: (كانت دارُ الخلافة التي على شاطيء دجلة تحت نهر المعلّى، قديماً للحسن بن سهل، ويُسمّى القصر الحسني، فلّما توفي صارت لبوران بنته، فاستنزلها المعتضد باللّهِ العباسي عنها، فاستنظرتهُ أياماً في تفريغها وتسليمها، ثم رممتها وعمّرتها وجصصتها وبيضتها وفرشتها بأجلِّ الفرش وأحسنه، وعلّقتْ أصناف الستور على أبوابها، وملأت خزانتها بكل ما يُخدَمُ الخلفاء بهِ، ورتبت فيها من الخدم والجواري ما تدعو الحاجة إليه، فلّما فرغت من ذلك انتقلت، وراسلتهُ بالانتقال، فانتقلَ المعتضد إلى الدار، ووجدَ ما استكثرهُ، واستحسنهُ . ثم وسّعها المعتضدُ، وأمر ببناء مطامير فيها، وبرك وغير ذلك .

وفي زمن المقتدر توسعت المنطقةُ، وأصبحت غاية في العمارة والتنظيم . ولّما استُخلِفَ المكتفي العباسي سنة (٢٨٩ هـ)، تركَ القصرِ، وأمرَ بردم المطامير التي كانَ المعتضدُ بناها، وأمرَ أنَ يُجعلَ موضعها جامعاً في دارهِ يصلي فيه الناس، فعُمِلَ وصارَ الناسُ يبكرونَ إلى المسجد الجامع في الدار يوم الجمعة، فلا يُمنعونَ من دخولهِ، ويقيمونَ فيه إلى آخر النهار، وحصلَ ذلكَ رسماً باقياً إلى الآن) .

يتضحُ لنا من ذلك أن المكتفي هو الذي بنى جامع الخلفاء سنة (٢٨٩ هـ)، وكان موضعهُ شرقي القصر الحسني، وأصبح الجامع أحد الجوامع الكبيرة الثلاثة، جامع المنصور، وجامع الرصافة، وجامع الخليفة، أو جامع الخلفاء، أو جامع القصر . وقد بقى هذا الجامع إلى زمن الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ) كما هو ظاهر من النص السابق وذكرهُ ابن جبير [1] في رحلته سنة (٥٨٠ هـ) .

---

(١) رحلة ابن جبير ص ٢٠٥ .

(٢) الشيخ عبد القادر الكيلاني حياته واثاره ص ٢٨ .

(٣) تاريخ بغداد ١ / ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠٩ .

وقد رُمِّمَ الجامع في زمن المستنصر باللهِ العباسي سنة (٦٣٥هـ)، قالَ ابن الفوطي صاحب الحوادث :[٢] (وفي آخر شعبان، انتُهِيَ من عمارة باب جامع القصر مما يلي الرحبة، وفُتِحَ، وفُتِحتِ المزملة التي عملت في الجامع المذكور أيضاً) .

إنَّ التخريب الذي عمَّ بغداد بعد دخول المغول سنة (٦٥٦ هـ)، قد شملَ مختلف المؤسسات، ومنها جامع القصر، أو جامع الخليفة، فقد ذكرَه ابن الفوطي صاحب الحوادث الجامعة بقوله :[٣] (وما عدا هذه الاماكن فإنه لم يسلم فيه أحدٌ إلاّ من كانَ في الآبار والقنوات، وأُحرِقَ معظم البلد، وجامع الخليفة وما يجاوره) . وقد أمرَ[٤] شمس الدين محمد بن الجويني صاحب ديوان الممالك في بغداد بعمارة منارة جامع الخليفة سنة (٦٧٨ هـ)، وكانت قد سقطت في شهر رمضان سنة (٦٧٠ هـ) .

يبدو أن المنارة التي اصلِحتْ، هي المنارة القائمة في الوقت الحاضر . وقد دخلَ الجامع الرحالة الشهير ابن بطوطة[٥] سنة (٧٢٧ هـ) . وقال اولياء جلبي في رحلته إلى العراق سنة (١٠٦٦ هـ) :[٦] (ومن جملة جوامع سلاطين السلف جامع الخلفاء، المعبد القديم ذو المنارة والقبة، الواقع في رأس الشورجة) . وقد زاره الرحالة نيبور سنة (١١٧٨ هـ - ١٧٦٥م)، ووصفه بقولِه :[٧] (كُتِبَ على باب الجامع : أمرَ بعمله سيدنا ومولانا الامام المستنصر باللّهَ أمير المؤمنين أعلى اللّهُ تعالى معالمَ الاسلام بهمته العالية، وازهى دعائم الايمان باياليه، وذلك سنة ٦٣٣ هـ) . وقد عمّر الجامع والي بغداد سليمان باشا[٨] سنة (١١٩٤ هـ)، وعين له مدرساً وإماماً وجملة من الخدم .

بقى الجامع الذي عمّرهُ سليمان باشا إلى سنة (١٩٥٧م) حيث هدم الجامع المذكور لتوسعة شارع الجمهورية، وبقت المئذنة شامخة، وقد جدد الجامع وأصلحتِ المئذنة سنة (١٩٦٦م)، وقد اجريت اصلاحات عامة في الجامع، وبنيت قبة شامخة، وممرات وأروقة، واصلحت المئذنة القديمة، وهي الآنَ في الجانب الغربي من القبة، وعُمِلَ له سياج حديدي من جهة الشارع، وزُرعت فيه الاشجار، وأصبح الجامع في الوقت الحالي غاية في الفن المعماري الحديث .

مسجد الحظائر (جامع الخفافين)

يقعُ هذا الجامع في الوقت الحاضر على الضفة الشرقية لنهر دجلة، تحت المدرسة المستنصرية، يُعَرفُ بجامع الخفافين؛ لأنَّ في بابهِ سوقاً تُصنَعُ فيه الخفاف الحمر، ويُعَرفُ بمسجد الحظائر؛ لقرب محلة الحظائر القديمة منه، ويُعرَفُ بجامع الصاغة، لقربه من محلات الصاغة في وقت من الأوقات . ولم يبق من بنائه القديم إلاّ منارته الأصلية .

إنّ الذي شيدَ هذا الجامع زمرد خاتون ام الخليفة الناصر لدينِ اللّهِ، فإنّها كانت محبةً لاعمال الخير والمبرات، قالَ ابن النجار في ترجمة أبي حفص عمر بن يوسف المقري المتوفى سنة (٦١١ هـ) :[٩] (ورُتِبَ إماماً في المسجد الذي بنته أُمُّ الخليفة الامام الناصر لدين اللّهِ بالحظائر على شاطيء دجلة)، وقال ابن الفوطي صاحب الحوادث الجامعة في حوادث فيضان بغداد سنة

(١) رحلة ابن جبير ص ٢٠٧
(٢) الحوادث الجامعة ص ١٠٣
(٣) الحوادث الجامعة ص ٣٣٠
(٤) نفس المصدر ص ٤٠٨
(٥) تحفة النظار في غرائب الامصار ١ / ١٣٥
(٦) مجلة لغة العرب المجلد السادس لسنة ١٩٢٨ ، ١ / ١٨
(٧) مجلة سومر الجزء الأول والثاني لسنة ١٩٦٦ ، ص ٢٢ ، والجزء الاول والثاني لسنة ١٩٦٤ ، ص ٥١
(٨) دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد والزوراء ص ١٧٠ ، ١٧١
(٩) دليل خارطة بغداد المفصل ص ١٨٩ ، نقلاً عن التاريخ المجدد لمدينة السلام .

(٦٤٦ هـ) [١](ونبعَ الماءُ من أساس حائط المدرسة المستنصرية، ومن دار (سنقرجا) زعيم خوزستان المجاورة للمستنصرية، ومن مسجد الحظائر، المعروف بأُمِّ الناصر المجاور لهذه الدار) • وهذان النصان يؤكدان بأنَّ أُمَّ الناصر لدين الله زمرد خاتون، هي التي بنت مسجد الحظائر •

يظهر بأنَّ مسجد الحظائر يشتملُ على مدرسة، فقد جاءَ في حوادث سنة (٩٩٩ هـ) [٢] انّ والي بغداد جغالة زاده سنان باشا، عمّرَ مسجد الحظائر والمدرسة، وفيه لوحٌ يظهرُ تاريخ تعمير الجامع والمدرسة • وقال العلامة محمود شكري الآلوسي : [٣](جامع الصاغة على شاطيء دجلة قريب من المستنصرية في جهتها الشرقية ••• الخ فيه مصلى واسع على النهر عن يمينه مئذنة، وفيه مدرسة عامرة، وحجر أُخرى، ولم يزل تُقامُ فيه الجمع والأعياد، والصلاة المكتوبة ••• الخ، وفيه خزانة كتب تشتمل على مخطوطات قديمة، وليس في جدران الجامع كتابات تنطق بما جرى عليه من العمارات) • وقد جُدِّدَ الجامع من قبل رئاسة ديوان الاوقاف سنة (١٩٧٣ هـ) •

بناءُ الجامع المجدد يعودُ إلى زمن الدولة العثمانية، لشبهه بالبنايات التي شيدت في زمن الدولة العثمانية، ولكن المئذنة ما تزال تحتفظ بعناصر البناء الأصلية التي جعلتنا نميل إلى أنها من العمارة الاسلامية التي شيدت في الفترة العباسية الأخيرة، أي في زمن زمرد خاتون •

جامع الشيخ عمر السهروردي

الشيخ عمر : هو شهاب [٤]الدين أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عمّوية، ينتهي نسبة إلى أبي بكر رضي اللهُ عنه، وقد كانت ولادته سنة (٥٣٩ هـ) بسهرورد، بلدة قريبة من زنجان، ونشأ بها، ثم توجهَ مع عمه أبي نجيب إلى بغداد، وأخذَ عن عمه التصوفَ، ودرسَ على علماء بغداد، وأصبح عالماً فاضلاً ورعاً كثير الاجتهاد والعبادة والرياضة • وقد تخرّجَ عليه كثيراً من الطلبة في المجاهدة والخلوة، وكان من علماء الشافعية، لَهُ مجلس وعظٍ، ولَهُ مؤلفات حسنة، اشهرها عوارف المعارف • وتولى عدة ربط للصوفية، منها رباط الزوزني، ورباط المأمونية، وبنى لهُ الخليفة الناصر لدين الله رباطاً بالمرزبانية على نهر عيسى، وبنى إلى جانبه داراً واسعةً وحماماً وبستاناً يسكنها بأهله، ونفذَهُ الخليفة رسولاً الى عدة جهات، وكان الملوك الذين يردُ عليهم يبالغون في إكرامهِ وتعظيمهِ واحترامه اعتقاداً فيه وتبركاً •

توفي شهاب الدين سنة (٦٣٢ هـ)، ودُفِنَ بالوردية [٥] في تربة عُمِلَتْ لَهُ هناكَ على جادة سوق الظفرية •

يظهر لنا مما ذكرهُ صاحب الحوادث الجامعة أن القبة المعروفة بالميل والقائمة على مرقدهِ في الوقت الحاضرِ شيدت في حياتهِ كما شيدت زمرد خاتون قبتها في حياتها، والقبتان متشابهتان، ويتميزان بانهما من الطراز السلجوقي، والوصف الذي ذكرناه في قبة زمرد خاتون ينطبق على قبة الشيخ عمر السهروردي •

قال الدكتور مصطفى جواد : [٦](وعلى قبرهِ اليوم قبة من الطراز السلجوقي على هيأة قبة السيدة زمرد خاتون، يرجع تاريخ بنائها إلى سنة وفاة الشيخ المذكور، وفي باب القبة كتابة تدلُ على أنَّ غياث الدين محمد بن رشيد الدين جدّدَ عمارة التربة، ولعلَّ بعضها كانَ قد انهدمَ واسترم فجُدِّدَ • ورَممَ القبة المشيدة على الطراز المعروف بالميل في سنة (٧٣٥ هـ)) •

الذي نلاحظه على ما ذكره الدكتور مصطفى جواد، بأنه لم يلتفت إلى النص الذين ذكره صاحب الحوادث الجامعة، بأنَّ التربة التي دُفِنَ فيها الشيخ عمر كانت معمولة له قبل وفاته، وهو الذي

(١) الحوادث الجامعة ص ٢٣١

(٢) تاريخ العراق بين احتلالين لعباس العزاوي ٤ / ١٣٢

(٣) تاريخ مساجد بغداد وآثارها ص ٤٢

(٤) ترجمة في الحوادث الجامعة ص ٧٤ ، وفيات الاعيان ٣ / ٤٤٦ ، شذرات الذهب ٥ / ١٥٣ ، تاريخ مساجد بغداد وآثارها ص ٥٥ ، مراقد المعارف ٢ / ١١٩ ، دليل خارطة بغداد المفصل ص ٢٣٥

(٥) الحوادث الجامعة ص ٧٤

(٦) دليل خارطة بغداد المفصل ص ٢٣٦

حققَ الكتاب المذكور، والكتابة التي في باب القبة حاولتُ أن أقرأها فلم أتمكن، ولعلّه فهم من مضمونها بأنّ القبة رممت سنة (٧٣٥ هـ) . وقد عمّر الجامع والمرقد[1] اسماعيل باشا والي شهرزور سنة (١٢٧٣ هـ) .

يقع جامع الشيخ عمر في الوقت الحاضر في محلة الشيخ عمر بالرصافة، قرب الخط السريع، وحوله مقبرة كبيرة، وللجامع باب واحد يقع في الجهة الغربية، وفيه ساحة واسعة، ومصلى صيفي . وحرم الجامع حرم واسع فيه مصلى للنساء يقع في الشمال، وفيه محفل، وله بابان : باب في الشمال الغربي، والى يسار الداخل إلى الحرم تنتصب المئذنة، وباب في الجنوب الشرقي يؤدي إلى غرفة المرقد، وفي وسط الغرفة مرقد الشيخ عمر السهروردي عليه صندوق ثمين، وفوقه ضريح من الخشب الجيد، تعلوهُ القبة الشامخة التي تمثل الفن المعماري السلجوقي، وهي تشبه قبة زمرد خاتون التي ذكرنا وصفها سابقاً، وفي الجهة الشمالية الشرقية من الغرفة بابٌ صغير يؤدي إلى غرفة صغيرة فيها مرقد المستنصر باللهِ العباسي، وهو مبنى من الرخام، وليس فيه كتابات تدلُ على اسمه . وفي غرفة المرقد باب في جهة الغرب يؤدي إلى ممر طوله حوالي خمسة عشرَ متراً، وفي نهايته من جهة الغرب ينتصب الباب الكبير التي فيه الكتابات الأثرية التي لم اتمكن من قراءتها . وقد جُدِّدَ الجامع والمرقد سنة (١٣٢٠ هـ)، وآخر تجديد لجامع الشيخ عمر السهروردي، وهو أهم تعمير قامت به وزارة الاوقاف سنة (١٩٦٦م) شملَ الواجهة الامامية والقبة وبعض الغرف، والساحة .

جامع شيخ معروف الكرخي

شيخ معروف : هو أبو محفوظ معروف[2] بن الفيرزان الكرخي، كانَ أبواهُ نصرانيين، فأسلماهُ إلى المؤدب، فقالَ لَهُ المؤدب : إنَّ اللّهَ ثالثُ ثلاثة ! فقالَ معروفُ : بل هو اللّهُ أحد، فضربَهُ، فهرب إلى الامام علي بن موسى الرضا عليهما السّلامُ، وأسلمَ على يده، وأصبح من مواليه، ثم رجعَ إلى أبويهِ، فأسلما أيضاً .

ولد ونشأ في بغداد، ودرس على علمائها، وأصبح من المشتهرين بالزهدِ والعزوف عن الدنيا، وكان يأتيه الصالحونَ والفضلاءُ والعلماء يتبركونَ بلقائهِ، وممّن جاءَه الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنهُ، وكان يوصف بأنه مجاب الدعوة، وله كرامات[3] كثيرة . ولم يزل ملازماً للزهد وحياة التصوف إلى أن لبّى نداءَ ربّهِ سنة (٢٠٠هـ) على الارجح، ودُفِنَ في موضع تربته الحالي .

جامعه

يقع جامع الشيخ معروف في الوقت الحالي في الجنوب الشرقي من ساحة الطلائع، ويقع على يمين الشارع المار أمام الجامع، وتحيط بهِ القبور من جميع الجهات، سوى الطريق الضيق الذي يبتدىء من الشارع، وينتهي بالجامع .

لم يذكرْ أحدٌ من المؤرخين جامع الشيخ معروف قبلَ سنة (٤٥٩هـ)، حيث قال ابن الجوزي في أحداثها :[4](في سنة (٤٥٩هـ) احترقَ المقام الذي شُيِّدَ فوقَ قبر معروف الكرخي، وأمر الخليفة القائم بأمرِ اللّهِ بعمارتهِ، وإعادة بنائه)، ويظهر من النص ان المرقد كانت عليه بناية متواضعة . وفي سنة (٦١١هـ) [5] دُفنَ بالقربِ من معروف الكرخي، الأمير عليٌّ، أصغر أبني الخليفة الناصر لدين اللّهِ، الملقب بالملك المعظم، وربما أعيدَ بناء مرقد الشيخ معروف بهذه المناسبة أو بعدها، وشيدت المئذنة، ويدلُ على ذلك النقش الكتابي الذي وُجِدَ على المنارة الآترية، وهو : [6](بُنيت هذهِ المنارة سنة اثنتي عشرة وستمائة) .

---

(١) تاريخ مساجد بغداد وآثارها ص ٥٤

(٢) ترجمته في تاريخ بغداد ١٣ / ١٩٩ ، وفيات الاعيان ٢ / ١٠٤ نزهة الجليس ٢ / ٣٥١ ، صفة الصفوة ٢ / ١٧٩ ، الاعلام ٨ / ١٨٥ ، مراقد المعارف ٢ / ٢١٨ ، تاريخ مساجد بغداد وآثارها ص ١٢٠

(٣) ينظر كراماته في تاريخ بغداد ١٣ / ٢٠١ ـ ٢٠٨

(٤) المنتظم لابن الجوزي ٨ / ٢٤٦ ، الكامل لابن الاثير ١٠ / ١٩ ، ٥٥

(٥) مجلة سومر الجزء الاول من المجلد الثالث لسنة ١٩٤٧ ص ٥٥

(٦) نفس المصدر ص ٥٥ ، دليل خارطة بغداد المفصل ص ٩٠

بقت هذه العمارة إلى سنة (٧٢٧هـ) حينما زارَ الرحالة المشهور ابن بطوطة [1] بغداد، وأشارَ اليها . وفي سنة (١٣١٠هـ) [2] أعادَ بناء العمارة حسن باشا والي بغداد، فزخرفَ المصلّى، وبنى على قبر الشيخ معروف قبة في شرقي المصلى من جهة القبلة في سرب من الأرض معقود عليه عقدٌ بالآجر والجص .وفي سنة (٣١٢هـ) [3] جدّدَ العمارة السلطان عبد الحميد خان، وكتب تاريخ التجديد في صخرةٍ .

أقدم بناء في جامع الشيخ معروف في الوقت الحاضر المئذنة حيث يرجع تاريخ بنائها إلى سنة (٦١٢هـ)، وهي من أجمل المنائر فناً وعمارة، فقد قاومت كوارث الفيضان في بغداد، وقاومت الرياح العاتية مدة طويلة من الزمن، وهي الآن شامخة على مرتفع من الأرض، وترتكز على قاعدة متمنة، وفي أعلاها شرفة الأذان، تقوم على مقرنصات قوامها تجاويف وحنايا مضلعة تتكون من صف من الأقواس المدببة، مُلِئت بواطنها بزخارف نباتية تتكون من أغصان متشابكة، ويظهر ذلك واضحاً بلوحة الصورة الموجودة ضمن البحث . وعمارة المرقد والجامع والقبة، فجميعها حديثة، وقد جدّدتها وزارة الاوقاف سنة (١٩٧٤هـ)، وأجرت فيها تعميرات واسعة سنة (١٩٨٥هـ) حيث غلّفتِ الحيطان بالمرمر، وجددت ما يحتاج إلى التجديد، وأصلحت المئذنة التاريخية، وفرشت حرم الجامع بالسجاد، وأصبح الجامع من خيرة الجوامع الموجودة في المحلة .

إنّ الذي ذكرناهُ من مساجد بغداد قليلٌ جداً إذا قيسَ بالمساجد التي لم نذكرها، ولكن الذي ذكرناه من المساجد فيه آثارٌ قائمةٌ تدلُ على قدم بناء الجامع، مثل المنائر والقباب، وغيرهما . وأمّا المساجد التي لم نذكرها في هذا البحث، فهي قديمةٌ ايضاً، وقد تكون أقدم من المساجد التي ذكرناها، لكنها قد أُعيدَ بناؤها، وجُدِّدت عدة مرات في أزمنة مختلفة، وليسَ فيها أثرٌ قائمٌ من البناء الذي أُقيمَ منذُ ابتداء عمارتها الأولى .

ومنها جامع الامام أبي حنيفة، وجامع الشيخ عبد القادر، ومشهد الامام الكاظم، وجامع الامام أبي يوسف، وجامع براثا، وجامع الخلاني وغيرها . وقد ألّفتُ كتاباً يشمل جميع المساجد، وهو بعنوان (مساجد بغداد ومراقد أئمتها وعلمائها وصلحائها)، وسوف يصدر بالمستقبل القريب .

الدكتور موسى بناي العليلي
باحث علمي في وزارة الاوقاف

(١) رحلة ابن بطوبة ١ / ١٤١
(٢) تاريخ مساجد بغداد واثارها ص ١١٩
(٣) مراقد المعارف ٢ / ٣١٩

المصادر والمراجع

١ - الاعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء، لخير الدين الزركلي .

٢ - اعلام النساء لرضا كحالة، المطبعة الهاشمية دمشق ١٩٥٩م .

٣ - البداية والنهاية في التاريخ ، لأبي الفداء ابن كثير ، طبع في القاهرة سنة ١٣٥٨ .

٤ - تاريخ الأمم والملوك ، للطبري ، دار المعارف القاهرة ١٩٦٠م .

٥ - تاريخ بغداد ، للخطيب البغدادي ، مطبعة السعادة القاهرة ١٩٣١م .

٦ - تاريخ العراق بين احتلالين ، لعباس العزاوي ، شركة الطباعة المحدودة بغداد ١٩٤٩م .

٧ - تاريخ فن العمارة العراقية في مختلف العصور ، دار الرشيد للنشر بغداد ١٩٨٢م .

٨ - تاريخ مساجد بغداد واثارها ، للسيد محمود شكري الآلوسي ، مطبعة دار السلام بغداد ١٣٤٦هـ .

٩ - تاريخ اليعقوبي ، مطبعة الغري في النجف الاشرف ١٣٥٨هـ .

١٠ - الحوادث الجامعة والتجارب النافعة ، لعبد الرزاق بن الفوطي ، مطبعة الفرات بغداد ١٣٥١هـ .

١١ - دليل خارطة بغداد المفصل ، تأليف الدكتور مصطفى جواد ، والدكتور أحمد سوسة ، مطبعة المجمع العلمي بغداد ١٩٥٨م .

١٢ - دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء، للشيخ رسول الكركوكلي ، مطبعة كرم بيروت .

١٣ - رحلة ابن بطوطة المعروف بتحفة النظار ، مطبعة مصطفى محمد القاهرة ١٩٣٨م .

١٤ - رحلة ابن جبير ، مطبعة السعادة القاهرة ١٩٠٨م .

١٥ - شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، لابن العماد الحنبلي ، نشر مكتبة القدسي القاهرة ١٣٥٠ .

١٦ - الشيخ عبد القادر الكيلاني حياته وآثاره ، للشيخ يونس السامرائي ، الطبعة الثالثة ، مطبعة الامة بغداد ١٩٨٢ .

١٧ - صفة الصفوة ، لابن الجوزي ، طبعة حيدر اباد ١٣٥٥هـ .

١٨ - الكامل في التاريخ ، لابن الاثير ، دار صادر للطباعة بيروت ١٩٦٥م .

١٩ - مجلة سومر المجلد الثالث ، والمجلد الثامن والعشرون .

٢٠ - مجلة لغة العرب المجلد السادس .

٢١ - مراقد المعارف ، للشيخ محمد حرز الدين ، مطبعة الآداب النجف ١٩٧١م .

٢٢ - معجم البلدان ، لياقوت الحموي ، دار صادر للطباعة بيروت ١٩٥٥م .

٢٣ - المنتظم ، لابن الجوزي ، طبعة حيدر آباد ١٣٥٩هـ .

٢٤ - وفيات الاعيان ، لابن خلكان ، دار الثقافة بيروت ١٩٦٨م .

الجنــدي المــؤرخ
استخدام التاريخ فـي صنع القرار العسكري (الحربــي)

بقلم الكابتن اف٠اف٠ مارفن
محلل اقدم في جمعية علم القرار
Decision Science Consortium
وماجستير (M.P.P) من جامعة هارفرد٠
ترجمة سليم شاكر حسن
معهد التاريخ العربي للدراسات العليا

-١-

المقدمـة

التاريخ كيان واسع الافاق يحيط بالدنيا ويتلون بالوانها تارة، ويضفي الوانه عليها تارة اخرى، فهو الامس واليوم وغدا، وهل الدنيا اكل مما تحويه وتعنيه غير ذلك وحتى يشاء الله سبحانه ما يريد . وليس التاريخ مجموعة اوراق وشواهد يتلاعب بها قائد غر ليدير اللعبه كما يهوى، والتاريخ كالحكيم الخالد يرقب ما يحدث بصمت، وحين يتدخل فهو انما يصدر احكاما لا محاباة فيها ولا رحمة٠ وكم نردد احكامه في ساحات الدرس وأروقة الحوار ،وفيما تخطه افلامنا، أو نصور ما قاله في حق اولئك القادة ذماً أو مدحا وهل الانسان في النهاية اكثر من كلمه تقال فيه أو عنه بعد أن يمضي٠ فالتاريخ اذن هو الدنيا وهو الانسان٠

ليس فهم التاريخ أمراً هينا، فهو سهل ممتع، قد يجهد الانسان نفسه في ذلك دون الوصول الى استيعاب تجاربه وحكمته، الا أن دروسه وأمثلته قد تاتين أحيانا دون ثمن والمهم في كل ذلك تفهمك للتاريخ فلو احسن نابليون وهتلر وغيرهما فهم التاريخ أما كانت نهايتهم ستكون غير التي تعرف٠ فكلما أمنت بالتاريخ كنزا وملاذا للحكمة والمعرفة، كلما استعنت بالتاريخ مجمعا للزمن كلما زاد خطوك قوة وثقة ولا نستثني التاريخ العسكري من ذلك بل العله الا على صوتا بين أبواب التاريخ وذلك لانه يتكلم بلغة السيف والبندقيه وأن أحكامه ودروسه مباشرة ومتلاحقه٠

تؤكد كافة المدارس العسكريه على ضرورة تعلم التاريخ العسكري أو تاريخ وفن الحرب بل أن الجنرال الانكليزي ويفل كان يؤكد على أن دراسة المعارك وسير القادة التاريخيين فرع أساس في المعرفة العسكرية وأن المعارك هي ما يعنيه بالتاريخ العسكري٠

يحاول الكاتب في الدراسة التالية عرض منهج وتصور جديدين في استخدام التاريخ كعنصر أساسي في سياقات اعداد الخطط ووضع القرار تقدير الموقف سواء عن طريق استقراء ومقارنة الشواهد التاريخية أو دراسة ساحات المعارك ومناطق العمليات، مستعرضين ما فعله الاخرون أو ما كان سيفعله هذا القائد أو ذاك في موقف كهذا لا أصلا قابل ضمن عملية مدروسة ومنسقة وموثقة وفي الوقت المناسب لا بعد فوات الاوان٠ مستهدفين في استخدام التاريخ أن لا نركض لاهثين وراء العدو وكطرف ثان لا نفعل سوى الرد على افعاله والرقص على انغامه - وتلك هي الطامة الكبرى - وبدلا من ذلك أن نكون الفاعلين المسكين بزمام الامور، الفارضين على عدونا أن يتابع وأن يرد على تحركاتنا٠

ولا يقتصر الكاتب على تناول الموضوع من جوانبه النظرية والفكرية فقط، بل يحاول تطبيق منهجية علمية جديده وفي كافة مراحل صنع القرار الحربي والذي يشكل العمود الفقري لأي حملة أو معركة مستخلصا - أي الكاتب - في النهاية مجموعة من الاستنتاجات الهادفة الى تعميق فهمنا للتاريخ العسكري والافادة منه في حياتنا العملية٠

(المترجم)

- ٢ -

استخدام التاريخ في صنع القرار العسكري الحربي (الجندي - المؤرخ)

((التاريخ العسكري شيء مثمر، والتاريخ العسكري مادة تثقيفية. والتاريخ العسكري شيء جميل وملذ. الا ان المهم هو : هل ان التاريخ العسكري شيء مفيد؟ تقدم لنا الدراسة التالية احدى طرق استخدام التاريخ العسكري.)).

قالت الكاتبة باربره توكمان ذات مرة، ان السؤال الشائع الذي يطرحه (رجل العادي على المؤرخ هو هل ان التاريخ يخدم غرضاً ما؟ وهل هو مفيد فعلاً؟ اي هل يمكننا التعلم من دروس التاريخ[١] ؟ لقد سعى المؤرخون العسكريون ومنذ وقت طويل الى اقناعنا بان دراسة حملات ومعارك الماضي مفيده للغاية. وقد نستفيد من الدروس التاريخية لتطوير قراراتنا التعبوية. والحوا كثيراً في تصنيف التاريخ وكتب السيرة الى قائمة ما نختاره من كتب ودراسات لتطوير ثقافتنا المهنية ولترسيخ قناعة وتقدير شديد من التاريخ العسكري لدى مرؤوسينا وضباطنا الشباب.

الطريقة الوحيدة الاخرى الى جانب القراءة، هي كما يبدو الاسلوب المتبع حالياً في دراسة الماضي بتمعن لمعرفة دروسه القابلة للتطبيق في حروب اليوم من خلال واجبات وجولات الاركان. والحكمة في هذه الجولات التدريبية هي ان سجل واحداث التاريخ العسكري وبعد مزجها مع دراسة حقيقية للارض سيوفران لضباطنا تفهما واضحاً، يمكن اعادة ترتيبه على شكل دروس مستنبطة وسيشعر معظم الضباط بعد جولات الركن هذه بنيلهم شيئاً من المعرفة قد يمكنهم على الوصول و (صنع) قرارات افضل حين يأتي دورهم. وسيكونون قادرين على الاقل، على القول بانهم لن يكرروا الاخطاء التي وقع فيها السابقون.

هناك بعض الضباط ممن يرفضون استخدام التاريخ في تهيئتهم للمعركة، وهذاشيء طبيعي. ويعتقد هؤلاء وكالكاتبة باربرتوكمان، في ان (المتغير المجهول) في الحرب - أي الانسان - ما زال مما يصعب التنبوء بردود فعله، واللاعقلاني الى الحد الذي يستحيل معه تطبيق اية دروس عملية من التاريخ على مواقف مستقبلية[٢] كما يوضح هؤلاء بأن خير ما علمنا إياه التاريخ هو ان (لا نعد انفسنا لخوض حرب مشابهه لاخر حرب) لان التقدم التقني - من القوس الطويل الى القنبلة الذرية سيطبق كما يبدو كل الافتراضات المسبقة ويشعر اولئك الضباط بأنهم اما عاجزون عن استخلاص دروس قيمة من الماضي، او انهم غير قادرين على تطبيق (الدروس التي تعلموها) عندما يحين الوقت، وذلك لتغير الظروف.

لذلك يبدو لنا ان التاريخ محدد وملتصق بظروفه الآنية الى درجة يصعب معها تطبيقه والى حد كبير على تخطيط حقيقي لعمليات، وفي صنع القرار. لقد كتب احد الضباط الصغار ذات مره بان الجيش قد فشل في معظم الاحيان في ان يحدد لنا كيف يمكن استخدام التاريخ كأداة فعلية من قبل الجنود المحترفين اليوم[٣] مع ان هناك دروساً كي نتعلمها من اولئك الذين مضوا قبلنا.

والمعضلة مع كتب التاريخ، وواجبات وجولات الاركان، وهي انهما بذاتيهما لا يشكلان ادوات عملية، لتشمل اعتبارات تاريخية ضمن صنع القرار الحربي وترفض او تحجب كل ما هو غير مناسب. فجولات الاركان الحالية وسط غابات وقرى فيتنام ستقلب دون شك العديد من الدروس في (القتالات القليلة الشدة Low-intensity conflict) في جنوب شرق اسيا في الستينات. وما هية ونوع الدروس الملائمة لاميركا الوسطى في الثمانينيات؟ وكيف سيدخلها في عملية صنع القرار التي سيجريها بنفسه وهل هناك طريقة اخرى أفضل في استخدام دروس الماضي؟

لقد اصدر الاستاذان ريجارد نيوشتاد وايرنست ماي، وكلاهما من اساتذة جامعة هرفرد كتابا عن (التفكير في الوقت لفوائد التاريخ في صناعة القرار حاولا فيه تطوير اسلوب عملي وفعال في استخدام التاريخ من قبل المديرين وكبار الموظفين الرسميين وقد لاحظا بان الكثيرين من صانعي السياسة PolicyMaber في المناصب الحكومية العليا يتجنبون الاستفادة من التاريخ في الوصول الى القرارات بسبب مصاعب وتعقيدات تحليلاته، مع انهم يسارعون الى استخدام القصص التاريخي للدفاع عن المواقف التي اختاروها او فضلوها على غيرها بفعل وقوة البداهة

وحدها وبعد ان قضى الكاتبان سنوات عديدة من التفكير والعمل سعياً وراء طريقة منهجية لاستخدام التاريخ في صنع القرار السياسي العام، توصلا الى ان الاساليب الرسمية الحالية ثقيلة وكثيرة المطالب بالنسبة لكبار الرسميين الغارقين في مسؤولياتهم. لذا ركز الاستاذان انفاً الذكر على تطوير مجموعة من الطرق والاساليب الموجزة Mini-Methods لدمج الاعتبارات التاريخية في عملية صنع القرار.

فالتاريخ، كما يراه الاستاذان نيوشناد، وماي، ليس مجرد دوريات، او سلسلة من الاحداث الماضية، بل انه طريقة في النظر الى الخلف والمضي قدما الى الامام ويعتقد ان بأن التفكير في الوقت ذو اهمية كبيرة وخاصة لصناعي القرار العسكري (الحربي) "لان الحرفة العسكرية، وربما اكثر من اي حرفة اخرى، تشجع وتتضمن التفكير بالمستقبل. وهذا لا يعني طبقاً ان جميع العسكريين (القادة) يفعلون ذلك. بل وعلى العكس من ذلك، يسعى المخطط الجيد، وضابط الركن من الدرجة الاولى.. الى استنزاف كل قدراته الحدسية حتى النهاية"[٤] فان كلا الاستاذان على صواب فيما ذهبا اليه، فهل ينبغي على القادة، وهيءات ركنهم استخدام التاريخ فعلا من خلال تطبيق الطرق الموجزة في عملية صنع القرار؟ وهل بوسعهم تطوير وتحسين تخطيط العمليات باستخدام تلك الاساليب؟.

اعتقد شخصياً ان على القادة والاركان تحقيق ذلك فعلا، ولعلهم قادرين على ذلك... فلصناع القرار الحربي اهتمام واسع بالعثور على طرق افضل واستخدامها في عمليات صنع القرار وبوسعهم تحسين قراراتهم بدرجة كبيرة وعلى الاخص نوعيا، ولايضاح هذه الفكرة اكثر اقدم اولا نظرة عامة وشاملة عن الاستخدامات الاربع للتاريخ لنيوشناد وماي.

١ - استخراج الامثلة (التاريخية).

٢ - ترتيب الموقف موضوع البحث ضمن سياقاته.

٣ - تقييم الاشخاص. المنظمات (قادة وقطعات).

٤ - تفحص الافتراضات.

لايضاح كل استخدام للتاريخ ساجمل اولا الطرق الموجزة التي اوصا الاستاذان بتطبيقها مع ذلك الاستخدام، وساوضح اخيراً الطريقة او الطرق التي يمكن من خلالها توزيع الطرق الموجزة على كل مرحلة من مراحل تقدير الموقف الذي يجريه القائد، بهدف تطوير عملية صنع القرار.

الاستخدام الاول للتاريخ

لكثير من ضباط الجيش (ان لم نقل لكلهم) معلومات اولية جيدة عن التاريخ العسكري، كما تركز الوصايا الرسمية الخاصة حول ذلك على تطوير وتوضيح وتفهم الاساليب والمفاهيم العسكرية اللامعة - كمعركة ماراتون[٥] في مهاجمة الجناح، ومعركة ليوكتر[٦] لقد مات الهجوم، ومعركة كان[٧] للتطويق، لذلك بات لدى معظم الضباط العديد من النماذج التاريخية الشهيرة والقياسية والتي بوسعهم الاستعانة بها كشواهد اكيدة في عملية تحليل العمليات العسكرية الحالية، الا ان مالم يتعلموه حتى الان هو اختيار المثال المناسب فعلاً، وكيفية استخدامه او تطبيقه على موقف جديد (معاصر) اذ غالباً ما انتهى الامر الى اختيار مثال لا ينسجم والموقف الراهن، الامر الذي يزيد في تعقيده والتسبب بالمزيد من الغموض والفوضى لعملية التحليل نفسها. تؤكد التجارب التي اجريت في معظم مراكز العمليات التعبوية على ان القليل من التاريخ العسكري أسوأ بكثير من عدم وجود شيء منه.

١ - الطريقة الموجزة الاولى

التي يقدمها استاذا هارفرد، تهدف الى عزل الامثلة التاريخية الجيدة عن السيئة وتدعى هذه الطريقة او يرمز اليها بـ(Kup/LD)، مختصر كلمات (المعروف، المجهول، المفترض - والمتشابه والاختلاف)[٨] يبدأ صانع القرار بتدوين ما يعرفه عن الموقف،

والمجهول فيه، وما يفترضه. ويعد بعدها قائمة مماثلة لجميع الامثلة التاريخية التي ترد الى الذهن، ثم يبدأ بمقارنة كل واحد من تلك الامثلة مع معطيات الموقف الحالي، مؤكداً على مجالات التشابه والاختلاف. والمهم في هذا السياق هو مساعدة صانع القرار على ايضاح وتحديد ما يهمه حقيقة واهدافه، كما لا بد من استبعاد الامثلة والتفاصيل التي لا علاقة لها بالموقف. المطروح للبحث.

يمكن تقديم صورة اكثر وضوحاً عن قيمة ودور هذه الطريقة الموجزة بمثال من الحرب الكورية، فبعد عودة الرئيس الامريكي ترومان الى واشنطن من منزله في (ميسورى) بعد اعلامه بغزو كوريا الشمالية للجنوبية في (٢٥ حزيران ١٩٥٠) سارع الى البحث ودراسة الخيارات المتاحة له، واستعرض مع نفسه المرات التي فشلت فيها الديمقراطيات الغربية[١١] في الثبات والصمود مرة بعد اخرى بوجه العدوان في الوقت المناسب وقبل فوات الاوان وبشكل يتعذر معه تجنب حرب عامة (عالمية) وترد الى الذهن من هذا المجال ثلاث حالات منذ ثلاثينيات هذا القرن وهي.

أ - الغزو الياباني لمنشوريا

ب - الحملة الايطالية في الحبشة

جـ - الغزو الالماني للنمسا

رغم ان الادارة الامريكية انذاك اوضحت للرئيس ترومان ان لا اهمية استراتيجية لكوريا بالنسبة لامريكا، وانها تقع خارج نطاق المناطق ذات الاهمية الحيوية للولايات المتحدة[٩] فقد قرر ترومان زج القوات الامريكية في الصراع، دون ان يحدد هدفه النهائي بوضوح، وهل انه يريد العودة الى الوضع الراهن، او تلقين الشيوعيين درسا، ام اراد تأكيد قوة ودعم التحالف الغربي، او توحيد شمال وجنوب كوريا؟

لقد كان بوسع ترومان تحديد اهتماماته واهدافه بدقة، لو انه استخدم الطريقة الموجزة (Kup/LD) أو (كاب - لد) منذ البداية. وكان بوسعه اولا تحديد ما هو معروف حول الموقف. اذ كان من الواضح ان كوريا الشمالية قد خرقت اتفاقية دولية، وهاجمت جارتها عبر حدود دولية معترف بها لقد بدت كوريا الجنوبية الهجوم الا انها تواجه مصاعباً خطيرة. وكان بوسع ترومان كذلك ملاحظة ما لم يكن واضحاً انذاك. فهل كان التعرض الشيوعي هجوماً كاذباً في الشرق الاقصى يسبق الهجوم الحقيقي في اوروبا؟ ولماذا يا ترى يواصل السوفييت مقاطعتهم للامم المتحدة؟ وما قيمة كوريا الجنوبية الحقيقية من الناحية الاستراتيجية العسكرية. كموطئ قدم على البر الاسيوي؟ وأخيراً فقد كان بوسع ترومان صياغة بعض الافتراضات مثل :-

أ - يحتمل ان يكون السوفييت وراء التحرك.

ب - ربما ستكون نظرية (الدومينو) صحيحة وان اليابان ستكون التالية في السقوط.

لو كان ترومان قد أعد قائمة كهذه لامثلة تاريخيه من ثلاثينيات هذا القرن ، ومن ثم يتولى مقارنتها مع المثال الكورى من حيث التشابه والاختلاف لكان سيدرك وببساطه بأن الذي يفرض التشابه بين الحدث الكورى وجميع الامثله الاخرى الباقية هو الحاجه الى صد ومجابهة العدوان قبل نجاح المعتدي بترصين وحماية ما حققه من مكاسب هناك بطبيعة الحال بعض الجوانب التي تختلف فيها تلك الامثلة عن الموقف الكورى، كأن ينظر الى الحدث الكورى على انه حرب اهليه وليس غزو بلد لبلد آخر.. ومن ناحية اخرى فلو كان ترومان امينا مع نفسه وحدد بجلاء كاف بأن هدفه الحقيقي وراء العمل العسكري هو ببساطة العوده الى الحدود الدولية. لامكن تجنب الاحداث المفجعة التاليه كاندفاع قوات الجنرال ماك أرثر شمالا، ودخول الصين الشعبية الحرب. ورغم أن أسلوب استخراج الامثلة التاريخية هو الاسلوب الاشد وضوحا وواقعية، والاكثر شيوعا في الاستخدام الا انها وبالتأكيد ليست الوحيدة.

الاستخدام الثاني للتاريخ

وهو بوضع وترتيب الموقف المعني ضمن سياقه. اذ غالباً ما يهمل صانع القرار الاحداث التي تقود الى او تسبب بموقف ما وكأنها أموراً ثانوية لا اهمية لها، ولا تستحق غناء البحث، ولا تلفت

النظر حتى كالماء الذي تحت الجسر، مع أن الكيفيه التي تطورت فيها الظروف الراهنة قد تكون مهمة وحاسمة، لا مجرد احداث وتفاصيل ثانوية. وعلى سبيل المثال، فلو أن مسؤولي الادارة الامريكيه وخلال السنوات الاولى للتورط الامريكي في فيتنام والهند الصينية، كلفوا أنفسهم تفحص التجربة الفرنسية هناك وبدقة وموضوعية أكثر، لقدمت لهم تحليلاتهم اجابات بالغه الاهمية حول جدية اهداف الولايات المتحدة السياسية في فيتنام، ولامكن انجاز المهمات التي حددت للعمل العسكري، وخلق - وحتى فرض - الشروط التي نريد بدلا عن تلك التي كانت سائدة هناك. لان معرفة جذور ومنشأ اهتمامنا، وكيفية تطور الموقف والاحداث المرافقة له، يمكن أن يساعد صانع القرار في أعداد خطة افضل.

صممت الطرق الموجزة الثلاث التالية لـ نيو شتاد وماي من أجل مساعدة صانع القرار على استيعاب وتفهم ((تاريخ)) الموقف الحالي (ستناقش الطرق الموجزة فيما يلي وستعطى الارقام (٢، ٣، ٤) للمحافظة على التسلسل.

٢ - الطريقة الموجزة الثانيه.

وتعرف بقاعدة كولد برج، وهو المدير التنفيذي لشركة تمتلك مجموعة كبيرة من أسواق البقالة (Grocery) وقد اثار أعجاب الاستاذين نيوشتاد، وماي بطريقته البارعة وحدسه الفذ والعملي في الادارة. وتحذر قاعدة كولد برج، ابتداءً أي صانع للقرار من أطلاق السؤال التقليدي المعروف، وما هي المعضلة؟، بل أن يسأل بدلا من ذلك.. ما هي القصة ؟ اذ سنعرف بهذه الطريقه حقيقة المعضلة فعلا كما يقول كولد برج.

٣ - الطريقة الموجزة الثالثة :

لمساعدة صانعي القرار، وهي باستخدام جدول زمني يعرف بخط الوقت، لوضع الموقف المعين في سياقه الصحيح ويجب أن نعود في ذلك الخط الى أبعد ما يمكن في الماضي وصولا الى العقدة، أو نقطة البدايه في القصة. ولا يستلزم الامر عندها من صانع القرار، أي نقد للاحداث التي ساهمت في أو دفعت الموقف الى ما صار اليه.

٤ - الطريقة الموجزة الرابعة :

وهي بأن يختار صانع القرار مجموعة من الاسئله الصحفية التقليدية والمماثلة لما يطرح من تساؤلات في عملية تقدير الموقف العسكري "، مثل متى ؟، ماذا ؟، وأين ؟، ومن ؟، وكيف ؟، ولماذا !؟ ويطرح القائد تلك التساؤلات المختارة حيثما بدى له أن بعض الجوانب أو النقاط في الموقف المطروح أمامه ليست على درجة كافية من الوضوح.

يمكن استخدام الطرق الثلاث اعلاه سوية، بالابتداء بقاعدة كولد برج اتحديد جوهر القضية (الموقف) بعدها يجوس صانع القرار في خط الوقت بحثاً عن الفواصل والتحولات ذات العلاقة بينما يواصل طرح الاسئلة الصحفية عند كل حدث او منعطف حاسم على صانع القرار التأكد من مراجعة وتفحص خط الوقت الذي اعده بحثاً عن اية تغييرات او اشارات ذات مغزى، او اية ظروف اخرى قي تكون لها اهمية محددة.

وعليه اخيراً تحديد قائمة اولية وكاملة باهدافه والخيارات او (المسالك) المفتوحة امامه، ومقارنتها مع خط الوقت، ليرى مدى تلائمها والموقف الحالي، والحقيقي الذي انبثق من الحدث التاريخي.

توضح لنا الاحداث التي ادت الى الهجوم الصيني خلال الحرب الكورية قيمة هذا النوع من الاستخدام للتاريخ. وبحلول نهاية شهر سبتمبر/ ١٩٥٠، كان الجنرال ماك ارثر قد اكمل عملية التطويق البرمائية لقوات كوريا الشمالية جنوب خط العرض (٣٨) ومع بدء الصفحة الثانية لحملة مطاردة وتدمير ما تبقى من قوات كوريا الشمالية ظهر ان عملية غزو كوريا الشمالية نفسها ولضمان نجاح الخطة كان من المهم جداً معرفة ما اذا كانت كوريا الشمالية ستحصل على اية تعزيزات ومعدات صينية او سوفيتية، ولقد توفرت انذاك دلالات كثيره على امكانية حصولهم على ذلك، من بينها تحذيراً ارسله السفير الهندي لدى الصين في (٣ / ١٠)، وعدد من الاشتباكات الحدودية مع السوفييت ورفض كوريا الشمالية الاستجابة لانذار بالاستسلام.

يبدو لنا، واستناداً الى مسار الاحداث، بان السؤال الذي اطلقه الجنرال ماك ارثر هو ما هي المعضلة؟ لا ما هي القصة؟ ولذلك

فشل ماك ارثر في ادراك تحول او تصاعد الموقف من مجرد حملة عسكرية (محدودة) الى صراع سياسي اكبر اتساعاً. كما كانت كل المؤشرات العسكرية تؤكد عدم تهيؤ الصين والاتحاد السوفييتي (انذاك) نسبياً للحرب. رغم ان الاستعدادات العسكرية ليست هي القصة بل ان طرح بعض الاسئلة الصحفية الصعبة مثل (أ) لماذا اختارت كوريا الشمالية هذا الوقت بالذات للهجوم؟ . (ب) كيف امكنهم الاعتقاد بقدرتهم على ضرب الامريكيين؟ (جـ) اين تكمن المصالح والاهداف ـ الجيوبولتيكية للصينيين والسوفييت؟ فاسئلة لهذه كانت ودون شك يتساعد ماك ارثر على تفهم اعمق للموقف الاكبر الذي لا تشكل حملته ـ العسكرية فيه سوى حدث منفرد في مسار الزمن التاريخ ما قبل الحرب.

الاستخدام الثالث للتاريخ

ويتضمن المساعدة في تقييم الاشخاص والمنظمات المهمة.

فقد استنتج الاستاذان نيوشتاد وماي بأننا، وللحصول على ((تحليلات وادارة كفوئتين)) فمن المهم ان نتوقع وان ندخل في حساباتنا مختلف الاساليب والطرق التي قد يرى مختلف اطراف القضية من خلالها العالم ومكانهم فيه. اما تقييم قدرات ونوايا العدو فليسا بالامرين المهمين فقط وحسب. بل وغالباً ما تعادل اهميتها نفس اهمية تقييم قدرة ومضمونية حليف ما.

لمساعدة صانع القرار في تقييم ما قد يكون غريباً عليه نسبياً وسواء كانوا افرادا او منظمات او مؤسسات يقترح الاستاذان نبوشتاد وماي لذلك طريقة موجزة اخرى هي.

٥ ـ الطريقة الموجزة الخامسة.

وتتركز في محاولة رسم او تخمين المجمل العام، او التوجهات الرئيسية واللتان توخي لنا المعلومات التاريخية امكانية وجودها في ذهن الاخر او التي قد تشكل تطلعات مغروسه في منظمات الاخر وتشكيلاته، وتدعى هذه الطريقة الموجزة بتحديد المكانة.

تعد الخطوات الضرورية لتحديد المكانة بسيطة جدا اذ يبدأ صانع القرار برسم اطار عام او مخطط اولي عن الشخص او المنظمة العسكرية المعنيين بالبحث عنهما، يعد بعدها جدولا زمنيا للغوص في ماضي الشخص وحتى طفولته، اما المنظمة فعليه محاولة العوده الى مرحلة تأسيسها واصولها، يتولى بعدها فرز كل الحوادث التاريخية الوثيقة الصلة او اية تفاصيل عن ماضي الشخص او تطور المنظمة. كما عليه الاهتمام بماضي وخلفية الاشخاص من الناحية الثقافية والمهنية، واية تحولات او مراحل مهمة او تجارب حاسمة قد تكون اثرت بشكل ما في بناء شخصيته، اما بالنسبة للمنظمات او المؤسسات فينبغي ان يركز على اية تغييرات في سياق الاوامر الثابته (Sop)[١٢] والبنية التنظيمية والقيادية ثم يضع صانع القرار اخيراً استنتاجاته عن الدلائل الشخصية المحتملة او عن مسالك واتجاهات العمل التي قد تختارها المنظمة المعنية لتطوير المخطط العام الاساسي على ان يواصل صانع القرار تنقيح استنتاجاته ومطابقتها مع الفحوص الواقعية كلما توفرت امامه اية دلائل جديدة تضاف الى تقييمه.

هناك العديد من الامثله التاريخية التي وضع لها البعض تقييمات ناقصة أو ساذجة كان منهم أشخاص (لاعبون) مهيمين للغاية، لعل أشهرهم الرئيس الامريكي الاسبق ليندون جونسون الذي توصل في حساباته الى تقييم الرئيس الفيتنامي هوشي منه كمجرد رئيس نقابة عمالية وكذلك تقييم الرئيس الامريكي السابق رونالد ريغان لزعيم نيكاراكوا دانييل أور تيفو كديكتاتور احمق على رأس طبقة مسحوقة من الكادحين مع أن تقييما تاريخيا دقيقا وحقيقيا لهذين القائدين الاجنبيين كان سيصل الى الاعتراف باخلاصهما الشديد وتفانيهما الذي ابدياه في خدمة القضية التي امنا بها ـ هوشي منه بسبب تجربته المريرة مع الاستعمار الفرنسي ودانييل اورتيفو الذي قتل ابواه أمام عينيه برصاص الحرس المدني للديكتاتور انيز تاسيو سوموزا. أما في الحرب الاهلية الامريكية فقد كان من السهولة بمكان تحديد مكانة أي قائد في أحد الجانبين من قبل الجانب الاخر، فغالبا ما كان الضباط على معرفة وثيقة ببعضهم البعض منذ ما قبل الحرب الاهلية، كما تتلمذ الكثيرون منهم مما في الاكاديمية العسكرية الامريكية ويست بونيت أو حتى

اقاموا في غرفة واحدة فيها. لقد كانت استفادة الجانبين من تقييمات كهذه متساوية تقريبا باستثناء براعة الاكفاء منهم في الاستفادة من تلك المعرفة واستغلالها لصالح القضية، وهو المجال الذي لم يظهر الانفصاليون فيه اية براعة.

الاستخدام الرابع للتاريخ

ويهدف الى مساعدة صانعي القرار في تفحص ما يصفه من افتراضات ترد ضمنيا في كافة جوانب اقسام صناعة القرار تقريباً، بما في ذلك تحديد الموقف وتعين الاهداف والقرار على مالك العمل البديلة. ويقدم لنا استاذا هارفرد طريقتين موجزتين اخريتين لاستخدامهما في تفحص الافتراضات والطريقتان هما سؤال الاكساندر وطريقة الرهان والترجيح.

٦ـ الطريقة الموجزة السادسة.

او سؤال الاكساندر. وهو الدكتور الاكساندر "البروفسور الامريكي" في الصحة العامة، وقد لفت نظر الاستاذين نيوشتاد وماي باسلوبه الصريح والمباشر في معالجة الافتراضات التي تتجمع بين يديه. وسؤاله هو ما هي الحقائق الجديدة والتي سيدفعنا الحصول عليها بغض النظر في الوقت والمكان الى تغيير افتراضاتنا، وتوجهاتنا أو قرارنا حتى ؟ ولهذا السؤال قيمته خاصه في تطوير قائمة بدلالات الانذار (ننذر التحذير) وكذلك في اعداد اطر العمل لتخطيط مجابهه الاحتمالات.

٧ـ الطريقة الموجزة السابعة.

أو (الرهان والترجيح)، فتطرح سؤالين محددين لمتابعة ومداولة وتفحص الافتراضات التي تم التوصل الى صياغتها او استنتاجها. السؤال الاول هو : ما الافضلية التي تعطيها للافتراض المطروح لو ثبتت صحته؟ والثاني هو : بكم انت على استعداد للمراهنة على الافتراض الذي توصلت اليه ومن مالك الخاص؟

تعتبر الطريقتان الموجزتان السادسة والسابعة اعلاه مفيدتان خلال مرحلة التخطيط والاستعدادات، والتي تتميز بالعمل المكثف والاجتماعات العديدة لهيئات الركن ـ اذ على صانع القرار تشجيع وتطوير المناقشات والتصورات التي تتركز حول مختلف الاراء التي توصل اليها مساعدوه ومستشاروه ولعل احدى افضل الطرق المتيسرة له لتحقيق ذلك هي القاء الاسئلة المعدة بعناية لضبط وتوجيه اعمالهم وعلى ضوء تلك المناقشات وما يتمخض عنها سيعيد النظر ويعدل في تحديده، وتصوره للموقف، وكذلك في تعديل اهدافه والموضوعات التي تستحق اهتمامه، واخيراً مجموعة البدائل التي عليه ان يضعها في حسابه.

٨ـ هناك العديد من الشواهد التاريخية : بحقة حول التأثيرات المدمرة التي سببتها افتراضات خاطئة في تخطيط العمليات العسكرية منها على سبيل المثال (بيرل هاير)(١٣) معركة البولج (١٤) (BulGE)والتنفيذ الاخرق لعملية (خليج† الخنازير)(١٥) لدينا لذلك مثال من الحرب الاهلية الامريكية، فعندما ابلغ الجنرال الاتحادي (هوكر) خلال معركة (جانسلورفيل)(١٦) بان رتل جنوبياً (انفصالياً) يتحرك على يمينه افتراض (هوكر) بان تلك القوة تتراجع نحو بلدة (كوردوتسفي) لكن بعد ساعتين فقط تحشدت قوة من (٢٦) الفاً من مشاة الانفصاليين بقيادة الجنرال جاكسون لمهاجمة جناح هوكر الايمن.

اصر هوكر على تجاهل التحذيرات والتقارير التي تتحدث عن هجوم وشيك من اليمين، وعندما شن ذلك الهجوم تحطم الجناح الايمن تماماً وبسرعة الا ان الحظ وحده وحلول الظلام انقذ هوكر من الدمار كما تعرض الجنرال جاكسون الى نيران جنوده خطأ، ونجا بذلك جيش البوتوماك الاتحادي من هزيمة ساحقة. اما الجنرال الانفصالي (لي) فيرى ان عجز الاتحادين عن وضع وتحليل الافتراضات بدقة، وعزم مشاة الجنرال جاكسون الشجعان قد حققا مباغتة كاملة مرة اخرى.

بعد ان اجملت استخدامات التاريخ في صنع القرار، واستعرضنا الطرق الموجزة التي وضعها استاذا جامعة هارفرد

(نيوشتاد وماي) مع ايضاح جوانبها العلمية، ساوضح كيفية دمج الطرق الموجزة في عملية صنع القرار للقادة او (تقدير الموقف) والتي وصفت في كراسة الميدان (اف أم - ١٠١ - ٥) العمليات وهيئات الركن وبطريقة محددة ومنهجية للوصول الى القرار على افضل مسلك عمل لانجاز المهمة التعبوية. يتألف تقدير الموقف من المراحل والاعتبارات التالية :-

أ - تجديد المهمة (الغـــاية).

ب - تفهم الموقف وقـدرات العدو.

جـ - تحليل ومقارنة مسالك العـمل المتاحة.

القـرار (على المسلك المنتخب)

- ٣ -

صنع القـرار أو (تقدير الموقـف)

القسم الاول في تقدير الموقف

٩ - على القـائد اولا، انجـاز تحليله ومن ثم تحـديده للمهـمة (Mission) اذ سيوصله ذلك الى تعيين الواجبات الاساسية (للقطعات) واية مسؤوليات او متطلبات اخرى ضمن مفهوم او فكرة العمليات، كما يعتبر تحليل المهمة اداة ناجحة توصل القائد الى استنباط الواجبات التي عليه تحقيقها والهدف الذي سيتحقق بعد انجاز تلك الواجبات، واية تحديدات او عراقيل قد تعترض القطعات المنفذة،[١٩] والتي يصعب تجاهلها لا سيما في ساحات المعارك الكبرى، او المعقدة.

يمكن للشواهد التاريخية، قديمة كانت او معاصرة وللطريقة الاولى (Kup/LD) ان تساعد القائد على التوصل الى تحليل افضل. اذا وبعد اعداده لقائمة كاملة عما هو معروف، وغير واضح، ومفترض، فسيحصل على صورة متكاملة وسريعة للموقف الاني، وبوسع القائد بعد ذلك تطبيق نفس المعايير والاعتبارات آنفة الذكر على امثلة وشواهد معينة ومن معارك تاريخية او تجارب وسير شخصية، ويصار بعد ذلك الى اجراء نوع من المقابلة او المقارنة بين معيارين مهمين في عمليات تقدير الموقف وهما (ثم ماذا؟ و ، وعليه؟) والمعيار الاخر هو (والان؟) من اجل معرفة نقاط ونواحي التشابه والاختلاف، بعدها قائمة باهتماماته والاهداف المناسبة، فلو كلف احد القادة بتنفيذ مهمة مواجهة اضطرابات في احد بلدان العالم الثالث فبوسعه الاستعانة ببعض الشواهد التاريخية القريبة، وذلك من خلال مقارنة نقاط التشابه والاختلاف مع مهمته، مستعيناً بما لديه من عملية كرينادا او احداث جمهورية الدومينكان او احداث لبنان، وغيرها.

من المفيد جداً استخدام الطرق الموجزة اعلاه لتسهيل وضع الموقف الحالي في سياقه التاريخي، لا سيما اذا واجه القائد المكلف بالمهمة بعض المصاعب في تحديد الهدف الاكبر والابعد للمهمة، أو في تعيين واستنباط الواجبات التي تتضمنها. وينبغي عليه ان لا يسأل هيئة ركنه ايجازه عن الموقف الاني فقط، بل ليروى كلا منهم، قصته لما حدث، وادى الى ما عليه الحال الان.

وعلى اية حال على القائد اعداد جدول او مخطط للتعامل مع الوقت، وهو ما يعرف بخط الوقت (Time Line) ان كان ذلك سيساعده في ترتيب وفهم احداث القصة بسهولة بوسع القائد وعند كل خطوة او نقطة على خط الوقت ان يطرح اية مجموعة يشاء من الاسئلة الصحفية لتحديد وقت ومكان الاحداث (متى؟) و (اين؟) وبوسعه بعدها ان يسأل نفسه او هيئة ركنه عن ((كيف؟)) و ((متى؟)) وعلى سبيل المثال، لو ظهرت كتيبة بندقيات اليه يوم أمس في القاطع الدفاعي الوسطي للعدو، فهل يعني ذلك انه سحب كتيبة الدبابات من ذلك القاطع تمهيداً لعملية ما على الجناح؟ ومثال اخر، فلو لوحظ ان الاستجابة لطلبات الاسناد الجوي القريب (CAS) اصبحت في الايام الاخيرة بطيئة جدا فهل يعني ذلك الحاجة الى طلب المزيد من الاسناد المدفعي المباشر؟ ثم ما هي تأثيرات مضامين هذه المتغيرات على انجاز المهمة؟.

بعد تسلم القائد الوصايا وتوجيهات قائده الاعلي حول الاستعداد والبدء بالتخطيط فبوسعه وبنفس الاسلوب اعلاه ايجاز هيئة ركنه بالتوجهات المهمة التي رصد تطورها على جداول خط

الوقت لديه. وعلى سبيل المثال، فلعله أشر تحولا في كثافة الاسناد الدفعي في قاطع ما وبوقت بعينه، واذا حدث وناقش وقائعاً معينة اخرى فعليه ان يوضح لهم الاسباب التي اعطاها اهمية ما، فقد تبدو تافهة او ثانوية في نظرهم وقت وقوعها كتغيير عدد الطلعات الجوية للاسناد القريب، او تبدل في اسلوب وقيادة الكتائب الامامية في الهجوم، وكلها امور او احداث لو جرى رصدها ومتابعتها لفترة طويلة نوعا ما على خط الوقت فقد تشير الى نمط جديد للعمليات قيد التطبيق.

وهكذا فالنتيجة المباشرة لترتيب جزيئات الموقف الحالي او لقطاته المهمة داخل محلل الطيف الشمسي التاريخي، وهي تفهم شامل للمهمة لكل من القائد وهيئة ركنه ومن خلال منظور تاريخي معاصر.

١٠ - القسم الثاني في تقدير الموقف هو تحليل الموقف، وتحديد وتطوير مسالك العمل المتاحة . ثم دراسة وتفحص منطقة العمليات وقدرات القوات الصديقه والمعادية والبدائل المحتملة لانجاز المهمة. لعل جميع الطرق الموجزة مفيدة في هذا القسم من تقدير الموقف، وعلى الاخص تلك التي تساعد علي وضع الموقف المعني في سياقه المناسب، وتسهل تقييم كل من الاشخاص والقطعات المهمة، وتخلق البدائل الملائمة للعبات الحرب.

اما تقييم منطقة العمليات فيتركز بالتفكير من التأثيرات الكامنة للارض والطقس على العمليات وما له نفس الاهمية هو البحث في كيفية استفادة العدو فعلا من الارض والطقس حتى النقطة التي نقف عندها. فهل ركز على مسالك الغزو التاريخية؟ فان لم يفعل ذلك فلماذا يا ترى؟ بوسع القائد هنا استخدام قاعدة كولدبرج (الطريقة الموجزة الثالثة اعلاه)، وخط الوقت (الطريقة الرابعة) والاسئلة الصحفية (الطريقة الخامسة) للمساعدة في تحليل قدرات نوايا العدو استنادا لاستخدامه السابق لمنطقة العمليات.

يشمل تقييم القدرات المعادية والصديقه تفحص الافراد والمؤسسات معا وينبغي ان يتضمن تقييم قوات العدو على القدر الممكن من التفاصيل عن خلفية وماضي القادة المهمين، والقطعات (والجنود). كما ينبغي على القائد كذلك محاولة استنباط وتجميع نوايا القائد المعادي بان يضع نفسه في مكان عدوه وضمن سياق او مسار تاريخي. وما هي المهمة التي كلف بها القائد المعادي؟ وهل هو من النوع الذي يضع مهمة شخصية او خاصة به، كالحصول على الشهرة، او الترقية، او انه يستهدف دائما المحافظة على حياة جنوده؟ وعليه كذلك محاولة وضع نفسه وسط هيئة الركن التي تخدم القائد المعادي، ووسط تشكيلات العدو. لقد احتوت سجلات واضابير الاستخبارات وفي العديد من الحالات على تاريخ الوحدات والاحداث المهمة التي مرت بها. وعلى القائد المتمعن في مثل هذه التفصيلات الاخرى ايضا كالتركيب العرقي وصفات ومناقب تلك الوحدات وتجاربها القتالية.

١١ - ينبغي على القائد تقييم القطعات الصديقة ايضا.

اما في المعارك المشتركة لاسلحة وصنوف وقطعات متعددة وتحت قيادة واحدة فغالبا ما يتوجب على القائد تقييم صنوف (فروع) الخدمة الاخرى والحليفة ليستخلص لو يحدد توقعاته لادائها في تنفيذ خطة (العمليات) فقد تكون للوحدات المختلفة نظرة عامة وتصورات مختلفة حول ساحة المعركة. واحد الامثلة على ذلك هو الاسناد الجوي القريب (CAS) ، وحيث لا يرى مخططو وطيارو القوة الجوية في الاسناد الجوي القريب سوى مهمة بسيطة لتدمير عجلات العدو، وليس بالضرورة كجزء من خطة تعبوية عامة لقائد بري. اذ لا يمتلك حتى ضباط طيران اية تجارب وخبرات كامرى وحدات برية [٢١] . لذلك مد الاحداث قد يرى القائد تفحص ما خصص له من معدات الاسناد الجوي القريب لوضع الخطة التي تتطلب تنسيقا استثنائيا بين (وحدات) الاسناد الناري، وقوات المنارة (البرية). وقد يكون لكل من القادة الحلفاء اجندة (مخطط توقيتات) خاص به، كالقائد الالماني الذي قد لا يزعج نفسه كثيرا باسناده وتنفيذ خطه لا تخدم المزارعين الالمان في وقت ما.

يحتاج التوصل الى مسالك العمل المنتجة الى قدرة عقليه بارعه في اكثر الاحوال والامثلة التاريخية يمكن ان تساعد في طرح افكار جديدة لتذليل اي معضلة بهذا الصدد وعلى سبيل المثال، هل ان

مفهوم قطار الكرة الحمراء[٢٢] الذي استخدم من قبل الجيش الثالث في فرنسا (خلال الحرب العالمية الثانية) يمكن ان يذلل المعضلة الادارية المطروحة الان؟ وماذا عن تجربة الجيش النوع - أ من مواطنين محليين كالذي استخدم في كوريا؟ والتاريخ زاخر بالحلول البارعة للمعضلات العسكرية في التعبئة، والشؤون الادارية والقيادة. وحال اكمال القائد لقائمته من الامثلة والشواهد، فبوسعه عندها تحليل كل خيار متاح امامه باستخدام عوامل معيار (Kup/LD) للطرق الموجزة.

١٢ - القسم الثالث من تقدير الموقف: هو تحليل القائد لمسالك العمل البديلة وينجز ذلك اساسا من خلال مجابهة كل مسلك منتخب ضد اية ردود فعل محتمله للعدو في لعبة حرب يعدها القائد.

ومناظرة كهذه ستتيح للقائد تصور كل ما قد يفعله العدو في كل خطوة من خطوات لعبة الحرب ومن خلال تفهم ماضي القائد المعادي وقواته بوسع القائد التوصل الى افضل التوقعات لردود افعالهم. وغالبا ما يتوجب على القائد وضع بعض الافتراضات الحاسمة خلال لعبة الحرب كما يمكن استخدام الطريقة الموجزة (السابعة) الرهان والترجيح) لتحديد نسبة الثقة لكل افتراض خلال متابعته للفعل - رد الفعل - والفعل المضاد (المقابل) يمكن دمج الافتراضات سوية وبطريقة حسابية في نهاية القائمة. فاذا كانت فرص أو خطوط عبور مانع مائي هي (١:٣)، وفرص تطهير حقل الغام ما على الجانب الاخر وتحت نيران العدو هي (١:٢)، فان فرص اجتياز المانعين بنجاح متعادلة له تقريبا.

١٣ - القسم الرابع:

ويجري القائد فيه مقارنة ما بين المسالك المفتوحة، محددا فوائد واضرار (محاذير) كل واحد منها، وقد تجلب مقارنة البدائل هذه المزيد من الامثلة التاريخية الى الذهن. وعلى سبيل المثال، اذا هاجم العدو وبقوات تتفوق عدديا، الا ان الارض والطقس كانا لصالح القوات الصديقة، فهل حدث موقف كهذا في السابق؟ وماذا كانت النتائج؟ وبوسع القائد هنا ان يطرح سؤال الكساندر (الطريقة الموجزة السادسة).. اذا اخترت المسلك المنتخب رقم (١)، ما الحقائق الجديدة التي تدفعني الى تغيير قراري هذا: اية استخبارات جديدة عن العدو؟ ووصول المزيد من المعدات الصديقة؟ او تغيير في منطقة العمليات؟، ويتوجب عليه ان حدث اي من تلك الوقائع اعادة تقييم الفرص المتاحة ان ادت اي من تلك المعلومات الى تغيير قراره او ربما تأجيل قراره لحين حصوله على حقائق جديدة حتى.

١٤ - يمكن تفحص القرار النهائي للقائد بالطريقة الموجزة السابعة (الرهان والترجيح)

فان بدت اللعبة (العملية) بالغة الخطورة بالنسبة له، فبوسعه اعادة تفحص المعضلات التي تواجه خطته ولعل اسلوب جديد واخير قد يثبت جدواه في هذا الصدد. وهو ما يعرف بـ (محامي الشيطان) او محامي العدو كأن يكلف رئيس اركانه او ضابط الركن الثاني استخبارات (G2) بطرح اسئلة صحفية حول القرار. وقد يلجأ في الحقيقة الى الاستعانة بصحفي حقيقي لهذه المهمة ولا ننسى ان لمراسلي الصحف المتمرسين المام كبير بالتفاصيل الدقيقة، وخزين جيد من المعرفة العسكرية مما يؤهلهم لدور الصديق والناقد الجيدان، وعلى القائد ان لا يسمح لغروره لاعتراض اية انتقادات موضوعية قد توصل الى تأشير بعض النواقص والاخطاء المميتة.

الميزة او السمة التي تشد الطرق الموجزة كلها معا، وهي ما يدعوها الاستاذان نيوشتاد وماي بـ ((التفكير في تيار الوقت))، وهي ليست طريقة موجزة بحد ذاتها، الا انها وسيلة وسياق ضروري جدا لتطويرها لدى صانعي القرار وفي جميع المستويات.

والمعروف ان مفهوم العمليات في المعركة الجو - ارضية Air Land Battle يتضمن، المباداة والعمق، والتلصص (الخفة)، والتزامن (التوافق بالوقت)، والعامل المشترك في كل هذه المبادىء الاساسية، هو الوقت. ولا يستطيع قائد المعركة الجو - ارضية الاكتفاء بمجرد الرد على تحركات العدو وحسب، بل باجبار العدو نفسه على فعل ذلك، وهذا يعني تدخله في عملية صنع القرار. وما دامت الطرق الموجزة سريعة وبسيطة فانها تساعد على التفكير

بطريقة اسرع من العدو. والقائد البارع في التفكير في مسار أو تيار الزمن قادر على ملاحظة ومتابعة انماط، ودوران واستمرارية التغييرات، وان يميز التغييرات الحقيقية والمؤثرة حال وقوعها. فالطرق الموجزة في النهاية عبارة عن مجموعة من ((ادوات الجيب)) المفيدة للغاية.

وبينما تعد قراءة التاريخ الفردية، والدراسة المنظمة للتاريخ باستخدام او سوية مع هذه الاساليب الجديدة كجولات الركن، فانها طرق رائعة لتطور تقييم جاد للتاريخ وينبغي مواصلة تشجيع مبادرات كهذه، الا انها مع ذلك ليست كافية تماما، وقد توصلت الى ثلاثه استنتاجات حول كيفية قيامنا بما هو افضل.

- ٤ -

الاستنتاجات

١٥- تتناول الاستنتاجات الموضوعات الرئيسية في الدراسة. التي بين يديك وهي تعلم واستخدام التاريخ واخيرا سياق اعداد الخطط والاوامر وكما يلي.

أ- ينبغي استخدام القائد للتاريخ بشكل يساعده في صنع قراره:

وقد تستخدم لهذا الغرض بعض الاساليب مثل الطرق الموجزة انفة الذكر من قبل القادة وفي المستويات الثلاث للحرب : التعبوي والعملياتي والاستراتيجي. واستخدام التناظر التاريخي في الاستراتيجية من قبل القاده، يعد من الامور الشائعة والمألوفة، ومع ذلك فمن الممكن ايضا استخدام التاريخ في تحليلات ومقارنات حقيقية. اما في المستويين الاخريين (العمليات والتعبئة) فقط يطور القادة قراراتهم باستخلاصهم الامثلة القريبة او المشابهة اما من تجارب واحداث تاريخهم الشخصي، او من الاحداث الشهيرة والنموذجية في التاريخ العسكري الذي تعلموه او قرأوه.

ب- ينبغي تعديل وتنقيح اوامر وسياقات القيادة وتخطيط هيئات الركن لتشمل استخدام التاريخ :

اذا لم تعد عملية صنع القرار العسكري (الحربي) وكذلك تقدير الموقف من قبل القادة وكما اوضح في كراسة الميدان (للجيش الامريكي - أف أم - ١٠١ - ٥) للعمليات، كافيتين لانهما لا تتناولان الجوانب التاريخية لساحة المعركة فالسياقات (Procedure) المعمول بها حاليا توضح وتعدد العوامل والاعتبارات الواجب تفحصها وتقييمها، لا كيفية التفكير والنظر في العمليات كاحداث تاريخية في تيار الوقت وادخال التاريخ في عملية تقدير الموقف هو افضل طريقة لادخال الجوانب والاشارات الخاصة والهامة لكل موقف في حساباتنا. ولا بد من ادخال الاساليب العملية والتجريبية، كالطرق الموجزة للاستاذين نيوشتاد، وماي في الكراسات والكتابات المفاهمية التي تتناول عملية صنع القرار من قبل القيادات.

ج : ينبغي التوسع كثيراً في تعليم وتوصيات التاريخ العسكري.

وكذلك في استخدامات التاريخ : اذ يستحيل تطبيق الاساليب والطرق الموجزة انفة الذكر دون الاحاطة بمتغيرات الحملات والمعارك التاريخية. ولا بد كذلك من خلق وتطوير شخصية "الجندي - المؤرخ"[٢٣] والقادر على استخدام التاريخ لتحليل ودراسة الموقف بامعان، لا الاكتفاء باقتباس او الاستعانة ببضع حكايات وشواهد تاريخية وينبغي كذلك تشجيع القادة على تعلم التاريخ العسكري لا لما في ذلك من فوائد شخصية او مهنية لهم وحسب، بل ولما فيه من امكانيات رائعة لتطوير القرارات الحربية (القتالية) الحقيقية.

١٦ - يشعر معظمنا - كافراد - بان قراراتنا نادرا ما تؤثر على مسار التاريخ او تتأثر به، ونميل الى التركيز على تطوير مهاراتنا الفنية والتعبوية، مستفيدين من الدروس التاريخية متى شئنا حتى بالصدفة. ومع ذلك فالتفكير في الوقت المناسب يعني اكثر من مجرد تطبيق الدروس المستنبطة او تلك التي تعلمناها، بل انه يسمح للقادة بازاحة الغشاوة التي تتراكم على العقل والبصيرة وسط ثقل وضغط الازمة التي يعيشها، كما يعنيه ذلك التفكير بالوقت في وضع موقفه الاني وسط سياقه الحقيقي. كما قد يفتح عينيه على الصورة الكبرى، اي الموقف الاوسع ابعادا في التأثير

وفي المكان والزمان، وليساعده على رؤية الغاية بدلا من مجرد مجموعة الاشجار[٢٤] كما انه قد يحرك القدرات والدوافع وصولا الى قرار خلاق لمعضلة منفرده.

ما زال الكثيرون يوافقون هنري فورد في ان التاريخ هراء[٢٥] وهو فعلا مجرد هراء ما لم نحسن تعلمه وتطبيق دروسه. وقد قال الفيلسوف الامريكي جورج سانتانا (١٨٦٣ - ١٩٥٢)... اما الذين لا يتذكرون التاريخ، فانهم محكومون بتكراره.. الا ان تكرار التاريخ وحده لا يكفي، ولا بد لنا من تعلم استخدامه لحص المعضلات. فان لسنا قادرين على فعل ذلك، فقد نجحنا في استثمار كل القدرات والمعدات التي تضاعف القدرات القتالية (Combat Multiplier) ضد عدونا.

- ٥ -

الخاتمة

١ : لا خلاف حول قيمة وتأثير التاريخ العسكري او فن الحرب في الحروب الحديثة والمقبلة، وصحيح كذلك بان التاريخ لا يكرر نفسه وان الذين يتجاهلون دروسه هم الذين سيكررون اخطاءه ومآسيه، لذا باتت كل الجيوش تضع التاريخ العسكري على رأس موضوعات الثقافة العسكرية.

٢ : تنقسم الدراسة الى ثلاث اقسام رئيسية هي :

أ - استخدامات التاريخ في صنع القرار العسكري (الحربي).

ب - الطرق الموجزة السبعة وهي المعروف والمجهول، والسياق، وقاعدة كولدبرج، وخط الوقت، والمجمل العام، وسؤال الاكساندر والسابعة والاخيرة وهي (الرهان والترجيح).

جـ - مراحل صنع القرار او تقدير الموقف.

٣ : يشمل استخدام التاريخ الاعتماد على الحملات والمعارك من جهة وعلى دراسة ساحات المعارك ومناطق العمليات مع تركيز على جولات وسياقات عمل هيئات الركن وتقارير الموقف والخطط واصدار الاوامر وادخال كل هذه الواجبات والخطوات في صلب الكتابات والمفاهيم العسكرية.

ويعني هذا او بالاضافة الى الأهمية الثقافية للتاريخ العسكري، التعامل معه كمصدر او اداة رسكية في اعمال القيادة والاركان

٤ : رغم توسيع الدراسة فيما تناولته، الا ان المؤلف لم يكمل منهجه في تحديد ما يجب على القادة وهيئات الركن دراسته عن التاريخ، وما الذي على الضباط الاخرين تعلمه منه اذ ليس من المعقول ترك ذلك دون تحديد او مطالبتهم بدراسة كل التاريخ العسكري او حصر ذلك بمرحلة دون اخرى، وهل يتعلق الامر بضباط القوات البرية فقط؟ وهل سيطلب من ضباط الخدمات الاخرى بدراسة وتتبع تاريخ القوتين الجوية والبحرية ومع ذلك فتأكيد الاهتمام بالتاريخ العسكري وايجاد الصيغ التي يمكن ممارسة تطبيقه فعلا في اعمال جوهرية من مهمات القيادة والاركان، جديران وحدهما بالاهتمام الجاد والمتابعة وصولا الى منهج متكامل وارى ان الدراسة التي بين ايدينا تشكل اساساً صالحا او نقطة انطلاق لطريقة اكثر منهجية وتحديدا في استخدام التاريخ العسكري في صنع القرار الحربي وخلق الجندي المؤرخ.

الهــوامـــش

١ ـ باربرة توكمان، تطبيق التاريخ ـ اطروحات مختارة (نيويورك ـ مؤسسة الفريد نوف (١٩٨١م) ص ٢٤٧ .

٢ ـ المصدر نفسه .

٣ ـ الكابتن جيمس كارفانو (حول تعليم الحرب)، ملاحظات اولية عرضت في الملتري ريفيو عدد / اذار / ١٩٨٧ . ص ٨٢ .

٤ ـ ريجارد نيوشتاد والاستاذ ماي ـ التفكير في الوقت المناسب، فوائد التاريخ لصناعي القرار (المطبعة الحرة ١٩٨٦) ص ٢٥٥ .

٥ ـ معركة ماراتون، عام (٤٩٠ ـ ق.م) اذ قرر داريوس غزو اليونان بحملة برية ـ بحرية (برمائية) ومهاجمة مدينتي اثينا وارتيريا عبر بحر ايجه وانزال قوة مشاغلة صغيرة قرب ميناء ماراثون، تألفت قوة اثينا من (٩) فارس وعدد اقل من المشاة بقيادة ميلاتيا دبس فسارع لمجابهة القوات الفارسية بتشكيل قوى الجناحين ضعيف المركز على ان يبدأ بالهجوم ويبدو ان ضعف مركز قوات اثينا اغرى الفرس بالتركيز عليه مما مكن ميلاتياديس من اتمام حركة احاطة مزدوجة وتدمير قوات الفرس التي سارعت الى الهرب بحرا فاسرع ميلاتياديس الى اثينا فوصلها والقوة الفارسية لم تكمل انزالها بعد فلم يجد بداك حين رأت قوات اثينا من العودة من حيث اتت، يختلف المؤرخون حول ما اذا كانت حركة التطويق مخطط لها او جاءت صدفة (موسوعة التاريخ العسكري بالانجليزية) تأليف ارنست، وتريفور دوبلي ـ نيويورك ١٩٧١ ص ٢٣ ـ ٢٤ .

٦ ـ معركة ليوكترا (تموز / ٣٧١ق.م) بين قوات سبارطة وطية، تقدمت الاول بالفلانكس التقليدي وتوقعوا ان تفعل قوات طبية نفس الشيء وحيث يتمتع السبارطيون بالتفوق العددي والقدرة القتالية الا ان (ايبامنو تراس) عبأ بشكل جيد مختلف اذ ضاعف العمق (٤٨ رجل) والجبهة (٣٢ رجل) وعبأ باقي جيشه يقدمان تسترها الخيالة وراء جناحه الايمن وكان ذلك اول ـ تطبق لهجوم الرتل العميق يقدمان وقاد ايبامنونداس الجناح الايسر بنفسه بهجوم عنيف بينما أبطأ جناحه الايسر والقلب الأمر الذي اربك سبارطة التي دحرت بعد خسارتها اكثر من الفي رجل، المصدر السابق ص ٤٢ ـ المترجم.

٧ـ معركة كان (٢١٦ق.م) معركة ج ت قرب مدينة كان جنوب شرق ايطاليا وانتصر فيها هاينبعل على القوات الرومانية بخطة بارعة تراجعت قوات القلب التي عقبها الرومان مما سمح لقوات جناحي هاينبعل باحاطة مزدوجة دمر فيها الجيش الروماني وعرفت كان بانها من المعارك القليلة التي نفذت خطتها بالشكل الذي اعدت فيه وارادها قائدها المنتصر وهي من اشهر معارك التاريخ (المترجم).

٨ـ (Kup/LD) مختصر لكلمات، Known un clear Presumed and Linkenesses-diffrences.

٩ـ المصدر نفسه من (٤) اعلاه ص (٣٦) .

١٠ ـ كلايستون جيمس : سنوات ماك ارثر : المجد والانحدار ١٩٤٥ ـ ٦٤ . المجلد٣ (شركة هوتون ميغين ـ بوسطن) ١٩٨٥ ص ٤٨٩ .

١١ ـ المصدر في (٤) اعلاه ص ـ ١٥٧ .

١٢ـ Standing Operation Procedures وهي مجموعة من التعاليم والخطوات المعدة مسبقا والمستخلصة من التجارب والخبرات القديمة ومن مستلزمات عمل القطعات وتجري بصورة تلقائية اختصارا للوقت الذي يتطلبه اصدار نفس الوصايا والاوامر كل مرة دون أن يعني ان مضمون هذه السياقات من الامور الروتينية التقليدية او عديمة الاهمية (المترجم).

١٣ـ بيرل هاربور، الهجوم المباغت الذي شنه الطيران الياباني على اسطول الباسفيك في ميناء (بيرل هار يوم الاحد ١٩٤١/١٢/٧) في مفاجأة تامة فقد فيها اكثر من (٣) الاف من رجال البحرية قتل و (٨٧٦) جرحى اما الجيش فخسر (٤٢٦ رجل) قتلى و (٣٩٦) جرحى وتدمير الاسطول بكامله وشله لمدة عام على الاقل مع ما يقرب من ٢٦٠ طائرة وثلاث حاملات طائرات موسوعة التاريخ العسكري ص١١٢٨ .

١٤ ـ معركة البولج (التعرض الالماني في الاردين في كانون اول ـ كانون ثاني ١٩٤٤ ـ ٤٥ . خطط هتلر لضربة كبرى لشطر قوات الحلفاء بان تخترق دروعه الى ميناء انتويرب للسيطرة على مستودعاتها، وامل بتدمير قوات الحلفاء شمال خط انتويرب ـ بروكسل ـ باستون ويعتمد النجاح في ذلك وكما في عام ١٩٤٠ على عوامل ثلاث (١) الاختراق (٢) الاستيلاء على مستودعات الوقود ونقاط المواصلات المهمة في المنطقة مثل سانت فيت وباستون (٣) توسيع ثغرة الاختراق لدفع المزيد من القوات الالمانية ورغم اقتناع القادة الالمان بصعوبة تحقيق ذلك الا انهم نفذوا اوامر هتلر. موسوعة التاريخ العسكري ص ١١١٢ (المترجم) .

١٥ ـ عملية خليج الخنازير (١٥ ـ ٢٠/٤/١٩٦١) محاولة لغزو كوبا اعدتها ونفذتها وكالة المخابرات الامريكية (C/A)وزجت بـ(١٤٠٠) كوبي من المناهضين لكاسترو وفشلت العملية بعد تراجع القوات الامريكية من دعم العملية جوا ومقاومة القوات الكوبية وقد الحق هذا الفشل مهانة بالادارة الامريكية وقيادة الرئيس جون كندي (م.ت٤) اعلاه ص ١٢٧٤ (المترجم) .

١٦ ـ معركة جانسلورفيل (١ ـ ٦/٥/١٨٦٣) من معارك الحرب الاهلية الامريكية الحاسمة وتعد جانسلورفيل تقاطع طرق مهم تولى القائد الانفصالي الجنرال (لي) الاندفاع سريعا الى الغرب لصد هجوم هوكر الرئيس بينما كلف الجنرال (ايرلي) باحتواء هجوم سيدويك. وعند اول تماس بين (لي) و (هوكر) تحول الاخير رغم تفوقه الى الدفاع فكلف (لي) الجنرال جاكسون وبإمرته (٢٦) الف رجل باحاطة واسعة بينما احتفظ الجنرال (لي) معه بـ (١٧) الف رجل فقط في الجبهة. شن جاكسون هجومه قبل الظلام الا انه اصيب برصاص جنوده خطأ ومات من جراء ذلك يوم ١٠/٥ ونجا هوكر من الدمار (م.ت.ع) ص ٨٨٥ .

١٧ ـ عن اطلس الحروب الامريكية (اكاديمية ويست بوينت) المجلد ـ ١ ـ (نيويورك ـ دار نشر بريجير ـ ١٩٥٩) الخارطة ٨٧ (لم ترفق بالدراسة)

١٨ ـ كراسة الميدان الامريكية (أف أم ـ ١٠١ ـ ٥) العمليات وهيئات الركن مايس (١٩٨٤) ص ٥ ـ ٢ .

١٩ ـ المصدر نفسه ص (٥ ـ ٨) .

٢٠ ـ Close Air Support (CAS)0

٢١ ـ راجع مقالة العميد المتقاعد جون بانسين. فيلق جديد لطيران الجيش، ومقالة له. برايس، وتي بنكام من القوة الجوية الامريكية، حاجة الناتو لاسلوب جديد في التجريد الجوي) مجلة القوات المسلحة (اوكتوبر / ١٩٨٦) .

٢٢ ـ قطار الكرة الحمراء ـ اسلوب لحماية الارتال الادارية وحتى عجلات الجيش الثالث في فرنسا خلال الحرب العالمية الثانية من السرقات وازدحام السابلة. للمزيد راجع (الحرب بين الجنرالات) تاليف ديفي ايرفونك ترجمة العميد الركن صبحي صالح عبد الله مديرية التطوير القتالي ـ العدد ٧٥ .

٢٣ ـ المرجع من (٣) اعلاه ص ٨٢ .

٢٤ ـ يجب ان لا تحجب عنا الاشجار رؤية الغابة، لعلها من اشهر الحكم في الاستراتيجيات العسكرية الغربية وتعني ان لا ننشغل بالاهداف الصغيرة والتفاصيل الثانوية والى الحد الذي ننسى معه الاهداف الاكبر والقضايا المركزية ولعل مسارعة قوة الحماية على جبل أُحد نحو الغنائم افضل مثل على ذلك فالى جانب معصيتهم امر قائدهم (صلعم) تسببوا بخسارة معركة احد ومعها تغير التاريخ وارى من الواجب على جميع العسكريين تذكر هذه الحكمة الى جانب اخت لها وردت في الدراسة وهي ان لا نرقص على وجه انغام العدو (المترجم) .

٢٥ ـ رومن هايمان (قاموس الاقتباسات Dictionary Quotationص (١١١).

أضواء على معهد التاريخ العربي للدراسات العليا التابع للأمانة العامة لأتحاد المؤرخين العرب

اعـداد : الدكتورة رناد الخطيب عيّاد
مديرة عام مكتب ارتباط معهد التاريخ العربي للدراسات العليا
عمّان - المملكة الاردنية الهاشمية

المـقـدمـــة

ان الهـدف الاسـاسي وراء تأسيس مـعـهـد التـاريخ العـربي للدراسات العليا التابع لاتحاد المؤرخين العرب هو ترصين سمعة الدراسات التاريخية، وترسيخ المفاهيم والعقيدة القومية وتعميق الوعي التاريخي بتراث الامة وحضارتها التليدة واوجه المعرفة التاريخية المختلفة وصولاً لوضع اسس المدرسة العربية لفهم ودراسة التاريخ العربي وبلورة منهجها العلمي وستكون من اساسيات عمل المعهد استجلاء مكامن الابداع والاصالة في تاريخ الامة وحضارتها وتراثها وابراز اسهاماتها الفاعلة في رفد مسيرة الحضارة الانسانية والسعي لتخليص العلوم التاريخية من التحريفات والتشويهات مساهمة من اتحاد المؤرخين العرب في ايجاد مدرسة التاريخ العربي لتأخذ موقعها بين مدارس التاريخ العالمي المختلفة والتي كان المؤرخين العرب في اشد الحاجة اليها لتسد فراغاً حقيقاً طالما شكت منه الدراسات التاريخية العربية وظلت اسيرة مدارس لاتمت لوجدان وضمير الامة بصلة وكانت تعيش على منهجية غريبة عنها. وعليه نأمل أن تسد الرسائل العلمية التي يدونها طلاب التاريخ في المعهد ذاك الفراغ وصولاً لتحقيق الاهداف الساميه التي وجد اتحاد المؤرخين العرب من اجلها في اعادة كتابه تاريخ الامة وتخليصه من التفسيرات التي لحقت به من الصهيونية ومراكز الاستشراق المغرضة والشعوبية والدعوات العنصرية والطائفية والمحلية. والله الموفق

معلومات عامة

* تأسس المعهد بقرار اتخذته الجمعية العامة لاتحاد المؤرخين العرب ، في اجتماعها المنعقد في طرابلس/ الجماهيرية العربية الليبيةفي١٥/١/١٩٩١.

* اتفق اعضاء الجمعية العامة لاتحاد المؤرخين العرب ان تكون بغداد عاصمة دولة المقر العراق المركز الرئيس للمعهد.

* اوصت الجمعية العامة لاتحاد المؤرخين العرب بضرورة فتح اقسام علمية غير تقليدية في المعهد لتسد فراغاً حقيقاً في الدراسات التاريخية العربية تمنح شهادتي الماجستير والدكتوراه في الاختصصات التالية :-

١- تاريخ الوطن العربي الحديث والمعاصر
٢- تاريخ الحضارة العربية (القديمة والاسلامية)
٣ - تاريخ التراث الفكرى والعلمي العربي
٤- التاريخ العسكرى العربي
٥ - المخطوطات والوثائق التاريخية العربية

* فتح المعهد باب القبول امام الدارسين العرب الراغبين في الدراسة اعتباراً من عام ١٩٩٢.

* سجل في المعهد في السنة الاولى من الاعلان عن افتتاحه اكثر من مائة طالب عربي موزعين على اقسامه العلمية بمرحلتيه الماجستير والدكتوراه.

من اهداف المعهد

اولاً - نشر الثقافة والمعرفة التاريخية

ثانياً - دراسة تاريخ الوطن العربي من منظور قومي وحدوى اسلامي.

ثالثاً - نشر الوعي التاريخي واعداد الباحثين الاكفاء.

رابعاً - الاهتمام بدراسة الحضارة العربية (القديمة والاسلامية) وموقعها بالنسبة للحضارات.

خامساً - دراسة الفكر العربي الاسلامي وتأثيره على مسيرة التاريخ الدولي .

سادساً - الاهتمام بتدريس التاريخ العربي الحديث والمعاصر مع تعميق عوامل الوحدة بين اجزاء الوطن العربي.

سابعاً - دراسة المخطوطات والوثائق التاريخية العربية والعمل على التعريف بالمجهول منها والتوجيه بتحقيقها ونشرها واعتمادها في دراسة التاريخ العربي كركن اساسي في البحث العلمي العربي.

ثامناً - دراسة التاريخ العسكري دراسة تفصيلية واعادة كتابة ما اهمل منه.

تاسعاً - ابراز عوامل القوة في تاريخنا العربي والكشف عن العناصر المشرقة والهادفة والخلاقة.

عاشراً - العمل على كشف العناصر السلبية والمنحرفة التي الصقت بالتاريخ العربي وتعريف اهداف الدراسات الاستشراقية والصهيونية والاستعمارية والشعوبية المغرضة.



الهيئات المشرفة على المعهد

أولاً : مجلس الأمناء

ويتكون من عدد من علماء التاريخ والآثار والتراث المشهود لهم بالعلمية في الوطن العربي وبإقرار من الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب يترأس المجلس في دورته الأولى الأستاذ الدكتور عوض خليفات المؤرخ الأردني المعروف ويكون المجلس على النحو التالي:

ثانياً : الهيئة العلمية :-

وتتكون من عدد من اساتذة التاريخ العربي العاملين في الامانة العامة ويترأسها امين عام اتحاد المؤرخين العرب الاستاذ الدكتور مصطفى عبد القادر النجار وعضوية كل من:-

١ - عميد المعهد : الاستاذ الدكتور بهجت كامل عبد اللطيف التكريتي

٢ - معاون العميد: الاستاذ الدكتور محمد جاسم حمادي المشهداني

٣ - الامين العام المساعد الاستاذ الدكتور عبد الجبار ناجي الياسري

٤ - المستشار العلمي للاتحاد : الاستاذ الدكتور حسين محمد القهواتي

٥ - مدير الاقسام العلمية في المعهد : السيد مهدي موسى العلاق

٦ - ممثل وزارة التعليم العالي والبحث العلمي في دولة المقر حسب تنسيب الوزارة.

ثالثاً :- الملاك الاداري للمعهد : ويتألف من:

١ - عميد المعهد

٢ - معاون العميد.

٣ - مدير الاقسام العلمية.

٤ - امين مكتبة المعهد.

٥ - مدير الحسابات.

٦ - مدير الذاتية والطبع.

٧ - سكرتارية العمادة.

٨ - الموظفون المستخدمون للمعهد.

رابعاً :- الاقسام العلمية للمعهد

١ - قسم تاريخ الوطن العربي الحديث والمعاصر، يرأسه الاستاذ الدكتور محمود علي الداود ويعاونه السيد سالم الالوسي بصفة مقرر

٢ - قسم الحضارة العربية (القديمة والاسلامية) يرأسه الاستاذ الدكتور عبد الله السلوم السامرائي ويعاونه الدكتور محمد باقر الحسيني بصفة مقرر.

٣ - قسم التراث الفكري والعلمي العربي، يرأسه الاستاذ الدكتور حسين امين عبد المجيد ويعاونه الدكتور فوزي رشيد بصفة مقرر.

٤ - قسم التاريخ العسكري العربي، يرأسه الاستاذ الدكتور شكري محمود نديم ويعاونه السيد سليم شاكر الامامي بصفة مقرر

٥ - قسم المخطوطات والوثائق التاريخية العربية، يرأسه الاستاذ الدكتور حسين محمد القهواتي ويعاونه السيد اسامه النقشبندي بصفة مقرر.

الدراسة والمناهج الدراسية والاهداف:-

تشمل الدراسة التحضيرية ثلاثة فصول دراسية:

الفصل الدراسي الاول : الدراسة في هذا الفصل تشتمل على مقررات عامة تدرس في جميع الاقسام الدراسية في مرحلتي الدكتوراه والماجستير وهذه المقررات هي:

١ - فلسفة التاريخ

٢ - الاستشراق ومناهجه

٣ - منهج البحث التاريخي والمصادر التاريخية

٤ - مصطلحات تاريخية (باللغة الانكليزية)

اما بالنسبة للفصلين الدراسيين الثاني والثالث، فان الدراسة فيهما تشتمل على مقررات خاصة لكل قسم دراسي في كل مرحلة دراسية.

وفيما يلي موجز لمقررات واهداف كل قسم دراسي مع نماذج لعناوين الرسائل العلمية التي بالامكان تناولها والبحث فيها ولمختلف الاقسام الدراسية.

أولاً : قسم التاريخ العسكري العربي: تقتصر الدراسة فيه في الوقت الحاضر على مرحلة الدكتوراه فقط

أهداف القسم:

١ ـ دراسة مصادر التاريخ العسكري العربي والمؤلفات القديمة والحديثة دراسة علمية نقدية في ضوء المفاهيم العسكرية المعاصرة.

٢ ـ اعداد المتخصصين العسكريين في التاريخ العسكري العربي لاعداد دراسات اصيلة ومبتكرة تعالج مشاكل التاريخ العسكري العربي المختلفة.

٣ ـ ابراز مقومات المدرسة العسكرية العربية في فن الحرب عبر التاريخ العربي.

٤ ـ اقامة صلات التعاون بين جميع المؤسسات والهيئات والمعاهد التي تعنى بالدراسات العسكرية في الوطن العربي والعالم.

٥ ـ تهيئة نواه للدراسات الاستراتيجية ومشكلاتها في الوطن العربي والدول المجاورة.

٦ ـ توسيع نطاق الدراسات العسكرية العربية لتشمل التاريخ العسكري العام للدول والمناطق التي تؤثر في التاريخ العسكري العربي.

٧ ـ اعادة كتابة التاريخ العسكري العربي وفق منهج جديد وصولاً لتحقيق قيام مدرسة عربية لفهم ودراسة التاريخ العسكري العربي.

المناهج الدراسية المعتمدة في القسم:

الدكتوراه:

أ ـ الفصل الدراسي الثاني:

١ ـ العلوم العسكرية عن العرب في العصور القديمة.

٢ ـ دراسات عسكرية اسلامية (صدر الاسلام ـ الوسيط)

٣ ـ الحروب والمعارك الفاصلة في التاريخ العسكري.

٤ ـ دراسات تاريخية مقارنة في العقيدة العسكرية العربية: (باللغة الانجليزية)

ب ـ الفصل الدراسي الثالث:

١ ـ العسكرية العربية وتطورها (باللغة الانجليزية)

٢ ـ دراسة تاريخية للأمن القومي العربي.

٣ ـ الجانب العسكري للقضية الفلسطينية.

٤ ـ دراسات في حركة التحرر العربي.

نماذج مختارة من الرسائل العلمية في القسم:

١ ـ مصادر التاريخ العسكري لمعارك التحرير العربية.

٢ ـ الجامعة العربية والتعاون العسكري العربي.

٣ ـ القدرات العسكرية العربية بين الحربين العالميتين (١٩١٨ ـ ١٩٣٩)

٤ ـ ظهور الكيان الصهيوني واثره في العلاقات العسكرية العربية.

٥ ـ الصراع العربي الفارسي عسكرياً في القرنين التاسع عشر والعشرين.

٦ ـ البترول العربي ودوره المستقبلي في القدرات العسكرية للامة العربية.

٧ ـ السوق الجوي العربي ودور البحر الابيض المتوسط والبحر الاحمر والخليج العربي.

٨ ـ العلاقات العربية التركية العسكرية في القرنين التاسع عشر والعشرين.

٩ ـ العسكرية العربية في الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥).

١٠ ـ حروب التحرير العربية الكبرى في العصر القديم.

١١ ـ حروب التحرير العربية الكبرى اسلامياً.

١٢ ـ حروب التحرير العربية الكبرى في التاريخ المعاصر.

١٣ ـ التسلح العربي واثره على قيام الوحدة العربية.

١٤ ـ التفسير العسكري للحروب الصليبية ١٠٩٧ ـ ١٢٩١.

١٥ ـ حروب العرب الكبرى في اوروبا في العصور الوسطى.

١٦ ـ المقاومة العسكرية العربية للغزو المغولي.

١٧ ـ الدور العسكري لليمن قبل الرسالة.

ثانياً : قسم تاريخ الوطن العربي الحديث والمعاصر: تشمل الدراسة فيه على مرحلتي الماجستير والدكتوراة.

اهـداف القسـم:

١ ـ اعداد باحثين في ميادين تدوين العلوم التاريخية المتصلة بتاريخ الوطن العربي الحديث والمعاصر على اساس الالتزام القومي والايمان العميق بتاريخ امتنا العربية المجيدة ودورها الرائد في خدمة الحضارة الانسانية.

٢ ـ خلق وتنشأة جيل من المؤرخين والباحثين الملمين بأعلى درجات الكفاءة العلمية في تاريخ العرب الحديث والمعاصر والمقدرة على اشاعة الوعي التاريخي والشعور بالمسؤولية القومية في المجتمع العربي على اساس (مبدأ وحدة التاريخ العربي).

٣ ـ تعزيز الجهود والمساعي الهادفة الى الوحدة العربية من خلال المساهمة الفعالة في اعادة كتابة تاريخ الامة العربية الحديث والمعاصر على اسس علمية وحضارية.

٤ ـ تخليص تاريخ العرب الحديث والمعاصر مما علق به من تفسيرات مغرضة بعيدة عن الروح العربية لكتابة التاريخ.

المناهج الدراسية المعتمدة في القسم:

أولاً: مرحلة الماجستير

أ ـ الفصل الدراسي الثاني:

١ ـ الفكر القومي العربي الحديث والمعاصر (باللغة الانجليزية)

٢ ـ المسألة الشرقية.

٣ ـ دراسات في التاريخ الاجتماعي العربي الحديث.

٤ ـ دراسات في التاريخ الاقتصادي الحديث في الوطن العربي.

ب ـ الفصل الدراسي الثالث:

١ ـ الاستعمار اشكاله واساليبه.

٢ ـ دراسات في التاريخ العسكري الحديث والمعاصر في الوطن العربي.

٣ ـ دراسات في تاريخ الوطن العربي الحديث والمعاصر.

٤ ـ الوطن العربي والعلاقات الدولية في العصر الحديث (باللغة الانجليزية)

ثانياً: مرحلة الدكتوراة

أ ـ الفصل الدراسي الثاني

١ ـ النهضة العربية الحديثة.

٢ ـ الفكر القومي في المغرب العربي.

٣ ـ العلاقات العربية الاوروبية في العصر الحديث (باللغة الانجليزية)

٤ ـ العلاقات العربية مع تركيا وايران.

ب ـ الفصل الدراسي الثالث:

١ ـ دراسات في حركة التحرير العربي.

٢ ـ العلاقات العربية الافريقية ـ الآسيوية.

٣ ـ دراسة مقارنة في التاريخ الدولي.

٤ ـ نصوص باللغة الانجليزية في التاريخ المعاصر.

نماذج مختارة من الرسائل العلمية في القسم:

١ ـ صورة العرب في كتب الرحلات الاوروبية في العصر الحديث.

٢ ـ حركة التحرر في الشمال الافريقي في التاريخ المعاصر.

٣ ـ العلاقات الدولية للمغرب العربي الكبير قبل الاحتلال الفرنسي.

٤ ـ المعوقات التي جابهت الفكر القومي العربي بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى.

٥ ـ دور الثقافة العربية في بعث فكرة الوحدة في الوطن العربي بين الحربين.

٦ ـ فكرة الوحدة العربية في الشمال الافريقي بعد الحرب العالمية الثانية.

٧ ـ دور المغرب في العلاقات الدولية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

٨ ـ اتجاهات الفكر القومي في اليمن عقب ثورة ١٩٦١.

٩ ـ الفكر القومي والجامعة العربية.

١٠ ـ الاقليات القومية في الوطن العربي بعد الحرب العالمية الاولى.

١١ - مشكلة الديمقراطية في الوطن العربي بعد الاستقلال في المغرب العربي.

١٢ - اهداف الاتجاهات الاقليمية المعاصرة في الوطن العربي ودورها في عرقلة قيام الوحدة العربية.

١٣ - الهوية القومية للثورة الجزائرية.

١٤ - التواصل القومي بين الثورات العربية المعاصرة.

١٥ - الوحدة اليمنية المعاصرة.

١٦ - العلاقات العربية الافريقية خلال الفترة (١٩٤٥ - ١٩٦٨)

١٧ - التأثير العربي في العلاقات الدولية (١٩٦٨ - ١٩٨٠)

١٨ - الفكر القومي العربي والفكر السياسي الاوروبي (دراسة مقارنة).

١٩ - الدور العربي في حركة عدم الانحياز.

ثالثاً : قسم التراث الفكري والعلمي العربي: تشتمل الدراسة فيه على مرحلتي الماجستير والدكتوراة.

أهداف القسم:

١ - اعداد الطالب اعداداً يسهم في تفهمه لتراث العربي فهماً علمياً مبنياً على ادراك صحيح بأهمية التراث العربي والاحاطة بجميع معالمه ومظاهره الانسانية والحضارية.

٢ - العناية بدراسة معالم التراث العلمي العربي وابداعات وابتكارات العلماء العرب وتأثيرها على اوروبا.

٣ - بيان اهمية الدراسات العلمية والانسانية التي برز فيها العرب واثرها الكبير في الحضارة الانسانية.

٤ - الاهتمام بالتراث الاسلامي بوصفه ركناً اساسياً في المدرسة التراثية العربية.

٥ - تسليط الضوء على ما اضافه العرب للمعرفة الانسانية من مبتكرات ساهمت في تطور التاريخ العلمي.

٦ - تخليص التراث العربي مما علق به من تفسيرات مغرضة والتعمق في مدلولاته الفكرية.

٧ - الكشف عن التواصل الحضاري بين التراث والمعاصرة.

المناهج الدراسية المعتمدة في القسم:

أولاً : مرحلة الماجستير

أ - الفصل الدراسي الثاني

١ - تراث الفكر العربي قبل الاسلام.

٢ - تراث الفكر العربي الاسلامي.

٣ - نشأة الفكر الفلسفي العربي الاسلامي.

٤ - التدوين التاريخي عند العرب.

ب - الفصل الدراسي الثالث:

١ - النظم السياسية وتطورها.

٢ - الترجمة في التاريخ العربي الاسلامي.

٣ - الفكر الاقتصادي العربي الاسلامي وتطوره.

٤ - نصوص سياسية في التراث العربي الاسلامي (باللغة الانجليزية).

ثانياً : مرحلة الدكتوراة

أ - الفصل الدراسي الثاني:

١ - قراءات مختارة من كتب التراث العربي (باللغة الانجليزية)

٢ - تاريخ العلوم الهندسية والعمارة عند العرب.

٣ - تاريخ العلوم الرياضية والفيزياوية والكيماوية والفلك عند العرب.

٤ - تاريخ العلوم الطبية عند العرب.

ب - الفصل الدراسي الثالث:

١ - دراسات في قوانين الدولة العربية الاسلامية.

٢ - الصلة الحضارية بين التراث والفكر العربي المعاصر.

٣ - الادارة العربية وتطورها في العصور الاسلامية.

٤ - التراث العربي الاسلامي وتأثيره على اوروبا في عصر النهضة (باللغة الانجليزية).

نماذج مختارة من الرسائل العلمية في القسم:

١ - التراث العربي ركنا اساسياً في تحقيق الوحدة العربية.

٢ - القيم العربية الاصيلة في التراث العربي الاسلامي.

٣ - الشورى في التراث العربي.

٤ - التحديات الشعوبية للتراث العربي.

٥ - الحركة المدرسية في العصر العباسي واثرها في الحفاظ عى التراث العربي.

٦ - نظام الملكية الخاصة والعامة في التراث العربي الاسلامي.

٧ - دور العلم واثره في اغناء التراث والحفاظ عليه.

٨ - العرب وابتكاراتهم الهندسية في وسائل الري.

٩ - الوراقون ودورهم في الحفاظ على التراث العربي.

١٠ - العمل والعمال في التراث العربي.

١١ - الحرب والسلام في التراث العربي.

١٢ - المسجد ودوره في اثراء التراث العربي.

١٣ - المرأة في التراث اعربي الاسلامي.

١٤ - نظام الفتوة من مظاهر التراث العربي.

١٥ - الحركات الفكرية في الاسلام.

١٦ - ابداعات العرب في العلوم التطبيقية.

١٧ - ابداعات العرب في العلوم الصرفه.

١٨ - التراث الفكري العربي قبل الاسلام.

١٩ - تطورات النظام السياسي والاداري والقانوني في التراث العربي.

رابعاً : قسم الحضارة العربية (القديمة - الاسلامية): تقتصر الدراسة فيه في الوقت الحاضر على مرحلة الماجستير فقط

اهداف القســم:

١ - اعداد متخصص في دراسة التاريخ العربي الاسلامي اعداداً علمياً تحقيقاً لدراسة الحضارة العربية وفق منهج البحث العلمي التاريخي.

٢ - اعداد دراسات مبتكرة واصيلة لتسليط الضوء على الحضارة العربية الاسلامية المبدعة والاصيلة.

٣ - تهيئة المؤرخين المؤمنين بالامة العربية كأمة حضارة لتواصل دورها التاريخي في الخلق والابتكار.

٤ - تخليص الحضارة العربية من الشوائب التي لحقت بها وتسليط الضوء على الجديد والمبتكر في نواحيها المختلفة.

٥ - التاكيد على ان حضارة الامة العربية هي الحضارة الاولى وهي الاعمق والاكثر عطاءً والارحب نماءً ومشاركة، وهذا يتحقق عبر الدرس والبحث والتقصي والمحاورة، وسيكون هذا الهدف من اكثر الاهداف اهمية، وسيكون القسم رائداً في هذه المهمة.

٦ - التركيز على الجوانب المضيئة التي اهملت دراستها للحضارة العربية الاسلامية والكشف عن عمقها التاريخي ومدلولاتها الايجابية وتأثيراتها على العالم في عصوره المظلمة.

المناهج الدراسية المعتمدة في القسم:-

أولاً : مرحلة الماجستير

أ - الفصل الدراسي الثاني

١ - دراسات حضارية في عصور ما قبل التاريخ في الوطن العربي.

٢ - دراسات حضارية في العصور التاريخية في الوطن العربي.

٣ - دراسات في الحضارة العربية الاسلامية (باللغة الانجليزية)

٤ - فلسفة نشوء وتدهور الحضارات.

ب - الفصل الدراسي الثالث:

١ - دراسات في النظام الاقتصادي في الدولة العربية الاسلامية.

٢ - دراسات في انتشار الحضارة العربية الاسلامية في آسيا وافريقيا.

٣ - المدارس الفكرية وتطورها في الدولة العربية الاسلامية.

٤ - تأثير العرب الحضاري على أوروبا. (باللغة الانجليزية).

ثانياً : مرحلة الدكتوراه

أ ـ الفصل الدراسي الثاني.

١ ـ العقل العربي.

٢ ـ دراسات في الديانات اليهودية والمسيحية والاسلام.

٣ ـ دراسات في الحضارة العربية الاسلامية في الاندلس وصقلية (باللغة الانجليزية).

٤ ـ التأثير الحضاري للوطن العربي على الحضارات الانسانية.

ب ـ الفصل الدراسي الثاني

١ ـ العلوم عند العرب (نشأتها وتطورها).

٢ ـ المراكز الحضارية العربية في اوروبا (باللغة الانجليزية).

٣ ـ اللغات التي ظهرت في الوطن العربي عبر التاريخ.

٤ ـ دراسات مقارنة في الحضارات العالمية.

نماذج مختارة من الرسائل العلمية في القسم

١ ـ الاصول التاريخية للقبائل العربية في شمال افريقية.

٢ ـ ظهور وتطور القوانين في التاريخ القديم.

٣ ـ ملاحم الخلود في التاريخ القديم.

٤ ـ ملاحم خلق الانسان في المشرق العربي القديم.

٥ ـ الالوان وفلسفتها في التاريخ القديم.

٦ ـ الابراج السماوية نشأتها واسباب ظهورها.

٧ ـ المسرح في الوطن العربي القديم.

٨ ـ الفنون العربية في العصور القديمة.

٩ ـ افتراءات المستشرقين على الحضارة العربية الاسلامية.

١٠ ـ الروايات الشعوبية المدسوسة على الحضارة العربية الاسلامية.

١١ ـ المدارس التاريخية العربية.

١٢ ـ الاجتهاد ركن اساس في خلق وحدة عقيدة الامة.

١٣ ـ الحركات السياسية الدينية في التاريخ الحديث.

١٤ ـ منابع المرويات الشعوبية في مصادر التاريخ الاسلامي.

١٥ ـ الدس الشعوبي على التاريخ العربي الاسلامي.

١٦ ـ الموقف العربي من الحركات الهدامة.

خامساً: قسم المخطوطات والوثائق التاريخية العربية:

تقتصر الدراسة فيه في الوقت الحاضر على مرحلة الماجستير فقط..

أهداف القسم:

١ ـ نشر الثقافة والمعرفة التاريخية بالمخطوطات والوثائق العربية المحفوظة في مراكز المخطوطات العالمية.

٢ ـ دراسة المخطوطات العربية وفق المنهج العلمي والعمل على تحقيق المهم منها ونشرها.

٣ ـ الاهتمام بدراسة الوثائق التاريخية العربية وتوظيفها في الدراسات التاريخية الحديثة والمعاصرة.

٤ ـ اعداد الباحثين المتخصصين بشؤون المخطوطات والوثائق وتعميق معرفتهم بطرق حفظها وادارتها وفهرستها ونشرها.

٥ ـ اعتماد المخطوط والوثيقة كركن اساس في البحث العلمي التاريخي.

٦ ـ الكشف عن المجهول في الوثائق والمخطوطات العربية التي عمل الاستعمار على طمسها.

٧ ـ تسليط الضوء على كنوز المخطوطات والوثائق واعتمادها في الدراسات التاريخية المعاصرة.

٨ ـ السعي لتحقيق ودراسة كل وثيقة ومخطوطة عربية يمكن اعتمادها مادة اساسية في خلق مدرسة عربية لفهم ودراسة التاريخ العربي.

المناهج الدراسية المعتمدة في القسم:

أولاً: مرحلة الماجستير

أ - الفصل الدراسي الثاني

١ - تطور الخط والكتابة العربية.

٢ - قواعد فهرسة المخطوطات والوثائق.

٣ - تاريخ الكتاب العربي وفنونه وخزائن الكتب العربية.

٤ - مصادر المعلومات العربية التاريخية (باللغة الانجليزية)

ب - الفصل الدراسي الثالث:

١ - قواعد تحقيق نصوص المخطوطات والوثائق.

٢ - الادارة الوثائقية.

٣ - الوثائق التاريخية والمخطوطات العربية واعادة كتابة التاريخ العربي.

٤ - دراسات في تحقيق نصوص المخطوطات (نماذج مختارة) (باللغة الانجليزية).

ثانياً: مرحلة الدكتوراه

أ - الفصل الدراسي الثاني

١ - تاريخ الارشيف والوثائق.

٢ - المنظمات الدولية والاقليمية والعربية الخاصة بالوثائق والمخطوطات (تعريف عام).

٣ - دراسات في قراءة الوثائق التاريخية (نماذج مختارة) (باللغة الانجليزية).

٤ - دراسات في فهرسة المخطوطات والوثائق وتطورها التاريخي.

ب - الفصل الدراسي الثالث

١ - مناهج دراسة المخطوطات والوثائق التاريخية في العالم.

٢ - علم المراسلات التاريخية (باللغة الانكليزية)

٣ - التشريعات الوثائقية.

٤ - علم اللغات القديمة وقراءة المخطوطات والوثائق العربية القديمة.

نماذج مختارة من الرسائل العلمية في القسم:

أولاً:

١ - تأسيس الارشيفات في الوطن العربي.

٢ - الادارة الارشيفية وتطورها.

٣ - التشريعات الوثائقية في الوطن العربي.

٤ - الادارة الارشيفية المركزية واللامركزية في الوطن العربي.

٥ - مبدأ اختيار الوثائق والاسس التي تبنى عليها.

٦ - علم تحقيق الوثائق (الدبلوماتيك)

٧ - فهرسة الوثائق.

٨ - استعمال التقنيات الحديثة في الادارة الارشيفية.

٩ - الضبط الببليوغرافي للمخطوطات العربية.

١٠ - تطور فهرسة المخطوطات العربية.

١١ - الوثائق القومية واهميتها التاريخية.

١٢ - المصادر الوثائقية ودورها في كتابة التاريخ العربي.

١٣ - مصادر المعلومات الرسمية واهميتها التاريخية.

١٤ - الاتجاهات المستقبلية لمصادر المعلومات التاريخية.

١٥ - التعامل الآلي مع مصادر المعلومات العربية التاريخية.

١٦ - الفهارس الموحدة للمخطوطات العربية التاريخية.

١٧ - مناهج تحقيق المخطوطات (دراسة مقارنة)

١٨ - اهمية الوثائق واثرها النفسي في الحروب في التاريخ المعاصر.

١٩ - الوثائق العربية في المخطوطات.

ثانياً: تحقيق المخطوطات ودراستها (نماذج مختارة).

١ - حروب الايرانيين في العراق (مخطوط)

لسليمان فائق المتوفى ١٣١٤هـ/ ١٨٧٦م وضعه المؤلف بالتركية وعرّبه محمد خلوصي التكريتي - ويتناول الحروب والحوادث التي جرت من سنة ١١٣٢ - ١١٤٠هـ

٢ ـ سبك الذهب في علم النسب (مخطوط)

لأحمد بن علي بن عتبة المتوفي ٨٢٨ هـ

١ ـ الاحكام السلطانية (مخطوط)

لعلي بن محمد الماوردي المتوفى سنة ٤٥٠هـ

٤ ـ خلاصة سير سيد البشر (مخطوط)

لمحب الدين محمد الطبري المتوفى (٦٩٤ هـ)

٥ ـ نزهة المشتاق في علماء العراق (مخطوط)

لابي البركات محمد الرجبي كان حياً سنة ١١٧٩هـ

لجـان المعهـد:

ولاً : لجنة القبول

انيـاً : لجنة المناهج الدراسية

الثـا : اللجنة الثقافية

رابعاً : لجنة الانضباط

خامساً : لجنة الامتحانات

التقويم السنوي للمعهد:ـ

الفصل الدراسي الاول : يبدأ في الاسبوع الثاني من شهر ايلول/ سبتمبر وينتهي في الاسبوع الاول من شهر كانون الاول/ديسمبر

الفصل الدراسي الثاني : يبدأ في الاسبوع الثالث من شهر كانون الاول/ ديسمبر وينتهي في نهاية الاسبوع الاول من شهر آذار/ مارس

الفصل الدراسي الثالث : يبدأ في الاسبوع الثالث من شهر آذار/ مارس وينتهي في نهاية الاسبوع الثاني من شهر حزيران.

يتبع ذلك الاستراحة الصيفية وتسجيل موضوع الرسالة العلمية.

المستلزمات الاساسية الدراسية في المعهد:

اولاً ـ الاشتراك في دورة اللغة الانجليزية واجتياز الاختبار فيها بنجاح وبمعدل لا يقل ٥٠٪

ثانياً ـ اجتياز امتحانات فصول السنة التحضيرية الثلاثة في جميع المواد بنجاح، شريطة ان لا تقل درجة الدرس الواحد عن ٦٠٪ وبمعدل عام لا يقل عن ٧٠٪.

ثالثاً ـ يعتر الطالب مكملاً في الحالات التالية:ـ

أ ـ رسوبه في مادة واحدة او مادتين في الفصل الواحد.

ب ـ يعتبر الطالب راسباً في مادة دراسية واحدة في حالة اخفاقه في الحصول على معدل عام قدره ٧٠٪

جـ ـ يحق للطلبة المكملين في اربع مواد كحد اعلى من مجموع مواد الفصول التحضيرية الثلاثة. تأدية امتحان الدور الثاني.

د ـ يكون امتحان الدور الثاني في الاسبوع الاخير من شهر آب (اغسطس) من كل عام.

رابعاً ـ يعتبر الطالب راسباً في الحالات التالية:ـ

أ ـ رسوبه في اكثر من مادتين في اي مادة من الفصول التحضيرية الثلاثة.

ب ـ رسوبه في الدور الثاني في اي مادة من المواد التي اكمل فيها.

جـ ـ لا يحق للطالب المكمل تأجيل امتحان الدور الثاني، حيث لا اكمال بعد الاكمال.

د ـ يوقف قيد الطالب عند غشه او محاولته الغش في اي من امتحانات الفصول الثلاثة.

خامساً ـ اجتياز الامتحان الشامل بنجاح قبل تسجيل عناوين الرسائل العلمية.

سادساً ـ كتابة فصول الرسالة بصورة منهجية دقيقة وفق توجيهات مشرفه واللجنة العلمية في قسمه.

سابعاً ـ مدة الدراسة الصغرى لنيل شهادة الماجستير او الدكتوراه ثلاث سنوات والقصوى للماجستير اربع سنوات وللدكتوراه خمس سنوات.

ثامناً ـ الدراسة في المعهد تقسم الى قسمين

أ ـ تحضيرية تخصص لها ثلاثة فصول دراسية مجموع وحداتها الاسبوعية ٢٤ وحدة وبمعدل (٨) وحدات اسبوعية للفصل الواحد لدراستي الماجستير والدكتوراه عدا ساعات اللغة الانجليزية.

ب ـ بحثية وكتابية تخصص لدراسة الماجستير (١٢) وحدة ولدراسة الدكتوراه (٣٦) وحدة.

الاجــور الــدراسيــة:

يتم تحديد اجور الدراسة للطلاب العراقيين والعرب بموجب تعليمات تصدرها الهيئة العلمية للمعهد سنوياً، ولا يحق للطالب عند بدء الدراسة سحب الاجور ومهما كانت الاسباب. اما إذا رغب في تأجيل دراسته خلال فترة الدراسة، فيجب استحصال موافقة مجلس المعهد على ذلك، على ان يدفع اجوراً دراسية جديدة.

شروط مواعيد التقديم والقبول

اولاً ـ يبدأ التقديم الى معهد التاريخ العربي للدراسات العليا في بداية الدوام الرسمي من صباح يوم السبت الاول من نيسان (ابريل) وينتهي في نهاية الشهر المذكور.

ثانياً ـ يجب ان يحوي ملف الطالب المتقدم للدراسة في معهد التاريخ العربي للدراسات العليا على المستندات الاتية:ـ

أ ـ وثيقة درجات اصلية موجهة الى عمادة معهد التاريخ العربي للدراسات العليا تتضمن درجات السنوات الاربع من الدراسة الجامعية الاولية بمعدل لا يقل عن ٧٠٪ بالنسبة للمتقدمين الى دراسة الماجستير. ودرجات السنة التحضيرية بتقدير لا يقل عن جيد بالنسبة للحاصلين على شهادة الماجستير والراغبين في دراسة الدكتوراه.

ب ـ صورة من شهادة الجنسية.

جـ ـ صورة من هوية الاحوال المدنية.

د ـ استمارة طلب التقديم الى المعهد.

هـ ـ التعهد بالالتزام التام بنظام المعهد الاساسي وتنفيذ تعليماته.

و ـ تأييد عضويته في اتحاد المؤرخين العرب او احدى الجمعيات التاريخية العربية او ترشيح منها.

ثالثاً ـ تجرى مقابلة وامتحان الطلبة المتقدمين خلال النصف الاول من شهر حزيران (يونيو).

رابعاً ـ تعلن نتائج القبول في مطلع شهر تموز (يوليو).

خامساً ـ تسدد اجور الدراسة البالغة (٥٠٠٠) ديناراً بالنسبة للعراقيين و (١٠٠٠) دولاراً بالنسبة للطلبة العرب، بما فيها اجور دراسة اللغة الانجليزية خلال اسبوع فقط من اعلان نتائج القبول، بموجب شيك مصدق من احد المصارف معنون الى معهد التاريخ العربي للدراسات العليا (بالنسبة للعراقيين) واذا تأخر التسديد عن الموعد المحدد يسقط حق الطالب المرشح ويحل الاحتياط مكانه.

سادساً ـ لا يحق للطالب الذي سدد الاجور وتسلم وصل التأمين، سحب اجوره وتأجيل دراسته مهما كان السبب.

سابعاً ـ يبدأ دوام الفصل التحضيري الاول في السبت الثاني من شهر ايلول.

تسجيل الرسائل العلمية:ـ

يحق للطالب تسجيل موضوع رسالته بعد:ـ

١ ـ اجتيازه متطلبات الدراسة التحضيرية بنجاح وبمعدل لا يقل عن ٧٠٪ في جميع المواد ويوقف قيد من لم يحصل على ذلك المعدل.

٢ ـ اجتيازه امتحان اللغة الانجليزية بنجاح في مدة لا تقل الدراسة فيها عن فصلين.

٣ ـ اجتيازه الامتحان الشامل (بالنسبة لطلبة الدكتوراه).

٤ ـ تقديم خلاصة وافية عن موضوعه ومصادره الى اللجنة العلمية في القسم المختص شريطة ان يساهم الموضوع في معالجة المحرف من وقائع التاريخ العربي وضمن المدرسة العربية لأعادة كتابة التاريخ ويضيف ما هو الجديد والمبتكر والاصيل الى المكتبة التاريخية العربية والابتعاد عن الاسلوب التقليدي وتبني الاسلوب التحليلي والاستنتاجي لفهم التاريخ.

٥ ـ يبت في اختيار موضوع الرسالة والمشرف المختص للطالب من

لدن القسم العلمي وموافقة الهيئة العلمية ويشترط في المشرفين ممن عرفوا بمنزلتهم العلمية المتميزة في دولة المقر او خارجها.

التعليمات الخاصة بمناقشة الرسائل العلمية:

أولاً - تكتب فصول الرسالة العلمية من لدن الطالب في مدة لا تقل عن عامين، بمتابعة جادة من مشرفه، وبعد موافقة المشرف على فصول الرسالة وتقدم الرسالة الى اللجنة العلمية للقسم المختص لاستحصال الموافقة على سلامتها الفكرية واذا ما وجد اي تناقض او عدم تطابق في المنهج العلمي للمدرسة العربية لفهم وكتابة التاريخ. ترفض الرسالة ولا يحق مناقشتها الا بعد تعديلها

ثانيا - ترسل الرسالة الى المقوم اللغوي ليتأكد من سلامة اسلوبها ودقة لغتها على ان ينجز مهمته في مدة لا تتجاوز الثلاثة اسابيع.

ثالثاً - يقوم الطالب بطبع رسالته على الآلة الطابعة (الدكتوراه لا تزيد على ٣٥٠ صفحة والماجستير لا تزيد على ٢٥٠ صفحة) ويكون الطالب وحده مسؤولاً عن الاخطاء العلمية واللغوية والمطبعية التي ترد فيها.

رابعاً - ترسل الرسالة مطبوعة الى الخبير العلمي لاقرار صلاحيتها للمناقشة وابداء ملاحظاته في تقرير مفصل يقدم الى عمادة المعهد في مدة لا تتجاوز الشهر الواحد.

خامساً - تشكل لجنة علمية من اربعة اعضاء لمناقشة الرسائل العلمية، بضمنهم المشرف على الرسالة، ويشترط منهم ان يكونوا من ذوي الاختصاص الدقيق والخبرة المشهودة على ان يقوموا بقراءة فصول الرسالة بدقة قبل شهر من مناقشتها وتقديم ملاحظاتهم بشأنها مكتوبة الى القسم العلمي قبل موعد المناقشة باسبوع على اقل تقدير. ليتسنى للطالب الاطلاع عليها والتهيؤ للدفاع عن رسالته.

سادساً - تجرى المناقشة العلنية للطالب، وتمنحه اللجنة الدرجة التي يستحقها.

سابعاً - يمنح الطالب الشهادة التي يستحقها (الماجستير والدكتوراه) بعد موافقة مجلس المعهد والهيئة العلمية.

شكر وتقدير

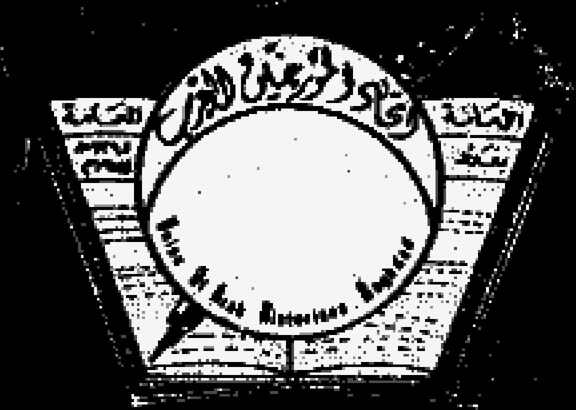
يسعد اتحاد المؤرخين العرب أن يتقدم بالشكر والتقدير للمطبعة الوطنية ممثلة بمديرها العام سعادة الأستاذ هاني السمّان الذي أخذ على عاتقه طبع هذا العدد من مجلة المؤرخ العربي حيث أبت غيرته على التاريخ وكرم أخلاقه الا أن يستجيب لنداء المؤرخين العرب ويحقق أمنيتهم في أن ترى بحوثهم النور من خلال هذه المجلة المعبّرة عن صوت التاريخ العربي.

كلمة لا بدّ منها

تـود الأمانـة العـامة لأتحاد المؤرخين العـرب أن تقدم الشكر والتقـدير والأمتنان للسيدة الـدكتورة رنـاد الخطيب عياد المستشـارة الثقـافية لـلأتحاد والمديرة العامة لمكتب ارتباط معهد التاريخ العـربي والتراث العلمي في المملكـة الأردنيـة الهاشميـة معترفـة بجهودهـا الكبيرة في اعـداد مـواد هـذا العدد ومـراجعتها وتـدقيق طباعتهـا واخراجها حيث كـانت مثـال المرأة العـربيـة التي لبت نـداء المؤرخين العـرب في ايجاد الجهة المتبرعـة بطباعـة هـذا العـدد فـاستحقت من مـؤرخي الأمـة الثنـاء والاعجـاب، حفظهـا الله ذخـراً للتـاريخ العـربي.

EDITORIAL BOARD


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی



JOURNAL OF ARAB HISTORIANS



Office of the general secretary

Iraq - Baghdad - P.O. Box 4075
Cable : MOARKHEEN Baghdad